

تراث الإسلام

نفسير الطبرك

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٧

راجعه وخارج أحاديثه

أحمد محمد شاكر

حقيقه وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء السابع

وفيه

تفسير سورة آل عمران

من ٩٣ - ٢٠٠

وتفسير سورة النساء

من ١ - ٧

والآثار من ٧٣٩٩ - ٨٦٥٧

تفسير الطبري

بِسْمِ آفَةِ الرِّيحِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الرِّقَابُ ، وَسَجَدَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . خَلَعَنَا اللَّهُ رَبَّنَا الْأُنْدَادَ وَالشُّرَكَاءَ ، وَأَخْلَصَنَا لَهُ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ ، وَأَمَّنَّا بِمَا أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَعَلَهُ رَسُولًا إِلَى عِبَادِهِ ، وَرَحْمَةً مُهْدَاةً إِلَى خَلْقِهِ ، وَأَمَّةً فِي الْعِلْمِ بِدِينِهِ ، حَتَّى هَدَى بِهِ الْعِبَادَ إِلَى الْحَقِّ ، جَامِعًا لَهُ سَجَايَا الْخَيْرِ مِنْ أَطْرَافِهَا ، مُبِينًا بِهِ عَنْ شَرِيعَتِهِ فِي أَرْضِهِ . فَعَلَّمَ النَّاسَ بَعْدَ الْجَهْلِ ، وَسَدَّدَ الْخُطْبَى بَعْدَ الْحَيَرَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ طَيِّبَةِ مَبَارَكَةٍ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ وَحْدَكَ مَالِكُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، بِيَدِكَ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَافْتَحْ لَنَا رَبَّنَا أَبْوَابَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى ، وَقِنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا ، وَاقْبِضْ قُلُوبَنَا عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَابْسُطْهَا فِي طَاعَتِكَ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ وَحْدَكَ مُذِلُّ الْجَبَابِرَةِ ، وَفَاهَرُ الْبُغَاةِ الْفَجَرَةِ ، وَمُنْشِئُ النَّصْرِ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَبَالَ حَقُّهُ مِنَ الْقُوَى الظَّالِمِ .

اللَّهُمَّ إِنَّمَا نَحْنُ عِبَادُكَ الْمُؤْمِنُونَ ، عَصَيْنَاكَ حَتَّى أَظَلَلْتَنَا عُقُوبَتَكَ ، فَاللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا غَضَبَكَ ، وَلَا تُخْلِنَا مِنْ لَطِيفِ رَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ ، وَاجْعَلْ عَاصِيَنَا مَذْعَنًا لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَأَخْرِجْ مِنَّا مَنْ يَنَادِي بِالْحَقِّ حَتَّى يَسْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ صَمَّ عَنْهُ .

اللَّهُمَّ هذه أمتك العاصية قد تداعت عليها الأمم بالعدوان والظلم ،
فنجأرك إليك ربنا أن تثبت أقدامنا حتى نلقى العدو صابرين للبلاء ،
مصابرين للملحمة ، مرابطين على ثغور دينك .

اللَّهُمَّ خذ بنواصي ولاة أمورنا إلى ما ترضاه لأمتك ، وانزع من
قلوبهم رهبة عدوهم وعدوك ، واجمع كلمتنا على العمل بأمرك ، وضمم
شملنا على الجهاد في سبيلك .

اللَّهُمَّ هذه ساعة الجهاد ، فاكتب لنا الشهادة مقاتلين في سبيلك ،
واكتب لمن بقى منا النصر الذي لا يؤتیه إلا ربنا الواحد القهار .

ربنا عصينا فاغفر لنا ، وتبنا إليك فاصفح عنا ، ولا تجعلنا عبيداً
لأعداء دينك بخذلاننا ، وكن لنا حامياً من باغ يبغي لأمة العرب
العوائل ، وسدّد خطى الناطقين بالتوحيد إلى إعلاء كلمتك ، أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين .

محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه لم يكن حرّم على بنى إسرائيل = وهم ولد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن = شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة ، بل كان ذلك كله لهم حلالاً إلا ما كان يعقوب حرّمه على نفسه ، فإن ولده حرّمه استثناءً بأيهم يعقوب ، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ، ولا على لسان رسول له إليهم ، من قبل نزول التوراة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم ، هل نزل في التوراة أم لا ؟ فقال بعضهم : لما أنزل الله عز وجل التوراة ، حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل نزولها .

• ذكر من قال ذلك :

٧٣٩٩ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، قالت اليهود : إنما نحرم ما حرّم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرّم

إسرائيل العروُوق ، ^(١) كان يأخذ عِرق النِّساء ، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عِرقاً أبداً ، فحرّمه الله عليهم . ثم قال : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، ما حرّم هذا عليكم غيرى ببغيتكم ، فذلك قوله : ﴿ فَيُظْلَمَ مَنْ الدِّينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٦٠]

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن الله حرّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرّمه على نفسه في التوراة ، ببغيتهم على أنفسهم وظلمهم لها . قل يا محمد : فأتوا ، أيها اليهود ، إن أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة ، وأنكم إنما تحرّمونه لتحرّم إسرائيل إياه على نفسه . ٢/٤

وقال آخرون : ما كان شيء من ذلك عليهم حراماً ولا حرّمه الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيء حرّمه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله . فكذبهم الله عز وجل في إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم . ^(٢)

• ذكر من قال ذلك :

(١) العروُوق هي عروق اللحم ، وهو الأجوف الذى يكون فيه الدم ، وأما غير الأجوف فهو المصّب .

(٢) في المطبوعة : « ليتبين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

٧٤٠٠ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، إسرائيل هو يعقوب ، أخذه عرق النساء فكان لا يبيت الليل من وجعه ، ^(١) وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً ، وذلك قبل نزول التوراة على موسى . فسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهود : ما هذا الذي حرم إسرائيل على نفسه ؟ فقالوا : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل . فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » إلى قوله : « فأولئك هم الظالمون » ، وكذبوا وافتروا ، لم تنزل التوراة بذلك .

* * *

وتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة = بمعنى : لكن إسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك . ^(٢) وكان الضحاک وجهه قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، إلى الاستثناء الذي يُسميه النحويون « الاستثناء المنقطع » .

* * *

وقال آخرون : تأويل ذلك : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن ذلك حرام على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده ، من غير أن يكون الله حرمه على إسرائيل ولا على ولده .

(١) في المطبوعة : « لا يبيت الليل » ، وليست بشيء ، وسبب ذلك أن ناسخ المخطوطة قد استكثر من النقط على حروف هذه الكلمة ، فاختلط الأمر على الناشر . وليس معنى « يبيت » : ينام ، فإن أهل اللغة قالوا : « بات : دخل في الليل » ، ومن قال : بات فلان ، إذا نام ، فقد أخطأ . ألا ترى أنك تقول : بات أرعى النجوم ؟ معناه : بات أنظر إليها ، فكيف ينام وهو ينظر إليها ؟ ومعنى « لا يبيت الليل » ، أى يسكن الليل ولا يستريح ، لأن البتوة هى دخول الليل ، والليل سكن للناس ، فن ضافه هم ، أو أفلقه أم ، لم يسكن ، فكان الليل لم يشمله بهدأته . وفي ألفاظ أخرى لهذا الخبر : « لا ينام الليل من الوجع » . ثم انظر الأثر رقم : ٧٤٠٢ : « لا يبيت بالليل » .

(٢) انظر « إلا » بمعنى « لكن » فيما سلف ٣ : ٢٠٦ .

• ذكر من قال ذلك :

٧٤٠١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، فإنه حرم على نفسه العروق ، وذلك أنه كان يشتكى عرق النسا ، فكان لا ينام الليل ، فقال : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لى ولد = وليس مكتوباً في التوراة ! وسأل محمد صلى الله عليه وسلم فقراً من أهل الكتاب فقال : ما شأن هذا حراماً ؟ فقالوا : هو حرام علينا من قبل الكتاب . فقال الله عز وجل : « كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل » إلى « إن كنتم صادقين » .

٧٤٠٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : أخذه - يعني إسرائيل - عرق النسا ، فكان لا يبيت بالليل من شدة الوجع ،^(١) وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً ، وذلك قبل أن تنزل التوراة . فقال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل على نفسه . قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، وكذبوا ، ليس في التوراة .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال : « معنى ذلك : كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم ، من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ولا وحى قبل التوراة ، حتى نزلت التوراة » ، فحرم الله عليهم فيها ما شاء ، وأحل لهم فيها ما أحب . وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل ، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل .

• ذكر بعض من قال ذلك :

(١) في المطبوعة : « لا يبيت » ، وفي المخطوطة : « لا يبيت » ، واضحة . وانظر التعليق السالف رقم : ١ ص : ٩ .

٧٤٠٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، وإسرائيل ، هو يعقوب = « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، يقول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة . إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ، فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها ما شاء وأحل لهم ما شاء .

٧٤٠٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل في الذي كان إسرائيل حرمه على نفسه .

فقال بعضهم : كان الذي حرمه إسرائيل على نفسه : العُرُوق .
 ٤ / ٤ * ذكر من قال ذلك :

٧٤٠٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن يوسف بن ماهك قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال إنه جعل امرأته عليه حراماً ، قال : ليست عليك بحرام . قال : فقال الأعرابي : ولم ؟ والله يقول يقول في كتابه : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ؟ قال : فضحك ابن عباس وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حرم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال : إسرائيل عرضت له الأنساء فأبىته ، ^(١) فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عيرقاً . قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

٧٤٠٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

(١) الأنساء جمع نسا : وهو هذا المرق الذي يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر حتى يبلغ الكعب . وهو الذي يأخذه المرض المعروف .

عن أبي بشر . قال : سمعت يوسف بن ماهك يحدث : أن أعرابياً أتى ابن عباس ، فذكر رجلاً حرم امرأته فقال : إنها ليست بحرام . فقال الأعرابي : رأيت قول الله عز وجل : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ؟ فقال : إن إسرائيل كان به عرق النسا ، فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العروق من اللحم ، وإنها ليست عليك بحرام .

٧٤٠٧ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : إن يعقوب أخذه وجع عرق النسا ، فجعل لله عليه = أو : أقسم ، أو : آلى = : لا يأكله من الدواب .^(١) قال : والعروق كلها تبع لذلك العرق .

٧٤٠٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن الذي حرم إسرائيل على نفسه : أن الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته ، فتألى إن الله شفاه لا يطعم نساء أبداً ، فتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم .^(٢)

٧٤٠٩ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه = وزاد فيه . قال : فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً فجعل بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم . وكان « الذي حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، العروق .

٧٤١٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : اشتكى

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب » ، وهو غير مستقيم ، وأشبهه بالصواب ما أثبت . وانظر الأثر التالي وفيه « تألى » ، أى أقسم ، ومنه استظهرت هذا التصويب .
(٢) في المخطوطة : « يخرجونها » ، فلعل ما قبلها « العرق » مفرداً ، ولكن تركت ما في المطبوعة فهو أجود ، لما في الأثر الذي يليه .

إسرائيل عرق النسا فقال : إن الله شفاني لأحرّمن العروق ! فحرّمها .

٧٤١١- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إسرائيل أخذه عرق النسا ، فكان يبيت له زُقاء ، ^(١) فجعل الله عليه إن شفاه أن لا يأكل العروق ، فأنزل الله عز وجل : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه » = قال سفيان : « له زُقاء » ، يعنى : صياح .

٧٤١٢- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد في قوله : « إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه » ، قال : كان يشتكى عرق النسا ، فحرّم العروق .

٧٤١٣- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيج ، عن مجاهد مثله .

٧٤١٤- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب

ابن أبي ثابت ، عن ابن عباس في قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، قال : كان إسرائيل يأخذه عرق النسا ، فكان يبيت وله زُقاء ، فحرّم على نفسه أن يأكل عروقاً .

* * *

وقال آخرون : بل « الذى كان إسرائيل حرّم على نفسه » ، لحوم الإبل

وألبانها .

• ذكر من قال ذلك :

٧٤١٥- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن

(١) في المطبوعة : « يبيت وله زُقاء » ، بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة وهو جيد أيضاً .
الزُقاء : صوت الباكى وصياحه . زقا الصبي يزقو : اشتد بكاءه وصاح . وسيأتى مشروحاً في الأثر .

جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : سمعنا أنه اشتكى شكوى ، فقالوا : إنه عرق النسا ، فقال : رَبِّ ، إِنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى لَحْمِ الْإِبِلِ وَالْبَانُهَا ، فَإِنْ شَفَيْتَنِي فَلِمَ أُحْرَمُهَا عَلَىَّ = قال ابن جريج ، وقال عطاء بن أبي رباح : لحوم الإبل والبانها حرم لإسرائيل .

٧٤١٦ - حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل » ، قال : كان لإسرائيل حرم على نفسه لحوم الإبل ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل ، وإنما كان حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل قبل أن تنزل التوراة ، فقال الله : « فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فقال : لا تجدون فى التوراة تحريم لإسرائيل على نفسه ، أى لحم الإبل . (١)

٧٤١٧ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا حبيب بن أبى ثابت قال ، حدثنا سعيد ، عن ابن عباس : أن إسرائيل أخذَه عرق النسا ، فكان يبيت بالليل له زُقاء = يعنى : صياح = قال : فجعل على نفسه لئِنْ شفاه الله منه لا يأكله = يعنى : لحوم الإبل = قال : فحرمه اليهود ، وتلا هذه الآية : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، أى : إن هذا قبل التوراة .

٧٤١٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : حرم العروق ولحوم الإبل . قال : كان به عرق النسا ، فأكل من لحومها فبات بلبلة يزقو ، فحلف أن لا يأكله أبداً .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إلا لحم الإبل » وهو لا يستقيم ، وظننتها تحريف « أى » ، فأثبتها كذلك ، ولو حلفت كان الكلام مستقيماً .

٧٤١٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد في قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » . قال : حرم لحم الأنعام . (١)

* * *

قال أبو جعفر : (٢) وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قولُ ابن عباس الذي رواه الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد عنه : أن ذلك ، العروقُ ولحومُ الإبل . لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلها . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر ، وهو : ما : -

٧٤٢٠ - حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أن عصابة من اليهود حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، أخبرنا أيّ الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرضاً مرضاً شديداً فطال سقمه منه ، فنذر الله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرّم أحبّ الطعام والشراب إليه ، وكان أحبّ الطعام إليه أحمان الإبل ، وأحبّ الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم . (٣)

* * *

وأما قوله : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فلإن معناه : قل ، يا محمد ، للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروقَ ولحومَ الإبل وألبانها = : « اتوا بالتوراة فاتلوها » ، يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فاتلوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم : أن ذلك ليس مما

(١) في المطبوعة : « لحوم الأنعام » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المخطوطة : « قال أبو جعفر رضى الله عنه » .

(٣) الأثر : ٧٤٢٠ - هذا مختصر الأثر السالف رقم : ١٦٠٥ ، وإسناده صحيح ، وقد مضى تخريجه هناك .

أنزلته في التوراة = « إن كنتم صادقين » ، يقول : إن كنتم محققين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة ، فأتونا بها ، فأتوا تحريم ذلك علينا منها .

* * *

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ، لأنهم لا يثبتون بذلك أبداً على صحتته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وجعل لإعلامه إياه ذلك حجة له عليهم . لأن ذلك إذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم ، فحمد صلى الله عليه وسلم وهو أئمة من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحى من عنده = كان أحرى أن لا يعلمه . فكان ذلك له صلى الله عليه وسلم ، ^(١) من أعظم الحجّة عليهم بأنه نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، إليهم . لأن ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفى علومهم الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلا من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول ، أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه .

القول في تأويل قوله ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : فمن كذب على الله منا ومنكم ، من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها ، وعَدَمِكم ما ادّعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الإبل وألبانها فيها = « فأولئك هم الظالمون » ، يعنى : فمن فعل ذلك منهم = « فأولئك » ، يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك = « هم الظالمون » ، يعنى : فهم الكافرون ، القائلون على الله الباطل ، كما : —

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم » ، و « في » زيادة لا شك فيها من سبق قلم الناسخ .

٧٤٢١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن زكريا ، عن الشعبي : « فأولئك هم الظالمون » ، قال : نزلت في اليهود .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » ، يا محمد = « صدق الله » ، فيما أخبرنا به من قوله : « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل » ، وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الإبل وألبانها ، وأن ذلك إنما كان شيئاً حرّمه إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم في التوراة = وفي كل ما أخبر به عباده من خبر ، ^(١) دونكم . وأنتم ، يا معشر اليهود ، الكذبة في إضاقتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم في التوراة ، ^(٢) المقترية على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحق = « فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » ، يقول : فإن كنتم ، أيها اليهود ، محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله = « فاتبعوا ملة إبراهيم » ، خليل الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه ديناً ، وابتعث به أنبياءه ، ذلك الحنيفية — يعنى : الاستقامة على الإسلام وشرائعه — دون اليهودية والنصرانية والمشرقة .

• • •

(١) في المخطوطة « في كل ما أخبر . . . » بحذف الواو ، والصواب ما في المطبوعة . وهو معطوف على قوله آنفاً : « صدق الله فيما أخبرنا به . . . » . وقوله : « دونكم » ، سياقه « صدق الله . . . دونكم » ، يعنى فإنكم غير صادقين .

(٢) في المطبوعة : « أنتم يا معشر اليهود الكذبة . . . » والصواب إثبات الواو كما في المخطوطة . وسياقه « وأنتم . . . الكذبة . . . المقترية . . . » بالرفع فيها ، خبر « أنتم » .

وقوله : « وما كان من المشركين » ، يقول : لم يكن يشرك في عبادته أحداً من خلقه . فكذلك أنتم أيضاً ، أيها اليهود ، فلا تتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربه = وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً ، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله ، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العبادة لربه وحده ، من غير إشراك أحد معه فيه . فكذلك أنتم أيضاً ، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحداً ، فإن جميعكم مقرؤون بأن إبراهيم كان على حقّ وهدى مستقيماً ، فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الخنيفية ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها ، أيها الأحزاب ، فإنها يبدع ابتدعنموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق ، فإن الذي أجمعتم عليه أنه صوابٌ وحق من ملة إبراهيم ، هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي ، وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلقي جاءني به يوم القيامة .

• • •

وإنما قال جل ثناؤه : « وما كان من المشركين » ، يعني به : وما كان من عدّهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم . ونصرة بعضهم بعضاً . فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم أو [من] نصرائهم وأهل ولايتهم . ^(١) وإنما عني جل ثناؤه بالمشركين ، اليهود والنصارى وسائر الأديان ، غير الخنيفية . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة ، ولكنه كان حنيفاً مسلماً .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةٍ مُّبَارَكَةٍ وَهِيَ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : إنَّ أول بيت وضع للناس ، يُعبد الله فيه مباركاً
وهُدًى للعالمين ، الذي ببكة . قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ،
لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٢٢ - حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن
خالد بن عرعة قال : قام رجل إلى عليّ فقال : ألا تخبرني عن البيت ؟ أهو
أول بيت وُضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام
إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً . (١)

٧٤٢٣ - حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا
شعبة ، عن سماك قال : سمعت خالد بن عرعة قال : سمعت عليّاً ، وقيل له :
« إنَّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة » ، هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال :
لا ! قال : فأين كان قوم نوح ؟ وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أول بيت
وُضع للناس مباركاً وهُدًى . (٢)

(١) الأثر ٧٤٢٢ - هو مختصر الأثر السالف رقم : ٢٠٥٨ ، وفي المخطوطة والمطبوعة هنا
أيضاً « وضع في البركة » ، كما كان في المطبوعة والمخطوطة هناك . ولكن صححته من المستدرك والدرر المنشور :
« فيه البركة » ، غير أني أعوذ فأقول إن أريج أن ما كان هناك صواب ، وأنه غير مستساغ أن يكون
هذا الخطأ قد تكرر في موضعين متباعدين من الكتاب . وإعراب الكلام فيما أريج « مقام إبراهيم » بالجر ،
بدلاً من « البركة » ، على غير ما ضبطته هناك برفع « مقام إبراهيم » . هذا ، وقد مضى الكلام على رجال
إسناده في الأثر السالف .

(٢) الأثر : ٧٤٢٣ - مضى إسناده برقم : ٢٠٥٩ ، ولم يذكر لفظه . وقد مضى ذكر رجاله
هناك .

٧٤٢٤ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن عليّ ، عن أبي رجاء قال : سألت حفصُ الحِمْصيّ وأنا أسمع عن قوله : « إنَّ أوَّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ، قال : هو أوَّل مسجدُ عبد الله فيه في الأرض .

٧٤٢٥ - حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شاذب ، عن مطر في قوله : « إنَّ أوَّل بيت وضع للناس للذي ببكة » ، قال : قد كانت قبله بيوتٌ ، ولكنه أوَّل بيت وُضع للعبادة .^(١)

٧٤٢٦ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن قوله : « إنَّ أوَّل بيت وضع للناس » ، يُعبد الله فيه = « للذي ببكة » .

٧٤٢٧ - حدثني المنفى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « إنَّ أوَّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ، قال : وضع للعبادة .

* * *

وقال آخرون : بل هو أوَّل بيت وضع للناس .

ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أوَّل .

فقال بعضهم : « خلق قبل جميع الأرضين ، ثم دُحِيت الأرضون من تحته .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٢٨ - حدثنا محمد بن عمارة الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى

قال ، أخبرنا شيبان ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأحنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألْف سنة ، وكان - إذ كان عرشه على الماء - زَبْدَةً بِيضَاءَ ، فدَحِيتُ الأرض من تحته .

(١) الأثر : ٧٣٢٥ - « عبد الجبار بن يحيى الرملى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد ترجمته في مكان . وسيأتى برقم : ٧٤٤٦ .

(٢) « الزبدة » : الطائفة من زبد الماء ، الأبيض الذى يعلو .

٧٤٢٩ - حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال : سمعت مجاهداً يقول : « إنَّ أول ما خلق الله الكعبةَ ، ثم دَحَى الأرض من تحتهَا . »

٧٤٣٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « إنَّ أول بيت وضع للناس » ، كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

٧٤٣١ - حدثني محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إنَّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين » ، أما « أول بيت » ، فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زَبْدَةٌ على الأرض ، فلما خلق الله الأرضَ خلق البيت معها ، فهو أول بيت وضع في الأرض .

٧٤٣٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إنَّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ، قال : أول بيت وضعه الله عز وجل ، فطاف به آدم ومن بعده .

* * *

وقال آخرون : موضع الكعبة ، موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٣٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكر لنا أن البيتَ هبط مع آدم حين هبط ، قال : أهبط معك بيتي يُطاف حوله كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين ، حتى إذا كان ، زمنُ الطوفان ، زمنُ أغرقَ الله قوم نوح ، رفعه الله وطهره من أن يصيبه عُقوبة أهل الأرض ، فصار معموراً في السماء . ثم إنَّ إبراهيم تبع منه أثراً بعد ذلك ، فبناه على أساسٍ قديمٍ كان قبله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه : إن أول بيت مباركٍ وهُدًى وُضع للناس ، للذي ببكة . ومعنى ذلك : « إن أول بيت وُضع للناس » ، أى : لعبادة الله فيه = « مباركاً وهُدًى » ، يعنى بذلك : وماً بآلئسك الناسكين وطواف الطائفين ، تعظيماً لله وإجلالاً له = « للذي ببكة » = لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك ، ما : —

٧٤٣٤ — حدثنا به محمد بن المنفى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال ، قلت : يا رسول الله ، أىُّ مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد الحرام . قال : ثم أىُّ ؟ قال : المسجد الأقصى . قال : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة . (١)

* * *

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض ، على ما قلنا . فأما في موضعه بيتاً ، بغير معنى بيتٍ للعبادة والهدى والبركة ، (٢) ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع ، وبعضه في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن ، وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (٣)

* * *

(١) الحديث : ٧٤٣٤ — سليمان : هو الأعمش .

إبراهيم التيمى : هو إبراهيم بن يزيد بن شريك . مضى هو وأبوه في : ٢٩٩٨ .
والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١٦٦ - ١٦٧ (حلي) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به ، بزيادة في آخره .

ورواه أيضاً ٥ : ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ (حلي) ، بأسانيد ، عن الأعمش ، مطولاً .
وكذلك رواه مسلم ١ : ١٤٦ - ١٤٧ ، من طريق علي بن مسهر ، عن الأعمش .
وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٠ ، من رواية المسند (٥ : ١٥٠) ، ثم قال : « وأخرجه البخارى ، وسلم — من حديث الأعمش ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ٥٢ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حيد ، والبيهقى في الشعب .

(٢) في المطبوعة : « فأما في موضعه بيتاً . . . » ، غيروا ما في المخطوطة وهو صواب .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٥٧ - ٦٤ .

وأما قوله : « للذي ببكة مباركاً » ، فإنه يعنى : للبيت الذى بمزُدحم الناس لطوافهم فى حجهم ومُحَرَّم .

وأصل « البك » الزحم ، يقال : منه : « بك فلانٌ فلاناً » إذا زحمه وصدمه - فهو يَبْكُه بَكًّا ، وهم يتباكُون فيه ، يعنى به : يتزاحون ويتصادمون فيه . فكان « بَكَّة » « فَعْلَةٌ » من « بك فلان فلاناً » زحمه ، سُميت البُقعة بفعل المزدحمين بها .

فإذا كانت « بكة » ما وصفنا ، وكان موضع ازدحام الناس حَوْل البيت ، وكان لا طواف يحوز خارج المسجد = كان معلوماً بذلك أن يكون ما حَوْل الكعبة من داخل المسجد ، وأن ما كان خارجَ المسجد فبُكَة ، لا « بكة » . لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التَبَاكُّ فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، كان يَتَبَاكَ بذلك فسادُ قول من قال : « بكة » اسم لبطن « مكة » ، ومكة اسم للحرم . (١)

• ذكر من قال فى ذلك ما قلنا : من أن « بكة » موضع مزدحم للناس للطواف :

(١) انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة ما نصه :

« يتلوه ذكر من قال فى ذلك ما قلنا من أن بكة

موضع مزدحم للناس للطواف

والحمد لله على عونه وإحسانه ، وصلى الله على محمد

وآله الطاهرين وسلم تسليماً »

ثم يتلو ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم
ربِّ يَسَّر

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادي قال

حدثنا محمد بن جرير

فأعاد إسناد المخطوطة التى نقل عنها ، كما سلف فى تعليقنا ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ رقم : ٥ ، وهذا هو الموضع الثانى لذكر هذا الإسناد الجديد .

٧٤٣٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك الغفاري في قوله : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة » ، قال : « بكّة » موضع البيت ، « ومكة » ما سوى ذلك .

٧٤٣٦- حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم مثله .
٧٤٣٧- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن أبي جعفر قال : مرّت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت ، فدفعها . قال أبو جعفر : إنها « بكّة » ، بكّ بعضها بعضاً .

٧٤٣٨- حدثنا ابن المني قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا سلمة ، عن مجاهد قال : إنما سميت « بكّة » ، لأن الناس يتباكّون فيها ، الرجال والنساء .

٧٤٣٩- حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد قال : قلت : لأيّ شيء سميت « بكّة » ؟ قال : لأنهم يتباكّون فيها = قال : يعني : يزدحون . (١)

٧٤٤٠- حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنما سميت « بكّة » ، لأنهم يأتونها حُجّاجاً . (٢)
٧٤٤١- حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ، فإن الله بكّ به الناس جميعاً ، فيصلّي النساءُ قدّام الرجال ، ولا يصلح بيلد غيره .

٧٤٤٢- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « بكّة » ، بكّ الناس بعضهم بعضاً ، الرجال والنساء ، يصلّي بعضهم بين يديّ بعض ، لا يصلح ذلك إلاّ بمكة .

(١) في المطبوعة : « يزدحون » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٤٤٠- « الأسود بن قيس المديني » ، روى عن أبيه وجماعة ، وروى عنه شعبة والثوري وشريك وغيرهم . وأبو : « قيس المديني » الكوفي ، مترجم في الكبير ١/٤ : ١٤٩ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن أخيه » ، وهو تصحيف والصواب ما أثبت .

٧٤٤٣- حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي قال : « بكة » ، موضع البيت ، و « مكة » ، ما حولها .

٧٤٤٤- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يحيى بن أزهر ، عن غالب بن عبيد الله : أنه سأل ابن شهاب عن « بكة » ، قال : « بكة » البيت والمسجد . وسأله عن « مكة » ، فقال ابن شهاب : « مكة » ، الحرم كله .

٧٤٤٥- حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ومجاهد قالا : « بكة » ، بك فيها الرجال والنساء .

٧٤٤٦- حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي قال : قال ضمرة بن ربيعة ، « بكة » المسجد ، و « مكة » ، البيوت .^(١)

• • •

وقال بعضهم بما : -

٧٤٤٧- حدثني به يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة » ، قال : هي مكة .

• • •

وقيل : « مباركاً » ، لأن الطواف به مغفرة للذنوب .^(٢)

• • •

فأما نصب قوله : « مباركاً » ، فإنه على الخروج من قوله : « وضع » ، لأن في « وضع » ذكراً من « البيت » هو به مشغول ، وهو معرفة ، و « مبارك » نكرة ، لا يصلح أن يتبعه في الإعراب .^(٣)

• • •

(١) الأثر : ٧٤٤٦- « عبد الجبار بن يحيى الرملي » شيخ الطبري ، مضى برقم : ٧٤٢٥ .

(٢) هذا كلام القراء في معنى القرآن ١ : ٢٢٧ .

(٣) « الخروج » هنا ، كأنه الحال ، وقد سلف في ٥ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ما يشبه أن يكون أيضاً بمعنى الحال . وانظر ما سلف ٦ : ٥٨٦ « أن الحال يحيى » بعد فعل قد شغل بفاعله ، فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي شغل بفاعله .

وأما على قول من قال : « هو أول بيت وضع للناس » ، على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله ، فإنه نصبٌ على الحال من قوله : « للذي بيكة » . لأن معنى الكلام على قولهم : إن أول بيت وضع للناس البيت [الذي] بيكة مباركاً . « البيت » عندهم من صفته « الذي بيكة » ، و « الذي » بصلته معرفته ، و « المبارك » نكرة ، فنصب على القطع منه ، في قول بعضهم = وعلى الحال في قول بعضهم ^(١) = « وهدي » في موضع نصب على العطف على قوله : « مباركاً » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّاهِمُ ﴾ ^(٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأه قراءة الأمصار : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع « آية » ، بمعنى : فيه علامات بينات .

* * *

وقرأ ذلك ابن عباس : ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾ ، يعني بها : مقام إبراهيم ، يراد بها : علامة واحدة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فيه آيات بينات » ، وما تلك الآيات ؟ فقال بعضهم : مقام إبراهيم والمشعر الحرام ونحو ذلك .
ذكر من قال ذلك :

٧٤٤٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

(١) « القطع » كأنه باب من الحال ، انظر ما سلف ٦ : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢١٥ وما قبلها في فهرس المصطلحات من الأجزاء السالفة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة ، لم يكن « مقام إبراهيم » ، وأثبت تمام التلاوة .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فيه آيات بينات » ، مقام إبراهيم والمشعر .

٧٤٤٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ومجاهد : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » ، قال : مقام إبراهيم ، من الآيات البينات .^(١)

* * *

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، مقام إبراهيم = « ومن دخله كان آمناً » .
* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٠ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن بن علي قال : « فيه آيات بينات » ، قال : « مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » .

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، هو مقام إبراهيم .
* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » ، أما « الآيات البينات » فمقام إبراهيم .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين قرأوا ذلك : « فيه آية بينة » على التوحيد ، فإنهم ٧٤
عنوا : « الآية البينة » ، مقام إبراهيم .
* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٢ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إسحق بن يحيى » ، والصواب « الحسن بن يحيى » ، وهو إسناد يدور دورانا في التفسير أخرجه رقم : ٧٤٤٢ .

نجيح ، عن مجاهد : « فيه آية بينة » ، ^(١) قال : قدّمناه في المقام آية بينة . يقول : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : هذا شيء آخر .

٧٤٥٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « فيه آية بينة مقام إبراهيم » ، قال : أثر قدميه في المقام ، آية بينة .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال : « الآيات البينات ، منهن مقام إبراهيم » ، وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما . فيكون الكلام مراداً فيه « منهن » ، فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها .

فإن قال قائل : فهذا المقام من الآيات البينات ، فما سائر الآيات التي من أجلها قيل : « آيات بينات » ؟
قيل : منهن المقام ، ومنهن الحجر ، ومنهن الحطيم .

وأصحّ القراءتين في ذلك قراءة من قرأه : ^(٢) « فيه آيات بينات » على الجماع ، لإجماع قراءة أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها .

وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل : « مقام إبراهيم » ، فقد ذكرناه في « سورة البقرة » ، وبيننا أولى الأقوال بالصواب فيه هنالك ، وأنه عندنا المقام المعروف به . ^(٣)

• • •

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « فيه آيات بينات » ، وهو هنا يذكر قول مجاهد في قراءة ابن عباس على الأفراد ، فكتبها الناسخ على قراءته بالجمع . وردّها إلى ما ينبغي ، ودليل ذلك السهو من الناسخ في الأثر التال .

(٢) في المطبوعة : « من قرأ » . وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٣٣ - ٣٧ .

فتأويل الآية إذاً : إنَّ أول بيت وُضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، للذى بيكة ، فيه علاماتٌ بيناتٌ من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم ، منهم أثر قدّم خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فى الحجر الذى قام عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .
فقال بعضهم : تأويله : الخبرُ عن أنَّ كل من جرّ فى الجاهلية جريرةً ثم عادَ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذاً .
* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٤— حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، وهذا كان فى الجاهلية ، كان الرجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حرم الله ، لم يُتناول ولم يُطلب . فأما فى الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، مَنْ سَرَقَ فيه فُقطع ، ومن زنى فيه أُقيمَ عليه الحدّ ، ومن قَتَلَ فيه قُتل = وعن قتادة : أن الحسن كان يقول : إنَّ الحرم لا يمنع من حدود الله . لو أصاب حدّاً فى غير الحرم ، فلعجأ إلى الحرم ، لم يمنعه ذلك أن يُقام عليه الحدّ .

* * *

* ورأى قتادة ما قاله الحسن .

٧٤٥٥— حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : كان ذلك فى الجاهلية .

فأما اليوم ، فإن سرق فيه أحدٌ قطع ، وإن قتل فيه قُتل ، ولو قُدر فيه على المشركين قُتلوا .

٧٤٥٦ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، حدثنا خصيف ، عن مجاهد = فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم = قال : يؤخذ ، فيخرج من الحرم ، ثم يقام عليه الحد . يقول : القتل .

٧٤٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، مثل قول مجاهد .

٧٤٥٨ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا هشام ، عن الحسن وعطاء = فى الرجل يصيب الحد ويلجأ إلى الحرم = فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على قول هؤلاء : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، والذي دخله من الناس كان آمناً بها فى الجاهلية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يدخله يكن آمناً بها = بمعنى الجزاء ، كنحو قول القائل : « من قام لى أكرمه » ، بمعنى : من يقيم لى أكرمه . وقالوا : هذا أمرٌ كان فى الجاهلية ، كان الحرم مفزع كل خائف . وملجأ كل جانٍ ، لأنه لم يكن يُهاج به ذو جريرة ، ولا يعرض الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء . قالوا : وكذلك هو فى الإسلام ، لأن الإسلام زاده تعظيماً وتكريماً .

• ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٩ — حدثني محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مجاهد قال ، قال ابن عباس : إذا أصاب الرجل الحد : قتل أو سرق ، فدخل الحرم ، لم يُبايع ولم يؤو ، حتى يتبرم فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد . قال : فقلت لابن عباس : ولكنى لا أرى

ذلك ! أرى أن يؤخذ برُمته ، ^(١) ثم يخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد ، فإن الحرم لا يزيده إلا شدة .

٧٤٦٠ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، ٤ .
حدثنا عبد الملك ، عن عطاء قال : أخذ ابن الزبير سعداً مولى معاوية — وكان في قلعة بالطائف — فأرسل إلى ابن عباس من يُشاوره فيهم : إنهم لنا عدو . ^(٢)
فأرسل إليه ابن عباس : لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له . قال : فأرسل إليه ابن الزبير : ألا نخرجهم من الحرم ؟ قال : فأرسل إليه ابن عباس : أفلا قبل أن تدخلهم الحرم ؟ = زاد أبو السائب في حديثه : فأخرجهم فصلبهم ، ولم ينظر إلى قول ابن عباس . ^(٣)

٧٤٦١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : من أحدث حدثاً في غير الحرم ، ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرض له ، ولم يبايع ، ولم يكلم ، ولم يؤو ، حتى يخرج من الحرم . فإذا خرج من الحرم ، أخذ فأقيم عليه الحد . قال : ومن أحدث في الحرم حدثاً أقيم عليه . ^(٤)

(١) الرمة (بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة) : قطعة حبل يشد بها الأسير أو القتال إذا قيد إلى القتل للقدود . وقوله : أخذ برمته (بالبناء للمجهول) : أى أخذ قسراً حتى يقتل .

(٢) في المطبوعة « لنا عين » ، ولا معنى لها . وفي المخطوطة : « لنا عرق » ، ولم أجدها وجهاً ، وهي مصحفة ، قرأيت أن أقرب ذلك إليها « علو » فأثبتها ، مع مخافتى أن لا تكون كذلك .

(٣) في المطبوعة : « ولم يصغ إلى قول ابن عباس » ، وفي المخطوطة « لم ينطق إلى قول ابن عباس » وهي لا معنى لها ، وهي مصحفة ، وأقرب ما يكون صوابها ، هو ما أثبتته .

هذا ولم أجده هذا الأثر في مكان بعد الجهد ، وقد أشاروا إلى خبر ابن عباس وابن الزبير في كثير من الكتب ، ولكنهم لم يأتوا فيه بهذا النص . وقد روى الأزرق في أخبار مكة ٢ : ١١١ معنى هذا الأثر فقال : « حدثنا أبو الوليد ، قال حدثني جدي ، عن سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، عن عطاء : أنكر ابن عباس قتل ابن الزبير سعداً مولى عتبة وأصحابه . . . » ولم يقل « مولى معاوية » . وأخشى أن يكون « مولى عتبة » ، يعنى : عتبة بن أبي سفيان . وقد ذكر الطبري سعداً مولى معاوية في تاريخه ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ فقال : « وكان على حجابيه سعد مولى . » وهذا يحتاج إلى تحقيق لم يتيسر لى عند كتابة هذا . فأرجو أن أبلغ منه ما أريد إن شاء الله .

(٤) في المطبوعة : « أقيم عليه الحد » ، « زاد الحد » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب .

٧٤٦٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمي ، عن ابن أبي حبيبة ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن ، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء إلى أن يخرج . فإذا خرج أقاموا عليه الحد^(١) .

٧٤٦٣ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حجاج ، عن عطاء عن ابن عمر قال : لو وجدت قاتل عمر في الحرم ، ما هيجته .

٧٤٦٤ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ليث ، عن عطاء : أن الوليد بن عتبة أراد أن يُقيم الحد في الحرم ، فقال له عبيد بن عمير : لا تقم عليه الحد في الحرم ، إلا أن يكون أصابه فيه .

٧٤٦٥ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا مطرف ، عن عامر قال : إذا أصاب الحد ثم هرب إلى الحرم ، فقد آمن . فإذا أصابه في الحرم ، أقيم عليه الحد في الحرم .

٧٤٦٦ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي قال : من أصاب حداً في الحرم أقيم عليه في الحرم . ومن أصابه خارجاً من الحرم ثم دخل الحرم ، لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم ، فيقام عليه .

٧٤٦٧ - حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير = وعن عبد الملك ، عن عطاء ابن أبي رباح = في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم = قال : لا يبيعه أهل مكة ولا يشترّون منه ، ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه = عدد أشياء كثيرة = حتى

(١) الأثر : ٧٤٦٢ - « إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمي » هو التبان ، مضى في مثل هذا الإسناد رقم : ٣٤٣٩ ، ٣٤٨٤ ، ٣٥٢١ . « وابن أبي حبيبة » ، هو إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأشجلى . مضى فيها في رقم : ٤٣١٩ .

يُخْرِجُ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيُؤْخَذُ بِذَنْبِهِ .

٧٤٦٨- حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن الرجل إذا أصاب حداً ثم دخل الحرم ، أنه لا يُطعم ، ولا يُسقى ، ولا يؤوى ، ولا يكلم ، ولا يُنكح ، ولا يبايع . فإذا أخرج منه أقيم عليه الحد .

٧٤٦٩- حدثني المثنى قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس قال : إذا أحدث الرجل حداً ثم دخل الحرم ، لم يؤو ، ولم يجالس ، ولم يبايع ، ولم يطعم ، ولم يُسقى ، حتى يخرج من الحرم .

٧٤٧٠- حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٧٤٧١- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، فلو أن رجلاً قتل رجلاً ، ثم أتى الكعبة فعاذ بها ، ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبداً أن يقتله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يكن آمناً من النار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٢- حدثنا علي بن مسلم قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا رزيق ابن مسلم الخزومي قال ، حدثنا زياد بن أبي عياش ، عن يحيى بن جعدة في قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : آمناً من النار .^(١)

* * *

(١) الخبر : ٧٤٧٢ - هذا أثر ليس بحجة في نفسه على أحد . هو قول في معنى الآية قاله تابعي ، رأى من الآراء . فإن يحيى بن جعدة بن هيرة القرظي الخزومي : تابعي ثقة . ولكنه في هذا الخبر لم يرو شيئاً عن غيره .

قال أبو جعفر : وأول الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ، ومن قال : « معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائداً به ، كان آمناً ما كان فيه ، ولكنه يُخرج منه فيقام عليه الحد ، إن كان أصاب ما يستوجه في غيره ثم لجأ إليه . وإن كان أصابه فيه أقيم عليه فيه » .

* * *

فتأويل الآية إذأ : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن يدخله من الناس مستجيراً به ، يكن آمناً مما استجار منه ما كان فيه ، حتى يخرج منه .

* * *

فإن قال قائل : وما منعك من إقامة الحد عليه فيه ؟

قيل : لاتفاق جميع السلف على أن من كانت جريته في غيره ثم عاذ به ،

١١/٤

إنما المشكل هنا رجال الإسناد !

رزيق بن مسلم المخزومي : هكذا ثبت هنا في المطبوعة والمخطوطة ، ولكن المخطوطة لم تنقط فيها الزاي ، فاحتمل أن يكون « رزيق » بتقديم الراء ، أو « زريق » بتقديم الزاي . ووقع في ابن كثير ٢ : ١٩٣ ، نقلاً عن إسناد هذا الأثر من تفسير ابن أبي حاتم « رزيق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم » - بتقديم الزاي . وليست مطبوعة ابن كثير بعمدة في التصحيح .

ولم أجد لهذا الرجل ترجمة بعد طول البحث والعناء . إلا أن الحافظ الذهبي فرق في المشتبه ، ص : ٢٢٠ - ٢٢٤ بين تقديم الراء وتأخيرها في هذا الرسم ، مستوعباً كل الأعلام فيه أو يكاد . وتبعه الحافظ في تحرير المشتبه (مخطوط) . وزاد عليه ما فاتته . فقال الذهبي - في تقديم الراء - : « ورزيق بن هشام ، عن زياد بن أبي عياش » . ثم ذكر آخر ، ثم قال : « ورزيق الأعمى ، عن أبي هريرة . واه » . وهذا الواهي مترجم بإيجاز في لسان الميزان .

ولم أستطع الجزم بأن هذين أو أحدهما هو المذكور في هذا الإسناد . فإن اتفاق روايتي الطبري وابن أبي حاتم على تسميته « رزيق بن مسلم » - يبعد معه الظن بتعريفه عن « رزيق بن هشام » . ولكن اتفاق اسم شيخه عند ابن أبي حاتم مع ما ذكره الذهبي يكاد يرجح أنه هو .

وأما ترجيح أنه بتقديم الراء ، خلافاً لما ثبت في مطبوعة ابن كثير ، ففرده إلى ارتفاع الثقة بتصحيحها . وشيخه « زياد بن أبي عياش » : لم أجد له ترجمة أيضاً ، إلا ذكره في المشتبه والتحرير . وثبت في مطبوعة الطبري هنا « زياد بن أبي عياش » ، بالضاد . وهو تحريف ، صوابه ما في ابن كثير عن إسناد ابن أبي حاتم . وكذلك ثبت في مخطوطة الطبري ، ولكن بدون نقط على الشين ، كأنه « عباس » . وهو خطأ واضح ، أو تساهل في إعجام الحرف . ورجح إعجامة ثبوته بالشين معجمة في المشتبه والتحرير . وزادنا توثيقاً الحافظ حين نص عليه في تحرير المشتبه ، فقال فيما زاده على الذهبي استكمالاً لمن عرف باسم « عياش » - : « وزيد بن أبي عياش ، عن يحيى بن جعدة » .

فإنه لا يؤخذ بجريته فيه . وإنما اختلفوا في صفة إخراجه منه لأخذه بها .
فقال بعضهم : صفة ذلك : منعه المعاني التي يضطرّ مع منعه وفقدّه إلى الخروج منه .

وقال آخرون : لا صفة لذلك غير إخراجه منه بما أمكن إخراجه من المعاني التي تُوصَل إلى إقامة حدّ الله عليه معها .

فلذلك قلنا : غيرُ جائز إقامة الحد عليه فيه إلاّ بعد إخراجه منه . فأما من أصاب الحدّ فيه ، فإنه لا خلاف بين الجميع في أنه يقامُ عليه فيه الحد . فكلنا المسألتين أصلُ مُجمَع على حكمهما على ما وصفنا .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما دلائلك على أن إخراج العائد بالبيت = إذا أتاه مستجيراً به من جريمة جرّأ . أو من حدّ أصابه = من الحرم ، جائز لإقامة الحد عليه ، وأخذه بالجريمة ، وقد أقررت بأن الله عز وجل قد جعل من دخله آمناً ، ومعنى « الآمن » غير معنى « الخائف » ؟ فما هما فيه مختلفان ؟ (١)

قيل : قلنا ذلك ، لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة ، على أن إخراج العائد به = من جريمة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه = ببعض معاني الإخراج لأخذه بما لزمه ، واجبٌ على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه . (١)

وإنما اختلفوا في السبب الذي يُخرج به منه .

فقال بعضهم : السبب الذي يجوز إخراجه به منه : ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيواءه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائد به

(١) في المطبوعة : « فيما هما فيه مختلفان » ، وفي المخطوطة « هما » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبتته ، على الاستفهام . يقول : فيم يختلف معنى الآمن ومعنى الخائف في الحرم ؟

(٢) سياق هذه الجملة : « ... على أن إخراج العائد به ... ببعض معاني الإخراج ... واجب على إمام المسلمين ... » .

فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها ؟

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة ، واجبٌ بكل معاني الإخراج .

= فلما كان إجماعاً من الجميع على أن حكم الله - فيمن عاذ بالبيت من حدّ أصابه أو جريرة جرّها - إخراجه منه ، لإقامة ما فرض الله على المؤمنين لإقامته عليه ، ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه = كان اللازم لهم وإمامهم إخراجه منه بأيّ معنى أمكنهم إخراجه منه ، حتى يقيموا عليه الحدّ الذي لزمه خارجاً منه إذا كان بلأى إليه من خارج ، على ما قد بينا قبل .

وبعد ، فإن الله عزوجل لم يضع حدّاً من حدّوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٤٧٣ - « إني حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة » . (١)

= ولا خلاف بين جميع الأمة أن عائداً لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤخذ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرّم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه ، لكان أحقّ البقاع أن تؤدّى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره ، أعظم البقاع إلى الله ، كحرم الله وحرّم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكننا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرّم الله لإقامة الحد ، لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثته .

• • •

(١) الأثر : ٧٤٧٣ - رواه أبو جعفر بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، ولفظه في مسلم :

١٣٤ : ٤ والبخارى (الفتح ٤ : ٢٩٠) .

فمعنى الكلام = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذا كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائداً به ، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه ، فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وفرض واجب لله = على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام = الحج إليه .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى «الحج» ، ودلنا على صحة ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (١)

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل : «من استطاع إليه سبيلاً» ، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم : هي الزاد والراحلة .
* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «من استطاع إليه سبيلاً» ، قال : الزاد والراحلة .

٧٤٧٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

(١) انظر ما سلف ٣ : ٢٢٨ ، ٤/٢٢٩ : ٢١ .

جريج قال ، قال عمرو بن دينار : الزاد والراحلة .

٧٤٧٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبي جناب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والبعر . (١)

٧٤٧٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، والسبيل ، أن يصحّ بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُمَحْفَ به . ١٢/٤

٧٤٧٨ - حدثنا خلاد بن أسلم قال ، حدثنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي عبد الله البجلي قال : سألت سعيد بن جبيرة عن قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال قال ابن عباس : من ملك ثلثمئة درهم فهو السبيل إليه . ٧٤٧٩ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن إسحق بن عثمان قال : سمعت عطاء يقول : السبيلُ ، الزاد والراحلة .

٧٤٨٠ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « من استطاع إليه سبيلاً » ، فإن ابن عباس قال : السبيلُ ، راحلةٌ وزادٌ .

٧٤٨١ - حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبيرة : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والراحلة .

(١) الأثر : ٧٤٧٦ - « أبو جناب الكلبي » . هو « يحيى بن أبي حية » ، واسم « أبي حية » حى . روى عن أبيه . وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، والضحاك بن مزاحم ، والحسن البصري وغيرهم . روى عنه الثوري ، وابن عيينة ، وهشيم ، ووكيع وغيرهم . فتكلم فيه لأنه كان يدلس فأفسد أحاديثه ، كان يحدث بما لم يسمع . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « أبو غياب » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة : « أبو غباب » غير منقوطة .

٧٤٨٢ - حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، أخبرنا الربيع ابن صبيح ، عن الحسن ، قال : الزاد والراحلة .

٧٤٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحسن قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، فقال رجل : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

* * *

واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا في ذلك .

* ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٧٤٨٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إبراهيم بن يزيد الخوزي قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث ، عن ابن عمر قال : قام رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة . (١)

(١) الحديث : ٧٤٨٤ - إبراهيم بن يزيد المكي الخوزي : ضعيف جداً . ضعفه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

« الخوزي » بضم الخاء المعجمة : نسبة إلى « شعب الخوز بمكة » ، كما في اللباب وغيره .

محمد بن عباد بن جعفر الخوزي المكي : تابعي ثقة .

والحديث جزء من حديث مطول ، رواه الترمذي ٤ : ٨١ - ٨٢ ، عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي . وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه » .

ورواه قبل ذلك ٢ : ٧٩ ، مختصراً ، من طريق وكيع ، عن إبراهيم بن يزيد ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث حسن » . ثم ذكر علته بإبراهيم الخوزي .

ورواه الشافعي في الأم ٢ : ٩٩ - مطولاً - عن سعيد بن سالم ، عن إبراهيم الخوزي . وأشار إلى ضعف إسناده . ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرى ٤ : ٣٣٠ .

ورواه ابن ماجة : ٢٨٩٦ - مطولاً أيضاً - من طريق وكيع ، عن إبراهيم الخوزي .

وسائق عقب هذا ، من رواية أبي حذيفة ، عن سفيان ، وهو الثوري ، عن إبراهيم الخوزي .

وكذلك رواه البيهقي ٤ : ٣٢٧ ، من طريق ثلاثة أحدهم أبو حذيفة ، عن سفيان .

٧٤٨٥ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم الخوزي ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : السبيل إلى الحج ، الزاد والراحلة . (١)

٧٤٨٦ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا يونس = وحدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علي ، عن يونس = عن الحسن قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قالوا : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة . (٢)

وذكره السيوطي ٢ : ٥٥ - ٥٦ ، مطولا ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه .
وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٥ - ١٩٦ ، من رواية الترمذي المطولة . ثم أشار إلى روايته الأخرى ، وإلى رواية ابن ماجة . ثم قال : « لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ، سوى الخوزي هذا ، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث . لكن قد تابعه غيره » . ثم ذكره من رواية ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن عبد الله العامري ، عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن محمد ابن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن عمر - بهذا الحديث نحوه ، مختصراً . ثم ذكر أنه « رواه ابن مردويه ، من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ، به » .
وهذا الإسناد الآخر الذي نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم وابن مردويه - ضعيف أيضاً :

محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي : ضعيف جداً . قال البخاري في الكبير ١/١ : ١٤٢ : « ليس بذلك الثقة » . وروى ابن أبي حاتم ٣/٢/٣٠٠ عن ابن معين قال : « ليس حديثه بشيء » . وقال النسائي في الضعفاء ، ص ٢٦ : « متروك الحديث » . وانظر ترجمته في لسان الميزان ٥ : ٢١٦ - ٢١٧ .

وانظر الأحاديث الآتية : ٧٤٨٥ - ٧٤٩١ .
وانظر أيضاً قول الطبري ، الآتي ، ص ٤٥ ، « أنها أخبار في لائقها نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين » .
(١) الحديث : ٧٤٨٥ - أبو حذيفة : هو التهادي البصري ، موسى بن مسعود . وقد مضى توثيقه : ٢٨٠ ، ١٦٩٣ .
سفيان : هو الثوري .

والحديث مكرر ما قبله . وقد بينا هناك أن البيهقي رواه ٤ : ٣٢٧ ، من طريق أبي حذيفة - هذا - وغيره ، عن الثوري .
(٢) الحديث : ٧٤٨٦ - هذا حديث مرسل عن الحسن البصري .

٧٤٨٧ — حدثنا أبو عثمان المقدمي والمثنى بن إبراهيم قالا ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن الحارث ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ملك زاداً وراحلةً تبلغه إلى بيت الله فلم يحجّ ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً . وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية . (١)

٧٤٨٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ،

وقد رواه الطبري هنا بإسنادين من طريق يونس ، عن الحسن .

وسياق : ٧٤٨٨ ، ٧٤٩١ ، من رواية قتادة ، عن الحسن .

ثم : ٧٤٩٠ ، من رواية قتادة وحيد ، عن الحسن .

ورواه البيهقي ٤ : ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، بأسانيد ، عن الحسن .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٦ ، من رواية الطبري عن يعقوب ، التي هنا — ثم قال : « ورواه

وكيع في تفسيره ، عن سفيان ، عن يونس ، به » .

وذكره السيوطي ٢ : ٥٦ ، وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ،

وابن المنذر ، والدارقطني . ونسئ أن ينسبه لوكيع .

ونقل الحافظ في التلخيص ، ص : ٢٠٢ ، عن أبي بكر بن المنذر ، قال : « لا يثبت الحديث

في ذلك مستداً . والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة » . يريد أن أسانيدنا إلى الحسن أسانيد

صحيح ، لا أن الحديث المرسل صحيح ، لأنه لاشك في ضعف الأحاديث المراسيل .

(١) الحديث : ٧٤٨٧ — مسلم بن إبراهيم : هو الأزدي الفراهيدي الحافظ . مضى في : ١٢١٩ .

هلال بن عبد الله ، أبو هاشم ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي : ضعيف جداً . قال البخاري

« منكر الحديث » . وقال الترمذي : « مجهول » . ولم يذكروا له رواية إلا هذا الحديث . ولذلك أشار

إليه المنزى في التهذيب ، والنهني في الميزان . وقال ابن عدي : « هو معروف بهذا الحديث ، وليس

هو بمحفوظ » .

وقع اسم أبيه في المطبوعة « عبيد الله » . وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » بالتكثير .

أبو إسحق : هو الحسيني الهمداني .

الحارث : هو ابن عبد الله الأعمور الهمداني . وهو ضعيف جداً ، كما بينا في : ١٧٤ .

والحديث رواه الترمذي ٢ : ٧٨ ، عن محمد بن يحيى القطمي ، عن مسلم بن إبراهيم ، بهذا الإسناد .

وقال : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفي إسناده مقال . وهلال بن عبد الله : مجهول .

والحارث : يضعف في الحديث » .

وسياق هذا الحديث : ٧٤٨٩ ، من رواية شاذ بن فياض ، عن هلال أبي هاشم ، بهذا الإسناد .

عن الحسن قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل ، أو رجل :
يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : من وجد زاداً وراحلةً .

٧٤٨٩ — حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا شاذ بن فياض البصرى
قال ، حدثنا هلال أبو هاشم ، عن أبي إسحق الحمداني ، عن الحارث ، عن علي بن
ابن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ملك
زاداً وراحلة فلم يحج ، مات يهودياً أو نصرانياً . وذلك أن الله يقول في كتابه :
« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية . (١)

٧٤٩٠ — حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا حماد بن
سلمة ، عن قتادة وحيد ، عن الحسن : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما السبيل
إليه ؟ قال : الزاد والراحلة .

٧٤٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، من رواية ابن مردويه ، من الوجهين اللذين رواه منهما الطبري :
من رواية مسلم بن إبراهيم ، وشاذ بن فياض .
ونقل عن ابن عدى قال : هذا الحديث ليس بمحفوظ .

(١) الحديث : ٧٤٨٩ — أحمد بن الحسن بن جنيدي ، أبو الحسن الترمذى ، الحافظ العلم
الرجال : ثقة من أصحاب أحمد بن حنبل ، ومن شيوخ البخارى والترمذى . مترجم في التهذيب وطبقات
الحنابلة لأبي يعلى ١ : ٣٧ - ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٠٦ - ١٠٧ .

« جنيدي » : بضم الجيم وفتح النون ، وبعد الدال المهملة باء موحدة . ووقع في تذكرة الحفاظ
« جنيدي » بحذف الباء ، وهو خطأ طابع أو ناسخ ، وثبت على الصواب في التهذيب ، وأصله « تهذيب الكمال »
مخطوط ، والتقريب ، والخلاصة .

شاذ بن فياض الشكرى ، أبو عبيدة البصرى : ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره . وتكلم فيه بعضهم
بغير حجة . واسمه « هلال بن فياض » ، و « شاذ » : لقب غلب عليه . وقد ترجمه البخارى في الكبير
٢/٢١١ ، والصغير ، ص : ٢٣٨ ، وابن أبي حاتم ٧٨/٢/٤ — في اسم « هلال » .

هلال أبو هاشم : هو هلال بن عبد الله ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهل — كما بينا
في : ٧٤٨٧ . وثبت هنا في المطبوعة « هلال بن هشام » . وهو خطأ واضح .

والحديث مكرر : ٧٤٨٧ ، وقد أشرنا إليه هناك . وذكر ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، أن ابن
أبي حاتم رواه « عن أبي زروة الرازى ، حدثنا هلال بن الفياض ، حدثنا هلال أبو هاشم . . . » — إلخ .

حماد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

• • •

وقال آخرون : السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج : الطاقة^١ للوصول إليه . قالوا : ^(١) وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب ، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه : بامتناع الطريق من العدو الحائل ، وبقلة الماء ، وما أشبه ذلك . قالوا : فلا بيان في ذلك أبين مما بيّنه الله عز وجل ، بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل ، وذلك : الوصول إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه ، وذلك قد يكون بالمشي وحده وإن أعوزه المركب ، وقد يكون بالمركب وغير ذلك . ١٣/٤

• ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : على قدر القوة .

٧٤٩٣ — حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والراحلة . فإن كان شاباً صحيحاً ليس له مال ، فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وغُفَّتِه حتى يقضى حجته به ، ^(٢) فقال له قائل : كلّف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أن لبعضهم ميراثاً بمكة ، أكان تاركه ؟ والله لا نطلق إليه ولو حبواً ! ! كذلك يجب عليه الحج .

٧٤٩٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « قال » ، والسياق بعد يقتضى ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « بأكله وعقبه حتى يقضى حجته » ، وليس فيها « به » ، وهي في المخطوطة ، ومثل هذا في تفسير القرطبي ٤ : ١٤٨ ، إلا أنه قال : « بأكله أو عقبه » ، ولم أجد لذلك معنى . وهي في المخطوطة « وعته » غير منقوطة ، فاستظهرت قراءتها « وغفّته » . والغفّة (بضم الغين ، وتشديد الفاء المقترحة) : البلغة من العيش والقليل منه . وهي هنا أنسب معنى ، فأثبتها كذلك .

جريج قال ، قال عطاء : من وجد شيئاً يبلّغه ، فقد وجد سبيلاً ، كما قال الله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » .

٧٤٩٥ - حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ؟ قال : السبيل ، ما يسره الله . (١)

٧٤٩٦ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن : من وجد شيئاً يبلّغه ، فقد استطاع إليه سبيلاً .

* * *

وقال آخرون : السبيل إلى ذلك ، الصحة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٧ - حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمثنى بن إبراهيم قالوا ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال ، حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالوا ، أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري : أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : السبيل الصحة .

* * *

وقال آخرون بما : -

٧٤٩٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : من وجد قوة في الثقة والجسد والحملا . (٢) قال : وإن كان في جسده ما لا يستطيع

(١) الأثر : ٧٤٩٥ - « أبو هانئ » ، هو : « عمر بن بشير أبو هانئ الحمداني » . مضت ترجمته رقم : ٤٤٢٢ ، و « عامر » هو : عامر الشعبي . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا شيء عجيب ، كان « قال حدثنا أبو هانئ » ، قال حدثنا سهل بن عامر ، زاد « حدثنا » وجعل « سئل » ، « سهل » وزاد بعدها « بن » ، فكان خطأ عجيباً . وسيأتى على الصواب برقم : ٧٥١٦ .

(٢) الحملان (بضم الحاء وسكون الميم) : ما يحمل عليه من الدواب .

الحج ، فليس عليه الحج ، وإن كان له قوة في مال ، كما إذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة ، يقولون : لا يكلف أن يمشى .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء : إن ذلك على قدر الطاقة : لأن « السبيل » في كلام العرب : الطريق ، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانع له منه من زمانة ، أو عجز ، أو عدو ، أو قلة ماء في طريقه ، أو زاد ، أو ضعف عن المشي ، فعليه فرض الحج ، لا يجزيه إلا أدائه . فإن لم يكن واجداً سبيلاً = أعنى بذلك : فإن لم يكن مطيقاً الحج ، بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه = فهو ممن لا يجد إلى طريقاً ولا يستطيعه . لأن الاستطاعة إلى ذلك ، هو القدرة عليه . ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك ، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل . وإنما قلنا : هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها ، لأن الله عز وجل لم يخص ، إذ ألزم الناس فرض الحج ، بعض مستطيعي السبيل إليه بسقوط فرض ذلك عنه . فذلك على كل مستطيع إليه سبيلاً بعموم الآية .

فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بأنه : « الزاد والراحلة » ، فلها أخبار : في أسانيدنا نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين .

• • •

قال أبو جعفر : واختلف القراءة في قراءة « الحج » .

فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

• • •

وقرأ ذلك جماعة آخر منهم بالفتح : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

• • •

وهما لغتان معروفتان للعرب ، فالكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغة أهل العالية .
ولم نر أحداً من أهل العربية ادّعى فرقاً بينهما في معنى ولا غيره ، غير ما ذكرنا
من اختلاف اللغتين ؛ إلا ما : —

٧٤٩٩ — حدثنا به أبو هشام الرفاعي قال ، قال حسين الجعفي « الحجج » .
مفتوح ، اسم ، « والحج » مكسور ، عمل^(١) .

• • •

وهذا قول لم أرَ أهل المعرفة بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه ، بل رأيتهم
مجمعين على ما وصفت ، من أنهما لغتان بمعنى واحد .

• • •

والذي نقول به في قراءة ذلك : أن القراءتين = إذ كانتا مستفيضتين في قراءة
أهل الإسلام ، ولا اختلاف بينهما في معنى ولا غيره = فهما قراءتان قد جاءتا
مجيء الحجة ، فبأي القراءتين — أعني : بكسر « الحاء » من « الحجج » أو فتحها —
قرأ القارئ ، فصيب الصواب في قراءته .

• • •

وأما « مَنْ » التي مع قوله : « من استطاع » ، فإنه في موضع خفض على
الإبدال من « الناس » . لأن معنى الكلام : والله على من استطاع من الناس سبيلاً
إلى حج البيت ، حجه . فلما تقدم ذكر « الناس » قبل « مَنْ » ، بيّن بقوله :
« من استطاع إليه سبيلاً » ، الذي عليه فرض ذلك منهم . لأن فرض ذلك على
بعض الناس دون جميعهم .

• • •

(١) الأثر : ٧٤٩٩ — « حسين الجعفي » هو . « حسين بن علي بن الوليد » ، سلفت ترجمته
برقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، وفي المخطوطة والمطبوعة : « حسن الجعفي » ، وهو خطأ .

القول في تأويل قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حجّ بيته ، فأنكره وكفر به ، فإن الله غنيّ عنه وعن حجه وعمله ، وعن سائر خلقه من الجن والإنس ، كما : —

٧٥٠٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن محمد بن أبي المجالد قال : سمعت مقسماً ، عن ابن عباس في قوله : « ومن كفر » ، قال : من زعم أنه ليس بفرض عليه .
٧٥٠١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء = وجويبر ، عن الضحاك في قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين » ، قال : من جحد الحجّ وكفر به .

٧٥٠٢ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء قال : من جحد به .

٧٥٠٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عمران القطان يقول : من زعم أن الحجّ ليس عليه . (١)

٧٥٠٤ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين » ، قال : من أنكره ، ولا يرى أن ذلك عليه حقاً ، فذلك كفرٌ .

٧٥٠٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالحج .

(١) الأثر : ٧٥٠٣ — « عمران القطان » هو : « عمران بن داود المسمى » أبو العوام القطان ، كان من أخص الناس بقتادة . روى عنه عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو عاصم .

٧٥٠٦- حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق بن يوسف ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ، قال : من كفر بالحج ، كفر بالله .

٧٥٠٧- حدثني المثنى قال ، حدثنا يعلى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن في قول الله عز وجل : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر » ، قال : من لم يره عليه واجباً . (١)

٧٥٠٨- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن كفر » ، قال : بالحج .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : « أن لا يكون معتقداً في حجه أن له الأجر عليه ، ولا أن عليه بتركه إنماً ولا عقوبة » .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥٠٩- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثني عبد الله بن مسلم ، عن مجاهد في قوله : « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ، قال : هو ما إن حج لم يره برأ ، وإن قعد لم يره مأثماً .

٧٥١٠- حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق بن يوسف ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : هو ما إن حج لم يره برأ ، وإن قعد لم يره مأثماً .

٧٥١١- حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا فطر ، عن أبي داود نفع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقع على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

(١) الأثر : ٧٥٠٧- « خالد » ، هو « خالد بن الحارث المجبى » . روى عن حميد الطويل وأيوب ، وابن عون ، وهشام بن حسان ، وغيرهم . وروى عنه أحمد ، وإسحق بن راهويه ، والقلاس وغيرهم .

فقام رجل من هذيل فقال: يا رسول الله ، من تركه كفر ؟ قال : من تركه ولا يخاف عقوبته ، ومن حجّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك . (١)

٧٥١٢- حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، يقول : من كفر بالحج ، فلم ير حجه برّاً ، ولا تركه مأثماً .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بالله واليوم الآخر .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥١٣- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : سأله عن قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، ما هذا الكفر ؟ قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٤- حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٥- حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : لما نزلت آية الحج ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلّهم فقال : يا أيها الناس ، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجّوا ، فأمنت به ملة

(١) الأثر : ٧٥١١ - « أبو داود ، نفيح » ، هو : « نفيح بن الحارث » ، أبو داود الأعمى الهمداني القاص . روى عن عمران بن حصين ومقل بن يسار وابن عباس وابن عمر . روى عنه أبو إسحق والأعمش والثوري . قال أبو حاتم : « منكر الحديث ضعيف الحديث » . وقال النسائي : « ليس بثقة » ، ولا يكتب حديثه . وقال ابن حبان : « يروى عن الثقات الموضوعات تورها » ، لا يجوز الاحتجاج به . وقال ابن عبد البر : « أجمعوا على ضعفه ، وكذب بعضهم ، وأجمعوا على ترك الرواية عنه » . مترجم في التهذيب . و « فطر » هو « فطر بن خليفة » مضى مراراً . وكان في المطبوعة : « مطر » ، والصواب من المخطوطة .

واحدة ، وهى من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وآمن به ، وكفرت به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلى إليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله عز وجل : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

١٥/٤ - ٧٥١٦ - حدثني أحمد بن حازم قال ، أخبرنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر من الخلق ، فإن الله غنى عنه . (١)

٧٥١٧ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قول الله : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة مولى ابن عباس فى قول الله عز وجل : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا » [سورة آل عمران : ٨٥] ، فقالت الملل : نحن مسلمون ! فأنزل الله عز وجل : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، فحج المؤمنون ، وقعد الكفار . (٢)

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بهذه الآيات التى فى مقام إبراهيم .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥١٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، فقرأ : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » ، فقرأ حتى بلغ : « من استطاع إليه سبيلا ومن كفر » ، قال : من كفر بهذه الآيات = « فإن الله غنى عن العالمين » ، ليس كما يقولون : « إذا

(١) الأثر : ٧٥١٦ - انظر إسناده الأثر السالف رقم : ٧٤٩٥ والتعليق عليه .

(٢) الأثر : ٧٥١٨ - نفس الرقم : ٧٣٥٦ .

لم يحج وكان غنياً وكانت له قوة ، فقد كفر بها . (١) وقال قوم من المشركين :
فإننا نكفر بها ولا نفعل ! فقال الله عز وجل : « فإن الله غنى عن العالمين » .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٥٢٠ — حدثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال ، أخبرنا أبو عمر الضرير
قال ، حدثنا حماد ، عن حبيب بن أبي بقية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله :
« ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، قال : من كفر بالبيت . (٢)

* * *

وقال آخرون : كفره به ، تركه إياه حتى يموت .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثني أحمد بن المفضل قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « من كفر » ، فمن وجد ما يحج به ثم لم يحج ،
فهو كافر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال : « معنى
« ومن كفر » ، ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه ، فإن الله غنى عنه وعن
حجه وعن العالمين جميعاً » .

وإنما قلنا ذلك أولى به ، لأن قوله : « ومن كفر » يعقب قوله : « والله على
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، بأن يكون خبراً عن الكافر بالحج ،
أحق منه بأن يكون خبراً عن غيره ، مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه

(١) قوله : « فقد كفر بها » ، أى هذه الآيات المذكورة في الآية .

(٢) الأثر : ٧٥٢٠ — إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، « و « أبو عمر الضرير » وهو :

« حفص بن عمر البصري » مضت ترجمتهما برقم : ٣٥٦٢ ، و « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » .

وأما « حبيب بن أبي بقية » ويقال : « حبيب بن أبي قريية » فهو : « حبيب المعلم » أبو محمد البصري .

ذكره ابن حبان في الثقات . وقال أحمد وابن معين وأبو زرعة : « ثقة » ، وقال أحمد : « ما احتج

بحديثه . — مترجم في التهذيب .

الله عليه ، بالله كافر = وأن « الكفر » أصله الجحود ، ومن كان له جاحداً ،
ولفرضه منكراً ، فلا شك إن حج لم يرجُ بحجه برّاً ، وإن تركه فلم يحج لم يره مأثماً .
فهذه التأويلات ، وإن اختلفت العبارات بها ، فمتقاربات المعاني .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر من
ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ، ممن كفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم وجحد نبوته : = « لم تكفرون بآيات الله » ، يقول : لم تجعلون حجج الله
التي آتاها محمداً في كتبكم وغيرها ، التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته وحجته . (١)
وأنتم تعلمون : يقول : لم تجعلون ذلك من أمره ، وأنتم تعلمون صدقه ؟ (٢) فأخبر
جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ، ومعرفة من
كفرهم ، وقد : —

٧٥٢٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » ، أما
« آيات الله » ، فمحمد صلى الله عليه وسلم .

٧٥٢٣ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ،
عن الحسن في قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله شهود على ما تعملون » ،
قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

(١) هذه العبارة ، هي في المخطوطة والمطبوعة ، وأنا في شك منها ، وإن كانت قرية من
الاستقامة على بعض وجه الكلام .

(٢) ظاهر أن أبا جعفر وهم ، وترك تفسير بقية هذه الآية ، وضر مكانها « وأنتم تعلمون » ،
وهي ليست من هذه الآية في شيء .

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر: يعني بذلك حل ثناؤه: يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من ينتحل التصديق بكيب الله: = «لم تصدُّون عن سبيل الله»: يقول: لم تُصدُّون عن طريق الله ومحجَّته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان = (١) «من آمن»، يقول: من صدَّق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله = «تبغونها عوجاً»، يعني: تبغون لها عوجاً.

* * *

«والهاء والألف» اللتان في قوله: «تبغونها» عائدتان على «السبيل»، وأنهما لتأنيث «السبيل».

* * *

ومعنى قوله: «تبغون لها عوجاً»، من قول الشاعر، وهو سحيم عبد بني الحسحاس
بَفَاكَ ، وَمَا تَبِغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا (٢)

١٦/٤

يعنى: طلبك وما تطلبه. (٣) يقال: «أبغى كذا»، يراد ابتغى لى. فإذا أرادوا أعنى على طلبه وابتغى معى قالوا: «أبغى» بفتح الألف. وكذلك يقال: «أحلبتى» بمعنى: اكفنى الحلب— «وأحلبنى» أعنى عليه. وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع، فعلى هذا (٤).

* * *

وأما «العوج» فهو الأودُ والميلُ. وإنما يعنى بذلك: الضلال عن الهدى.

* * *

(١) انظر معنى «الصد» فيما سلف ٤ : ٣٠٠ .

(٢) سلف تخريج في ٤ : ١٦٣ ، تعليق : ٢ .

(٣) انظر تفسير «بغى» فيما سلف ٣ : ٤/٥٠٨ : ٤/١٦٣ : ٦/١٩٦ : ٥٧٠، ٥٦٤ .

(٤) انظر معاني القرآن للقرآء ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

يقول جل ثناؤه : لم تصدُّقْ عن دين الله مَنْ صدَّق الله ورسوله تبغون دينَ الله اعوجاجاً عن سننه واستقامته ؟

وخرج الكلام على « السبيل » . والمعنى لأمله . كأن المعنى : تبغون لأهل دين الله ، ولن هو على سبيل الحق ، عوجاً = يقول : ضللاً عن الحق ، وزيفاً عن الاستقامة على الهدى والمحنة .

* * *

« والعوج » بكسر أوله : الأود في الدين والكلام . « والعوج » بفتح أوله : الميل في الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم . (١)

* * *

وأما قوله : « وأنتم شهداء » . فإنه يعنى : شهداء على أن الذى تصدّون عنه من السبيل حقٌّ ، تعلمونه وتجِدونه فى كتبكم = « وما الله بغافل عما تعملون » ، يقول : ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعملونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم ، حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلاً ، أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها .

* * *

وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » والآيات بعدهما إلى قوله : « فأولئك لهم عذاب عظيم » ، نزلت فى رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحييَّين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ، ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العداوة والبغضاء . فعنَّه الله بفعله ذلك ، وقبَّح له ما فعل ووبَّخه عليه ، ووعظ أيضاً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهَّاهم عن الافتراق والاختلاف ، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف .

* ذكر الرواية بذلك :

٧٥٢٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ،
حدثني الثقة ، عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شأسُ بن قيس = وكان شيخاً قد
عَسَا في الجاهلية ، (١) عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد
لهم = على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ،
في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه . فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاحيات
بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد
اجتمع كملأ بني قَيْسَلة بهذه البلاد! (٢) لا والله ما لنا معهم ، إذا اجتمع ملأهم بها ،
من قرار! (٣) فأمر قتي شاباً من يهودَ وكان معه ، (٤) فقال : اعمد إليهم ، فاجلس
معهم ، وذكّرهم يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدّهم بعض ما كانوا تفاوّلوا فيه
من الأشعار = وكان يوم بُعثت في الأوس والخزرج ، وكان الظفرُ
فيه للأوس على الخزرج = ففعل . فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا ، حتى
تواثب رجلان من الحيين على الرُكَب : أوسُ بن قَيْسَطي ، أحد بني حارثة بن
الحارث من الأوس - وجبار بن صخر ، أحد بني سلمة من الخزرج . فتقاولا ،
ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتَ والله ردّدناها الآن جدّة! (٥) وغضب
الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح !! موعدكم الظاهرة = والظاهرة :
الحرّة = فخرجوا إليها . وتجاوز الناس . (٦) فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ،

(١) عسا الشيخ يمسو عسا وعسياً : كبر وأسن ، ويقال أيضاً في مثله « عتا » . وقوله :
« في الجاهلية » ليس في نص ابن هشام عن ابن إسحق .

(٢) المثلأ : الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم ومقدمهم ، الذين يرجع إلى قولهم ورأيهم . وبنو قَيْسَلة :
هم الأنصار من الأوس والخزرج ، وقيلة : اسم أم لهم قديمة ، هي قيلة بنت كاهل ، سبوا بها .

(٣) في المطبوعة : « والله مالنا » ، أسقط « لا » ، وهي في المخطوطة وابن هشام .

(٤) في المطبوعة : « من اليهود » ، وأثبتها في المخطوطة وابن هشام .

(٥) ردها جمعة : أي جديدة كما بدأت . والجذع والجذعة : الصنير السن من الأنعام ، أول
ما يستطيع ركوبه . يعني أعدناها شاة فتيّة .

(٦) « تجاوز الناس » ، مثل « تحوز وتحيز وانحاز » ، أي تمنى ناحية وانضم إلى جماعته ،

والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فآلقوا السلاح من أيديهم ، وبكروا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس وما صنع . فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع : « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً » (١) الآية . وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيس بن قيس بن قيس وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية : (٢) « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » ، إلى قوله : « أولئك لهم عذاب عظيم » . (٣)

١٧/٤

* * *

والذي يلى هذه الكلمة هو تفسيرها قوله : « فأنضمت الأوس . . . » وفي المطبوعة : « تحاور » بالراء ، ولا معنى لها هنا . والجملة كلها من أول قوله « وتحاور . . . » إلى « التي كانوا عليها في الجاهلية » مما أسقطه ابن هشام من نص ابن إسحق ، وليس في السيرة . ونص الطبري هنا آثم من نص ابن هشام في مواضع من هذا الأثر .

(١) في المخطوطة والمطبوعة ، أسقط النسخ « قل » من أول الآيتين سهواً منه .

(٢) في المطبوعة : « مما أدخل عليهم . . . » ، غير ما في المخطوطة ، وهو المطابق لنص ابن هشام . وقوله : « عما أدخل عليهم » ، أى بسبب ما أدخل عليهم ومن جرائه ومن أجله . و « عن » تأتي بهذا المعنى في كلامهم .

(٣) الأثر : ٧٥٢٤ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٤ - ٢٠٦ ، وهو بقية الآثار السالفة التي كان آخرها رقم ٧٣٣٣ ، ٧٣٣٤ .

وقيل إنه عني بقوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، جماعة يهود بنى إسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات ، والنصارى = وأن صدّهم عن سبيل الله كان بإخبارهم من سألهم عن أمر نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم : هل يجدون ذكره في كتبهم ؟ أنهم لا يجدون نعتَه في كتبهم .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٥ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً » ، كانوا إذا سألهم أحدٌ : هل تجدون محمداً ؟ قالوا : لا ! فصدّوا عنه الناس ، وبغوا محمداً عوجاً ، هلاكاً .

٧٥٢٦ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، يقول : لم تصدّون عن الإسلام وعن نبي الله ، من آمن بالله ، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله : أن محمداً رسول الله ، وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به ، تجدلونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل .

٧٥٢٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحوه .

٧٥٢٨ - حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، قال : هم اليهود والنصارى ، نهاهم أن يصدّوا المسلمين عن سبيل الله ، ويريدون أن يعدّوا الناس إلى الضلالة .

• • •

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على ما قاله السدى : يا معشر اليهود ، لم

تصدقون عن محمد، وتنعون من اتباعه المؤمنين به ، بكماتكم صفته التي تجدونها في كتبكم ؟ و«محمد» على هذا القول هو «السبيل» ، = «تبغونها عوجاً» ، تبغون محمداً هلاكاً .

وأما سائر الروايات غيره والأقوال في ذلك ، فإنه نحو التأويل الذي بيناه قبل : من أن معنى «السبيل» التي ذكرها في هذا الموضع : الإسلام ، وما جاء به محمد من الحق من عند الله .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عني بذلك .

فقال بعضهم : عني بقوله : «يا أيها الذين آمنوا» ، الأوس والخزرج ، و«الذين أوتوا الكتاب» ، شأس بن قيس اليهودي ، على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم . (١)

• • •

وقال آخرون ، فيمن عني بالذين آمنوا ، مثل قول زيد بن أسلم = غير أنهم قالوا : الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى هموا بالقتال ، ووجد اليهودي به مغمراً فيهم : ثعلبة بن عثمة الأنصاري . (٢)

• ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدي : «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا

(١) هو الأثر السالف رقم : ٧٥٢٤ .

(٢) في المطبوعة : «بن غنم» ، والصواب بالعين المهملة ، وهي في المخطوطة تحتها حرف «ح» ،

وهو الصواب .

الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين» ، قال : نزلت في ثعلبة بن عَنَمَةَ الأنصاري ، ^(١) كان بينه وبين أناسٍ من الأنصار كلام ، فشى بينهم يهوديٌّ من قَيْنُقَاع ، فحمل بعضهم على بعضٍ ، ^(٢) حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا ، فأنزل الله عز وجل : « إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » ، يقول : إن حملتم السلاح فاقتتلتم ، كفرتم .

٧٥٣٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » ، قال : كان جماعُ قبائل الأنصار بطنين : الأوس والخزرج ، وكان بينهما في الجاهلية حربٌ ودماءٌ وشَتَانٌ ، حتى منَّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم ، وألَّفَ بينهم بالإسلام . قال : فبينما رجل من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدَّثان ، ومعهما يهوديٌّ جالسٌ ، فلم يزل يذكِّرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهما ، حتى استَبَّأَ ثم اقتتلا . قال : فتأذى هذا قومه وهذا قومه ، فخرجوا بالسلاح ، ^{١٨/٤} وصفَ بعضهم لبعض . قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ يومئذٍ بالمدينة ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم ، حتى رجعوا ووضعوا السلاح ، فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « عذابٌ عظيم » .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ، إن تطيعوا جماعة ممن يتنحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ، فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به ، يُضِلُّوكم

(١) انظر ص ٨٨ تليق ٢ .

(٢) حمل بنى فلان على بنى فلان : إذا أرض بينهم وأوقع .

فيردّوكم بعد تصديقكم رسول ربكم ، وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم ، كافرين = يقول : جاحدين لما قد آمنتم به وصدّقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم . فهاهم جلّ ثناؤه : أن ينتصحوهم ويقبلوا منهم رأياً أو مشورة ، ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لم منطوون على غيلٍ وغشٍ وحسد وبغض ، كما : —

٧٥٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين » ، قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحدّركم وأنباكم بضلالهم ، فلا تأمنوهم على دينكم ، ولا تنتصحوهم على أنفسهم ، فإنهم الأعداء الحسدّة الضلّال . كيف تأمنون قوماً كفروا بكتابهم ، وقتلوا رُسُلهم ، وتحيروا في دينهم ، وعجزوا عن أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التّهمة والعداوة !

٧٥٣٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

• • •

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : « وكيف تكفرون ، أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدوا على أعقابكم = « وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، يعنى حجج الله عليكم التى أنزلها فى كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم = « وفيكم رسوله » ، حجة أخرى عليكم لله ، مع آى كتابه ، يدعوكم جميع ذلك إلى الحق ، ويصّركم الهدى والرشاد ، وينهاكم عن الغى والضلال ؟ يقول لم تعالى ذكره : فواجه عذرکم عند ربکم فى جحودکم نبوة نبيکم ، وارتدادکم على أعقابکم ، ورجوعکم إلى أمر جاهليتکم ، إن أنتم راجعتم ذلك وكفرتم ، وفيه هذه الحجج الواضحة والآيات البينة على خطأ فعلکم ذلك إن فعلتموه ؟ كما : —

٧٥٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، الآية ، علّمان بيّنان : وجُذنان نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الله . فأما نبي الله صلى الله عليه وسلم . وأما كتاب الله ، فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة ، فيه حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

* * *

وأما قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » ، فإنه يعنى : ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته = « فقد هدى » ، يقول : فقد وفق للطريق واضح ، ومعجزة مستقيمة غير معوجة ، فيستقيم به إلى رضى الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجمته ، كما : —

٧٥٣٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدي » ، قال : يؤمن بالله .

* * *

وأصل « العَصَم » المنع ، فكل مانع شيئاً فهو « عاصمه » ، والممتنع به « معتصم » به ، ومنه قول الفرزدق :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَعِيمٍ إِذَا مَا أَعْظَمُ الْحَدَثَانِ نَابًا^(١)

ولذلك قيل للجبيل « عِصَام » ، والسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته « عِصَام » ، ومنه قول الأعشى :

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أَطِيلُ الشَّرَى وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصَمٌ^(٢)

يعنى بـ « العَصَم » الأسباب ، أسباب الزمة والأمان . يقال منه : « اعتصمت بـ فلان » و « اعتصمت حبلًا منه » و « اعتصمت به واعتصمته » ، وأفصح اللغتين لإدخال « الباء » ، كما قال عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ، وقد جاء : « اعتصمته » ، كما الشاعر :^(٣)

إِذَا أَنْتَ جَارَيْتَ الْإِخَاءَ بِمِثْلِهِ وَأَسَيْتَنِي، ثُمَّ أَعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا^(٤)

(١) ديوانه : ١١٥ ، والنقائض : ٤٥١ ، مطلع قصيدة ينقض بها هجاء جرير .

(٢) ديوانه : ٢٩ من قصيدته في ثنائه على صاحبه قيس بن معد يكرب الكندي ، وقد مضت منها أبيات في ١ : ٢٤٢ / ٥ : ٤٢٢ . والسرى : سير الليل كله . والعصم جمع عصام ، وهكذا ضبط في شعره ، وجائز أن يضبط « عصم » (بكسر العين وفتح الصاد) جمع « عصمة » (بكسر العين وسكون الصاد) وكلاهما مجاز في معنى المهود . وقوله : « وأخذ من كل حي عصم » ، يعنى أن سطوة قيس في الأحياء ، ورهبة في صدورهم ، تجعل له عند كل حي عهداً يأخذه ليجوز به أرضهم آمنًا ، لا يسه أحد ولا ينال منه . وسيأتى مثل هذا المعنى في بيت آخر يأتي بعد قليل ص : ٧٠ ، تعليق : ٣ .

(٣) لم أعرف قائله :

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢٢٨ ، وضبطه « ثم » هكذا ، وبقى جواب « إذا » في بيت بعده فيما أرجح . ولو قرأته « ثم » بفتح التاء ، أى هناك ، كان جواب « إذا » ، « اعتصمت حباليا » . وثم البيت ، وانفرد عما بعده . ولكنى لا أستطيع أن أرجح هذا حتى أعرف بقية الأبيات .

فقال : « اعتصمت حباليا » ولم يدخل « الباء » . وذلك نظير قولهم : « تناولت الحيطام ، وتناولت بالخطام » ، و « تعلّقت به وتعلقته » ، كما قال الشاعر :^(١)
تعلّقتَ هَندًا ناشِئًا ذاتَ مِثَرٍ وَأَنتِ ، وَقَدَّ قَارَفَتِ ، لَمْ تَدْرِمَا الحِلْمَ^(٢)

• • •

وقد بينت معنى « الهدى » ، « والصراط » ، وأنه معنى به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهد ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع .^(٣)

• • •

وقد ذكر أن الذي نزل في سبب تحاوز القبيلين :^(٤) الأوس والخزرج ، كان من قوله :^(٥) « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » .
• ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حسن بن عطية قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن الأغرب بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية كل شهر ،^(٦)

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معاني القرآن ١ : ٢٢٨ : يقال : « غلام ناشئ » ، وجارية ناشئة » ، ولكنه وصف « هنداً » على التذكير فقال : « ناشئاً » ، وقد زعم الليث أنه لم يسمع هذا اللمت في الجارية ، فكان الشاعر وصفها به ، وأمره على التذكير . وقوله : « وقد قارفت » ، أى قاربت ودفوت من الكبر ، والجملة حال معترضة . يقول : تعلقها صغيرة لم تحجب بعد ، وبلغت ما بلغت ، ولم تدبر بعد ما الحلم ، وهو الأناة والعقل ومفارقة الصبا وطيش الشباب .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ - ١٧٠ ، وفهارس اللغة / وانظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ - ١٧٧ وفهارس اللغة .

(٤) في المطبوعة : « تحاور » ، وقد أسلفت قرائن لهذا الحرف وبيانه فيما سلف : ص ٥٥ . تعليق : ٦ ، وفي المطبوعة : « القبيلتين » بالثاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « كان منه قوله » ، وهو خطأ ، والصواب ما في المخطوطة . ويعنى أن الآيات التي نزلت في شأن تحاوز الأوس والخزرج واقتتالهما ، كان من أول هذه الآية ، لا الآيتين قبلها .

(٦) قوله : « كل شهر » ، هكذا جاء في المخطوطة واضحاً ، والذي في الدر المنثور ٢ : ٥٨ : « كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر » ، وفي القرطبي ٤ : ١٥٦ : « كان بين الأوس

فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » إلى آخر الآيتين ، « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » إلى آخر الآية . (١)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله = « اتقوا الله » ، خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه = « حقَّ تُقَاتِهِ » ، « حقَّ خوفه » ، (٢) وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى =

والخروج قتال وشر في الجاهلية » ، ويخشى أن يكون ما في المخطوطة : « كل شهر » ، تصحيف « وكل شر » ، ولكن ليس هذا موضع الرأى ، فإن الذين نقلوا هذا الأثر فيما بين يدي ، لم ينقلوه بإسناده هذا ، ولا بهام لفظه كما هنا .

(١) الأثر : ٧٥٣٥ - « حسن بن علي بن نجيع القرشي » ، سلف ترجمته في رقم : ٤٩٦٢ . و « قيس بن الربيع الأسدي » أبو محمد الكوفي . روى عن أبي إسحق السيمى ، والأغر بن الصباح ، وسماك بن حرب وغيرهم . روى عنه الثوري ، وهو من أقرانه ، وشعبة ، ومات قبله ، وعبد الرزاق ووكيع . تكلموا فيه ، وثقه الثوري وشعبة وغيرهما . وضعفه آخرون وقالوا : « ليس بقوى » ، يكتب حديثه ولا يحتج به . « مترجم في التهذيب . و « الأغر بن الصباح التميمي المنقري » . روى عن خليفة ابن حصين ، روى عنه الثوري وقيس بن الربيع ، وأبو شيبة . قال ابن معين والنسائي : « ثقة » ، وقال أبو حاتم « صالح » مترجم في التهذيب . و « خليفة بن حصين بن قيس بن عامر التميمي المنقري » روى عن أبيه وجده ، وطى بن أبي طالب ، وزيد بن أرقم ، وأبي نصر الأسدي . وروى عنه الأغر بن الصباح . ثقة . مترجم في التهذيب . و « أبو نصر الأسدي » . روى عن ابن عباس ، وعنه خليفة بن حصين . قال البخاري : « لم يعرف سماعه من ابن عباس » ، وقال أبو زرعة : « أبو نصر الأسدي الذي يروى عن ابن عباس : ثقة » . مترجم في التهذيب ، والكنى البخاري : ٧٦ ، وأشار إلى هذا الأثر ، وابن أبي حاتم ٤٤٨/٢/٤

(٢) انظر القول في بيان « تقاة » فيما سلف ٦ : ٣١٣ - ٣١٧

« ولا تموتن » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله = « إلا وأنتم مسلمون » لربكم ، مدعوتون له بالطاعة : مخلصون له الألوهة والعبادة .^(١)

* * *

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٦ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري = عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله : « اتقوا الله حق تقاته » ، قال : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر .^(٢)

٧٥٣٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله مثله .

٧٥٣٨ - حدثنا ابن المني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله مثله .

٧٥٣٩ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن زبيد ، عن مرة بن شراحيل البكيلي ، عن عبد الله بن مسعود مثله .^(٣)

٧٥٤٠ - حدثني المني قال ، حدثنا الحجاج بن المهال قال ، حدثنا جرير ، عن زبيد ، عن عبد الله مثله .

(١) في المطبوعة : « الألوهة » ، وهي صواب ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهي صواب أيضاً بمئاتها ، ولكن هكذا يكتبها أبو جعفر ، وانظر ما سلف ٦ : ٢٧٥ ، تطبيق ٢ .
(٢) الأثر : ٧٥٣٧ - والآثار التي تليه أسانيد غخلفة لهذا الأثر . وأخرجه الحاكم في المستدرک من طريق أبي نعيم ، عن مسمر ، وهو الأثر رقم : ٧٥٤١ ، وليس فيه « ويشكر فلا يكفر » ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، وواقعه الذهبي .
(٣) الأثر : ٧٥٣٩ - في المطبوعة : « مرة بن شراحيل الهمداني » . غير ما في المخطوطة ، وكلاهما صحيح وصواب ، وانظر الأثر رقم : ٢٥٢١ ، والتعليق عليه .

٧٥٤١- حدثني المثني قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا مسعر، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله مثله.

٧٥٤٢- حدثني المثني قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن المسعودي، عن زبيد الإيامي، عن مرة، عن عبد الله مثله.

٧٥٤٣- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله مثله.

٧٥٤٤- حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون: « اتقوا الله حق تقاته »، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. (١)

٧٥٤٥- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون نحوه.

٧٥٤٦- حدثنا ابن المثني قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا شعبة قال، حدثنا عمرو بن مرة، عن مرة، عن الربيع بن خثيم قال: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. ٢٠/٤

٧٥٤٧- حدثنا المثني قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال، سمعت مرة الحمداني يحدث، عن الربيع بن خثيم في قول الله عز وجل: « اتقوا الله حق تقاته »، فذكره نحوه. (٢)

٧٥٤٨- حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن

(١) الأثر : ٧٥٤٤- « يحيى » هو : « يحيى بن أبي بكر الأسدي » مضي في رقم : ٥٧٩٧ ، « سفيان » هو الثوري ، و « أبو إسحق » هو : أبو إسحق السبيعي ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « حدثنا يحيى بن سفيان » ، وليس في الرواة من يسمى بهذا ، والصواب ما أثبتته .

(٢) الأثران : ٧٥٤٦ ، ٧٥٤٧- « الربيع بن خثيم الثوري » مضت ترجمته في رقم : ١٤٣٠ ، وكان في المطبوعة « بن خثيم » ، وهو خطأ مضي مثله في الأثر الآخر ، وفي مواضع غيره ، وصححته من المخطوطة .

قيس بن سعد ، عن طاوس : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٤٩ - حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، قال « حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٥٠ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : ثم تقدم إليهم - يعني إلى المؤمنين من الأنصار - فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، أما « حق تقاته » ، يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويشكر فلا يُكفر .

٧٥٥١ - حدثني المنفي قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يعصى ، قال : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك ، كما : -

٧٥٥٢ - حدثني به المنفي قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « اتقوا الله حق تقاته » ، قال : « حق تقاته » ، أن يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا يأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .^(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية : هل هي منسوخة أم لا ؟

(١) الأثر : ٧٥٥٢ - رواه أبو جعفر النحاس في التاسخ والمنسوخ : ٨٨ ، مع بعض الخلاف في لفظه . وفي المخطوطة : « أن تجاهد في الله » بالإنفراد ، والسياق يقتضي الجمع ، وجاءت على الصواب في المطبوعة وفي التاسخ والمنسوخ ، إلا أنه قال : « أن تجاهدوا ... ولا يأخذكم ... وتقويموا ... ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم » على الخطاب .

فقال بعضهم : هي محكمة غير منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « اتقوا الله حق تقاته » أنها لم تنسخ ، ولكن « حق تقاته » ، أن تجاهد في الله حق جهاده = ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً . (١)

٧٥٥٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن طاوس : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته » ، فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

٧٥٥٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال طاوس قوله : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، يقول : إن لم تتقوه ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

* * *

وقال آخرون : هي منسوخة ، نسخها قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَقْتُمْ ﴾

[سورة التباين : ١٦] .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، ثم أنزل التخفيف واليسر ، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَقْتُمْ ﴾ ، فجاءت هذه الآية ، فيها تخفيف وعافية ويسر . ٧٥٥٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المهال الأنماطي قال ،

(١) الأثر : ٧٥٥٣ — هو الأثر السالف ، وفي المخطوطة والمطبوعة : « أن تجاهد » ، وانتظر التعليق السالف .

حدثنا همام ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، قال : نسخها هذه الآية التي في « التغابن » : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ، وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

٧٥٥٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : لما نزلت : « اتقوا الله حق تقاته » ، ثم نزل بعدها ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخت هذه الآية التي في « آل عمران » .
٧٥٥٩ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، فلم يطق الناس هذا ، فنسخه الله عنهم فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

٧٥٦٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، قال : جاء أمر شديد ! قالوا : ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه ؟ فلما عرف أنه قد اشدت ذلك عليهم ، نسخها عنهم ، وجاء بهذه الأخرى فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخها .^(١)

• • •

(١) ترك أبو جعفر رضي الله عنه ، ترجيح أحد القولين على الآخر ، وكان حقا عليه أن يبينه . وقد بينه أبو جعفر النحاس في التناسخ والمنسوخ : ٨٨ ، ٨٩ ، قال بعد سياقه الأثر : ٧٥٤٢ ، وروايته عن قول قتادة : « قال أبو جعفر : محال أن يقال هذا ناسخ ولا منسوخ إلا على حيلة ، وذلك أن معنى نسخ الشيء : إزالته والحجى بفسده ، فحال أن يقال : « اتقوا الله » منسوخ ، ولا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم بما فيه بيان الآية ، كما قرأ على أحمد بن محمد بن الحجاج ، عن يحيى بن سليمان قال ، حدثنا أبو الأحوص قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن عمرو بن ميمون ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » ، أفلا ترى أنه محال أن يقع في هذا نسخ . . . قال أبو جعفر : « فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ، ولا يقع فيه نسخ ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا » وكذا على المسلمين - كما قال ابن مسعود : « أن تعلموا الله فلا تمصوه ، وتذكروه فلا تنسوه ، وأن تشكروه فلا تكفروه ، وأن تهابوه فيه حق جهاده . وأما قول قتادة ، مع محله من العلم : أنها نسخت ، فيجوز أن يكون معناه : نزلت : فاتقوا الله ما استطعتم - بنسخه : اتقوا الله حق تقاته ، وأنها مثلها ، لأنه لا يكلف أحدا إلا طاقته » .

وأما قوله : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، فإن تأويله ، كما : —

٧٥٦١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن قيس بن

سعد ، عن طاوس : « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، قال : على الإسلام ، وعلى
حُرمة الإسلام . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأُعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً . يريد
بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدين الله الذى أمركم به ، وعهده الذى عهده إليكم
فى كتابه إليكم ، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى « الاعتصام » . (٢)

* * *

وأما « الحبل » ، فإنه السبب الذى يُوصَل به إلى البُغية والحاجة . ولذلك سمي
الأمان « حبلًا » ، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف ، والنجاة من الجزع
والذعر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَإِذَا تُجَوَّزُهَا حِبَالُ قَيْلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْآخَرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا (٣)

(١) انظر تفسير أبي جعفر فى نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الاعتصام » فيما سلف قريباً ص : ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) ديوانه : ٢٤ ، ومشكل القرآن : ٣٥٨ ، والمعانى الكبير : ١١٢٠ ، واللسان (حبل)
وغيرها . من قصيدته فى قيس بن معد يكرب ، وضمت منها أبيات فى ٤ : ٢٣٨ ، ٢٢٧ ، وهذا البيت
فى ذكر ناقته ، يقول قبله :

فَتَرَكْتُهَا بَعْدَ الْمِرَاحِ رَذِيَّةً وَأُمِنْتُ عِنْدَ رُكُوبِهَا إِعْجَالَهَا
فَتَنَاوَلْتُ قَيْسًا بِحَرْبِ بِلَادِهِ فَاتَتْهُ بَعْدَ تَنَوُّفَةٍ فَأَنَالَهَا
فَإِذَا تُجَوَّزُهَا

ومنه قول الله عز وجل : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾
[سورة آل عمران : ١١٢]

• • •

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوام ،
عن الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ،
قال : الجماعة .

٧٥٦٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ،
عن العوام ، عن الشعبي ، عن عبد الله في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ،
قال : حبلُ الله ، الجماعة .

• • •

وقال آخرون : عنى بذلك القرآن والعهد الذي عهده فيه .

• ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
« واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، حبل الله المتين الذي أمر أن يُعْتَصَمَ به : هذا
القرآن .

٧٥٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،
عن قتادة في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : بعهد الله وأمره .

وقد مضى قبل هذا البيت الأخير من : ٦٢ ، تعليق : ٢

إِلَى اللَّهِ قَيْسٍ أَطِيلُ السَّرَى وَآخِذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصَمٌ

يقول : إذا أخذت من قبيلة عهودها حتى اجتاز ديارها آمناً ، أعطها القتيلة التي تليها عهداً وذكماً
أن تشرق ديارها آمنة لا ينالها أحد بسوء . وذلك أن القبائل كلها ترمب قيساً وتخشاه ، فكل قاصد إليه ،
اجتأ الأمان حيث سار ، لأنه يقصده قيساً جار له ، لا يطلق أحد أن يناله بسوء .

٧٥٦٦ - حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : إن الصراط مُتَخَصَّر ، تحضره الشياطين ، ينادون : يا عبد الله ، هلم هذا الطريق ! ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله هو كتاب الله . (١)

٧٥٦٧ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عن السدي : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، أما « حبل الله » ، فكتاب الله .
٧٥٦٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بحبل الله » ، بعهد الله .
٧٥٦٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « بحبل الله » ، قال : العهد .

٧٥٧٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله : « واعتصموا بحبل الله » ، قال : حبلُ الله ، القرآن .
٧٥٧١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : القرآن .
٧٥٧٢ - حدثنا سعيد بن يحيى قال : حدثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ابن أبي سليمان العرزمي ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتابُ الله ، هو حبلُ الله الممدودُ من السماء إلى الأرض . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٧٥٦٦ - رواه في مجمع الزوائد بغير هذا اللفظ ، وهو قريب منه . ونسبه إلى الطبراني وقال : « رواه عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، وهو ضعيف » . وهذا الذي رواه الطبري إسناد صحيح .
(٢) الحديث : ٧٥٧٢ - عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي - يسكون الراء ثم زاي مفتوحة - أحد الأئمة : مضى توثيقه ١٤٥٥ .
عطية : هو ابن سعد بن جنادة - بضم الجيم - العوفي . وقد بينا في : ٣٠٥ أنه ضعيف .
وقد سقط من المخطوطة والطبوعة هنا قوله [عن عطية] . وزدناه من نقل ابن كثير ٢ : ٢٠٣ ،

وقال آخرون : بل ذلك هو لإخلاص التوحيد لله .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٧٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، يقول : اعتصموا بالإخلاص لله وحده .

٧٥٧٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : الحبل ، الإسلام . وقرأ : « ولا تفرقوا » .

* * *

عن هذا الموضع من الطبرى .

ثم الحديث - من حديث أبي سعيد - يور في كل ما رأينا من طرقه على عطية العوفى ، كما سيأتى : فرواه أحمد في المستد : ١١٢٢٩ ، ١١٥٨٢ (ج ٣ ص ٢٦ ، ٥٩ حلى) ، عن ابن نمير ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطية العوفى ، عن أبي سعيد ، بنحوه ، مرفوعاً مطولاً .

ورواه أيضاً : ١١١٢٠ (ج ٣ ص ١٤) ، من طريق إسماعيل بن أبي إسحق الملائى ، عن عطية . ورواه أيضاً : ١١١٤٨ (ج ٣ ص ١٧) ، عن أبي النضر ، عن محمد بن طلحة ، عن الأعشى عن عطية العوفى .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٣٤٣ ، من طريق محمد بن فضيل ، عن الأعشى ، عن عطية ، عن أبي سعيد - وعن الأعشى ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعاً ، نحوه مطولاً . فهو عنده عن أبي سعيد وعن زيد بن أرقم . ثم قال : « هذا حديث حسن غريب » .

فأما حديث أبي سعيد ، فقد بينا أنه ضعيف ، من أجل عطية العوفى .

وأما حديث زيد بن أرقم ، فإنه حديث صحيح . وهو قطعة من قصة مطولة ، رواها أحمد في المستد ٤ : ٣٦٦ - ٣٦٧ (حلى) . ورواها مسلم ٢ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، مطولة ومختصرة .

وروى ابن حبان في صحيحه ، رقم : ١٢٣ (بتحقيقنا) - قطعة منه ، فيها أن « كتاب الله ، هو حبل الله » .

ثم نعود لحديث أبي سعيد :

فذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣ ، مطولاً ، بنحو رواية الترمذى . ثم قال : « رواه الطبرانى في الأوسط . وفي إسناده رجال مختلف فيهم ! »

ولست أدرى ، لم ذكره في الزوائد ، وهو في الترمذى ؟ ثم لم ترك نسبته للمستد ، وهو مروي فيه أربع مرات ؟ !

وذكره السيوطى ٢ : ٦٠ ، مختصراً كما هنا . ولم ينسبه إلا لابن أبي شيبة وابن جرير . ثم ذكر الرواية المطولة عن أبي سعيد . ونسبه لابن سعد ، وأحمد ، والطبرانى .

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : بقوله : « ولا تفرقوا » ، ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاى إلى أمره ، كما : —

٧٥٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم » ، إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة ، وقدّم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استعظم ، ولا قوة إلا بالله .

٧٥٧٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تفرقوا » ، لا تعادوا عليه ، يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا عليه إخواناً .^(١) ٢٢/٤

٧٥٧٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح : أن الأوزاعي حدثه ، أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة . قال : فقيل : يا رسول الله ، وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يده وقال : الجماعة » ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .^(٢)

(١) فى المخطوطة « وتكونوا عليه إخواناً » ، والصواب ما فى المطبوعة ، والدر المشور ٢ : ٦١

(٢) الحديث : ٧٥٧٧ — يزيد الرقاشي : هو يزيد أبان ، أبو عمرو ، البصرى القاص .

وقد أشرنا فى شرح : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ إلى أنه ضعيف . وقال البخارى فى الكبير ٢٢٠/٢/٤ : « كان شعبة يتكلم فيه » ، وقال النسائي فى الضعفاء : « متروك » ، وقال ابن سعد ١٣/٢/٧ : « كان ضعيفاً قديراً »

٧٥٧٨ - حدثني عبد الكريم ابن أبي عمير قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت الأوزاعي يحدث ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . (١)

٧٥٧٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا المحاربي ، عن ابن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قُطبة المدني ، عن عبد الله : أنه قال : « يا أيها الناس ، عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، هو خير مما تستحبون في الفرقة » . (٢)

٧٥٨٠ - حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قُطبة قال : سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، ثم ذكر نحوه . (٣)

والحديث رواه ابن ماجة : : ٣٩٩٣ ، من طريق الوليد بن مسلم : « حدثنا أبو عمرو [هو الأوزاعي] ، حدثنا قتادة ، عن أنس . فذكره نحوه مرفوعاً ، ولكن آخره عنده : « كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة » .

وقال البوصيري في زوائده : « إسناده صحيح . رجاله ثقات » . وهو كما قال .
فيكون الأوزاعي رواه عن شيخين ، أحدهما ضعيف ، والآخر ثقة . وأن الضعيف - يزيد الرقاشي - زاد الاستشهاد بالآية . ولا بأس بذلك ، فالمعنى قريب .
وذكره السيوطي ٢ : ٦٠ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم .
(١) الحديث : ٧٥٧٨ - هذا الحديث تكرر للحديث قبله .

وعبد الكريم بن أبي عمير - شيخ الطبري : ذكره الذهبي في الميزان ٢ : ١٤٤ بلقب « للدهان » ، وقال : « فيه جهالة . والخبر منكر » . يريد حديثاً آخر ، بينه الحافظ في لسان الميزان ٤ : ٥٠ - ٥١ ، عن تاريخ بغداد . في ترجمة رجل آخر . وهو في تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٢ . وفيه اسم هذا الشيخ في ذلك الإسناد : « عبد الكريم بن أبي عمير الدهقان » . ولم أجده له ترجمة ولا ذكراً في موضع آخر .

(٢) الأثر : ٧٥٧٩ - « ثابت بن قُطبة المدني الثقف » ، مترجم في الكبير ١٦٨/٢/١ ، والجرح ٥٧/١/١ ، قال البخاري : « سمع ابن مسعود ، روى عنه أبو إسحق ، والشعبي » . وزاد ابن أبي حاتم : « وزيد بن علاقة ، وسالم بن أبي الجعد » . وكان في المطبوعة في هذا الموضع وفي الأثرين التاليين « ثابت بن قُطبة » بالتون من « قُطنة » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة في هذا الأثر « قُطنه » غير منقوطة ، ونقطت الباء في الأثرين التاليين . وفي المخطوطة والمطبوعة : « المرى » في هذا الأثر وفي رقم : ٧٥٨١ ، والصواب « المدني » كما أثبت ، وثابت ثقف ، لا مري .

(٣) الأثر : ٧٥٨٠ - في المطبوعة : « عبد الحميد بن بيان الشكري » ، وهو خطأ ، والصواب المخطوطة . وقد سلف مثل هذا الخطأ في رقم : ٧٣٧٨ ، فانظر التعليق عليه .

٧٥٨١ - حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلّی قال، حدثنا عبد الله بن نمير أبو هشام قال، حدثنا مجالد بن سعيد، عن عامر، عن ثابت بن قطبة المدني قال: قال عبد الله: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، ثم ذكر نحوه. (١)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: «واذكروا نعمة الله عليكم»، واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام.

• • •

واختلف أهل العربية في قوله: «إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم».

فقال بعض نحوي البصرة في ذلك: انقطع الكلام عند قوله: «واذكروا نعمة الله عليكم»، ثم فُسر بقوله: «ألف بين قلوبكم»، وأخبر بالذى كانوا فيه قبل التأليف، كما تقول: «أمسك الحائط أن يميل».

• • •

وقال بعض نحوي الكوفة قوله: «إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم»، تابع قوله: «واذكروا نعمة الله عليكم» غير منقطعة منها.

• • •

(١) الأثر: ٧٥٨١ - إسماعيل بن حفص بن عمرو الأبلّی، أبو بكر الأودى البصرى، و«الأبلّی» (بضم الهزة والياء الموحدة، واللام المشددة المكسورة) نسبة إلى «الأبلّة». وفي بعض الكتب «الأيل» بالياء. روى عن أبيه، وحفص بن غياث، وسعتر بن سليمان وغيرهم. روى عنه النسائي وابن ماجه، وابن خزيمة وجماعة. وسمع منه أبو حاتم، قال ابن أبي حاتم: «وسألت أبي عنه فقال: كتب عنه وعن أبيه، وكان أبوه يكذب، وهو بخلاف أبيه. قلت: لا بأس به؟ قال: لا يمكنني أن أقول لا بأس به». وذكره ابن حبان في الثقات. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم.

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى أن قوله : « إذ كنتم أعداء » فآلف بين قلوبكم » ، متصل بقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا ، أيها المؤمنون ، نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم ، حين كنتم أعداء في شرككم ، ^(١) يقتل بعضهم بعضاً عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله ، فآلف الله بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضهم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداء ، تواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه ، كما : —

٧٥٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فآلف بين قلوبكم » ، كنتم تذابحون فيها ، يأكل شديدكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام فأخى به بينكم ، وآلف به بينكم . أما والله الذي لا إله إلا هو ، إن الألفة لرحمة ، وإن الفرقة لعذاب .

٧٥٨٣ — حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع في قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » ، يقتل بعضهم بعضاً ، ويأكل شديدكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام فآلف به بينكم ، وجمع جمعكم عليه ، وجعلكم عليه إخواناً .

* * *

قال أبو جعفر : فالنعمية التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها ، هي ألفة الإسلام ، واجتماع كلمتهم عليها = والعداوة التي كانت بينهم التي قال الله عز وجل : « إذ كنتم أعداء » ، فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام ، يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومئة سنة ، كما : —

(١) في المطبوعة : « أي بشرككم » ، وليست بشيء ، وفي المخطوطة « أي شرككم » ولا معنى لها ، وفيها زيادة ألف « أي » ، و « ي » هي « في » فالذي أثبتته هو الصواب والسياق .

٧٥٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سامة قال ، قال ابن إسحق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومئة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم . ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

٢٣/٤

* * *

فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعادة بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم من بعض ، وما صاروا إليه بالإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان به وبما جاء به ، من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً ، وكان سبب ذلك ما : —

٧٥٨٥ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو معتمراً . قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : « الكامل » ، لجلده وشعره ونسبه وشرفه . قال : فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ! قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان — يعني : حكمة لقمان — فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرضها علي » . فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسن ، (٢) معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله عليّ ، هدى ونور . قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يُبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن ! ثم

(١) الأثر : ٧٥٨٤ — لم أستطع أن أهتدي إلى مكانه من سيرة ابن هشام في هذه الساعة .

(٢) في المطبوعة : « إن هذا الكلام » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

انصرف عنه وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج . فإن كان قومه يقولون :
قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعث .^(١)

٧٥٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ،
حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ،^(٢) أحد بني عبد
الأشهل : أن محمود بن لبيد ،^(٣) أحد بني عبد الأشهل قال : لما قدم
أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ،^(٤) ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن
معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ،^(٥) سمع بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم فقال : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا :
وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله
ولا يشركوا به شيئاً ،^(٦) وأنزل على الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم
القرآن ، فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاماً حدثاً :^(٧) أي قوم ، هذا والله خير
مما جئتم له ! قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حَفَنَةً من البطحاء ،^(٨) فضرب
بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا !
قال : فصمت إياس بن معاذ ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا

(١) الأثر : ٧٥٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ - ٦٩ .

(٢) في المطبوعة : « الحسين بن عبد الرحمن . . . » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسيرة
ابن هشام ، وهو مترجم في التهذيب .

(٣) في المطبوعة : « محمود بن أسد » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة ، ولم يحسن الناشر
قراءتها لخلوها من النقط ، وصوابه أيضاً في ابن هشام . و « محمود بن لبيد الأشهل » تابعي ، واختلف
في صحبه . مترجم في التهذيب .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « أبو الجيش أنس بن رافع » ، وهو خطأ فاحش ، صوابه من
سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، وسائر كتب التاريخ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : « عمل قوم من الخزرج » ، والصواب ما في سيرة ابن هشام . كما أثبت .

(٦) في المخطوطة : « أن يعبدون الله . . . » سهو من النسخ ، وفي ابن هشام « أدعوهم إلى أن
يعبدوا الله » .

(٧) غلام حدث (يفتح الحاء وضم الدال) : كثير الحديث حسن السباق له .

(٨) في المطبوعة : « فأخذ أبو الجيش » ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام .

إلى المدينة، وكانت وقعة بُعِثَ بين الأوس والخزرج . قال : ثم لم يلبث إياسُ ابن معاذ أن هلك . قال : فلما أراد الله إظهارَ دينه، وإعزازَ نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنجازَ مواعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفرَ من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب ،^(١) كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة، إذ لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .^(٢)

= قال ابن حميد قال ، سلمة قال ، محمد بن إسحق ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود ؟^(٣) قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ،^(٤) أن يهود كانوا معهم ييلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان ،^(٥) وكانوا قد غزوهم ييلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً الآن مبعوث قد أظلم زمانه ، نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ! فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعّدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه !^(٦) فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبلوا منه

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم . . . » يساقط « في » وأثبتها من ابن هشام . وفي ابن هشام : « فعرض نفسه » بالفاء ، وما في مخطوطة الطبري ، جيد .

(٢) في المطبوعة : « لهم خيراً » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٣) « موالى يهود » : أي من حلفائهم ، والمولى : الحليف .

(٤) هذا هو النص الصحيح ، لما أثبت فائز سيرة ابن هشام ، مخالفاً أصول السيرة ،

وما جاء هنا .

(٥) في ابن هشام : « وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان » ، وما في الطبري صواب أيضاً .

(٦) في المطبوعة والمخطوطة : « ولا يسبقنكم » بالواو ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام .

ما عَرَضَ عليهم من الإسلام ، وقالوا له : ^(١) إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإن يجمعهم الله عليه فلا رجلَ أعزَّ منك . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدّقوا = وهم فيما ذكرلى ستة نفر . قال : فلما قدموا المدينة على قومه ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعواهم إلى الإسلام حتى أقشوا فيهم ، فلم تبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العامُ المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلحقوه بالعقبة ، وهى العقبة الأولى . فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، ^(٢) وذلك قبل أن تُفترَضَ عليهم الحرب . ^(٣)

٧٥٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة : أنه لقيَ النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفرٍ من الأنصار فآمنوا به وصدّقوه ، فأراد أن يذهبَ معهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قالوا » بإسقاط الواو ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) بيعة النساء ، هى البيعة المذكورة فى [سورة الممتحنة : ١٢] ، ونصها فيها رواه ابن إسحق بإسناده عن عباد بن الصامت أنه قال (ابن هشام ٢ : ٧٥ ، ٧٦) : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة الأولى على أن لا نُشركَ بالله شيئاً ، ولا نَسْرِقَ ، ولا نَزْنى ، ولا نَقْتُلَ أولادنا ، ولا نأتى بيهتانٍ كَفْتَرِيهِ من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نَقْصِيهِ فى معروفٍ = فإن وَفَيْتُمْ ، فلَكُمْ الجنة . وإن غَشِيْتُمْ من ذلك شيئاً فأخذتُم بحذِّهِ فى الدنيا ، فهو كَفَّارَةٌ لَكُمْ . وإن سترْتُم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر » . وهذه بيعة لم يذكر فيها القتال والجهاد ، مما كتبه الله عل الرجال دون النساء ، ولذلك سميت بيعة النساء ، لأنها مطابقة لبيعتين المذكورتين فى سورة الممتحنة .

(٣) الأثر : ٧٥٨٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ — ٧٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

بين قومنا حرباً ، وإنا نخافُ إنْ جئتُ على حالِك هذه أنْ لا يتَّهياً الذي تريدُ .
فوعده العامَ المقبلَ ، وقالوا : يا رسولَ الله ، نذهب ، فلعلَّ الله أنْ يُصلِّحَ تلكَ
الحربَ ! قال : فذهبوا ففعلوا ، فأصلحَ الله عز وجل تلكَ الحربَ ، وكانوا يُروْنَ
أنها لا تَصْلُحُ = وهو يومُ بُعَاثٍ . فلقوه من العامَ المقبلَ سبعينَ رجلاً قد آمنوا ،
فأخذ عليهم النِّقْبَاءَ اثني عشرَ نقيباً ، فذلك حين يقول : « واذكروا نعمة الله عليكم
إذْ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبكم » .

٧٥٨٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « إذ كنتم أعداء » ، ففي حرب ابنِ مُسمِر (١)
= « فألف بين قلوبكم » ، بالإسلام .

٧٥٨٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن
معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بنحوه = وزاد فيه : فلما كان من أمر عائشة ما
كان ، (٢) فتناورَ = الحيَّان ، فقال بعضهم لبعض : مَوْعِدُكم الحِرَّةُ ! فخرجوا
إليها ، فترلت هذه الآيةُ : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين

(١) في المخطوطة والمطبوعة « ففي حرب فألف ... » أسقط « ابن مسمير » ، وسيأتى نص قول
السدي ، كما أثبتته بعد ص ٨٣ س : ٣

(٢) يعني ما كان من حديث الإفك في أمر عائشة أم المؤمنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خطب الناس فذكر لهم رجالاً يؤذونه في أهله ويقولون عليهم غير الحق ، وتولى كبر ذلك رأس
التفريق عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج . فقام أسيد بن حضير الأوسي فقال : يا رسول الله ،
إن يكونوا من الأوس تكفيكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فرقا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل
أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عباد الخزرجي ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله
ما قلت هذه المقالة إلا لأنك عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قويلك ما قلت هذا ! فقال أسيد
ابن الحضير : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! وتناور الناس حتى كاد أن
يكون بين هلمين الحيين من الأوس والخزرج شر (تاريخ الطبري ٢ : ٦٩) .

هذا ولم أجد ذكر هذا الخبر في كتاب ، ولم أجد في كتب أسباب النزول أن هذه الآية نزلت
في شأن عائشة رضي الله عنها ، ولا ما كان يوشع بين الأوس والخزرج . ولم يذكر ذلك أبو جعفر
مصرحاً في هذا الموضع ، ولا ذكر ذلك في تفسير سورة النور ، حيث آيات حديث الإفك وبرائة
عائشة أم المؤمنين .

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، الآية . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لم تخنياً = يعنى البكاء .^(١)

• • •

« وسُمير » الذى زعم السدى أن قوله : « إذ كنتم أعداء » عنى به حربه ، هو سُمير بن زيد بن مالك ،^(٢) أحد بنى عمرو بن عوف ، الذى ذكره مالك بن المجلان فى قوله :

إِنَّ سُمَيْرًا ، أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفُوا^(٣)

إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقًا فِي بَيْتِى النَّجَّارِ لَمْ يَطْمَعُوا الَّذِى عُلِفُوا^(٤)

(١) فى المطبوعة : « لخنياً » بالحاء ، وأما فى المخطوطة ، فإن النسخ على غير عادته فقط حروفاً المسببة جيماً ، كما أثبتنا ، وهو الصواب المحض . والخنين : تردد البكاء فى الأنف والحناء حتى يصير فى الصوت مثل اللثة ، لكنان البكاء من ألم وحياء وخجل . وقد ورد فى كثير من الأحاديث من ذلك : « أنه كان يسمع غنيته فى الصلاة » ، وفى حديث أنس : « فظلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم » ، لم تخين .

(٢) فى الأغاني ٣ : ٤٠ « سُمير بن يزيد بن مالك » ، وذكر فى ٣ : ٢١ أنه أخو « درهم بن يزيد بن ضبيعة » ، وقد رجعت فى التعليق على طبقات فضول الشعراء لابن سلام : ٢٤٧ تعليق : ٦ أنه « درهم بن يزيد بن مالك » من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف . وقد جاء فى المطبوعين « درهم بن زيد » كما جاء هنا فى ذكر أخيه « سُمير بن زيد » ..

(٣) جهرة أشعار العرب : ١٢٢ ، والأغاني ٢٠ ، واللسان (سمر) وهذا البيت والذى يليه كتب فى المطبوعة بالقاف « أبقوا » ثم « علقوا » وهما فى المخطوطة غير منقطعتين ، وأوقعهم فى ذلك النقط ما جاء فى اللسان (سمر) ، « أبقوا » بالباء والقاف ، وهو خطأ محض ينبئ تصحيحه . فقصيدة مالك فائقة لاشك فيها . رواها صاحب جهرة أشعار العرب بطولها ، ورواها أبو الفرج ، وروى منها نقائضها ، لدرهم بن يزيد ، ثم لقيس بن الخليم ، فيما بعد هذه الحرب بدمر ، ورد حسان ابن ثابت عليه وتنقصه له . وخبر هذا الشعر طويل ، هو فى الأغاني ٣ : ١٨ - ٢٦ ، ثم ٣٩ - ٤٢ . ثم انظر ما قاله الطبرى بعد الأبيات .

وقوله : « حدبوا دونه » ، يقال : « حذب عليه » ، إذا تحطت عليه وحنا عليه . وقوله : « دونه » ، عنى أنهم حلقوا عليه وحاموا دونه يحنوا . وقوله : « أنفوا » ، يقال : « أنف الرجل من الشيء » يأنف أنفاً ، إذا حنى وضرب ، وأخذته الغيرة من أن يضام . وكان سُمير هذا هو الذى قتل الرجل الذى جاز مالك بن المجلان - فى خبر الحرب - فطالب مالك بنى عمرو بن عوف أن يرسلوا إليه سُميراً ليقتله بجاره ، أو يأخذ الفدية كاملة ، فأبى أولئك ، وأبى مالك ، وحذب بنو عمرو بن عوف حل صاحبهم سُمير ، واستغفر مالك قاتل الخزرج ، فأبى بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره ، فقال هذه الأبيات يحرض بنى النجار على نصرته .

(٤) فى رواية الجهرة والأغاني : « صادقاً » ، وهما سواء . وفى شرح هذا البيت قال أبو الفرج فى

وقد ذكر علماء الأنصار : أن مبدأ العداوة التي هيَّجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها ، كان بسبب قتل مولى لملك بن العجلان الخزرجي يقال له : « الحرث بن سمير » من مزينة ، ^(١) وكان حليفاً لملك بن العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . فذلك معنى قول السدي : « حرب ابن سمير » .

• • •

وأما قوله : « فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، فإنه يعني : فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق ، والتعاون على نصره أهل الإيمان ، والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر ، إخواناً متصادقين ، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد ، كما : —

٧٥٩٠ — حدثني بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

أغاثيه : « علفوا الضيم : إذا أقروا به . أى ظن أنهم لا يقبلون الضيم » ، وهذا مجاز قلما تنظف بتضيره في كتب اللغة . وقد جاء مثل ذلك في هذا المعنى من قول سبيع بن زرة ، أو خالد بن فضلة (الحماسة ١ : ١٨٦) .

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَدَى لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلِّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

وقول العباس بن مرداس (الحماسة ١ : ٢٢٥)

وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَمْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ ، بِالمَثَلِ

وكانهم يريدون بذلك : ما يقدم إليك ، مما يكون حسن الظاهر كأنه رعاية وكرم ، خيث الباطن يراد به الأذى والضميم ، واستعملوا « العلف » لأنه كالاستغفال لمن يقدم إليه ، كأنه بهيمة لا تدرك الخلق الباطن .

هذا وقد ترك ناشر هذا التفسير هذين البيتين على حالهما من التصحيف . ثم جاء بعض المعلقين ، فكتب ما لا قبل لدى عقل بقبوله ، إلا على قول القائل : « فكل ما علفت ! »

(١) لست على ثقة من هذا الاسم « الحر بن سمير » ، ولكني لم أجده في مكان آخر ، والذي يقوله في غير هذا الخبر أن اسمه « كعب بن العجلان » ، ويقال غير ذلك .

قوله : « فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » ، وذكر لنا أن رجلاً قال لابن مسعود : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمة الله إخواناً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ » ، وكُنْتُمْ ، يا معشر المؤمنين ، من الأوس والخزرج ، على حرف حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ . وإنما ذلك مثلٌ لكفرهم الذى كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام . يقول تعالى ٢٥/٤ ذكره : وَكُنْتُمْ عَلَىٰ طَرَفٍ جَهَنَّمَ بَكُفْرِكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، فتصيروا بائتلافكم عليه إخواناً ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ .

* * *

و«شفا الحفرة» ، ظرفها وحرفها ، مثل «شفا الركبة والبئر» ؛ ومنه قول الراجز :

نَحْنُ حُفْرَنَا لِلْحَجَجِجِ سَجَلَةٌ نَابِتَةٌ فَوْقَ شَفَاهَا بَقْلَةٌ^(١)

(١) لم أجد هذا الرجز بهذه الرواية في كتاب غير هذا التفسير . أما «سجلة» فهي بئر المطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، ويقال حفرها عدى بن نوفل ، ويقال حفرها هاشم بن عبد مناف ، ويقال حفرها قصي . وقد ذكرها ابن هشام في سيرته ٢ : ١٥٧ ، والأزرق في تاريخ مكة ١ : ٦٤ ، ٦٥ / ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، والبلاذرى في فتوح البلدان : ٥٥ ، ٥٦ ، والبكرى في معجم ما استمع : ٧٢٤ ، ومعجم البلدان (سجلة) ، والروض الأنف ١ : ١٠١ ، وذكرها المصعب في نسب قریش : ٣١ ، ١٩٧ ، ولم يذكر اسمها بل قال : «سقاية عدى ، التي بالمشرين ، بين الصفا والمروة ، وفيها يقول مطرود الخزاعي ، يمدح عدى بن نوفل :

يعنى : فوق حرفها . يقال . « هذا شفا هذه الركبة » مقصور « وهما شفواها »

وقال : « فأنقذكم منها » ، يعنى فأنقذكم من الحفرة ، فردّ الخبر إلى « الحفرة » ، وقد ابتدأ الخبر عن « الشفا » ، لأن « الشفا » من « الحفرة » . فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن « الشفا » على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية = خبراً عن « الحفرة » ، كما قال جرير بن عطية :

رَأَتْ مَرَّةَ السَّيْنِ أَخَذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهِلَالِ^(١)

وَمَا النَّيْلُ يَأْتِي بِالسَّيْنِ يَكْفُهُ بِأَجْوَدَ سَيْبًا مِنْ عَدِيَّ بْنِ نَوْفَلٍ
وَأَنْبَطَتْ بَيْنَ الْمُشْعَرَيْنِ سِقَايَةٌ لِحُجَّاجٍ بَنِيَتْ إِلَهُ أَفْضَلَ مِنْهَلٍ

ونسب أبو الفرج فى أغانيه ١٣ : هـ هذا الشعر لقيس بن الحداية من أبيات . وأما الرجز الذى يشبه هذا وذكره فى المراجع السابقة ، فقد اختلف فى نسبه ، إلى قصى ، وإلى خلدة بنت هاشم ، تقول :

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِيٍّ سَجَلَةً فِي تَرْبَةِ ذَاتِ عَدَاةٍ مَهَلَّةٍ
تُرْوَى الْحَجِيجَ زُعَلَةً فَرُغَلَةً

أى جرعة فجرعة . ولم يتيسر لى تحقيق ذلك الآن بأكثر من هذا .

(١) ديوانه : ٤٢٦ ، مجاز القرآن : ٩٨ ، الكامل : ١ : ٣٢٤ ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير

١٢ : ١٣/٩٤ : ١٩/١٠٩ : ٣٩ (بولاق) ، من قصيدة يهجو الفرزدق ، لم تذكر فى نقائضهما ، يقول قبل البيت :

دَعَيْنى ، إِنَّ شَيْبَى قَدْ نَهَانِى وَتَجَرَّبِى ، وَشَيْبَى ، وَكَتْهَالِى

رَأَتْ مَرَّةَ السَّيْنِ

وَمَنْ يَبْقَى عَلَى غَرَضِ الْمَنَآيَا وَأَيَّامٍ تَمُرُّ مَعَ اللَّيَالِى ؟!

والسرار (بكسر السين وفتحها) : آخر ليلة من الشهر ، ليلة يستمر القمر ، أى يخفى ، وأراد جرير بالسرار فى هذا البيت : نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالا ، حتى يخفى فى آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذى يأخذ منه ليلة بعد ليلة ، أما « السرار » الذى شرحه أمصاّب اللغة ، فهو ليلة اختفاء القمر ، وذلك لا يتفق فى معنى هذا البيت .

فذكر : « مر السنين » ، ثم رجع إلى الخبر عن « السنين » ، وكما قال
العجاج : (١)

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِ طَوْنِ طَوِيلِ وَطَوْنِ عَرَضِي (٢)
وقد بيَّنتُ العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل . (٣)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٧٥٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
« وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته » ،
كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاهُ عيشاً ، (٤) وأبينه ضلالة ، وأعراهُ

(١) وينسب للأغلب المجلى ، كما سترى في المراجع ، وقال أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب .
« ليس هذا الرجز للأغلب ، هو لغيره ، من شوارد الرجز » .
(٢) ديوان العجاج : ٨٠ ، سيبويه ١ : ٢٦ ، كتاب المعمرين : ٨٧ ، الأغاني ١٨ : ١٦٤ ،
والبيان والتبيين ٤ : ٦٠ ، والحزانة ٢ : ١٦٨ ، المعنى (هامش الحزانة) ٣ : ٣٩٥ ، وشرح شواهد
المعنى : ٢٩٨ وغيرها . وقد اختلف في رواية الرجز اختلاف كثير . ورواية أبي محمد الأعرابي :

أَصْبَحْتُ لَا يَحْمِلُ بَعْضِي بَعْضِي مُنْفَعًا ، أَرْوَحُ مِثْلَ النَّقْضِ
مَرُّ اللَّيَالِي
مُمُّ التَّحْنِ عَنْ عِظَامِي نَحْضِي أَقْمَدَنِي مِنْ بَعْدِ طَوْلِ نَهْضِي

المنفَع : الذى غلبه الكلال والإعياء . والنقض : البعير المهزول . التحى المود من الشجر : قشر
عنه لحاءه ، وهو قشره . والنحض : اللحم . يقول : تركته الليال عظاماً ، قد أكلت لحمه .

(٣) ٥ : ٧٧ ، ٧٨

(٤) قوله : « وأشقاهُ عيشاً ، وأبينه ضلالة . . . » مع عودة الضمير إلى « الناس » ، لأن ضمير
المضى والجمع بعد « أفعل » التفضيل ، يجوز إفراده وتذكيره ، انظر ما سلف من التعليق على الآثار
رقم : ٥٩٦٨ ، ٦١٢٩ ، ٧٠٢٨ ، ٧٠٢٩

جلوداً ، وأجوعه بطوناً ، مَكْمُومِينَ^(١) ، على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم ، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه . مَنْ عاش منهم عاش شقيماً ، ومن مات رُدِّي في النار ،^(٢) يؤولون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلة يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً ، وأدق فيها شأنًا ، منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، فورثكم به الكتاب ، وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ،^(٣) وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس . وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نِعَمَهُ ، فإن ربكم منعمٌ يحب الشاكرين ، وإن أهل الشكر في مزيد الله ، فتعالى ربنا وتبارك .

٧٥٩٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قوله : « وكنتم على شفا حفرة من النار » ، يقول : كنتم على الكفر بالله = « فأنقذكم منها » ، من ذلك ، وهداكم إلى الإسلام

٧٥٩٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، بمحمد صلى الله عليه وسلم . يقول : كنتم على طرف النار ، من مات منكم أوبق في النار ،^(٤) فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة .

(١) في المطبوعة : « مكمومين » ، والصواب من المخطوطة : كم قم البعير وغيره شد فاه في هياجه لئلا يعرض . ومنه قيل : « كعمه الخوف فهو مكموم » ، أمسك فاه ، ومنع من النطق ، وفي حديث علي : « فهم بين خائف مقموع ، وساكت مكموم » ، وفي شعر ذي الرمة يصف صحراء بريدة الأرجاء ، يخافها سالكها :

يَبْنَ الرَّجَا وَالرَّجَا مِنْ جَنْبِ وَاصِيَةٍ يَهْمَاءَ ، خَاطِبُهَا بِالْخَوْفِ مَكْمُومُ

(٢) ردى في النار : ألقي فيها .

(٣) هكذا جاءت المملتان في المخطوطة ، ولست على ثقة من صوابها ، ولا أدري ما يعنى بقوله : « دار الجهاد » ، والذي نعرف أن الإسلام جاء فأحل للمجاهدين هو « الفتناء » غنائم الحرب والجهاد . فأخشى أن يكون في الكلام تحريف . وقوله : « ووضع لكم به من الرزق » كأنه يعنى بقوله : « وضع بسط » كما فسروه في حديث التوبة : « إن الله واضع يده لى الليل ليتوب بالنهار ، ولى النهار ليتوب بالليل » ، أى بسط ، كما جاء في الرواية الأخرى : « إن الله يسط يده . . . »

(٤) أوبقه : أهلكه ، وقوله : « أوبق » بالبناء للمجهول .

٧٥٩٤ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

حسن بن حى : « وكنت على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، قال : عصبية . (١)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « كذلك » ، كما بيّن لكم ربكم فى هذه الآيات ، أيها المؤمنون من الأوس والخزرج ، من غيل اليهود الذى يضمرونه لكم ، (٢) و غشهم لكم ، وأمره إياكم بما أمركم به فيها ، ونهيه لكم عما نهاكم عنه ، والحال التى كنتم عليها فى جاهليّتكم ، التى صرتم إليها فى إسلامكم = (٣) مُعْرِفْكُمْ فى كل ذلك مواقع نعمة قبيلكم وصنائع لديكم = (٤) فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم = « لعالمكم تهتدون » ، يعنى : لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها ، فلا تضلّوا عنها . (٥)

٢٦/٤

• • •

(١) الأثر : ٧٥٩٤ - « الحسن بن حى » ، هو : « الحسن بن صالح بن صالح بن حى » ، وهو حيان ، الهدائق قال البخارى : « يقال : حى ، لقب » ، وكان فى المطبوعة : « حسن بن يحيى » ، والصواب فى المخطوطة ، وهو مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « من علماء اليهود . . . » ، وهو فاسد جداً ، والصواب فى المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءتها « من عل » غير منقوطة . والفعل (بكسر الفين) : الحقد الدفين .

(٣) سياق الجملة : كما بين لكم فى هذه الآيات . . . من غل اليهود . . . ومن غشهم . . . ومن أمره . . . ومن نهيه . . . ومن الحال التى كنتم عليها . . . نعطوف بنفسه على بعض .

(٤) فى المطبوعة : « يعرفكم » بالياء فى أوله ، والصواب ما فى المخطوطة ، وهو منصوب الفاء ، نصب على الحال .

(٥) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء الخامس من مخطوطتنا ، وفى آخره ما نصه :

القول في تأويل قوله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: «ولتكن منكم» أيها المؤمنون = «أمة»، يقول: جماعة^(١) = «يدعون» الناس = «إلى الخير»، يعنى إلى الإسلام وشرائعه

«نَجَزَ الجزء الخامس من كتاب البيان، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، أعان الله على ما بعده بمنه وكرمه، وخفى لطفه وسعة رحمته، إنه وإلى ذلك والقادر عليه. يتلوه في السادس إن شاء الله تعالى: القول في تأويل قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وكان الفراغ منه في شهر الله المحرم غرة سنة خمس عشرة وسبع مئة، أحسن الله تقضيها وخاتمتها في خير وعافية، بمنه وكرمه ولطفه — على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الفتي به عن سواه: علي بن محمد بن عباد (أو: عنان) بن عبد الصمد بن صالح الدبيلي (؟؟) الشافعي، غفر الله له ولوالديه، ولصاحب هذا الكتاب، ولمن قرأ فيه ودعا لهم بالتوبة والمغفرة ورضى الله تعالى والجنة، ولجميع المسلمين. وذلك بالقاهرة المحروسة، بحارة المطوفة.

الحمد لله رب العالمين

ثم يتلوه الجزء السادس، وأوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعين»

(١) انظر تفسير «أمة» فيما سلف ١ : ٢/٢٢١ : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤١ ،

التي شرعها الله لعباده^(١) « ويأمرون بالمعروف » ، يقول : يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله^(٢) « وينهون عن المنكر » ، يعنى : وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله ، بجهادهم بالأيدى والحوارج حتى يتفادوا لكم بالطاعة .

* * *

وقوله : « وأولئك هم المفلحون » ، يعنى المنجحون عند الله الباقون فى جناته ونعيمه .

* * *

وقد دللنا على معنى « الإفلاح » فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا . (٣)

* * *

٧٥٩٥ - حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عيسى ابن عمر القارئ ، عن أبي عون الثقفى : أنه سمع صبيحاً قال : سمعت عثمان يقرأ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْتَعِينُونَ اللَّهُ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾^(٤) .

٧٥٩٦ - حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن

(١) انظر تفسير « الخير » فيما سلف ٢ : ٥٠٥ .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٤/٢٩٣ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥/٤٤ : ٧٦ ،

٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٢٠ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٥٦١ .

(٤) الأثر : ٧٥٩٥ - « عيسى بن عمر الأسدى » المعروف بالهمداني ، القارئ الأعشى صاحب الحروف ، كوفى ثقة . مترجم فى التهذيب وطبقات القراء ١ : ٦١٢ . « أبو عون الثقفى » هو : « محمد بن عبيد الله بن سعيد » الأعور ، كوفى تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وطبقات القراء ٢ : ١٩٤ . أما « صبيح » ، فلم أجد له ترجمة إلا فى الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٤٩/١/٢ قال : « صبيح » ، قال سمعت عثمان يقرأ : « ولتكن منكم أمة يهتدون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم . روى عيسى بن عمر القارئ ، عن أبي عون ، عنه » . ولم يزد على ذلك ، وفى الجرح كما ترى « يهتدون إلى الخير » على غير ما جاء فى الطبرى ، فإنه يوافق القراءة الموروثة . وفى التاريخ الكبير للبخارى « صبيح بن عبد الله البسى » أنه قال : « استعمل عثمان أبا سفيان بن الحارث على الفروض » ، « ولست أستطيع أن أرجع أنهما رجل واحد . وانظر الدر المنثور ٢ : ٦١ ، ٦٢ .

عمينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ - فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء .

٧٥٩٧ - حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك : « واتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، قال : هم خاصة أصحاب رسول الله ، وهم خاصة الرواة . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولا تكونوا » ، يا معشر الذين آمنوا = « كالذين تفرقوا » من أهل الكتاب = « واختلفوا » في دين الله وأمره ونهيه = « من بعد ما جاءهم البينات » ، من حجج الله فيما اختلفوا فيه ، وحلوا الحق فيه فتعمدوا خلافه ، وخالفوا أمر الله ، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله = « وأولئك لهم » ، يعنى : وهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم = « عذاب » من عند الله = « عظيم » ، يقول جل ثناؤه : فلا تفرقوا ، يا معشر المؤمنين ، في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ، ولا تفعلوا فعلهم ، ونسبتوا في دينكم بسنتهم ، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذى لهم ، كما : -

٧٥٩٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، قال : هم أهل الكتاب . نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما

(١) الأثر ٧٥٩٧ - رواه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٠٩ ولفظه : « قال الضحاك : هم خاصة الصحابة ، وخاصة الرواة » ثم بينه فقال : « يعنى المحامدين والعلماء »

تفرق واختلف أهل الكتاب . قال الله عز وجل : « وأولئك لهم عذاب عظيم » .
 ٧٥٩٩ - حدثني المنثي قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية
 ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تكونوا كالذين
 تفرقوا واختلفوا » ونحو هذا في القرآن ، أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فهاهم
 عن الاختلاف والفرقة . وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في
 دين الله .

٧٦٠٠ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ،
 عن الحسن في قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
 وأولئك لهم عذاب عظيم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ١٠٦ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضًا وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿ ١٠٧ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض
 وجوه وتسود وجوه .

* * *

وأما قوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتُم بعد إيمانكم » ، فإن معناه :
 فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال لهم : أكفرتُم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما
 كنتم تكفرون . ولا بد لـ « أما » من جواب بالفاء ، فلما أسقط الجواب سقطت
 « الفاء » معه . وإنما جاز ترك ذكر « فيقال » ، للدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

* * *

وأما معنى قوله جل ثناؤه : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به .

فقال بعضهم : عني به أهل قبلتنا من المسلمين

• ذكر من قال ذلك :

٧٦٠١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، الآية ، لقد كفر أقوامٌ بعد إيمانهم كما تسمعون . ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والذي نفس محمد بيده ، ليردنَّ على الخوض من صحبتي أقوامٌ ، حتى إذا رُفِعوا إلىَّ ورأيتهم ، اختلجوا دوني ، فلا أقولن : ربَّ ! أصحابي ! فليقالن : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ! = وقوله : « وأما الذين ابيضت وجوههم فني رحمة الله ، هؤلاء أهل طاعة الله ، والوفاء بعهد الله ، قال الله عز وجل : « فني رحمة الله هم فيها خالدون » .

٧٦٠٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا .

٧٦٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن حماد بن سلمة والربيع ابن صبيح ، عن أبي مجالد ، عن أبي أمامة : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، قال : هم الخوارج .

• • •

وقال آخرون : عني بذلك : كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن ،

(١) الأثر : ٧٦٠١ - هذا أثر مرسل ، وقد أخرجه البخاري في صحيحه بغير هذا اللفظ (الفتح ١١ : ٤٠٨ ، ٤١٢ وما بعدها) وسلم في صحيحه ١٧ : ١٩٤ ، وقوله : « رُفِعوا إلىَّ » ، أي أُنْزِلوا إليه .

الله له فَرَأَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ . واخْتَلَجَ الشَّيْءُ : فَرَزَهُ وَجَلَّاهُ .

حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيّن في كتابه. (١)
 • ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عني بن الهيثم قال ، أخبرنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسودَّ وجهه ، وعيّرهم : « أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، قال : هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرأوا كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين . يقول : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، يقول : بعد ذلك الذي كان في زمان آدم . وقال في الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيّض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنته .

• • •
 وقال آخرون : بل الذين عنوا بقوله : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، المنافقون .
 • ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٥ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » الآية ، قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمة الإيمان بالسنتهم ، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم .

• • •
 قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عني بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوبّخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] .

(١) يعني آية « سورة الأعراف : ١٧٢ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية .

وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين أحدهما سوداً وجوهه ،
والآخر بيضاً وجوهه. ^(١) معلوم - إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان - أن
جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجوهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق
من بيض وجوهه . فلاحظه إذا لقول قائل : «عنى بقوله : «أكفرتم بعد إيمانكم» ،
بعض الكفار دون بعض» ، وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم . وإذا
دخل جميعهم في ذلك ، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد
إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك. ^(٢)

• • •

فتأويل الآية إذاً : أولئك لم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم وتسود
وجوه آخرين . فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال : أجددتم توحيد الله وعهد
وميثاقه الذى واثقتموه عليه ، بأن لانشركوا به شيئاً ، وتخلصوا له العبادة - بعد
إيمانكم = يعنى : بعد تصديقكم به ؟ = «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» ، يقول :
بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق
= «وأما الذين ابيضت وجوههم» . ممن ثبت على عهد الله وميثاقه ، فلم يبدل دينه ،
ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربه بالألوهة : وأنه لا إله
غيره = «ففي رحمة الله» ، يقول : فهم في رحمة الله ، يعنى : في جنته ونعيمها وما أعد
الله لأهلها فيها = «هم فيها خالدون» ، أى : باقون فيها أبداً بغير نهاية ولا غاية .

٢٨/٤

• • •

(١) في المطبوعة : «سوداء» . و«بيضاء» والصواب ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : «أنها المراد» بغير تاء ، والصواب ما في المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « تلك آيات الله » ، هذه آيات الله .

* * *

وقد بينا كيف وضعت العرب « تلك » و « ذلك » مكان « هذا » و « هذه » ،

في غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .^(١)

* * *

وقوله : « آيات الله » ،^(٢) يعنى مواعظ الله وعبره وحججه = « تتلوها عليك » ،^(٣)

نقرؤها عليك ونقصها = « بالحق » ، يعنى بالصدق واليقين .

وإنما يعنى بقوله : « تلك آيات الله » ، هذه الآيات التى ذكر فيها أمور

المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدور يهود بنى إسرائيل وأهل

الكتاب ، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهد ، وبالمبدلين دينه ، والناقضين عهده

بعد الإقرار به . ثم أخبر عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه

بالحق ، وأعلمه أن من عاقب من خلقه بما أخبر أنه معاقبه [به] :^(٤) من تسويد

وجهه ، وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه = ومن جازاه منهم بما جازاه : من

تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه ، بتخليده في دائم نعيمه ، فبغير ظلم

منه لفريق منهم ، بل بحق استوجبه ،^(٥) وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها ، فقال

تعالى ذكره : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » ، يعنى بذلك : وليس الله يا محمد =

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ - ٣/٢٢٨ : ٣٣٥ .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف في فهارس اللغة مادة « آيا » .

(٣) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ - ٤١١ ، ٥٦٦ - ٥٧٠ / ٤٦٦ : ٦

(٤) في المطبوعة : « أن من عاقبه » ، وأثبت ما في المخطوطة فهو صواب . وما بين القوسين

زيادة لا بد منها يقتضيها السياق .

(٥) في المطبوعة : « بل لحق » ، وأثبت ما في المخطوطة .

بتسويد وجوه هؤلاء وإذاقتهم العذاب العظيم ، وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه إياهم في جنته = طالباً وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه = إعلالاً بذلك عباده أنه لن يصلح في حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به ، وغير ما أوعده أهل معصيته والكفر به = وإنذاراً منه هؤلاء ، وتبشيراً منه هؤلاء .

• • •

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : أنه يعاقب الذين كفروا بعد إيمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه ، ويثيب أهل الإيمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بمعهودهم التي عاهدوا عليها بما وصف أنه مثيبهم به من الخلود في جنانه ، من غير ظلم منه لأحد الفريقين فيما فعل ، لأنه لا حاجة به إلى الظلم . وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد إلى عزه عزة بظلمه إياه ، أو إلى سلطانه سلطاناً ، أو إلى ملكه ملكاً ، (١) أو إلى نقصان في بعض أسبابه يتم بها ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام . (٢) فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب ، وما في الدنيا والآخرة ، فلامعنى لظلمه أحداً ، فيجوز أن يظلم شيئاً ، لأنه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج إلى تمام ، فيتم ذلك بظلم

(١) في المطبوعة : « وإلى ملكه » بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وإلى ملكه ملكاً لنقصان في بعض أسبابه يتم بها ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام » ، وهي جملة تشبه أن تكون مستقيمة ، بيد أن الطبري أراد أن الظالم يظلم ليزداد عزة إلى عزه - أو سلطاناً إلى سلطانه - أو ملكاً إلى ملكه - أو أن يتم بظلمه ما كان ناقصاً من أسبابه . وعبارة الطبري التي أثبتتها مستقيمة جداً على طريقته في العبارة .

غيره ، تعالى الله علواً كبيراً . ولذلك قال جل ثناؤه عَقِيبُ قَوْلِهِ : « وما الله يريد ظُلماً للعالمين » ، « والله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور » .

* * *

واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » ظاهراً ، وقد تقدم اسمه ظاهراً مع قوله : « والله ما في السموات وما في الأرض » .

فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : ذلك نظير قول العرب : « أما زيدٌ فذهب زيدٌ » ، وكما قال الشاعر :^(١)

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَفَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^(٢)
فأظهر في موضع الإضمار .

* * *

وقال بعض نحوي الكوفة : ليس ذلك نظير هذا البيت ، لأن موضع « الموت »

(١) هو على بن زيد ، وقد ينسب إلى ولده سودة بن عدى ، وربما نسب لأمية بن أبي الصلت .
(٢) حسانه البحرى : ٩٨ ، شعراء الجاهلية : ٤٦٨ ، وسيبويه ١ : ٣٠ ، وخزانة الأدب ١ : ١٨٣ ، ٢ : ٥٣٤ ، ٤ : ٥٥٢ ، وأمالى ابن السجى ١ : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، وشرح شواهد المفنى : ٢٩٦ ، وهومن أبيات مفرقة في هذه الكتب وغيرها من حكمة على في تأمل الحياة والموت ، يقول قبل البيت :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَأَخَذَرْنَهَا لَا تَبَيِّنَنَّ قَدْ أُمِنْتَ الدُّهُورَا
قَدْ بَنَانُ الْفَتَى صَحِيحاً فَيَرْدَى ، وَأَقْدَ بَاتَ آمِنَا مَسْرُورَا
لَا أَرَى الْمَوْتَ

ثم يقول بعد أبيات :

أَيُّنَ أَيْنَ الْفِرَارُ مِمَّا سَيَأْتِي لَا أَرَى طَائِراً نَجَا أَنْ يَطِيرَا

ويقول : غنى الناس وفقيرهم ، في هم مفسد عليه حياته من مخافة هذا الموت . ومن ترقبه ، هذا يخاف أن يسبقه الموت إلى ماله الذى جمع ، وذلك يفرغ أن يسبقه الردى إلى ما يقول من متاع الدنيا . وكان هذا البيت في المخطوطة فاسداً محرفاً ناقصاً ، وهو في المطبوعة سوى مستقيم .

الثاني في البيت .وضع كناية ، لأنه كلمة واحدة ، (١) وليس ذلك كذلك في الآية ، لأن قوله : « ولله ما في السموات وما في الأرض » خبر ، ليس من قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » في شيء . وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارقة معناها معنى الأخرى : مكتفية كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة إلى الأخرى . وما قال الشاعر : « لا أرى الموت » ، محتاج إلى تمام الخبر عنه . (٢)

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجه معانيه وما فيه من البيان ، (٣) إلى الشواذ من الكلام والمعاني ، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم ، وجه صحيح موجود .

٢٩/٤

وأما قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » فإنه يعنى تعالى ذكره : إلى الله مصير أمر جميع خلقه ، الصالح منهم والطالح ، والمحسن والمسيء ، فيجازى كلاً على قدر استحقاقهم منه الجزاء ، بغير ظلم منه أحداً منهم .

. . .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

(١) الكناية : هو التفسير في اصطلاح بقية النحويين .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « كما قال الشاعر » ، وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت .

(٣) في المطبوعة : « لا يؤخذ معانيه » ، وفي المخطوطة : « لا يؤخذ » غير منقوطة ، وصواب

قراءتها ما أثبت ، والناسخ كثير التصحيف كما علمت ، والدال هي الهاء في آخر الكلمة .

إلى المدينة خاصة ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 « ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،
 عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال في « كنتم خير أمة
 أخرجت للناس » ، قال : هم الذين خرجوا معه من مكة .

٧٦٠٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن سماك ،
 عن عكرمة ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم
 الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

٧٦٠٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ،
 عن السدي : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ،
 قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : « أنتم » فكنا كلنا ، ولكن قال : « كنتم »
 في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم ،
 كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

٧٦٠٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ،
 قال ابن جريج قال ، عكرمة : نزلت في ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ،
 وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

٧٦١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل ،
 عن السدي عن حدثه : قال عمر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال :
 تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا .

٧٦١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ،
 عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة
 أخرجت للناس » ، قال : هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .^(١)

٧٦١٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجتها ورأى من الناس رعة سيئة ، ^(١) فقرأ هذه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، من سره أن يكون من تلك الأمة ، فليؤد شرط الله منها . ^(٢) »

٧٦١٣ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يعنى = وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم . ^(٣) »

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، إذا كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جل ثناؤه بها . فكان تأويل ذلك عندهم : كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، أخرجوا للناس في زمانكم .

• ذكر من قال ذلك :

٧٦١٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن نجيب ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، يقول : على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله = يقول : لمن أنتم بين ظهرانيه ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٢٢] .

٧٦١٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

وإسناده صحيح . وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٩٤ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

(١) الرعة (بكسر الراء وفتح العين) أصلها من الورع ، مثل « العدة » من « الوعد » . والرعة : الهدى وسوء الهيئة أو حسن الهيئة ، أى هي بمعنى : الشأن والأمر والأدب . وفي حديث الحسن : « ازدحموا عليه فرأى منهم رعة سيئة فقال : اللهم إليك » ، أى سوء أدب ، لم يحسنوا الكف مما يشين .

(٢) قوله : « شرط الله منها » ، أى شرط الله الذي طلبه منها .

(٣) قد مضى تفسير معنى « الرواة » في الأثر رقم ٧٥٩٧ ، والتعليق عليه .

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال يقول : كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر . وتؤمنوا بالله = يقول : لمن بين ظهريه ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٢٢] .

٧٦١٦ - وحديثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، ٣٠/٤
عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : كنتم
خير الناس للناس ، تعجبون بهم في السلاسل ، تدخلونهم في الإسلام .^(١)
٧٦١٧ - حدثنا عبيد بن أسباط قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ،
عن عطية في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : خير الناس للناس .
وقال آخرون : إنما قيل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، لأنهم أكثر
الأمم استجابة للإسلام .
• ذكر من قال ذلك :

٧٦١٨ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ،^(٢) حدثنا ابن أبي جعفر ، عن
أبيه ، عن الربيع قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر » ، قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ،
فمن ثم قال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .
• • •

(١) الأثر : ٧٦١٦ - أخرجه البخاري من طريق محمد بن سفيان عن ميسرة . (الفتح ٨ : ١٦٩) وقال الحافظ : « ميسرة : هو ابن عمار الأشجعي ، كوفي ثقة ماله في البخاري سوى هذا الحديث وآخر تقدم في بدء الخلق » . و « أبو حازم » هو « سليمان الأشجعي الكوفي » ، وفي الفتح « سليمان » ، وهو خطأ وتصحيح . ولفظ البخاري : « تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ، حتى يدخلوا في الإسلام » .

وقد استوفى الحافظ في هذا الموضع ، الحديث عن معنى الآية ، وذكر أكثر الآثار التي سلفت ،
والتي ستأتي بعد .

(٢) في المطبوعة : « عمار بن الحسين » ، وهو خطأ ، والسواب في المخطوطة .

وقال بعضهم : عني بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

» ذكر من قال ذلك :

٧٦١٩ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ،

عن الحسن في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال : قد كان ما تسمع من الخير في هذه الأمة .

٧٦٢٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قال : كان الحسن يقول : نحن آخرها وأكرمها على الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ، وذلك أن :

٧٦٢١ - يعقوب بن إبراهيم حدثني قال ، حدثنا ابن عليه ، عن بهز بن

حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنكم وفيتم سبعين أمة ، أنتم آخرها وأكرمها على الله .

٧٦٢٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : أنتم تتمون سبعين أمة : أنتم خيرها وأكرمها على الله .^(١)

(١) الحديثان : ٧٦٢١ ، ٧٦٢٢ - هما حديث واحد بإسنادين . وقد مضى بالإسنادين معاً

بمعمرين ، برقم : ٨٧٣ . وقد خرجناه هناك مفصلاً ، وأشرنا إلى مواضعه هنا في طبعة بولاق .

ونزيد هنا أنه رواه أيضاً الحاكم في المستدرك ٤ : ٨٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، بالإسناد الثاني هنا . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ثم أشار الحاكم إلى متابعة سعيد الجريري ، بروايته إياه عن حكيم بن معاوية . ثم رواه من طريق يزيد بن هرون ، عن الجريري .

ورواية الجريري سبق أن خرجناها هناك من رواية أحمد في المسند .

وذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٦٩ ، مشيراً إلى رواية الطبري إياه ، ثم قال : « وهو حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي وحسنه . وابن ماجه ، والحاكم وصححه » .

وقد ورد معناه أيضاً ، ضمن حديث مطول عن أبي سعيد الخدري ، مرفوعاً ، رواه أحمد في المسند : ١١٦٠٩ (ج ٣ ص ٦١ طبع) . وإسناده صحيح .

٧٦٢٣- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره إلى الكعبة : نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة ، نحن آخرها وخيرها .

* * *

وأما قوله : « تأمرون بالمعروف » ، فإنه يعنى : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بشرائعه = « وتنهون عن المنكر » ، يعنى : وتنهون عن الشرك بالله . وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه ، كما : —

٧٦٢٤- حدثنا على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال . حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . يقول : تأمروهم بالمعروف : أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه ، و « لا إله إلا الله » ، هو أعظم المعروف = وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر .

* * *

وأصل « المعروف » كل ما كان معروفًا فتمناه ، جميلًا مستحسنًا . (١) غير مستقيم في أهل الإيمان بالله ، وإنما سميت طاعة الله « معروفًا » ، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله . (٢)

* * *

وأصل « المنكر » ، ما أنكره الله ، ورأوه قبيحاً فعله . ولذلك سميت معصية الله « منكراً » ، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ، ويستعظمون رُكوبها . (٣)

* * *

وقوله : « وتؤمنون بالله » ، يعنى : تصدقون بالله ، فتخلصون له التوحيد والعبادة .

* * *

(١) في المطبوعة : « كل ما كان معروفًا ، فعمله جميل مستحسن » ، غير وانظر المخطوطة . فأنما منهم أنه غير مستقيم ، وهو أحسن استقامة مما أثبتوا ! بل هو الصواب المحض .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف قريباً ص : ٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف قريباً ص : ٩١ .

قال أبو جعفر : فإن سأل سائل فقال : وكيف قيل : « كنتم خير أمة » ، وقد زعمت أن تأويل الآية : أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت ، وإنما يقال : « كنتم خير أمة » ، لقوم كانوا خياراً فتغيروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهب إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة ، كما قيل : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٦] ، وقد قال في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد ، لأن الكلام معروف معناه .^(١)

ولو قال أيضاً في ذلك قائل : « كنتم » ، بمعنى التمام ، كان تأويله : خلقتم خير أمة = أو : وجدتكم خير أمة ، كان معنى صحيحاً .

• • •

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ ، أخرجت للناس .

• • •

والقولان الأولان اللذان قلنا ، أشبهُ بمعنى الخبر الذي روينا قبلُ .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : « الأمة » ، الطريقة .^(٢)

• • •

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيها سلف : ١ / ٢٢١ ثم هذا ص ٩٠ ، والمراجع هناك في التعليق .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدّق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله ، لكان خيراً لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم = « منهم المؤمنون » ، يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله ، وهم : عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سَعِيَّة وأخوه ، (١) وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله = « وأكثرهم الفاسقون » ، يعنى : الخارجون عن دينهم. (٢) وذلك أن من دين اليهود اتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن دين النصارى اتباع ما فى الإنجيل ، والتصديق به وبما فى التوراة ، وفى كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ، (٣) وأنه نبي الله . وكلتا الفرقتين — أعنى اليهود والنصارى — مكذّبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به ، الذى قال جل ثناؤه : « وأكثرهم الفاسقون » .

• • •

وقال قتادة بما : —

(١) فى المطبوعة : « ثعلبة بن سعيّد » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته من المخطوطة و « سعية » بالسين المهملة المفتوحة والياء المنقوطة باثنين . وسيأتى على الصواب فى خبر إسلامه وإسلام أخيه ، بعد قليل ، رقم : ٧٦٤٤ .

(٢) انظر تفسيره « الفسق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٢/٤١٠ ، ١١٨ ، ٤/٣٩٩ : ١٣٥ —

٩١ : ٦/١٤١

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وفى كل الكتابين . . . » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبت .

٧٦٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ، ذم الله أكثر الناس .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضرركم ، يا أهل الإيمان بالله ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً = « إلا أذى » ، يعنى بذلك : ولكنهم يؤذونكم بشركهم ، وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ، ودعائهم إياكم إلى الضلالة ، ولن يضرركم بذلك .^(١)

• • •

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : « ما اشتكى شيئاً إلا خيراً » ، وهذه كلمة محكية عن العرب سمعاً .

• • •

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٧٦٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لن يضرركم إلا أذى » ، يقول : لن يضرركم ، إلا أذى تسمعونهم .
٧٦٢٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « لن يضرركم إلا أذى » ، قال : أذى تسمعونهم .
٧٦٢٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) فى المطبوعة : « ولا يضرركم » ، وفى المخطوطة : « ولا يضرركم » ، والصواب هو ما أثبت .

ابن جريج قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، قال : إشرأفهم في عزير وعيسى والصليب .

٧٦٢٩ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « لن يضروكم إلا أذى » الآية ، قال : تسمعون منهم كذباً على الله ، يدعونكم إلى الضلالة .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم ، فيولوكم أديبارهم انهزاماً .

• • •

فقوله : « يولوكم الأديبار » ، كناية عن انهزامهم ، لأن المهزم يحول ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ وموئل يثل إليه منه ، خوفاً على نفسه ، والطالب في أثره . فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازم .

• • •

= « ثم لا ينصرون » ، يعني : ثم لا ينصرهم الله ، أيها المؤمنون ، عليكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم . لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوبهم ، فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم . (١)

• • •

(١) في المطبوعة : « قد ألقى الرعب في قلوب كائلكم » ، وهو تصحيح لما في المخطوطة : « قد ألقى الرعب في قلوب فأيدكم » ، وظاهر أن « قلوب » صوابها « قلوبهم » ، واستقام الكلام على ما في المخطوطة .

وهذا وعدٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان ، نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب .

• • •

ولما رفع قوله : « ثم لا ينصرون » وقد جزم قوله : « يولوكم الأدبار » ، على جواب الجزاء ، اثتافاً للكلام ، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون ، فألحق هذه بها ، كما قال : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾ [سورة المرات : ٣٦] ، رفعاً ، وقد قال في موضع آخر : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ [سورة فاطر : ٢٦] ، إذ لم يكن رأس آية . (١)

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَوْنَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ » ، ألزموا الذَّلَّةَ . و « الذَّلَّةُ » « الفعلة » من « الذل » ، وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع . (٢)

٣٢/٤

• • •

« أَيْنَا ثَقَفُوا » يعنى : حيثما لقوا . (٣)

• • •

يقول جل ثناؤه : ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذَّلَّةَ أينما كانوا من الأرض ، وبأى مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركون = « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، كما : —

٧٦٣٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا هوزة قال ، حدثنا عوف ، عن

(١) انظر معاني القرآن لفراء ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « ضربت عليهم الذلة » فيما سلف ٢ : ١٣٦ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٥٦٤ .

الحسن في قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » ، ^(١) قال : أدركتهم هذه الأمة ، وإن المجوس لتجبيهم الجزية .

٧٦٣١ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : أذلهم الله فلا منعة لهم ، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين .

• • •

وأما « الحبل » الذي ذكره الله في هذا الموضع ، ^(٢) فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم ، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام ، كما : -

٧٦٣٢ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إلا بحبل من الله » ، قال : بعهد = « وحبل من الناس » ، قال : بعهدهم .

٧٦٣٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : « إلا بعهد من الله وعهد من الناس » .

٧٦٣٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٧٦٣٥ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد ، عن عثمان بن غياث قال ، « عكرمة يقول : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : بعهد من الله وعهد من الناس » .

(١) سقط من النسخ : « وباؤوا بغضب من الله » ، ونسخت حل ذلك المطبوعة ، فأثبت وجه التلاوة .

(٢) انظر تفسير « الحبل » فيما سلف قريباً ص : ٧٠ ، ٧١ .

(٣) في المخطوطة : « عثمان بن خطاب » ، والصواب ما في المطبوعة .

٧٦٣٦ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى :
« إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله وعهد من
الناس .

٧٦٣٧ - حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع قوله : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله
وعهد من الناس .

٧٦٣٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أيما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل
من الناس » ، فهو عهد من الله وعهد من الناس ، كما يقول الرجل : « ذمة الله
وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » ، فهو الميثاق .

٧٦٣٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
ابن جريج قال ، قال مجاهد : « أيما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ،
قال : بعهد من الله وعهد من الناس لهم = قال ابن جريج ، وقال عطاء ، العهد
حبل الله .

٧٦٤٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :
« أيما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : إلا بعهد ، وهم يهود . قال :
والحبل العهد . قال : وذلك قول أبي الهيثم بن التيسهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين أئته الأنصار في العقبة : « أيها الرجل ، إنا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس » ،
يقول : عهودا ، قال : واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله إلا بهذا الحبل الذي
قال الله عز وجل . ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٥] ، قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم
فوق يهود في شرق ولا غرب ، هم في البلدان كلها مستذلون ، قال الله : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ

فِي الْأَرْضِ أَمَّا ﴿ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، يهود . (١)

٧٦٤١ - حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک في قوله : « إِلَّا بِجِبِلٍّ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلٍّ مِنَ النَّاسِ » ، يقول : بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٤٢ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاک مثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب « الباء » في قوله : « إِلَّا بِجِبِلٍّ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلٍّ مِنَ النَّاسِ » ، فقال بعض نحوي الكوفة : (٢) الذي جلب « الباء » في قوله « بِجِبِلٍّ » ، فعل مضمر قد ترك ذكره . قال : ومعنى الكلام : ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إِلَّا أَنْ يَعْتَصِمُوا بِجِبِلٍّ مِنَ اللَّهِ = فأضمر ذلك ، واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر : (٣)

٢٣/٤

رَأَيْتُنِي بِجِبِلِّيَّهَا فَصَدَّتْ حَخَافَةٌ وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْقَوَادِرِ فَرُوقٌ (٤)

وقال : أراد : أقبلت بجبليها ، وبقول الآخر : (٥)

(١) الأثر : ٧٦٤٠ - مضي مختصراً برقم : ٧١٥٥ .

(٢) هو الفراء ، في معاني القرآن ١ : ٢٣٠ .

(٣) هو حميد بن ثور الهذلي .

(٤) ديوانه : ٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٠ ، واللسان (نسخ) و (فرق) وفي رواية

البيت في مادة (فرق) خطأ قبيح وتصحيح ، صوابه ما في التفسير هنا . وأما رواية الديوان فهي :

فَجِئْتُ بِجِبِلِّيَّهَا ، فَكَدَّتْ حَخَافَةٌ إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فَرُوقٌ

و « روعاء الجنان » : شديدة الذكاء ، حية النفس ، شهمة ، كأن بها فرعاً من حديثها وخفة روحها . و « فروق » : شديدة الفرع . لم يرد ذماً ، ولكنه مدح ناقتة بجدة الفؤاد ، تفرع لكل نبأ من يقطتها ، كما قالوا في مدحها : « مجنونة » . يقول ذلك في ناقتة : رأيتني أقبلت بالحبلى ، لأشد عليها رحل ، فصدت خائفة . يصفها بأنها كريمة لم تبتذلها الأسفار . ثم قال : فلما شددت عليها الرحل ، كانت في الحبلى ذكية شهمة ، تتوجس لكل نبأ من يقطتها وتوقها .

(٥) هو أبو الطمحان القتيبي ، حنظلة بن الشرق ، من بني كنانة بن القين . وهو أحد المعمرين وينسب هذا الشعر أيضاً لعلى بن زيد ، والمسحاج بن سباع الضبي .

حَنْدَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَصِيدٍ^(١)
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقِيدًا ، أَنَّى بِقِيدٍ

يريد : مقيداً بقيد .

فأوجب إعمال فعل محذوف ، وإظهار صلته وهو متروك .^(٢) وذلك في مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دال على صحة دعواه ، لأن في قول الشاعر : « رأيتني بجلبها » دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكاً . ففي إخباره عنها أنها « رأته بجلبها » ، إخباراً منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين . فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر « الإمساك » ، وكانت « الباء » صلة لقوله : « رأيتني » ، كما قول القائل :^(٣) « أنا بالله » ، مكتفٍ بنفسه ، ومعرفة السامع معناه ، أن تكون « الباء » محتاجة إلى كلام يكون لها جالِباً غير الذي ظهر ، وأن المعنى : « أنا بالله مستعين » .

* * *

(١) كتاب الممرين : ٥٧ ، ومعاني القرآن للقراء : ٢٣٠ ، والأغاني ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، وفيه أيضاً ١٢ : ٣٤٧ ، وحاشية البحري : ٢٠٢ ، وأمالى التال : ١ : ١١٠ ، وأمالى الشريف ١ : ٤٦ ، ٢٥٧ ، وبمجموعة المعاني : ١٢٣ ، والمعاني الكبير : ١٢١٤ ، مع اختلاف كبير في الرواية ، واللسان (ختل) ، وغيرها . هذا ، وقد اقتصر المطبوعة والمخطوطة على البيت الأول ، وهو عمل فاسد جداً ، وليس من فعل أبي جعفر بلا شك ، ولكنه من سهو الناسخ . لأن أبا جعفر نقل مقالة الفراء في معاني القرآن ، وإسقاط البيت الثاني ، وهو بيت الشاهد ، فساد عظيم ، فأثبت البيت ، وأثبت أيضاً تعقيب الفراء عليه ، وهو قوله : « يريد مقيداً بقيد » ، ولم أضع هذا بين أقواس ، لأن سهو الناسخ أمر مقطوع به بالدليل البين .

وكان في المخطوطة والمطبوعة : « أحنولصيد » ، وهو تصحيف لا شك فيه . ذلك أن أبا جعفر إنما ينقل مقالة الفراء ، وهو في كتاب الفراء ، وفيما نقله عنه الناقلون في المراجع السالفة ، هو الذي أثبتته . هذا مع ظهور التصحيف وقربه ، ومع فساد معنى هذا التصحيف ، ومع فقدان هذه الرواية الغريبة . وقوله : « خاتل » ، يعنى صائداً ، يقال : « ختل الصيد » ، أى : استتر الصائد بشيء ليرى الصيد ، فهو في سبيل ذلك يمشى قليلاً قليلاً في خفية ، لئلا يسمع الصيد حسه . فهذا هو الختل والمخاتلة .

(٢) « الصلة » هنا : الجار والمجرور .

(٣) في المطبوعة : « كما في قول القائل » بزيادة « في » ، وهي أشد إفساداً للكلام من تصحيف هذا الناسخ في بعض ما يكتب . وقوله : « مكتفٍ بنفسه » خبر لقوله : « كما قول القائل » وقوله : « ومعرفة السامع » معطوف على قوله : « بنفسه » أى : مكتفٍ بنفسه وبمعرفة السامع معناه .

وقال بعض نحوي البصرة ، قوله : « إلاّ بحبل من الله » استثناء خارج من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمُونَ فِيهَا لِقَوْا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم : ٦٢]

• • •

وقال آخرون من نحوي الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى : ضربت عليهم الدلة أينما ثقفوا . أى : بكل مكان = إلاّ بموضع حبل من الله ، كما تقول : ضربت عليهم الدلة في الأمكنة إلاّ في هذا المكان .

• • •

وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل . وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلاً كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة . وليس ذلك صفة اليهود ، لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله عز وجل وبغير حبل من الناس ، فالدلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل . فلو كان قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، استثناء متصلاً ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمه أن لا تكون الدلة مضروبة عليهم . وذلك بخلاف ما وصفتهم الله به من صفتهم : وخلاف ما تم به من الصفة ، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً .

• • •

قال أبو جعفر : ولكن القول عندنا أن « الباء » في قوله : « إلاّ بحبل من الله » ، ابتدأت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتضى في النحوي « الباء » . وذلك أن معنى قوله : « ضربت عليهم الدلة أينما ثقفوا » ضربت عليهم الدلة بكل مكان ، ثم قال : « إلاّ بحبل من الله وبحبل من الناس » على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه . ومعناه : ولكن بثقفون بحبل من الله وبحبل من الناس ،

كما قيل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾ [سورة النساء : ٩٢] ، فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيها قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : « إلا خطأ » ، فإن له قتله كذلك = ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذاك قوله : « أينما ثقفوا إلا ببجل من الله » ، وإن كان الذى جلب « الباء » التى بعد « إلا » الفعل الذى يقتضيها قبل « إلا » ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله ، بمعنى : أن القوم إذا لُفوا ، فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة بكل حال . ولكن معناه ما بينا آنفاً .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وباؤوا بغضب من الله » ، وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقين . وقد بينا أصل ذلك بشواهد ، ومعنى « المسكنة » وأنها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ، ومعنى : « الغضب من الله » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .^(١)

• • •

وقوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » ، يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلك » ، أى : يؤءهم الذى باؤوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم ، بدل مما كانوا

(١) انظر تفسير « باء » فيها سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥ . وتفسير « غضب الله » ١ : ١٨٨ ، ٢ : ١٨٩ ، ٣٤٥ . وتفسير « ضربت عليهم » ٢ : ١٣٦ / ١١٠ : ٧ . وتفسير « المسكنة » ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ / ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٢٩٥ .

يكفرون بآيات الله = يقول : مما كانوا يحسدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه = « ويقتلون الأنبياء بغير حق » ، يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله إليهم ، اعتداءً على الله وجرأة عليه بالباطل ، وبغير حق . ٤ . استحقوا منهم القتل .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ألزموا الذلة بأى مكان لقوا ، إلا بذمة من الله وذمة من الناس ، وانصرفوا بغضب من الله متحمله ، وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر ، بدلا مما كانوا يحسدون بآيات الله وأدلته وحججه ، ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلماً واعتداءً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : ينول تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربهم ، واعتدائهم أمر ربهم .

* * *

وقد بينا معنى « الاعتداء » فى غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته . (١)

* * *

فأعلم ربنا جل ثناؤه عبادته ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب ، من إحلال الذلة والخزى بهم فى عاجل الدنيا ، مع ما ذخر لهم فى الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب ؛ (٢) إذ تعدوا حدود الله واستحلوا محارمه = تذكروا منه تعالى ذكره

(١) انظر ما سلف : ١ (٢) : ١٦٧ ، ٣/٣٠٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٨٠ / ٤ .

٥٨١ ، وغيره .

(٢) فى المصنوع : ومع ما ذخر لهم ، وأثبت ما فى الخطوبة ، وما سلف فى المغزى

لهم ، وتنبهوا على موضع البلاء الذي من قبائمه أتوا لينبؤا ويذكروا ، وعِظَةٌ منه لأممتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا مناهجهم ، ^(١) فيسلك بهم مسالكهم ، ويحل بهم من نعم الله ومثلاته ما أحل بهم ، كما : —

٧٦٤٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، اجتنبوا المعصية والعدوان ، فإن بهما أهلك من أهلك قبلكم من الناس .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ لَبَسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَمَلَّوْنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ^(١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه « لبسوا سواء » ، ليس فريقاً أهل الكتاب ، أهل الإيمان منهم والكفر : سواء . يعنى بذلك : أنهم غير متساوين . يقول : لبسوا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد ، والخير والشر . ^(٢)

• • •

وإنما قيل : « لبسوا سواء » ، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(١) ، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده ، المؤمنة منهما والكافرة فقال : « لبسوا سواء » ، أى : ليس هؤلاء سواء ، المؤمنون منهم والكافرون . ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل

(١) في المطبوعة : « منها جهه » . وأثبت ما في المخطوطة ، وهو أجود .

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢٥٦ .

(٣) هى الآية السالفة قبل قليل : ١١٠ من سورة آل عمران .

الكتاب ، ومدحهم وأثنى عليهم ، بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ، ونَحْشِ الْجَنَانِ ،^(١) ومحالفة الذل والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال : « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » ، الآيات الثلاث إلى قوله : « والله عليم بالمتقين » .

فقوله :^(٢) « أمة قائمة » مرفوعة بقوله : « من أهل الكتاب » .

وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم :^(٣) أن ما بعد « سواء » في هذا الموضع من قوله : « أمة قائمة » ، ترجمة عن « سواء » وتفسير عنه ،^(٤) بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة . وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ، ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين ، وهي « الأمة القائمة » ، ومثّلوه بقول أبي ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ : إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَذْرِي أَرُشِدُ طَلَابُهَا؟^(٥)

ولم يقل : « أم غير رشد » ، اكتفاء بقوله : « أرشد » من ذكر « أم غير رشد » ، وبقول الآخر :^(٦)

أَرَاكَ فَلَا أَذْرِي أَهْمٌ هَمُّهُ ؟ وَذُو الْهَمِّ قَدِمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ^(٧)

(١) النخب (بفتح فسكون) : الجن وضعف القلب . ورجل منحوب الجنان ونخب الجنان : جبان لا قلب له ، كأنه منترع الفؤاد فلا فؤاد له .

(٢) في المطبوعة : « قوله » بغير فاء في أولها ، والصواب من المخطوطة .

(٣) معنى القراء في معاني القرآن ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وهذا قريب من نص كلامه ، وبعض شواهد .

(٤) الترجمة : يعنى البذل ، وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٢ : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، وغيرها من المواضع في فهرس المصطلحات .

(٥) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١ : ٣٢٧ .

(٦) لم أعرف قائله .

(٧) معاني القرآن للقراء ١ : ٢٣١ . وكان في المطبوعة : « أزال فلا أدرى . . . » ، وهو

قال أبو جعفر : وهو مع ذلك عندهم خطأ قولُ القائل المرید أن يقول : « سواء أقمّت أم قعدت » = : « سواء أقمّت » ، حتى يقول : « أم قعدت » . وإنما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد ، دون ما كان ناقصاً عن ذلك ، وذلك نحو : « ما أبالي » أو « ما أدري » ، فأجازوا في ذلك : « ما أبالي أقمّت » ، وهم يريدون : « ما أبالي أقمّت أم قعدت » ، لا اكتفاء « ما أبالي » بواحد = وكذلك في « ما أدري » . وأبوا الإجازة في « سواء » ، من أجل نقصانه ، وأنه غير مكتفٍ بواحد ، فأغفلوا في توجيههم قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » على ما حكينا عنهم ، إلى ما وجهوه إليه — مذاهبهم في العربية = (١) إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع « سواء » ، وأخطأوا تأويل الآية . فـ « سواء » في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء ، لا بالمعنى الذي تأولّه من حكينا قوله .

• • •

وقد ذكر أن قوله : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآيات الثلاث ، نزلت في جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم .
 • ذكر من قال ذلك :

٧٦٤٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعْنَة ، وأَسَيْد بن سعية ، وأسد ابن عُبَيْد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام ، ورضخوا

لا معنى له ، والصواب من المخطوطة ومعاني القرآن . ولست أدري أيخاطب امرأة فيقول لها : إن الهن يظنّني إذا رأيته . فأنأ له خاشع متضائل = أم هو يريد الهن والفتك ، فيقول : إن الذي يضمّر في نفسه شيئاً يهيم به من الفتك ، يخشى شخصه حتى يبلغ غاية تأره بعموه . ولا أرجح شيئاً حتى أجد إخوة هذا البيت (١) قوله : « مذاهبهم » مفعول « فأغفلوا » . والبيان : فأغفلوا في توجيههم قوله إلى ما وجهوه إليه — مذاهبهم في العربية . . .

فيه ، ^(١) قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ! ^(٢) ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله » إلى قوله : « وأولئك من الصالحين » . ^(٣)

٧٦٤٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، ^(٤) عن محمد بن إسحق قال ، حدثني بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه . ^(٥)

٧٦٤٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية ، يقول : ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية . ^(٥)

٧٦٤٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « أمة قائمة » ، عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية ، ^(٦) ومبشر ، وأسيد وأسد ابنا كعب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله ، سواء عند الله .
• ذكر من قال ذلك :

(١) في المطبوعة : « وسحرا فيه » ، وفي المخطوطة : « وسحرا » غير منقوطة ، وهي تصحيف للنسبة أثبتته من سيرة ابن هشام .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أشرارنا » كما أثبتتها ، والذي في سيرة ابن هشام « شرارنا » . وهي أجود .

(٣) الأثران : ٧٦٤٤ ، ٧٦٤٥ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : « يونس عن بكير » ، وهو خطأ ، وهذا إسناد كثير الدوران في التفسير أقرب رقم ٧٣٣٤ .

(٥) في المخطوطة « قد فهم بله » غير منقوطة ، وتركت ما في المطبوعة ، لأنه وافق ما في الدر المنثور ٢ : ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) في المطبوعة : « شعية » ، وأثبت ما في المخطوطة .

٧٦٤٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح . عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمة » ، قال : لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

٧٦٤٩ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود ، كمثل هذه الأمة التي هي قائمة .

قال أبو جعفر : وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك ، قول من قال : قد تمت القصة عند قوله : « ليسوا سواء » ، عن إخبار الله بأمر مؤمنين أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله : « من أهل الكتاب أمه قائمة » ، خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج .

ويعني جل ثناؤه بقوله : « أمة قائمة » ، جماعة ثابتة على الحق .

وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى بما أغنى عن إعادته . (٢)

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناها : العادلة .

* ذكر من قال ذلك :

(١) الحديث : ٧٦٤٨ - أبو عاصم : هو النزيل ، الضحاك بن مخلد . مضى في : ٢١٥٥ .

عيسى : هو ابن ميمون الجرجسي الكوفي . مضى في : ٢٧٨ .

الحسن بن يزيد العجلي : تابعي ثقة . ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ، ٣٠٦/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٤٢/٢/١ - فلم يذكر فيه جرحاً .

وهذا الحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٢٤ ، عن ابن أبي نجيح ، غير منسوب لتخريج .

وسأئله بقية هذا الإسناد : ٧٦٦٠ . وقد جمعهما السيوطي حديثاً واحداً ٢ : ٦٥ ، كما سيأتى هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ١٠٦ والتعليق : ٢ ، وفيه المراجع .

٧٦٥٠- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أمة قائمة » ، قال : عادلة .

• • •

وقال الآخرون : بل معنى ذلك : أنها قائمة على كتاب الله وأمر به فيه .
• ذكر من قال ذلك :

٧٦٥١- حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

٧٦٥٢- حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه .

٧٦٥٣- حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « من أهل الكتاب أمة قائمة » ، يقول : أمة مهتدية ، قائمة على أمر الله ، لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه .

• • •

وقال آخرون : بل معنى « قائمة » ، مطيعة .

• ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٤- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أمة قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة لله . و« القائمة » ، المطيعة .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، ما قاله ابن

عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الآخر ٢٦/٤ متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك . وذلك أن معنى قوله : « قائمة » ، مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، والعدل والطاعة

وغير ذلك من أسباب الخير ، ^(١) من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظير ذلك ، الخبر الذي رواه النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٦٥٥ - « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم ركبوا سفينة » ، ثم ضرب لهم مثلاً . ^(٢)

* * *

فالقائم على حدود الله : هو الثابت على التمسك بما أمره الله به ، واجتناب ما نهاه الله عنه .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتمضة بكتاب الله ، متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وما سن لهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « بالعدل والطاعة . . . » ، وهو خطأ وفساد كبير في السياق ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبري فسر « قائمة » بمعنى مستقيمة ، ثم ذكر أقوال أهل التأويل التي قالوها قبل من « العدل » و « الطاعة » ، ثم قال إنها « من صفة أهل الاستقامة » . فهي بذلك داخلة في معنى « قائمة » كما فسرنا .

(٢) الحديث : ٧٦٥٥ - هذا حديث صحيح ، أشار إليه الطبري إشارة ، دون أن يذكره بتمامه ، ولم يذكر إسناده .

وقد رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٦٨ (حلي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله تعالى ، والمُذهِن فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أسفلها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها يَصْعَدُونَ فَيَسْتَمْتُونَ الماء ، فيَقْسِبُونَ على الذين في أعلاها ، فقال الذين في أعلاها : لا ندعكم تَصْعَدُونَ فتَوَدُّوننا ، فقال الذين في أسفلها : فَإِنَّا نَنقُبُهَا من أسفلها فنَسْتَنِي ! قال : فَإِن أَخْذَلَهَا على أيديهم نَمَتُّهُمْ نَمَتًا جَمِيعًا ، وَإِن تَرَكَوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا » .

القول في تأويل قوله ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « يتلون آيات الله » ، يقرأون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : « آيات الله » ، ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ . يقول : يتلون ذلك آناء الليل ، يقول : في ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه .

• • •

وأما « آناء الليل » ، فساعات الليل ، واحدها « إنسي » ، كما قال الشاعر :
حُلُوٌّ وَمَرٌّ كَهَطْفِ الْقِدْحِ مَرَّتُهُ فِي كُلِّ إِنِّي حَدَّاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ^(١)

ثم رواه أحمد أيضاً ٤ : ٢٦٩ ، عن يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، و ٢٧٠ ، عن إسحق بن يوسف ، عن زكريا بن أبي زائدة ، و ٢٧٣ - ٢٧٤ ، عن سفيان ، عن مجاهد - كلاهما ، أعنى زكريا ومجاهد ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، نحوه .

ورواه البخارى ٥ : ٩٤ (فتح) ، عن أبي نعيم ، عن زكريا ، عن الشعبي .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢١٦ : ٢١٧ ، عن عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن الشعبي ، به نحوه .

(١) هو المتنخل الهذلي ، ولكنه سيأتى في الطبرى منسوباً إلى « المتنخل السجسي » ، وهو خطأ حقيقته في موضعه بعد .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٣٥ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ ، واللسان « أن » ، وسيأتى من التفسير ١٦ : ١٦٨ (يولاق) ، من قصيدته في رثاء ابنه أثيلة ، والبيت في صفة ولده ، وقد رواه ابن الأنبارى ، كما جاء في اللسان :

السَّالِكُ النَّفَرُ خَشِيًّا مَوَارِدُهُ بِكُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

فذكر الأزهري رواية ابن الأنبارى ، وقال : وأنشده الجوهري ، ثم ساق البيت كما هو في التفسير ، ثم قال : « ونسب أيضاً المتنخل » ، فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى . وهذا كلام لا شك في ضعفه ، والذي رواه ابن الأنبارى خلط خلطه من بيت آخر في القصيدة ، أخطأ في روايته . وهو قوله قبل ذلك بأبيات :

السَّالِكُ النَّفَرَةَ يَتَقَطَّانَ كَالْهَيَا مَشَى الْهَلُوكِ عَلَيْهَا الْخَيْمِلُ الْفُضْلُ

وقد قيل إنَّ واحدَ «الآناء» ، «إِنِّي» مقصور ، كما واحد «الأمعاء» «مِيعَى» .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل ، كما قلنا .

ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« يتلون آيات الله آناء الليل » ، أى : ساعات الليل .

٧٦٥٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع قال : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

٧٦٥٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ،

قال ابن جريج ، قال ، عبد الله بن كثير : سمعنا العرب تقول : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

* * *

وقال آخرون : « آناء الليل » ، جوف الليل .

ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

أسيوط ، عن السامى : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، أما « آناء الليل » ، فجوف الليل .

وأما معنى البيت الذى رواه في التفسير ، فإنه يعنى بقوله : « حلوا ومر » ، أنه سهل لمن لايته ، من حيث من خاشعة . وقوله : « أنطق القدح » ، يريد أنه يطوى كما يطوى القدح ثم يعود إلى شدته واستقامته . والمرة : القوة والقدرة . ورواية الديوان والطبرى « حذاء الليل » ، أى قدامه الليل حذاء ، ويرى العرب في المعنى بقوله : « قضاة » ، لأن معنى « قضاء » : أى صدمه وقدره وفصله . وانتحل الليل : انتحل الليل ، أى سرى فيه ، سافل بما يلقى .

وأما ، فقد كان في الأصلية من التفسير : « قضاء الليل » ، نقاه فاشترى من مكان غير التفسير ، لأن في المخطوطة « حذاء » غير منقوطة ، فلم يعرف معناها ، ولم يعرف صوابها فاستبدل بها ما أثبتته من اللسان أو غيره .

وقال آخرون : بل غنى بذلك قوم^(١) كانوا يصلون العشاء الآخرة .
 • ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، صلاة العتمة ، هم يصلونها ، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلونها . (٢)

٧٦٦١ - حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن سليمان ، عن زرار بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، كان عند بعض أهله ونسائه : فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل^(٣) ، فجاء ومنا المصلى ومنا المضطجع ، فبشرنا وقال : إنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب ! فأنزله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » . (٤)

(١) في المطبوعة : « العشاء الأخيرة » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الحديث : ٧٦٦٠ - هذا تنص الحديث الماضي بهذا الإسناد : ٧٦٤٨ ، كما أشرنا هناك . وقد جمعهما السيوطي ٢ : ٦٥ حديثاً واحداً ، نسبة للقرياني ، والبخاري في تاريخه . وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

ولم نر من هذه المصادر إلا ابن جرير ، وهو قد رواه مرفوعاً حديثين ، كما ترى - وإلا التاريخ الكبير للبخاري ، وهو لم يروه كله . بل روى هذا القسم الأخير وحده موجزاً كما دلت ، في ترجمة الحسن بن يزيد ٣٠٦/٢/١ ، قال : « قال محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن ابن مسعود (يتلون آيات الله آناء الليل) ، قال : صلاة العتمة . وروى عمر بن ذر ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، مرسل » . وانظر الحديثين بعد هذا .

(٣) الحديث : ٧٦٦١ - عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي : ثقة ، وثقه البخاري فيما نقل عنه الترمذي ، كما في التهذيب ، وكذلك وثقه أحمد بن صالح ، فيما روى عنه أبو داود . وضمفه أحمد ، وابن معين ، وابن المديني . وروى ابن أبي حاتم ٣١٥/٢/٢ عن أبيه ، أنه قال : « لين الحديث » . وعن أبي زرعة ، أنه قال : « لا بأس به ، صدوق » . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء ،

٧٦٦٢ - حدثني يونس قال، حدثنا علي بن معبد، عن أبي يحيى الخراساني، عن نصر بن طريف، عن عاصم، عن زر بن حبیش، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء - يريد : العتمة - فقال لنا، ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم ! قال : فترلت : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجلون » . (١)

• • •

وفرى أن من تكلم فيه إنما هو من أجل نسخة يروها عن علي بن يزيد الألهاني، الحمل فيها على علي بن يزيد . وانظر التهذيب .

و « زحر » : يفتح الزاي وسكون الحاء المهملة .

سليمان : هو الأعمش .

وأنا أخشى أن يكون قد سقط من هذا الإسناد « عن عاصم » - بين سليمان الأعمش وزر بن حبیش . فإن الأعمش لم يذكر أنه يروي عن زر ، وإنما روايته عنه بواسطة « عاصم بن أبي النجود » وأقرانه من هذه الطبقة .

والحديث سيأتي - نحوه - عقب هذا . وتخرجه هناك .

(١) الحديث : ٧٦٦٢ - علي بن معبد بن شداد المبدى . الرق، نزيل مصر : ثقة، روى عنه

أبو حاتم ووثقه . وقال الحاكم : « شيخ من جلة المحدثين » .

أبو يحيى الخراساني : لم أعرف من هو ، بعد طول البحث والتتبع . وفي كنية « أبي يحيى » ، وفي نسبة « الخراساني » كثرة .

نصر بن طريف ، أبو جزي القصاب الباهل : ضعيف جداً ، أجمعوا على ضعفه . ترجمه البخاري في الكبير ١٠٥/٢/٤ ، وقال : « سكتوا عنه ، ذاهب » ، وابن سعد ٤١/٢/٧ ، وقال : « ليس بشيء » ، وقد ترك حديثه . وقال يحيى : « من المعروفين بوضع الحديث » ؛ وذكره الفلاس فيمن « أجمع عليه من أهل الكذب أنه لا يروى عنهم » .

وكنيته « أبو جزي » : يفتح الجيم وكسر الزاي ، كما ضبطه الذهبي في المشته ، ص ١٠٤ .

والحديث ثابت ، بنحوه - بإسناد آخر صحيح ، يفني عن إسناد الطبري هذين :

فرواه أحمد في المسند : ٣٧٦٠ ، عن أبي النضر وحسن بن موسى ، كلاهما عن شيان ، عن

عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٣١٢ . وقال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبخاري ، والطبراني في الكبير » ، ثم ذكره بنحوه ، بلفظ يكاد يكون لفظ الرواية الماضية : ٧٦٦١ . ثم قال :

« ورجال أحمد ثقات ، ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود ، وهو مختلف في الاحتجاج به . وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر . وهو ضعيف » .

وذكره السيوطي ٢ : ٦٥ ، وزاد نسبه للنسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء .
 • ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 الثوري ، عن منصور قال : بلغني أنها نزلت : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة
 قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجلون » ، فيما بين المغرب والعشاء .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها ، متقاربة المعاني .
 وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات
 الليل ، وهي آناءه ، وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تاليا لها آناء الليل ، وكذلك
 من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل ، فكلٌّ تالٍ له ساعات
 الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية ، قولٌ من قال : « عني بذلك تلاوة القرآن
 في صلاة العشاء » ، لأنها صلاة لا يصلّيها أحد من أهل الكتاب » ، فوصف الله
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله
 ورسوله .

وأما قوله : « وهم يسجلون » ، فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى « السجود »
 في هذا الموضع ، اسم للصلاة لا للسجود ، ^(١) لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في
 الركوع . فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون . ^(٢)

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة
 قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجلون فيها ،
 فـ « السجود » ، هو « السجود » المعروف في الصلاة .

(١) في المطبوعة : « لا السجود » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٣١ .

القول في تأويل قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل وعز : « يؤمنون بالله واليوم الآخر » ،
يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ، ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم ، وليسوا
كالمشركين الذين يمجحدون وحدانية الله ، ويعبدون معه غيره ، ويكذبون بالبعث
بعد الممات ، وينكرون المجازاة على الأعمال ، والثواب والعقاب .

* * *

وقوله : « ويأمرون بالمعروف » ، يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ،
وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به ^(١) = « وينهون عن المنكر » ، يقول :
وينهون الناس عن الكفر بالله ، وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله ، ^(٢)
يعني بذلك : أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب
محمد فيما جاءهم به ، وينهونهم عن المعروف من الأعمال ، وهو تصديق محمد فيما
أتاهم به من عند الله = « ويسارعون في الخيرات » ، يقول : ويتسارعون فعل
الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم منايهم .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد
الصالحين ، ^(٣) لأن من كان منهم فاسقاً ، قد باء بغضب من الله لكفره بالله
وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده .

* * *

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٩١ / ٩٠ : ٣٨٠ .

القول في تأويل قوله ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قراءة الكوفة : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ ، جميعاً ، ردّاً على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقرأته عامة قراءة المدينة والحجاز وبعض قراءة الكوفة بالتاء في الحرفين جميعاً : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ ، بمعنى : وما تفعلوا ، أنتم أيها المؤمنون ، من خير فلن يكفركوه ربكم .

وكان بعض قراءة البصرة يرى القراءتين في ذلك جاثراً بالياء والتاء ، في الحرفين .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : « وما يفعلوا ، من خير فلن يكفروه » ، بالياء في الحرفين كليهما ، يعني بذلك الخبر عن الأمة القائمة التالية آيات الله .

ولنما اخترنا ذلك ، لأن ما قبل هذه الآية من الآيات ، خبر عنهم . فلحاق هذه الآية = إذ كان لادلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم = بمعاني الآيات قبلها ، أولى من صرفها عن معاني ما قبلها . وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

٧٦٦٤ — حدثني أحمد بن يوسف التلخفي قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ،

حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرأهما جميعاً بالياء . (١)

(١) الأثر : ٧٦٦٤ — أحمد بن يوسف التلخفي « سلفت ترجمته في رقم : ٥٩٥٤ ، وأما المطبوعة

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً ، على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عملٍ لله فيه رضى ، فلن يكفّرهم الله ذلك ، يعنى بذلك : فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجزل لهم الثواب عليه ، ويُسنى لهم الكرامة والجزاء .

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهد ، وأن أصله تغطية الشئ . (١)

* * *

فكذلك ذلك في قوله : « فلن يكفروه » ، فلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يُشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزل لهم الثواب فيه . ٣٨/٤

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل ، تأوّل من تأوّل ذلك من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما تفعلوا من خير فلن تكفروه » ، يقول : لن يضلّ عنكم .
٧٦٦٦ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالمتقين » ، فإنه يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بمن اتقاه ، لطاعته واجتناب معاصيه ، وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يشيهم عليها ويمجازيهم بها ، تبشيراً منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا ، وحضاً لهم على التمسك بالذى هم عليه من صالح الأخلاق التي ارتضاها لهم .

* * *

فقد حذفت « التفلّى » ، لأن الناشر لم يحسن قراءة الكلمة ، فإنها كانت فيها « العلّى » غير منقوطة ولا بيّنة ، فحذفها الناشر .
(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، ثم ما بعد ذلك في فهارس اللغة من الأجزاء السالفة .

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : وهذا وعيد من الله عز وجل للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون ، وأنهم قد باؤوا بغضب منه ، ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله .

يقول تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، يعنى : الذين جعلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله = ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ ، يعنى : لن تدفع أمواله التى جمعها فى الدنيا ، وأولاده الذين ربّاهم فيها ، شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يوم القيامة ، ولا فى الدنيا إن عجلها لهم فيها .

• • •

ولأنما خصّ أولاده وأمواله ، لأن أولاد الرجل أقربُ أنسابه إليه ، وهو على ماله أقدر منه على مال غيره ، (١) وأمره فيه أجوز من أمره فى مال غيره . فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه ، وماله الذى هو نافذ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم ، أبعد من أن تغنى عنه من الله شيئاً .

• • •

ثم أخبر جل ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ . ولأنما جعلهم أصحابها ، لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها ،

(١) فى المطبوعة : « وهو على ماله أقرب . . . » ، وهى فى المخطوطة شبيهة بها ، إلا أنها سبقة الكتابة ، ولكن لا معنى لها ، والصواب ما أثبت ، فهو حق السياق .

كصاحب الرجل الذي لا يفارقه ، وقرينه الذي لا يزايله . ^(١) ثم وكّد ذلك بإخباره عنهم أنهم « فيها خالدون » ، أن صحبهم إياها صحبة لا انقطاع لها ، ^(٢) إذ كان من الأشياء ما يفارق صاحبه في بعض الأحوال ، ويَزِيلُهُ في بعض الأوقات ، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي أصلوها ، ولكنها صحبة دائمة لانهاية لها ولا انقطاع . نعوذ بالله منها ومما قرَّب منها من قول وعمل .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : شبه ما ينفق الذين كفروا ، أى : شبه ما يتصدق به الكافر من ماله ، ^(١) فيعطيه من يعطيه على وجه القرية إلى ربه وهو لوحداية الله جاحد ، ولحمد صلى الله عليه وسلم مكذب ، فى أن ذلك غير نافعه مع كفره ، وأنه مضمحل عند حاجته إليه ، ذاهب بعد الذى كان يرجو من عائدة نفعه عليه = كسبه ريع فيها برد شديد ، أصابت هذه الريح التى فيها البرد الشديد = « حرث قوم » ، ^(٢) يعنى : زرع قوم قد أمَّلُوا إدراكه ، ورجَّوْا رَيْعَهُ وعائدة نفعه = « ظلموا أنفسهم » ، يعنى : أصحاب الزرع ، عصوا الله وتعدَّوا حدوده = « فأهلكته » ، يعنى : فأهلك الريح التى فيها الصرُّ زرعهم ذلك ، بعد الذى كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم .

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » فيما سلف ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ / ٤ : ٣١٧ ، ٣١٨ / ٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ / ٦ : ١٤٠

(٢) فى المطبوعة أسقط « أن » من أول هذه العبارة ، وهى ثابتة فى المخطوطة . وفيها جمعاً بعد : « إذا كان من الأشياء » ، وصواب السياق « إذ » ، كما أثبتنا .

(٣) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف ٥ : ٥٥٥ ، ٥٥٦ / ٦ : ٢٦٥

(٤) انظر تفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ / ٦ : ٢٥٧

يقول تعالى ذكره : فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته ، حين يلقاه ، يبطل ثوابها ويخيب رجاؤه منها . وخرج المثل للنفقة ، والمراد بـ « المثل » صنيعُ الله بالنفقة . فبيّن ذلك قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، فهو كما قد بيّنا في مثله قوله : « **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** » [سورة البقرة : ١٧] ، وما أشبه ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام ، مثل إبطال الله أجرَ ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ، كمثل ريح فيها صر . وإنما جاز ترك ذكر « إبطال الله أجر ذلك » ، لدلالة آخر الكلام عليه ، وهو قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، ولمعرفة السامع ذلك معناه .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « النفقة » التي ذكرها في هذه الآية .

فقال بعضهم : هي النفقة المعروفة في الناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن

٣٩/٤

ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا » ، قال : نفقة الكافر في الدنيا .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه ، مما لا يصدق به بقلبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٨ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثني أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدي : « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته » ، يقول : مثل ما يقول فلا يقبل

منه ، كمثل هذا الزرع إذا زرعه أنقوم الظالمون ، فأصابه ريح فيها صر ، أصابته فأهلكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شرهم .

* * *

وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل .

* * *

وقد تقدم بياننا تأويل « الحياة الدنيا » بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع .^(١)

* * *

وأما « الصر » فإنه شدة البرد ، وذلك بعُصُوف من الشمال في إعصار الطَّلّ والأنداء ، في صبيحة مُعْتَمَةٍ بعقب ليلة مصحية ،^(٢) كما : —

- ٧٦٦٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث قال ، سمعت عكرمة يقول : « ريح فيها صر » ، قال : بردٌ شديد .
- ٧٦٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « ريح فيها صر » ، قال : برد شديد وزمهرير .
- ٧٦٧١ — حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ريح فيها صر » ، يقول : برد .
- ٧٦٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن هرون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « الصر » ، البرد .
- ٧٦٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كمثل ريح فيها صر » ، أي : برد شديد .
- ٧٦٧٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .
- ٧٦٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في « الصر » ، البرد الشديد .

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٤ ، ٣١٦ .

(٢) هذا البيان عن معنى « الصر » قلنا تصيب مثله في كتب اللغة .

٧٦٧٦ - حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثنا عمي قال،
حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « كثر ريح فيها صر » ، يقول : ريح
فيها برد .

٧٦٧٧ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « ريح
فيها صر » ، قال : « صر » ، باردة أهلكت حرهم . قال : والعرب تدعوها
« الضَّريب » ، تأتي الريح باردة فتصبح ضريباً قد أحرق الزرع ، (١) تقول :
« قد ضرب الليلة » ، أصابه ضريبٌ تلك الصر التي أصابته .

٧٦٧٨ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جوير،
عن الضحاك : « ريح فيها صر » ، قال : ريح فيها برد .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل
بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ظلماً منه لهم = يعني : وضماً منه
لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله ، بل وضع فعله ذلك في موضعه ،
وفعل بهم ما هم أهله . لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ،
ولأمره مستبوعون ، ولرسله مصدقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره
مخالفون ، ولرسله مكذبون ، بعد تقدم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من حامل إلا مع
إخلاص التوحيد له ، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاؤهم به ، وتوكيده الحجج
بذلك عليهم . فلم يكن = بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك = بعد

الإعذار إليه،^(١) من إحباط وفّر عمله = له ظالماً ، بل الكافر هو الظالم نفسه ،
لا كسابها من معصية الله وخلاف أمره ، ما أوردتها به نار جهنم ، وأصلها به
سعي سقر .^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً
مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ،
وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم = « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، يقول :
لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم = « من دونكم » يقول : من دون أهل دينكم
وولائتكم ، يعنى من غير المؤمنين .

* * *

ولما جعل « البطانة » مثلاً لخليل الرجل ، فشبهه بما ولى بطنه من ثيابه ،
لحلولة منه — فى اطلاع على أسرارها وما يطويه عن أبعده وكثير من أقاربه — محل
ما ولى بجسده من ثيابه .

* * *

فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ، ثم عرّفهم ما هم
عليه لهم منطوون من الغش والخيانة ، وبغيهم إياهم الغوائل ، فحذرهم بذلك منهم ومن

٤٠/٤

(١) فى الطبوعة والمخطوطة : « الاعتذار إليه » ، وهو خطأ صرف . وأعذر إعذاراً : أى بلغ
الناية فى البلاغ ، ومنه قولهم : « أعذر من أفذر » ، أى بالغ فى الإنذار حتى بان عذره ، إذا أنزل بمن
أفذر ما يسوّه . وقوله : « وفّر عمله » أى كثير عمله ووافره . و « الوفر » (بفتح فسكون) . وكان
فى الطبوعة « وفّر عمله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) سياق الجملة : « فلم يكن ... له ظالماً » ، وما بينهما فصل للبيان متعلق بقوله : « ظالماً » ولكنه
مقدم عليه .

مخالَّتْهم، ^(١) فقال تعالى ذكره: «لا يألونكم خبالاً»، يعنى : لا يستطيعونكم شراً، من «ألوت آل لؤى الوأ»، يقال: «ما ألا فلان كذا»، أى : ما استطاع ، كما قال الشاعر ^(٢) :

جَهْرَاءَ لَا تَأْلُو ، إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ ، بَصَرًا ، وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُنْفِي ^(٣)
يعنى : لا تستطيع عند الظهور إبصاراً .

* * *

ولما يعنى جل ذكره بقوله : «لا يألونكم خبالاً» ، البطانة التى نهى المؤمنين

(١) فى المطبوعة : «فحذرهم بذلك منهم عن مخالّتهم» ، فك إدغام اللام وحذف الواو قبل «عن» ، وفى المخطوطة «وعن مخالّتهم» ، والصواب فى قراءتها ما أثبت ، إلا أن يكون سقط من الكلام «نهام» فيكون «ونهام عن مخالّتهم» .
(٢) هو أبو العيال الهذلي .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٦٣ ، الحيوان ٣ : ٥٣٥ ، المعاني الكبير : ٦٩٠ ، اللسان (ألا) (جهر) . من شعر جيد فى مقارضات بينه وبين بدر بن عامر الهذلي ، قال بدر بن عامر أبياتاً ، حين بلغه أن ابن أخ لأبي العيال ، أنه ضلع مع خصمائه ، فانتفى من ذلك وزعم أنه ليس من يأتى سوءاً إلى أخيه أبي العيال ، فكذبه أبو العيال ، فبدر بدر يرده . وكله شعر حسن فى معناه . فشبّه أبو العيال شعر بدر فيه وفى الثناء عليه بالشاة فقال له :

أُقْسِمْتُ لَا تَذْسَى شَبَابَ قَصِيدَةٍ أَبَدًا !! فَمَا هَذَا الَّذِي يُنْسِيَنِي ؟
فَلَسَوْفَ تَنْسَاهَا وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَبْعُ لَا يَبِيَّةَ الْعِصَابِ زَبُونُ
وَمَنْحَتْنِي فَرَضِيْتُ زِيَّ مَنِحَتِي فَإِذَا بِهِمَا وَأَبْيَكُ ، طَيْفُ جُنُونِ
جَهْرَاءَ لَا تَأْلُو

والجهراء : هى التى لا تبصر فى الشمس ، وهو ضعف فى البصر . ويقال : «عال يعيل عيلا وعيلة» افتقر . يقول : أهديت لى شعراً وثناء وقولا ، فرضيته ، ثم إذا هو لا شيء إلا قول وكلام ، إذا انكشف الأمر وظهر ، عى هذا الشعر وانطفأ ، وإذا جد الجدة ، لم يفن قولك شيئاً ، بل كنت كما قلت لك آنفاً :

« فَلَتَدَّ رَمَقَتَكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا ، وَأَنْتَ تُعِينُ مِنْ يَنْفِي »

عن اتخاذها من دونهم ، فقال : إن هذه البطانة لا تترككم طاقها خبالا ، أى
لا تدع جبهدها فيما أورثكم الخبال .^(١)

* * *

وأصل « الخبل » و « الخبال » ، الفساد ، ثم يستعمل فى معان كثيرة ، يدل على
ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم :
٧٦٧٩ - « من أصيب بخبل = أو : جراح » .^(٢)

* * *

وأما قوله : « ودوا ما عنتهم » ، فإنه يعنى : ودوا عنتكم . يقول : يتمنون لكم العنت
والشر فى دينكم وما يسوءكم ولا يسركم .^(٣)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من
اليهود وأهل النفاق منهم ، ويصافونهم المودة بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم
قبل الإسلام ، فهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم فى شىء من أمورهم .
* ذكر من قال ذلك :

(١) لقد أبعد أبو جعفر المذهب فى احتياله فى تفسير « لا يألونكم » ، فإن بيان أهل اللغة عن
معنى هذا الحرف من العربية ، أصدق وأكل من بيانه ، فقد ذكروا المعنى الذى ذكره ثم قالوا : « ما ألوت
ذلك : أى ما استطعت وما ألوت أن أفعله : أى ما تركت » وقالوا : « هى من الأضداد ؛ ألا : فتر
ضعف = وألا : اجتهد » ، فراجع ذلك فى كتب العربية .

(٢) الأثر : ٧٦٧٩ - رواه أبو جعفر غير مستند ؛ ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ٣١ ،
والبيهق فى السنن ٨ : ٥٣ ، ورواية أحمد من طريق شيخه « محمد بن سلمة الحراني ، عن ابن إسحق = ويزيد
ابن هرون قال أنبأنا محمد بن إسحق = عن الحارث بن فضيل ، عن فضيل ، عن سفيان بن أبي العوجاء -
قال يزيد : السلى - عن أبي شريح الخزاعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال يزيد :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - : من أصيب بدم أو خبل = الخبل : الجراح = فهو بالخيار
بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، أو يأخذ العقل ، أو يعفو ، فإن أراد رابعة فخذوا على يده ،
فإن فعل شيئا من ذلك ثم عدا يمد فقتل ، فله النار خالداً فيها مخلداً » .

يعنى بالدم : قتل النفس - وبالخبل أو الجراح : قطع العضو . وقد تركت ما فى الطبرى على حاله :
« أو جراح » وبينت بالترقيم أنها كأنها رواية أخرى فى قوله : « خبل » ، شك من الراوى . ولكن سياق
الخبر يرجع عندي أنها : « أى : جراح » ، لأنه قد جاء فى الحديث نفسه تفسير « الخبل » بالجراح .
(٣) انظر تفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٣٥٨ - ٣٦١ .

٧٦٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال ، قال محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم ينههم عن مبايعتهم ، ^(١) تخوف الفتنة عليهم منهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » إلى قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » . ^(٢)

٧٦٨١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، في المنافقين من أهل المدينة . نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولّوهم .

٧٦٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم » ، نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين ، ^(٣) أو يؤاخوهم ، أو يتولّوهم من دون المؤمنين . ^(٤)

٧٦٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، هم المنافقون .

٧٦٨٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

(١) في المطبوعة : « فنههم » بالفاء في أوله ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٦٨٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهوتابع الأثرين السالفين رقم : ٧٦٤٤ ، ٧٦٤٥ .

(٣) قوله : « يستدخلوا » أي يتخلّوهم أخلاء . استدخله : اتخذ دخيلا ، مثل قولهم استصحب : اتخذ صاحبا ، والدخيل والمداخل : الذي يداخل الرجل في أموره كلها . وهذا البناء « استدخله » مما أغفلته كتب اللغة ، وهو عربي مرق كما ترى .

(٤) في المطبوعة : « أي يتولّوهم » ، وفي المخطوطة : « أن يتولّوهم » ، والصواب ما أثبت .

الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، يقول لا تستدخلوا المنافقين ، ^(١) تتواوهم دون المؤمنين .

٧٦٨٥ - حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الأزهر بن راشد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستضيفوا بنار أهل الشرك ، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً . قال : فلم ندر ما ذلك ، حتى أتوا الحسن فسألوه ، فقال : نعم ، أما قوله : « لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً » ، فإنه يقول : لا تنقشوا في خواتيمكم « محمد » . وأما قوله : « ولا تستضيفوا بنار أهل الشرك » ، فإنه يعنى به المشركين ، يقول : لا تستشروهم في شيء من أموركم . قال قال الحسن : وتصديق ذلك في كتاب الله ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » . ^(٢)

(١) انظر ص ١٤١ ، تعليق : ٣ .

(٢) الحديث : ٧٦٨٥ - الأزهر بن راشد البصرى : ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ١/١/٤٥٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣١٣ - فلم يذكر فيه جرحاً . وهناك راو آخر ، اسمه « الأزهر بن راشد الكاهل » ، وهو كوفى ، وهو غير البصرى ، ومتأخر عنه . وترجمه البخارى وابن أبى حاتم أيضاً . فإن البصرى يروى عنه « العوام بن حوشب » المتوفى سنة ١٤٨ ، والكوفى الكاهل يروى عنه « مروان بن معاوية الفزارى » المتوفى سنة ١٩٣ . ومروان ابن معاوية من شيوخ أحمد . والعوام بن حوشب من شيوخه . فشتان هذا وهذا . ومع هذا الفرق الواضح أخطأ الحافظ المزى ، فذكر فى التهذيب الكبير أن أبا حاتم قال فى البصرى : « مجهول » . وتبعه الحافظ فى تهذيب التهذيب ، والذهبي فى الميزان . وزاد الأمر تخليطاً ، فذكر أنه ضمه ابن معين ! !

وابن معين وأبو حاتم إنما قالا ذلك فى الكاهل الكوفى . فروى ابن أبى حاتم فى ترجمة « الكاهل » ١/١/٣١٣ ، رقم : ١١٨٠ ، عن ابن معين ، قال : « أزهر بن راشد ، الذى روى عنه مروان بن معاوية : ضعيف » . ثم قال : « سألت أبى عن أزهر بن راشد ؟ فقال : هو مجهول » . ولم يحقق الحافظ ابن حجر ، واشتبه عليه الكلام فى الترجعتين ، فقال فى ترجمة « الكاهل » - بعد ترجمة « البصرى » - : « أخشى أن يكونا واحداً ! لكن فرق بينهما ابن معين » . والفرق بينهما كالشمس .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١١٩٧٨ (ج ٣ ص ٩٩ ح ٩٩) ، عن هشيم ، بهذا الإسناد - دون كلام الحسن ، وهو البصرى .

٧٦٨٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، أما « البطانة » ، فهم المنافقون .

٧٦٨٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : لا يستدخل المؤمنُ المنافقَ دون أخيه .^(١)

٧٦٨٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : هؤلاء المنافقون . وقرأ قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » الآية .

١١/٤

قال أبو جعفر : واختلفوا في تأويل قوله : « ودُّوا ما عَنَيْتُمْ » .

فقال بعضهم : معناه : ودوا ما ضلَّمت عن دينكم .^(٢)

• ذكر من قال ذلك :

٧٦٨٩ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدي : « ودوا ما عَنَيْتُمْ » ، يقول : ما ضلَّمت .

• • •

ورواه البخاري كذلك في الكبير ٤٥٥/١/١ - دون كلام الحسن ، عن مسدد ، عن هشيم ، به . ثم فسر البخاري بعضه ، فقال : « قال أبو عبد الله [هو البخاري نفسه] : عربياً ، يعني « محمد رسول الله » . يقول : لا تكتبوا مثل خاتم النبي : « محمد رسول الله » . ورواه أبو يعلى مطولاً - مثل رواية الطبري أو أطول قليلاً - وفيه كلام الحسن . رواه عن إسحق بن إسرائيل ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . نقله عنه ابن كثير ٢ : ٢٢٧ ، ثم قال : « هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله . وقد رواه النسائي ، عن مجاهد بن موسى ، عن هشيم ، به . ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم ، بإسناده مثله ، من غير ذكر تفسير الحسن البصري . وهذا التفسير فيه نظر » - إلى آخر ما قال . ولم أجده في سنن النسائي ، فله في السنن الكبرى .

وذكره السيوطي ٢ : ٦٦ ، وزاد نُسبه لعبد بن حيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . ولم ينسبه للنسائي ، ولا لتاريخ البخاري .

(١) انظر : ١٤١ ، تعليق : ٣/ من : ١٤٢ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر تفسير « المنت » فيما سلف ص ٤ : ٣٥٨ - ٣٦١ .

وقال آخرون بما : —

٧٦٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ودوا ما عنتم » ، يقول : في دينكم ، يعني : أنهم يودون أن تعتسوا في دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « ودوا ما عنتم » ، فجاء بالخبر عن « البطانة » ، بلفظ الماضي في محل الحال ، والقطع بعد تمام الخبر ، والحالات لا تكون إلا بصور الأسماء والأفعال المستقبلية دون الماضية منها ؟^(١) قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أن قوله : « ودوا ما عنتم » حال من « البطانة » ، وإنما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الأول غير متصل به . وإنما تأويل الكلام : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا ، صفتهم كذا . فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفة شخص واحد

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله : « ودوا ما عنتم » ، من صلة « البطانة » ، وقد وصلت بقوله : « لا يألونكم خبالا » ، فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام « البطانة » بصلته .^(٢)

ولكن القول في ذلك كما بينا قبل ، من أن قوله : « ودوا ما عنتم » ، خبر مبتدأ عن « البطانة » ، غير الخبر الأول ، وغير حال من البطانة ولا قطع منها .^(٣)

* * *

(١) انظر « القطع » فيما سلف ٦ : ٢٧٠ ، تعليق : ٣ ، وسائر فهارس المصطلحات .

(٢) انظر تفسير « الصلة » فيما سلف ٥ : ٢٩٩ ، تعليق : ٥ ، وهو نعم التكرار .

ذكره إنما نهي المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء ،
 إما بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة
 والشتان والمناصفة لهم . فأما من لم يثبتوه معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن
 مخالته ومباطلته ، ^(١) فغير جائز أن يكونوا نهبوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد
 تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان إبداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من
 بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه
 لهم ، مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم لهم والتودد إليهم = كان بيئاً أن الذي نهي الله
 المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم
 بالسنتهم ، على ما وصفهم الله عز وجل به ، فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم
 الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ،
 ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب .
 لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بينا . ولو كانوا الكفار ممن
 قد ناصب المؤمنين الحرب ، لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون
 المؤمنين ، مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا بين أظهر
 المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بنى إسرائيل .

٤٢/٤

* * *

و «البغضاء» ، مصدر . وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ قَدْ بَدَا
 الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على وجه التذكير . وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ
 المؤنث ، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز تذكير ما خرج منها

(١) في المطبوعة : « فأما من لم يتشوه معرفة » ، ولا معنى له ، وفي المخطوطة : « لم سوه معرفة »
 غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « اثبت معرفة » أي : عرفه حق المعرفة .

على لفظ المؤنث وتأنيته ، كما قال عز وجل : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [سورة هود : ٦٧] ، وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٧] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [سورة هود : ٩٤] ﴿ وَجَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .^(١)

• • •

وقال : « من أفواههم » ، وإنما بدا ما بدا من البغضاء بالسنتهم ، لأن المعنى به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، بالسنتهم .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى تخفى صدورهم = يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتخفيه عنكم ، أيها المؤمنون = « أكبر » ، يقول : أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم ، كما : — ٧٦٩٣ — حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم . — ٧٦٩٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم .

• • •

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣١ .

القول في تأويل قوله ﴿ قَدْ يَدَّبَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْقِلُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قد بينا لكم » أيها المؤمنون = « الآيات » ، يعنى « الآيات » العبر . قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين . ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم = « إن كنتم تعقلون » ، يعنى : إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه ، وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ، ومبلغ عائدته عليكم .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم ، أيها المؤمنون ، الذين تحبونهم ، يقول : تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم ، بل يبطنون لكم العداوة والغش (١) = « وتؤمنون بالكتاب كله » .

• • •

ومعنى « الكتاب » في هذا الموضع معنى الجمع ، كما يقال : « كثر الدرهم في أيدي الناس » ، بمعنى الدراهم .

فكذلك قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » ، إنما معناه : بالكتب كلها ،

(١) في المطبوعة : « بل ينتظرون » ، وفي المخطوطة : « بل مظهرون » غير منقوطة ، وصوابها ما أثبت كما استظهره طابع الأميرية .

كتابكم الذى أنزل الله إليكم ، وكتابهم الذى أنزله إليهم ، وغير ذلك من الكتب التى أنزلها الله على عباده .

يقول تعالى ذكره : فأنتم = إذ كنتم ، أيها المؤمنون ، تؤمنون بالكتب كلها . وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله . بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم ، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه ^(١) أولى بعداوتكم إياهم وبغضائهم وغشهم ، منهم بعداوتكم وبغضائكم ، مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها ، كما : -

٧٦٩٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني

محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس « تؤمنون بالكتاب كله » ، أى : بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحقّ بالبغضاء لهم ، منهم لكم ^(٢) .

قال أبو جعفر : وقال : « ها أنتم أولاء » ولم يقل « هؤلاء أنتم » ، ^(٣) فقروا بين « ها » و « أولاء » بكتابة اسم المخاطبين ، لأن العرب كذلك تفعل فى « هذا » إذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذى يحتاج إلى تمام الخبر ، ^(٤) وذلك مثل

(١) سياق هذه العبارة : فأنتم . . . أولى بعداوتكم إياهم .

(٢) الأثر : ٧٦٩٥ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهو من تمام الآثار السالفة

آخرها : ٧٦٨٠ .

(٣) فى المخطوطة : « ولم يقل : هذا أنتم » ، والصواب ما فى المطبوعة ، فهو حق السيد

(٤) « التقريب » من اصطلاح الكوفيين ، وقد قسره السيوطى فى مع الموضح ١ : ١١٣ . وقد

[ذهب الكوفيون إلى أن « هذا » و « هذه » ، إذا أريد بها التقريب كانا من أخوات « كان » ، احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو : « كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً » ، وكيف أخاف البرد ، وهذه الشمس طالعة ؟ » ، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الأسماء لا ثانى له فى الوجود ، نحو : « هذا ابن صياد أسقى الناس » ، فيعربون « هذا » تقريباً ، والبرء اسم التقريب ، والمنصوب خبر التقريب . لأن المعنى إنما هو عن الخليفة بالقدم ، وعن الشمس بالطلوع وأتى باسم الإشارة تقريباً للقدم والطلوع . ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران ؟ وأيضاً ، وحسب والشمس معلومان ، فلا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما . وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة محذوف .

أن يقال لبعضهم : « أين أنت » ، فيجيب المقول ذلك له : « ها أنا ذا » = (١) فتفرق بين التنبيه و « ذا » بمكنى اسم نفسه ، (٢) ولا يكادون يقولون : « هذا أنا » ، ثم يثنى ويجمع على ذلك . وربما أعادوا حرف التنبيه مع : « ذا » فقالوا : « ها أنا هذا » . ولا يفعلون ذلك إلا فيها كان تقريباً ، (٣) فأما إذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا : « هذا هو » « وهذا أنت » . وكذلك يفعلون مع الأسماء الظاهرة ، يقولون : « هذا عمرو قائماً » ، إن كان « هذا » تقريباً . (٤) وإنما فعلوا ذلك في المكنى مع التقريب ، (٥) تفرقة بين « هذا » إذا كان بمعنى الناقص الذى يحتاج إلى تمام ، وبينه إذا كان بمعنى الاسم الصحيح . (٥)

وقوله : « تحبونهم » خَبَرٌ للتقريب . (٦)

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين — أعني المؤمنين والكافرين ، ورحمة أهل الإيمان ورافتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان ، كما : —

بالمصوب ، لأنك لو أسقطت الإشارة لم يخل المعنى ، كما لو أسقطت « كان » من : « كان زيد قائماً » . (١) في المطبوعة : « فيفرق » ، والصواب بالناء ، لأنه يريد « العرب » . وسياق الكلام : « لأن العرب كذلك تفعل . . . فتفرق . . . » .

(٢) في المخطوطة : « بين التنبيه وأولاء » . والذى في المطبوعة أجود وأمضى على السياق ، وهو تغيير مستحسن . والظاهر أن الخطأ قديم في نسخ الطبرى ، بل لعله من فعل أبي جعفر نفسه ، وكأنه لما نقل هذا الكلام ، وهو كلام الفراء ، اختصر أوله فقال : « لأن العرب كذلك تفعل في هذا » ، واقتصر عليها ، مع أن الفراء ذكر « هذا ، وهذان ، وهؤلاء » . هذا مع اشتغال ذهنه بنص الآية نفسها ، فدخل عليه السهو فيما كتب . هذا ما أرجحه والله ولى التوفيق .

(٣) انظر معنى « التقريب » فيما سلف ص : ١٤٩ تعليق : ٤ .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « وإن كان . . . بالواو » ، وإثباتها فساد في الكلام شديد لأنه يعنى أنهم ينصبون : « قائماً » ، إن كان « هذا » بمعنى التقريب . والجملتان الآتيتان مؤيدة لذلك .

(٥) في المطبوعة : « وبينه وبين ما إذا كان بمعنى الاسم الصحيح » ، زاد من زاد « وبين ما » غلطته أن ذلك أقوم والدلالة على المعنى من عبارة أبي جعفر التى ثبتها من المخطوطة . وقد أساء نهاية الإساءة ! (٦) يعنى بقوله : « خبر للتقريب » ، أى هو في موضع نصب خبراً للتقريب ، كما أسلفت بيان ذلك من كلام السيوطى فى ص ١٤٩ ، تعليق : ٤ .

٧٦٩٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » ، فوالله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوى له ويرحمه . ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه ، لأباد خضره . (١)

٧٦٩٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن ، يرحمه . ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه ، لأباد خضره

* * *

وكان مجاهد يقول : نزلت هذه الآية في المنافقين .

٧٦٩٨ - حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ﴾ الْإِنَّمَالِ مِنَ الْغِيْظِ

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : أن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ، ووصفهم بصفتهم ، إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بالسنتهم تقيةً حذراً على أنفسهم منهم فقالوا لهم : «قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم» ، وإذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون ، (٢) عضوا - على ما يرون من اختلاف

(١) أوى له وأوى إليه : رثى له وأشفق عليه ورحمه . ويقال : «أباد خضراءم» ، أى سوادهم ومظلمهم ، واستأصلهم . وذلك أن الكثرة المجتمعة ، ترى من بعيد سوادها ، والعرب تسمى الأخضر ، أسود .

(٢) انظر تفسير «خلا» فيما سلف ١ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم - أناملهم ، وهى أطراف أصابعهم ،
تغيظاً مما بهم من الموجدة عليهم : وأسى على ظهورهم يُسندون إليه لمكاشفتهم العداوة
ومناجزتهم المحاربة . (١)

• • •

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٧٦٩٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

« وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، إذا لقوا
المؤمنين قالوا : « آمنا » ، ليس بهم إلا مخافة على دمائهم وأموالهم ، فصانعهم
بذلك = « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، يقول : مما يجدون فى قلوبهم
من الغيظ والكراهة لما هم عليه . لو يجدون ريحاً لكانوا على المؤمنين ، (٢) فهم كما
نعت الله عز وجل .

٧٧٠٠ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع بمثله = « إلا » أنه قال : من الغيظ لكراهمهم الذى هم عليه = ولم يقل : « لو
يجدون ريحاً » ، وما بعده .

٧٧٠١ - حدثنا عباس بن محمد قال ، حدثنا مسلم قال ، حدثني يحيى بن

عمر بن مالك التكري قال . حدثنا أبى قال : كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية :

« وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، قال : هم

الإباضية . (٣)

• • •

(١) الظهر : الأعوان والأنصار ، كأنهم لمن ينصرونه ظهر .

(٢) الريح : القوة والغلبة ، ومنه قول تأبط شراً أو السليك بن السلكة :

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَوْ تَعْدُونَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادَى

(٣) الأثر : ٧٧٠١ - « عباس بن محمد بن حاتم » الدورى ، روى عنه الأربعة . مترجم

و « الأنامل » جمع « أنملة » ويقال « أنملة » ، ^(١) وربما جمعت « أنملا » ، ^(٢) قال الشاعر ^(٣) :

أَوْدُكُمْ ، مَا بَلَّ حَلْقِي رِيْقِي وَمَا حَلَّتْ كَفَّايَ أَنْتَلِي الْقَشْرَ ^(٤)

وهي أطراف الأصابع ، كما : —

٧٧٠٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« الأنامل » ، أطراف الأصابع .

٧٧٠٢ م — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

٧٧٠٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ، حدثنا

أسباط ، عن السدي : « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل » ، الأصابع .

٧٧٠٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي

في التهذيب . و « سلم » هو « مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي » ، مضت ترجمته برقم : ٢٨٦١ . و « يحيى بن عمرو بن مالك النكري » . روى عن أبيه ، وهو منكر الحديث . و « النكري » بضم النون وتسكين الكاف ، نسبة إلى بني نكرة بن لكيز من عبد قيس . وأبوه « عمرو بن مالك النكري » ، ثقة وتكلم فيه البخاري وضعفه . روى عن أبيه وعن أبي الجوزاء . و « أبو الجوزاء » هو « أوس بن عبد الله الربيعي من الأزد » ، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس . كان عابداً فاضلاً . واستضعف البخاري إسناده إلى عائشة وابن مسعود وغيرهما من الصحابة . مترجم في التهذيب .

و « الإباضية » ، فرقة من الحرورية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التيمي ، الخارج في أيام مروان بن محمد . ومن قبيلهم : إن مخالفتنا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكرراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وإن دار مخالفتهم من أهل الإسلام دار توحيد . وقالوا : إن مرتكب الكبيرة موحد ، لا مؤمن .

(١) يمتن بفتح الهجزة وضم الميم ، وضم الهجزة والميم جميعاً .

(٢) « أنمل » هذا جمع لم تورد كتب اللغة ، وإنما ذكروا « أنملات » ، وقالوا إنه أحد ما كسر وسلم بالثناء ، قال ابن سيدة : « إنما قلت هذا ، لأنهم قد يستفنون بالتكسير عن جمع السلامة ، ويجمع السلامة بالتكسير ، وربما جمع الشيء بالوجهين جميعاً » .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) قوله : « أودكا » أي : لا أودكا ، حذفت « لا » مع القسم . والريقة : الريق . وقوله :

« ما بل حلق ريق . . . » إلى آخر البيت بمعنى التأييد ، أي . لا أودكا أبداً ما حييت .

الأحوص ، عن عبد الله قوله : « عضوا عليكم الأنامل من الغيط » ، قال : عضوا على أصابعهم . (١)

يعنى بذلك : « إن الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا : « آمنا » ، وما ينطون لهم عليه من الغيل والغم ، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء ، وبما فى صدور جميع خلقه ، حافظاً على جميعهم ما هو عليه منطوي من خير وشر ، حتى يجازى جميعهم على ما قدّم من خير وشر ، واعتقد من إيمان وكفر ، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة ، أو غيلٍ وغِمر. (١)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « إن تمسكم حسنة تسؤهم » ، إن تناولوا ، أيها المؤمنون ، سروراً بظهوركم على عدوكم ، وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم ، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم = يسؤهم. (٢) وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم ، أو بإصابة عدو لكم منكم ، أو اختلاف يكون بين جماعتكم = يفرحوا بها ، كما : —

٧٧٠٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها » ، فإذا رأوا من أهل الإسلام الفقهوجاعة وظهوراً على عدوهم ، غاظهم ذلك وساءهم ، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً ، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين ، سرهم

(١) الفسر (بكسر الين وسكون الميم) والفسر (بفتحين) ، الحقد والذل ، الذى يفسر القلب هراً .

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١١٨٤ .

ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به . فهم كلما خرج منهم قَرْنٌ أكذب الله أحدثته ، وأوطأ محلته ، وأبطل حجته ، وأظهر عورته ، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقى إلى يوم القيامة .

٧٧٠٦ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إن تمسككم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها » ، قال : هم المنافقون ، إذ رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهوراً على عدوهم ، غاظهم ذلك غيظاً شديداً وساءهم . وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً ، أو أصيب طرفٌ من أطراف المسلمين ، سرهم ذلك وأعجبوا به . قال الله عز وجل : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » .

٧٧٠٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إن تمسككم حسنة تسوهم » ، قال : إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفه ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافاً فرحوا .

* * *

وأما قوله : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » ، فلأنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا ، أيها المؤمنون ، على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه : من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين ، وغير ذلك من سائر ما نهاكم = « وتتقوا » ربكم ، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله = « لا يضركم كيدهم شيئاً » ، أى : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

* * *

ويعنى بـ « كيدهم » ، غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم ، ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القراء في قراءة قوله : « لا يضرركم » .
 فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ مخففة
 بكسر « الضاد » ، من قول القائل : « ضارني فلان فهو يضرني ضيراً » . وقد حكى
 سماعاً من العرب : « ما ينفعني ولا يضرني » ، فلو كانت قرئت على هذه اللغة
 لقليل : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ ، ولكني لا أعلم أحداً قرأ به ^(١) .

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراءة أهل الكوفة : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ
 كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ ، بضم « الضاد » وتشديد « الراء » ، من قول القائل : « ضرني
 فلان فهو يضرني ضرّاً » .

وأما الرفع في قوله : « لا يضرركم » ، فن وجهين .

أحدهما : على إلتباع « الراء » في حركتها = إذ كان الأصل فيها الجزم ، ولم
 يمكن جزمها لتشديدها = أقرب حركات الحروف التي قبلها . وذلك حركة « الضاد »
 وهي الضمة ، فألحقت بها حركة الراء لقربها منها ، كما قالوا : « مُدُّ يا هذا » .
 والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك : أن تكون مرفوعة على صحة ، وتكون
 « لا » بمعنى « ليس » ، وتكون « الفاء » التي هي جواب الجزاء ، متروكة لعلم
 السامع بموضعها .

وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وإن تصبروا وتتقوا ، فليس يضرُّكم
 كيدهم شيئاً — ثم تركت « الفاء » من قوله : « لا يضرركم كيدهم » ، ووجهت
 « لا » إلى معنى « ليس » ، كما قال الشاعر ^(٢) :

فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِي ، لَا إِخَالِكَ رَاضِيًا ^(٣)

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ٢٣٢ .

(٢) هو سوار بن المضرب السعدي التميمي .

(٣) نوادر أبي زيد : ٤٥ ، الكامل : ١ : ٣٠٠ ، حاسة ابن الجبلى : ٥٤ ، ٥٥ ، معاني

ولو كانت « الرءاء » محرّكة إلى النصب والحفض ، كان جائزاً ، كما قيل : « مُدٌّ يا هذا ، ومُدٌّ » . (١)

* * *

وقوله : « إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » ، يقول جل ثناؤه : إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصدّة عن سبيله ، والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصي الله = « محيط » بجميعه ، حافظ له ، لا يعزب عنه شيء منه ، حتى يوفيه جزاءهم على ذلك كله ، ويذيقهم عقوبته عليه . (٢)

* * *

القرآن للفراء ١ : ٢٣٢ ، من أبيات ضرب بها وجه الحجاج بن يوسف الثقفي ، لما كتب على بني تميم البعث إلى قتال الخوارج ، فهرب سوار وقال :

أَقَاتِلِي الْحَجَّاجُ أَنْ لَمْ أُرْزُ لَهُ دَرَابٌ ، وَأَتْرُكُ عِنْدَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا ؟
فَإِنْ كُنْتَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِي ، لَا إِخَالُكَ رَاضِيَا !!
إِذَا جَاوَزْتَ دَرْبَ الْمُجِيزِينَ نَاقِي فَبَاسَتْ أَبِي الْحَجَّاجِ لَمَّا تَنَانِيَا
أَيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمِي وَطَاعِي وَدُونِي تَمِيمٌ ، وَالْفَلَاةُ وَرَانِيَا !!

وقوله : « دراب » يعني : دراب جرد ، وهي بلدة في بلاد فارس ، وكان المهلب يومئذ يقاتل بها الخوارج ورأسهم قطري بن الفجاءة . ثم يقول له في البيت الثاني : إن كان لا يرضيك إلا ردى إلى قتال قطري ، فلا أظنك تبلغ رضاك ، فإنك غير مدركي ، ولن تنال يدك . يسخر بسطوة الحجاج .
وقوله : « درب المجيزين » هم المقيمون على أبواب المدن والثغور . يمنعون الخارج والداخل ، إلا من كان بيده جواز ممضى من أميره . يقول : إذا جاوزت الدرب فيها بعد يدك عن أن تنالني وتشتني عن وجهي !
والشاهد عند الطبري هو في قوله : « لا إخالك راضياً » ، أي : فلست إخالك راضياً .

(١) الذي سلف هو مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٣٢ .

(٢) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ٢ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٩٦ .

القول في تأويل قوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ»، وإن تصبروا وتتقوا لا يضرَّكم، أيها المؤمنون، كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئا، ولكن الله ينصرُكم عليهم إن صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسول، كما نصرتكم بيد وأنتم أذلة. وإن أنتم خالفتم، أيها المؤمنون، أمرى ولم تصبروا على ما كلفتمكم من فرائض، ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمرى وأمر رسول، فإنه نازل بكم ما نزل بكم بأحد. واذكروا ذلك اليوم، إذ غدا نبيكم يبيئ المؤمنين.

= فترك ذكر الخبر عن أمر القوم إن لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه، اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه، إذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم إن صبروا على أمره واتقوا محارمه، وتعقيب ذلك بتذكيرهم ما حل بهم من البلاء بأحد، إذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأى بينهم.

= وأخرج الخطاب في قوله: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ»، على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بمعناه: الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين. فقد بيّن إذاً أن قوله: «وَإِذْ»، إنما جرّها في معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت.

• • •

وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذي عنى الله عز وجل بقوله: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ».

فقال بعضهم: عنى بذلك يوم أحد.

• ذكر من قال ذلك:

٧٧٠٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : مشى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجله يبوئ المؤمنين .

٧٧٠٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، ذلك يوم أحد ، غدا نبي الله صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال .

٧٧١٠ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال .

٧٧١١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فهو يوم أحد .

٧٧١٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط . عن السدي : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » ، قال : هذا يوم أحد .

٧٧١٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : مما نزل في يوم أحد : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » . (١)

وقال آخرون : غنى بذلك يوم الأحزاب .

ذكر من قال ذلك :

٧٧١٤ - حدثني محمد بن سنان القزاز قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ،

(١) الأثر : ٧٧١٣ - مختصر من سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ .

حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « وإذ غدرت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بالضواب قول من قال : « عني بذلك يوم أحد » . لأن الله عز وجل يقول في الآية التي بعدها : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ ، ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عني بالطائفتين : بنو سلمة وبنو حارثة ، ^(١) ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد ، دون يوم الأحزاب .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف يكون ذلك يوم أحد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما راح إلى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة في أهله بالمدينة بالناس ، كالذي حدثكم : —

٧٧١٥ — ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة إلى أحد ، دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقال : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » ؟ ^(٢)

* * *

(١) بنو سلمة (يفتح السين وكسر اللام) ، وليس في العرب «سلمة» بكسر اللام غيرها ، وسائرهما يفتح اللام . وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سادة بن تيزيد بن جشم بن الخزرج .
(٢) الأثر : ٧٧١٥ — إسناده في سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ ، ثم اختصر أبو جعفر خبر ابن إسحق الذي رواه ابن هشام في السيرة ٣ : ٦٧ ، ٦٨ . واللامعة : هي السرع الحصينة ، وسائر أداة ج ٧ (١١)

قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان خروجه للقوم كان رَوَّاحاً ، (١) فلم يكن تبوُّثه للمؤمنين مقاعدَهم للقتال عند خروجه ، بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه . وذلك أن المشركين نزلوا منزلاً من أحد - فيما بلغنا - يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يوم الجمعة ، بعدما صلى بأصحابه الجمعة ، فأصبح بالشَّعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال .

٧٧١٦ - حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن وغيرهم . (٢)

* * *

فإن قال : وكيف كانت تبوُّثه المؤمنين مقاعدَ للقتال غدوًّا قبل خروجه ، وقد علمت أن « التبوُّث » ، اتخاذ الموضع .

قيل : كانت تبوُّثه إياهم ذلك قبل مناهضة عدوه ، عند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم ، بيوم أو يومين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بتزول المشركين من قريش وأتباعها أخذاً قال = فيما : -

٧٧١٧ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدى = لأصحابه : أشيروا علىَّ ما أصنع ؟ فقالوا : يا رسول الله ، اخرج إلى هذه الأكلب ! فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عدوًّا لنا أثنان في ديارنا ، فكيف وأنت فينا ! ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي سلول ، ولم يدعه قط قبلها ، فاستشاره ، فقال : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب !

الحرب من السلاح كالسيف والرمح . هذا وكان في المطبوعة والمخطوطة : « ما ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا غير جيد ، وكأنه عجلة من الناسخ ، وأثبت نصر ابن هشام .

(١) الرواح . هو وقت العشي آخر النهار .

(٢) الأثر : ٧٧١٦ - جمه أبو جعفر من مواضع متفرقة من خبر ابن إسحق في يوم أحد .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الأتزة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري فقال : يا رسول الله لا تحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ! فقال له : بم ؟ قال : بأني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله ، وأني لا أفرُّ من الزحف ! قال : صدقت . فقتل يومئذ . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رآوه وقد لبس السلاح ، ندموا وقالوا : بشما صنعنا ، نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه ! ! فقاموا واعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . (١)

٧٧١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ،

حدثني ابن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، قالوا : لما سمع

٤٧/٤

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنني قد رأيتُ بقرًا فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، (٢) ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك : أن لا يخرج إليهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جبناً عنهم وضعفنا ! فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله

(١) الأثر : ٧٧١٧ — هو في تاريخ الطبري ٣ : ١١ ، ١٢

(٢) ذباب السيف : طرفه المتطرف الذي يضرب به . والثلم : هو الكسر في حرفه .

ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلاّ أصاب منا ، ولا دخلها علينا قط إلاّ أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبّس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا . فلم يزل الناس برسول الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته . (١)

* * *

فكانت تبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ، ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأى الذى ذكرنا ، على ما وصفه الذين حكينا قولهم .

* * *

يقال منه : « بوأت القوم منزلاً ، وبوأتهم لهم ، فأنا أبوهم المنزل تبوّة ، وأبوئ لهم منزلاً تبوّة » .

وقد ذكر أن في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ ، وذلك جائز ، كما يقال : « رَدِفَكَ وَرَدِفَ لَكَ » ، و « نَقَدْتَ لَهَا صَدَاقَهَا وَنَقَدْتَهَا » ، كما قال الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ (٢)
والكلام : أسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَذَنْبِ . (٣)

وقد حكى عن العرب سماعاً : « أبأت القوم منزلاً فأنا أبيهم إباءة » ، ويقال منه : « أبأت الإبل » . إذا رددتها إلى المباءة . و « المباءة » ، المَرَّاح الذى تبيت فيه .

* * *

« والمقاعد » جمع « مقعد » ، وهو المجلس .

* * *

(١) الأثر : ٧٧١٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، وهو السابق مباشرة للأثر السالف

رقم : ٧٧١٥ ، وهو من تمامه .

(٢) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ١٦٩ ، وهو في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٢٣ .

(٣) هذه الفقرة من معاني القرآن للفراء ١ : ٢٢٣ .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : واذكر إذ غدوت ، يا محمد ، من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكراً وموضعاً لقتال عدوهم .

* * *

وقوله : « والله سميع عليم » ، يعنى بذلك تعالى ذكره : « والله سميع » ، لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه ، من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم ، من قول من قال : « اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة » ، وقول من قال لك : « لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا » ، على ما قد بينا قبل — ولما تشير به عليهم أنت يا محمد = (١) « عليم » بأصليح تلك الآراء لك ولهم ، وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوك ، وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة ، وغير ذلك من أمرك وأمرهم ، كما : —

٧٧١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله :

« والله سميع عليم » ، أى : سميع لما يقولون ، عليم بما يخفون . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والله سميع عليم ، حين همت طائفتان منكم أن تفشلا .

والطائفتان اللتان همتا بالفشل ، ذكر لنا أنهم بنو سَكِمَةَ وبنو حارثة . (٣)

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وما تشير به . . . » ، والصواب الذى يقتضيه السياق ، هو ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٧١٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٧١٣ .

(٣) انظر ضبط « سلمة » ص : ١٦١ تعليق : ١ .

• ذكر من قال ذلك :

٧٧٢٠ - حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : بنو حارثة ، كانوا نحو أحد ، وبنو سلمة نحو سلتك ، وذلك يوم الخندق .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى ، بما فيه الكفاية عن إعادته . (١)

* * *

٧٧٢١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، والطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار ، هموا بأمر فعصمهم الله من ذلك = قال قتادة : وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا : ما يسرنا أننا لم نهم بالذي هممنا به ، وقد أخبرنا الله أنه ولينا .

٤٨/٤

٧٧٢٢ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إذ همت طائفتان منكم » الآية ، وذلك يوم أحد ، فالطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار . فذكر مثل قول قتادة .

٧٧٢٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلاثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ، ولئن أطلعنا لترجع معنا = وقال [الله عز وجل] : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، وهم بنو سلمة وبنو حارثة = هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم

(١) انظر ما سلف ص : ١٦١ وما قبلها .

الله ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة (١).

٧٧٢٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة : نزلت في بني سليمة من الخزرج ، وبني حارثة من الأوس ، ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول .

٧٧٢٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال . حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، فهم بنو حارثة وبنو سليمة .

٧٧٢٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، والطائفتان : بنو سلمة من جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة من النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . (٢)

٧٧٢٧ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » الآية ، قال : هما طائفتان من الأنصار هما أن يفشلا ، فعصمهم الله وهزم عدوهم

٧٧٢٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هم بنو سليمة وبنو حارثة ، وما نحب أن لو لم نكن هممنا لقول الله عز وجل : « والله وليهما » . (٣)

٧٧٢٩ - حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر نحوه .

(١) الأثر : ٧٧٢٣ - في تاريخ الطبري ٣ : ١٢ ، وهو تمام الأثر السالف رقم : ٧١٧٧ ، والزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٢) الأثر : ٧٧٢٦ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو من تنمة الأثر السالف رقم : ٧٧١٩ .

(٣) الأثر : ٧٧٢٨ - رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٧ : ٢٧٥ / ٨ : ١٦٩) من طريق ظل بن عبد الله ، عن سفيان بن عيينة ، بهذا اللفظ . وكان في المطبوعة : « وما نحب أن لو لم تكن همتا » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناشر لم يحسن قراءتها .

٧٧٣٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هذا يوم أحد .

* * *

وأما قوله : « أن تفشلا » ، فإنه يعني : همّا أن يضعفا ويحبثنا عن لقاء عدوئهما .

* * *

= يقال منه : « فشل فلان عن لقاء عدوه ويفشل فشلاً » ، كما :-

٧٧٣١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « الفشل » ، الجبن .

* * *

قال أبو جعفر : وكان هُمّهما الذي همّا به من الفشل ، الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه ، جنباً منهم ، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق ، فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له ، وتركوا عبد الله بن أبي ابن سلول والمنافقين معه ، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار ، ^(١) كما :-

٧٧٣٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله وليّهما » ، أي : المدافع عنهما ما همّا به من فشلهما . ^(٢) وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف وهن أصابهما ، من غير شك أصابهما في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقنا بنبينهما صلى الله عليه وسلم . يقول : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، أي : من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن ،

(١) انظر تفسير «الولي» فيما سلف ٦ : ٩٧ ؛ تعليق : ١ . والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « الدافع عنهما » ، وأثبت ما في المخطوطة وسيرة ابن هشام . وفي المطبوعة والمخطوطة « ما هما به » ، وهو صواب ، ولكني أثبت نص ابن هشام ، فهو أقوم على السياق ، والتصحيح في مثل هذا قريب ، ولست أظنه من أصل الطبري .

فليتوكل علىّ ، وليستعن بي أعينه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأقويه على نيته . (١)

• • •

قال أبو جعفر : وذكر أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقرأ : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمْ ﴾ ، وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك ، لأن « الطائفتين » وإن كانتا في لفظ اثنتين ، فإنهما في معنى جماع ، بمترله « الحصين » و « الحزبين » . (٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، وينصركم ربكم ، = « ولقد نصركم الله ببدر » على أعدائكم وأنتم يومئذ « أذلة » يعنى : قليلون ، في غير منعة من الناس ، حتى أظهركم الله على عدوكم ، مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذ ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ، = « فاتقوا الله » ، يقول تعالى ذكره : فاتقوا ربكم بطاعته واجتنب محارمه = « لعلكم تشكرون » ، يقول : لتشكروه على ما من به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم ، ولما هداكم له من الحق الذى ضل عنه مخالفوكم ، كما : —

(١) الأثر : ٧٧٣٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، ١١٣ ، وهو من سياق الأثر السابق رقم : ٧٧٢٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

٧٧٣٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ، يقول : وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة = « فاتقوا الله لعلمكم تشكرون » ، أى : فاتقون ، فإنه شكر نعمتى . (١)

* * *

واختلف فى المعنى الذى من أجله سمي بدر « بدرأ » .
فقال بعضهم : سمي بذلك ، لأنه كان ماء لرجل يسمى « بدرأ » ، فسمى باسم صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن زكريا ، عن الشعبي قال : كانت « بدر » لرجل يقال له « بدر » ، فسميت به .

٧٧٣٥ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي أنه قال : « ولقد نصركم الله ببدر » ، قال : كانت « بدر » بئراً لرجل يقال له « بدر » ، فسميت به .

* * *

وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ذلك اسم سميت به البقعة ، كما سمي سائر البلدان بأسمائها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٦ - حدثنا الحارث بن محمد قال ، حدثنا ابن سعد قال ، حدثنا محمد ابن عمر الواقدي قال ، حدثنا منصور ، عن أبى الأسود ، عن زكريا ، عن الشعبي قال : إنما سمي « بدرأ » ، لأنه كان ماء لرجل من جهينة يقال له « بدر » وقال الحارث ، قال ابن سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد ابن صالح فأنكراه وقالوا : فلائى شئ سميت « الصفراء » ؟ ولائى شئ سميت

(١) الأثر : ٧٧٣٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، هو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٧٣٢ ، وسياق أبى جعفر فى روايته ، أنوم من سيلق ابن هشام .

« الحمراء » ؟ ولأى شيء سمي « رابغ » ؟ هذا ليس بشيء ، إنما هو اسم الموضع = قال : وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري فقال : سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون : هو ماؤنا ومترلنا ، وما ملكه أحد قط يقال له « بدر » ، وما هو من بلاد جهينة ، إنما هي بلاد غفار = قال الواقدي : فهذا المعروف عندنا .

٧٧٣٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « بدر » ، ماء عن يمين طريق مكة ، بين مكة والمدينة .

وأما قوله : « أذلة » ، فإنه جمع « ذليل » ، كما « الأعزة » جمع « عزيز » ، « والأليّة » جمع « ليب » .

قال أبو جعفر : وإنما سماهم الله عز وجل « أذلة » ، لقلة عددهم ، لأنهم كانوا ثلثمئة نفس وبضعة عشر ، وعدوهم ما بين التسعمئة إلى الألف — على ما قد بينا فيما مضى — فجعلهم لقلة عددهم « أذلة » .

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، وبدر ماء بين مكة والمدينة ، التقى عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم والمشركون ، وكان أول قتال قاتله نبي الله صلى الله عليه وسلم = وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : « أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت » . فكانوا ثلثمئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون يومئذ ألف ، أو راهقوا ذلك . (١)

(١) الأثر : ٧٧٣٨ — مضى بضم برقم : ٥٧٣٠ ، وانظر عدة أهل بدر فيما سلف من ٥٧٢٤ — ٥٧٣٢ . وقوله : « راهقوا ذلك » أي : قاربوا ذلك .

٧٧٣٩ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، قال يقول : « وأنتم أذلة » ، قليل ، وهم يومئذ بضعة عشر وثلاثمئة .

٧٧٤٠ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو قول قتادة .

٧٧٤١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ، أقل عدداً وأضعف قوة . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، فإن تأويله ، كالذي قد بينت ، كما : -

٧٧٤٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، أى : فاتقوني ، فإنه شكر نعمتي . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٧٧٤١ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو بعض الأثر السابق قريباً رقم :

٧٧٣٣ .

(٢) الأثر : ٧٧٤٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو أيضاً بعض الأثر : ٧٧٣٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « نعمي » ، وأثبت ما مضى في المخطوطة والمطبوعة في الأثر السالف . وهو مطابق نص ابن هشام .

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ ﴾ (١٢٤)
 بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسويين ﴿ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة ، إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك : أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ ؟ وذلك يوم بدر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حرّ بهم ، في أى يوم وُعدوا ذلك ؟

فقال بعضهم : إن الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته ، إن أتاهم العدو من فورهم ، فلم يأتوهم ، ولم يمدّوا . (١)

ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٣ - حدثني حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : حَدَّثَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ الْحَارَبِيَّ يُمِدُّ الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : « أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ » بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسويين ، قال : فبلغت كُرْزًا الْهَزِيمَةَ ، فَجَرَعَ ، وَلَمْ يُعِدَّهُمْ بِالْخَمْسَةِ .

(١) في المخطوطة : « ولم يمدوا » ، وهو خطأ صرف . هذا والمخطوطة في هذا الموضع كثيرة الخطأ فيما هو واضح كهذا الحرف الذى أثبت ، ولذلك أغفلت كثيراً من أشباهه ، فهت عليه .

٧٧٤٤ - حدثني ابن المني قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم = ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : « ويأتوكم من فورهم هذا » - يعني كرزاً وأصحابه - « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة ، فلم يمدهم ، ولم تنزل الخمسة ، وأميدوا بعد ذلك بألف ، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين .

٧٧٤٥ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد عن الحسن في قوله : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة » ، الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر .

٧٧٤٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : حُدِّثَ المسلمون أن كرزَ بن جابر المحاربي يريد أن يمدَّ المشركين ببدر ، قال : فشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله عز وجل : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم » إلى قوله : « من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغته هزيمة المشركين ، فلم يمدَّ أصحابه ، ولم يمدُّوا بالخمسة .

* * *

وقال آخرون : كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر ، فصبر المؤمنون وانتقوا الله ، فأمدهم بملائكته على ما وعدهم .
* ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن

ومعى بَصَرى، لأخبرتكم بالشَّعب الذى خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أمارى.

٧٧٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن إسحق، وحدثني

عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بنى ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا : أنه قال بعد إذ ذهب بصره : لو كنت معكم اليوم بيدى ومعى بصرى، لأريتكم الشَّعب الذى خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أمارى. (١)

٧٧٤٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال،

حدثني عبد الله بن أبي بكر : أنه حَدَّثَ عن ابن عباس : أن ابن عباس قال :

حدثني رجل من بنى غفار قال : أقبلت أنا وابن عمى لى حتى أضعدها فى جبل يُشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة، على من تكون الدَّبرَةُ فننتهبُ

مع من يتهب. (٢) قال : فبينما نحن فى الجبل، إذ دنت منا سخابة، فسمعنا فيها

حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم. (٣) قال : فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فأت مكانه، (٤) وأما أنا فكدتُ أهلك، ثم تماسكت. (٥)

٧٧٥٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال،

وحدثني الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم مولى عبد الله بن

الحارث، عن عبد الله بن عباس قال : لم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى

يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومَدَدًا لا يضرُّون. (٦)

٧٧٥١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال محمد بن إسحق،

(١) الأثران : ٧٧٤٧، ٧٧٤٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦، وانظره بإسناد آخر يأتي

برقم ٧٧٧٧ مع اختلاف فى لفظه، ومع نسبته إلى يوم أحد، لا يوم بدر. وانظر التعليق عليه هناك.

(٢) الدبرة (بفتح الدال وسكون الباء، وبفتحتين أيضاً) والدائرة : الهزيمة فى القتال، وهى اسم من « الإديار ». يقال : عل من الدبرة ؟ أى الهزيمة. ثم يقال : لمن الدبرة ؟ أى لمن الدولة والظفر.

(٣) قوله : « أقدم » هى كلمة زجر تزجر بها الخيل، وأمرها بالتقدم. وحيزوم : اسم فارس من خيل الملائكة يومئذ. ويقال هو فارس جبريل عليه السلام. هذا وفى المخطوطة : « إذ ذهب منا سخابة » وهو تصحيف.

(٤) قناع القلب : غشاؤه، تشبيهاً له بقناع المرأة الذى تلبسه.

(٥) الأثر : ٧٧٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٥.

(٦) الأثر : ٧٧٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦.

حدثني أبي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني ،
وكان شهد بدرًا قال : إني لأتبعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع
رأسه قبل أن يصل إليه سيني ، فعرفت أن قد قتله غيري . (١)

٧٧٥٢ - حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد ، حدثني
حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال :
قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ،
وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ .
وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال
كثير متفرق في قومه . وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه
العاصي بن هشام بن المغيرة . وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه
رجلاً . فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه ،
ووجدنا في أنفسنا قوة وعِزًّا . (٢) قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القيداح ،
أنحتُها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت القيداح وعندى أم الفضل
جالسة ، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرُ رجله بشرُّ
حتى جلس على طُنْبُ الحجرة ، (٣) فكان ظهره إلى ظهري . فبينما هو جالس إذ
قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم ! قال : قال
أبو لهب : هلُمَّ إليَّ يا ابن أخي ، فعندك الخبر ! قال : فجلس إليه والناس
قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرني ، كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء
والله ، إن كان إلا أن لقيناهم فمَنَحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا ! وإيم الله ،

(١) الأثر : ٧٧٥١ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦

(٢) في المطبوعة : « قوة وعونة » ، وليست بشيء ، وفي المخطوطة « قوه وعيدا » وصواب قراءتها
ما أثبتته من سيرة ابن هشام .

(٣) طنب الحجرة : جانبها المسدل . أخذ من طنب الحياء ، وهو الحبل يشد به إلى الأرض .

مع ذلك ما لمتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما تُلقيق شيئاً ، ولا يقوم لها شيء .^(١) قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك الملائكة !^(٢)

٧٧٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : كان الذي أسر العباس أبو اليَسْر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ،^(٣) وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ،^(٤) وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسرت العباس أبا اليسر ؟ قال : يا رسول الله ، لقد أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا !^(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم .^(٦)

٧٧٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، أمدوا بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف = « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ،

(١) يقال للكريم : « فلان لا يليق شيئاً » من « ألاق » ، أى : ما يحبس شيئاً ولا يمسكه . ويقال للسيف : « سيف لا يليق شيئاً » ، أى : ما يرد ضربته شيء . وهذا الأخير هو المراد هنا . وكان في المطبوعة : « ما يليق لها شيء » بدل ما في المخطوطة ، إذ لم يفهمه . وأثبت ما في المخطوطة والسيرة .

(٢) الأثر : ٧٧٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ ، مع اختلاف يسير في بعض اللفظ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « أبا اليسر . . . أخا بني سلمة » ، وأثبت ما في التاريخ ، فهو أجود عربية .

(٤) قوله : « مجموعاً » ، يعنى : قد اجتمع خلقه فلم يبسط ، وهو نقيض الجسيم ، كما يظهر من سياق الأثر . ولم أجده في كتب اللغة التي بين يدي .

(٥) في المخطوطة : « هيئته كذا ، هيئته كذا » ، وتركت ما في المطبوعة على حاله ، لأنه مطابق لما في التاريخ .

(٦) الأثر : ٧٧٥٣ — لم أجده في المطبوع من سيرة ابن هشام ، وهو في تاريخ الطبري ٢ : ٢٨٨ ،

وذلك يوم بدر، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة .

٧٧٥٥ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٧٧٥٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي ، قال ، حدثني أبي ، ^(١) عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، فإنهم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم مسومين .

٧٧٥٧ - حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن مجاهد قال : لم تقا تل الملائكة إلا يوم بدر .

• • •

وقال آخرون : إن الله عز وجل : « إنما وعدهم يوم بدر أن يمدّهم إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه ، واتقوه باجتناب محارمه ، أن يمدّهم في حروبهم كلها ، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب ، فأمدّهم حين حاصروا قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٥٨ - حدثني محمد بن عمار الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا سليمان بن زيد أبو إدام المخاري ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا محاصري قريظة والتضير ما شاء الله أن نحاصرهم ، فلم يفتح علينا ، فرجعنا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فهو يغسل رأسه ، ^(٢) إذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، وضعت أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقه فلف بها رأسه ولم يغسله ، ثم نادى فينا فقمنا

(١) « قال حدثني أبي » هذه ، سقطت من المطبوعة ، والصواب من المخطوطة ، وهو إسناد دائر في التفسير .

(٢) في المطبوعة : « فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يغسل رأسه » ، وهو تصرف لا شك فيه من ناشر أو ناسخ آخر ، فإن الذي في المخطوطة : « فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يغسل رأسه » ، لما سقط من الجملة قوله : « بماء » ، تصرف الناسخ ، وما كان له أن يغسل ! والصواب كما أثبت ، « مطاباً لما في الخصائص الكبرى للسيوطي . وانظر البغوي (جهاد ابن كثير) ٢ : ٢٢٥ .

كَالَّذِينَ مُعَذِّبِينَ لَانْعَبَأَ بِالسَّيْرِ شَيْئًا، ^(١) حَتَّى أَتَيْنَا قَرِيبَةً وَالنَّضِيرَ . فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة ، وفتح الله لنا فتحاً يسيراً ، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل . ^(٢)

وقال آخرون بنحو هذا المعنى ، غير أنهم قالوا : لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يُمدوا بشيء في أحد .

• ذكر من قال ذلك :

٧٧٥٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، سمعه يقول : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا » ، قال : يوم بدر . قال : فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ، ولومئذ ولم يُهزموا يومئذ .

(١) في المخطوطة : « فقمنا كالمرمعين » غير منقوطة ، فلم يحسن الناشر أن يقرأها ، فجعلها في المطبوعة : « كالزمعين » ، فجاء معلق على التفسير ففسر الكلمة تفسيراً لا يصلح أن يكون كلاماً ههنا ، فخرج الكلام تصحيحاً وخطأً ممّا ! ! وأما السيوطي في الخصائص الكبرى ، فالظاهر أنه لم يحسن هو أيضاً قراءة المخطوطة ، أو كانت في نسخة مصحفة عنده كمثل هذا التصحيح ، فأسقط الجملة كلها وساق الكلام هكذا : « فقمنا حتى أتينا بني قريظة » . وكذلك فعل البغوي . وصواب القراءة هو ما أثبت ، وهو مطابق لصفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخرجهم إلى بني قريظة . يقال « كل الرجل يكل من المشي فهو كال » : إذا بلغ منه التعب والإعياء . ويقال : « أعيا الرجل والبعر وغيره يعي إعياء فهو معي » ، إذا أكله السير وطلحه وبرح به . يقول : فقمنا وقد بلغ منا ومن دوابنا التعب .

(٢) الأثر : ٧٧٥٨ - أخرجه السيوطي في الخصائص الكبرى ١ : ٢٣٣ . فقلا عن ابن جرير في تفسيره هذا . و « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العيسى » ، مضت ترجمته برقم : ٥٧٩٦ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن موسى » ، وهو خطأ . وأما « سليمان بن زيد أبو إدام المحاربي » فهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١٥/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١١٧/١/٢ ، قال يحيى بن معين « ليس بثقة ، كذاب ، ليس يسوى حديثه فلساً » . وقال النسائي : « متروك الحديث » . وكان في المطبوعة : « أبو آدم » وهو خطأ ، ومثله في التهذيب في ترجمته ، وهو خطأ أيضاً صوابه ما أثبت من المخطوطة . و « عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي » ، شهد بيعة الرضوان ، ومات رضي الله عنه سنة ٨٨ ، كما صححه الذهبي في تاريخه .

وهذا الأثر ، وإن كان إسناده لا يقوم ، فإن معناه يشبه أن يكون حقاً ، لموافقته ما جاءت به الرواية عن غزوة بني قريظة في الروايات الصحيحة عن غير عبد الله بن أبي أوفى .

٧٧٦٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد = أو قال : إلا بملك واحد ، أبو جعفر يشك .

٧٧٦١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف » إلى « خمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، كان هذا موعداً من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، ففر المسلمون يوم أحد وولّوا مدبرين ، فلم يمدهم الله .

٧٧٦٢ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا » الآية كلها . قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ينظرون المشركين : يا رسول الله ، أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، وإنما أمدكم يوم بدر بألف ؟ قال : فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا ، قال : بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ، الآية كلها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف ، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله . ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يمدوا بهم . وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم ، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم = وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبر

عندنا صحَّحَ من الوجه الذى يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف .
 وغير جائز أن يقال فى ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به . ولا خبر به كذلك ،
 فنسلم لأحد الفريقين قوله . غير أن فى القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم
 بدر بألف من الملائكة ، وذلك قوله : ﴿ إِذْ تَبْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ
 أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٩] ، فأما فى يوم أحد
 فالدلالة على أنهم لم يمدوا أيُّن منها فى أنهم أمدوا . وذلك أنهم لو أمدوا لم
 يهزموا ، ويُنال منهم ما نيل منهم . فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره .

* * *

وقد بينا معنى « الإمداد » فيما مضى ، « والممدد » ، ومعنى « الصبر » و « التقوى » .^(١)

* * *

وأما قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، فإنَّ أهل التأويل اختلفوا فيه .

فقال بعضهم : معنى قوله : « من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

ذكر من قال ذلك :

٧٧٦٣ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان

ابن غياث ، عن عكرمة قال : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، قال : من وجههم هذا .

٧٧٦٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم هذا .

٧٧٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة مثله .

٧٧٦٦ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

عباد ، عن الحسن فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

(١) انظر معنى « الإمداد والممدد » فيما سلف ١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ / و « الصبر » ٢ : ١١ ،

١٢٤ : ٣ / ٢١٤ ، ٣٤٩ ثم فهارس اثنته فيما سلف / و « التقوى » ١ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ / ٤ :

١٦٢ ، وفهارس اللغة .

- ٧٧٦٧- حدثت عن عمار بن الحسن، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: «ويأتوكم من فورهم هذا»، يقول: من وجههم هذا.
- ٧٧٦٨- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: «ويأتوكم من فورهم هذا» يقول: من وجههم هذا. ٥٢/٤
- ٧٧٦٩- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «ويأتوكم من فورهم هذا»، يقول: من سفرهم هذا = ويقال- يعني عن غير ابن عباس- بل هو: من غضبهم هذا.
- ٧٧٧٠- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «من فورهم هذا»، من وجههم هذا.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: من غضبهم هذا.

* ذكر من قال ذلك:

- ٧٧٧١- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة في قوله: «ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة»، قال: «فورهم ذلك»، كان يوم أحد، غضبوا ليوم بدر مما لقوا.
- ٧٧٧٢- حدثني محمد بن عمار قال، حدثنا سهل بن عامر قال، حدثنا مالك بن مغول قال: سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول: «من فورهم هذا»، يقول: من غضبهم هذا.
- ٧٧٧٣- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «ويأتوكم من فورهم هذا»، قال: غضب لهم، يعني الكفار، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة، وذلك يوم أحد.
- ٧٧٧٤- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج قال، قال ابن جريج، قال مجاهد: «من فورهم هذا»، قال: من غضبهم هذا.

٧٧٧٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاک ، في قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم وغضبهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الفور » ، ابتداء الأمر يؤخذ فيه ، ثم يوصل بآخر . (١) يقال منه : « فارت القدرُ فهي تفور فوراً وفوراناً » ، إذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل . و « مضيت إلى فلان من فوري ذلك » ، يراد به : من وجهي الذي ابتدأت فيه .

* * *

= فالذي قال في هذه الآية : معنى قوله : « من فورهم هذا » ، من « وجههم هذا » = قصد إلى أن تأويله : ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين .

* * *

= وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا = فإنما عتوا أن تأويل ذلك : ويأتيكم كفار قريش وتبائنهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتالهم الذين قتلوا يوم بدر بها ، بمدحكم ربكم بخمسة آلاف .

* * *

ولذلك من اختلاف تأويلهم في معنى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، (٢) اختلف أهل التأويل في إمداد الله المؤمنين بأحدٍ بملائكته .

فقال بعضهم : لم يندوا بهم ، لأن المؤمنين لم يصيروا لأعدائهم ولم يتفوا الله عز وجل ، يترك من ترك من الرامة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت في الموضع الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ، ولكنهم أخذوا به

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « يوجد فيه » ، وهو كلام تخفيف . وأخذ في الأمر : شرع وبدل .

(٢) في المطبوعة : « وكذلك من اختلاف تأويلهم . . . » ، وهو كلام غير مستقيم . ولم

يعسن الناشر قراءة المخطوطة ، لأن من عادة ناظمها أن يترك كثيراً شريطة الكاف ، ويدعها كاللزم ، فظنها هنا « كذلك » ، ولكنها « لذلك » كما قرأتها لك . يقول الطبري : ومن أجل اختلافهم في تأويل : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، اختلف أهل التأويل .

طلب الغنائم، (١) فقتل من قتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا، (٢). وإنما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم إمدادهم بهم إن صبروا واثقوا الله .

* * *

= وأما الذين قالوا: كان ذلك يوم بدر بسبب كثرز بن جابر، فإن بعضهم قالوا: لم يأت كثرز وأصحابه إخوانهم من المشركين مدداً لهم ببدر، ولم يمد الله المؤمنين بملائكته . لأن الله عز وجل إنما وعدهم أن يمدهم بملائكته إن أتاهم كثرز ومدد المشركين من فورهم ، ولم يأتهم المدد .

* * *

= وأما الذين قالوا: إن الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر، فإنهم اعتلوا بقول الله عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٩] ، قال: فالألف منهم قد أتاهم مدداً . وإنما الوعد الذى كانت فيه الشروط ، فما زاد على الألف ، (٣) فأما الألف فقد كانوا أمدوا به ، لأن الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك ، ولن يخلف الله وعده .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القراءة فى قراءة قوله : « مسومين »
فقرأ ذلك عامة قراءة أهل المدينة والكوفة : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ بفتح « الواو » ، بمعنى
أن الله سومتها

* * *

وقرأ ذلك بعض قراءة أهل الكوفة والبصرة ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ بكسر « الواو » ، بمعنى أن
الملائكة سومت لنفسها .

* * *

(١) فى المطبوعة : « طلباً للغنائم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مثله فى المعنى .
(٢) فى المطبوعة : « فقتل من المسلمين » ، وهى غير مستقيمة ، وفى المخطوطة : « فى قتل من قتل من المسلمين » ، وهى الصواب ، إلا فى تصحيف الناسخ وخطه إذ كتب مكان « فقتل » - « فى قتل » .
(٣) فى المطبوعة : « فيما زاد » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر « الواو » ،
لتظاهر الأخبار عن [أصحاب] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل التأويل منهم
ومن التابعين بعدهم ^(١) : بأن الملائكة هي التي سوّمت أنفسها ، من غير إضافة
تسويمها إلى الله عز وجل ، أو إلى غيره من خلقه .

٥٤/٤

ولامعنى لقول من قال : إنما كان يُختار الكسرُ في قوله « مسوِّمين » ، لو
كان في البشر ، فأما الملائكة فوصفهم غير ذلك = ظناً منه بأن الملائكة غير ممكن
فيها تسويمُ أنفسها إمكان ذلك في البشر . وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون الله
عز وجل مكنها من تسويم أنفسها نحو تمكينه البشر من تسويم أنفسهم ، فسوّموا
أنفسهم نحو الذي سوّم البشر ، ^(٢) طلباً منها بذلك طاعة ربها ، فأضيف تسويمها
أنفسها إليها . وإن كان ذلك عن تسييب الله لم أسبابه . وهي إذا كانت موصوفة بتسويمها
أنفسها تقرأ بألفها إلى ربها ، كان أبلغ في مدحها ، لاختيارها طاعة الله ، من أن
تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها .

* * *

ذكر الأخبار بما ذكرنا : من إضافة من أضاف التسويم إلى الملائكة ، دون
إضافة ذلك إلى غيرهم ، على نحو ما قلنا فيه .

(١) في المطبوعة : « لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم . . . »
وهي عبارة فاسدة ، ثم لا تؤيدها الأخبار التي رواها بعد . وفي المخطوطة مثلها ، إلا أنه كتب « بأهل
التأويل » ، وهو تحريف وخطأ . والصواب أن الأخبار المتظاهرة التي سيذكرها هي عن أصحاب رسول الله
وأهل التأويل منهم ، فلذلك زدت « أصحاب » بين القوسين ، وجعلت « فأهل » ، « وأهل » ، واستقام
الكلام . ولو تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان به ولا بأحد حاجة إلى تظاهر
الأخبار عن أصحاب رسول الله وأهل التأويل منهم ومن التابعين من بعدهم . فحق خبره صلى الله عليه وسلم
كفاية من كل خبر ، بألف هو وألف .

(٢) في المطبوعة : « . . . مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر . . . » ثم « . . . فسوّموا
أنفسهم بحق الذي سوّم البشر » ، وهو كلام لا معنى له . وفي المخطوطة أساء الكاتب في الكلمة الأولى فنقط
الحروف وبجسجها فاختلطت ، وكتب الثانية « عس » غير منقوطة ، وصواب قراءتها في الموضعين « نحو »
كما أثبتنا .

٧٧٧٦ — حدثني يعقوب قال، أخبرنا ابن علية قال، أخبرنا ابن عون،

عن عمير بن إسحق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ = يعني يوم بدر = قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسوموا، فإن الملائكة قد تسومت. (١)

٧٧٧٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مختار بن غسان قال، حدثنا

عبد الرحمن بن الغسيل، عن الزبير بن المنذر، عن جده أبي أسيد — وكان بدرياً — فكان يقول: لو أن بصرى فرج منه، (٢) ثم ذهبتم معي إلى أحدٍ لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة في عمام صفر قد طرحوها بين أكتافهم. (٣)

(١) الأثر: ٧٧٧٦ — «ابن عون»، هو: «عبد الله بن عون بن أربطان المزني» أبو عوف الخزاز البصري أحد الفقهاء الكبار. رأى أنس بن مالك، وروى عن ابن سيرين وإبراهيم النخعي والحسن البصري والشعبي وطبقته. وكان في المطبوعة: «ابن عوف»، وهو خطأ، والصواب من المخطوطة. و«عمير بن إسحق القرشي» أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وكان قليل الحديث. وقال أبو حاتم والنسائي: «لا نعلم روى عنه غير ابن عون» قال ابن معين: «ثقة». قال أيضاً: «لا يساوى حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه». فهذا الحديث كما ترى مرسل، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتاج به.

(٢) في المطبوعة: «لو أن بصرى معي، ثم ذهبتم معي»، وهو تصرف من الطابعين فيما يظهر، فقلا عن تصرف السيوطي في الدر المنثور ٢: ٧٠. أما المخطوطة، فكان فيها: «لو أن بصرى حرج منه، ثم ذهبتم معي» فيها «حرج» غير منقوطة، والظاهر أن السيوطي وأما كذلك، فعجز عنها، فاستظهرها من الأثرين السابقين: ٧٧٤٧، ٧٧٤٨، ولكني حرصت على متابعة ما في المخطوطة، فوجدت رواية الأثرين السابقين من طريق ابن شهاب عن أبي حازم، عن سهل بن سعد: «قال لي أبو أسيد الساعدي: بعد ما ذهب بصره: يا ابن أخي، لو كنت أنت وأنا بيد ثم أطلق الله لي بصرى لأرينك الشعب...» (الاستيعاب: ٦٢١) فاستظهرت أن «حرج» تصحيف «فرج» (بتشديد الراء، والبناء للمجهول)، وهي بمعنى «أطلقه الله». وقوله: «فرج منه»، أي: فرج الله عن بعضه. ولو كانت «فرج عنه» لكان صواباً مطابقاً لرواية سهل بن سعد في المعنى. وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب بحمد الله وتوفيقه.

(٣) الأثر: ٧٧٧٧ — «مختار بن غسان التمار الكوفي المدي»، روى عن حفص بن عمر الزهرجي وإسماعيل بن مسلم. ترجم في التهذيب. و«عبد الرحمن بن الغسيل»، هو: «عبد الرحمن ابن ساجان بن عبد الله بن حنظلة الأنصاري» سلفت ترجمته في رقم: ٥١٢٣. أما «الزبير بن المنذر ابن أبي أسيد» فيقال أيضاً أنه «الزبير بن أبي أسيد»، أن أبا أسيد أبوه لا جده، وإسناد الطبري مبن على أنه جده. وقد ذكر ذلك البخاري في الكبير ١/٢/٣٧٥، في خبر ساقه عن ابن الغسيل، وكذلك ابن أبي حاتم ٢/١/٧٩٥، وذكره الحافظ في التهذيب وقال: «وفي إسناده اختلاف»، إشارة إلى هذا الاختلاف في أن أبا أسيد أبوه أو جده.

٧٧٧٨ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «بخمسة آلاف من الملائكة مسومين»، يقول: معلمين، مجزوزة أذنان خيلهم، ونواصيها — فيها الصوف أو العِهْن^(١). وذلك التسويم.

٧٧٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: «بخمسة آلاف من الملائكة مسومين»، قال: مجزوزة أذنانها، وأعرافها فيها الصوف أو العِهْن، فذلك التسويم.

٧٧٨٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «مسومين»، ذكرلنا أن سيهاهم يومئذ، الصوف بنواصي خيلهم وأذنانها، وأنهم على خيل بُلُتَى.

٧٧٨١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «مسومين»، قال: كان سيهاها صوفاً في نواصيها. ٧٧٨٢ — حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد أنه كان يقول: «مسومين»، قال: كانت خيولهم مجزوزة الأعراف، معلمة نواصيها وأذنانها بالصوف والعِهْن.

٧٧٨٣ — حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: كانوا يومئذ على خيل بُلُتَى.

٧٧٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا

أما خبر أبي أسيد هذا فقد سلف بإسناد أبي كريب وابن حميد: ٧٧٤٧، ٧٧٤٨، مع اختلاف في بعض اللفظ، ومع نسبة هذا إلى يوم بدر، لا يوم أحد. والأول هو الثابت الصحيح. وأغشى أن يكون الذي هنا سهواً من ناسخ أو راو، وأن صوابه «إلى بدر». (١) في المخطوطة: «الصوف، المهن»، بحذف «أو»، وهو صواب. والمهن: هو الصوف المصبوغ الملون.

جوير ، عن الضحاك وبعض أشياخنا ، عن الحسن ، نحو حديث معمر ، عن قتادة .

٧٧٨٥ — حدثنا محمد قال : حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « مسومين » ، معلمين .

٧٧٨٦ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، فإنيهم أتوا محمداً النبي صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف ، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف .

٧٧٨٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عباد بن حمزة قال : نزلت الملائكة في سبأ الزبير ، عليهم عمام صفر . وكانت عمامة الزبير صفراء .

٧٧٨٨ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « مسومين » ، قال : بالصوف في نواصيا وأذناها .

٧٧٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق ، عليهم عمام صفر . وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء .

٧٧٩٠ — حدثني أحمد بن يحيى الصوفي قال ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك ٥٥/٤

قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير : أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر ، فاعتم بها ، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبي الله صلى الله عليه وسلم معتمين بعمائم صفر .^(١)

* * *

(١) الأثر : ٧٧٩٠ — « أحمد بن يحيى الصوفي » روى عن محمد بن بشر ، ومحمد بن عبيد وزيد بن الحباب ، وكتب عنه أبو حاتم ، وقال : « ثقة » ، وروى عنه أبو عروة الكوفي . مترجم في ابن أبي حاتم ٨١/١/١ . و« عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله التميمي » . روى عن أبيه . روى

قال أبو جعفر : فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : « تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت » ، وقول أبي أسيد : « خرجت الملائكة في عمائم صفراء قد طرحوها بين أكتافهم » ، وقول من قال منهم : « مسوّمين » معلمين = ينبيّ جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك ، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها ، على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى .

وأما الذين قرأوا ذلك : « مسوّمين » ، بالفتح ، فإنهم أراهم تأوّلوا في ذلك ما : —
 ٧٧٩١ — حدثنا به حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث ، عن عكرمة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، يقول : عليهم سيا القتال .

٧٧٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، يقول : عليهم سيا القتال ، وذلك يوم بدر ، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين . يقول : عليهم سيا القتال .

= فقالوا : كان سيا القتال عليهم ، لا أنهم كانوا تسوّموا بسيا فيضاف إليهم التسويم ، فمن أجل ذلك قرأوا « مسوّمين » ، بمعنى أن الله تعالى أضاف التسويم إلى مَنْ سوّمهم تلك السيا .

و«السيا» العلامة يقال : « هي سيا حسنة ، وسيمياء حسنة » ، كما قال الشاعر : (١)

غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا لَهُ سِيَمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ (٢)

عنه البخاري في الأدب ، وأبو كريب . قال أبو حاتم : « واهن الحديث » ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : « ربما أخطأ » .

(١) هو أسيد بن حنقاء الفزاري .

(٢) سلف تخريج وشرحه في : ٥٩٤ ، ٥٩٥ .

يعنى بذلك : علامة من حسن، ^(١) فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل : « سَوِّمَ نفسه فهو يسوِّمها تسويماً » ^(٢).

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ^(١٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم = « إلا بشرى لكم » ، يعنى بشرى ، يبشركم بها = « ولتطمئن قلوبكم به » ، يقول . وكى تطمئن بوعده الذى وعدكم من ذلك قلوبكم ، فتسكن إليه ، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم = « وما النصر إلا من عند الله » ، يعنى : وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لا من قبيل المدد الذى يأتىكم من الملائكة . يقول : فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ، فإن نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه ومعكم من ملائكته خمسة آلاف ، ^(٣) فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوكم ، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة = أحرى . ^(٤) فاتقوا الله واصبروا

(١) انظر تفسيره « السبأ » فيما سلف ٥ : ٥٩٤

(٢) انظر تفسير « سوم » فيما سلف ٥ : ٢٥١ - ٢٥٧ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبعونه معكم من ملائكته . . . » بإسقاط الواو من « معكم » ، وهو خلل فى الكلام والسياق .

(٤) سياق الكلام : « فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم . . . أخرى » . ثم انظر إلى هذا الإمام كيف يتحرى فى بيان معاني كتاب الله إخلاص التوحيد لله ، ونفى الشرك عنه فى صفاته سبحانه ، فأخرج من النصر ما يتوهم المتوهم أن نزول الملائكة كان هو سبب نصر المؤمنين ، فلخص المعنى تلخيصاً كله تقوى الله وإخلاص له ، ونفى للشرك عن صفاته سبحانه ، فبين أن النصر من

على جهاد عدوكم ، فإن الله ناصركم عليهم ، كما :-

٧٧٩٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما جعله الله إلا بشري لكم » ، يقول : إنما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا إليهم ، ولم يقاتلوا معهم يومئذ = يعني يوم أحد = قال مجاهد : ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر .

٧٧٩٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به » ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى بسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العز والحكم إلى ^(١) لا إلى أحد من خلقى ^(٢) .

٧٧٩٥ - حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما النصر إلا من عند الله » ، لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعلى ، « العزيز الحكيم » .

* * *

وأما معنى قوله : « العزيز الحكيم » ، فإنه جل ثناؤه يعنى : « العزيز » فى انتقامه من أهل الكفر به بأيدى أوليائه من أهل طاعته = « الحكيم » فى تديبره لكم ، أيها المؤمنون ، على أعدائكم من أهل الكفر ، وغير ذلك من أموره . ^(٣) يقول :

عند الله للمؤمنين والملائكة جميعاً على عدو الله وعدوهم ، وأنهم إنما كانوا مدداً للمؤمنين ، كما قال ربنا سبحانه . وهذا من فقه أبي جعفر وبصره وتحققه بمعاني هذا الكتاب الذى لا يدرك أحد توحيد الله حق توحيدِهِ إلا بتلاوته وفهمه وتفقهه فيه ، واتباعه لبيانه العربى المحكم . ورسم الله أبا جعفر ، فإنه كان إماماً فى التفسير ، قى عليه .

(١) فى المطبوعة : « وذلك أنى أعرف الحكمة التى لا إلى أحد من خلقى » ، وهو كلام قد ضل عنه معناه . وفى المخطوطة : « وذلك أن العرف الحكمة التى لا إلى أحد من خلقى » ، وهو شبهه به فى الخطأ . والصواب ما أثبتته من نص ابن إسحق فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٩٩٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع للأثرين السالفين : ٧٧٣٣ ، ٧٧٤١ .

(٣) فى المخطوطة : « فى تديبره ولكم أيها المؤمنون وعلى أعدائكم » ، وهو لا يستقيم مع سياقه ، والصواب ما فى المطبوعة .

فأبشروا أيها المؤمنون ، بتدبيرى لكم على أعدائكم ونصرى إياكم عليهم ، إن أنتم أطعتمونى فيما أمرتكم به ، وصبرتم لجهاد عدوئى وعدوكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ (١٢٧) ٥٦/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد نصركم الله ببدر « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ويعنى : « الطرف » ، الطائفة والنفر .

* * *

يقول تعالى ذكره : ولقد نصركم الله ببدر ، كما هلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله ، فجحدهوا وحدانية ربهم ، ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كما : — ٧٧٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار ، وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم فى الشر .
٧٧٩٧ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع نحوه .

٧٧٩٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر ، قطع الله طائفة منهم وبقيت طائفة .

٧٧٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، أى : ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم . (١)

* * *

(١) الأثر : ٧٧٩٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٩٩٤ . هذا وقد أسقطت المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق » ، فأثبتها ، فهو إسناده دائر فى التفسير كما ترى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفاً من الذين كفروا . وقال : إنما عني بذلك من قُتِلَ بأحد .
* ذكر من قال ذلك :

٧٨٠٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : ذكر الله قتلَ المشركين — يعني بأحد — وكانوا ثمانية عشر رجلاً فقال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ثم ذكر الشهداء فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ، [سورة آل عمران : ١٦٩] .

* * *

وأما قوله : « أو يكتبهم » ، فإنه يعني بذلك : أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم .

وقد قيل إن معنى قوله : « أو يكتبهم » ، أو يعصرهم لوجوههم . ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول : « كتبه الله لوجهه » ، بمعنى صرعه الله . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقاً من الكفار بالسيف ، أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر = « فينقلبوا خائبين » ، يقول : فيرجعوا عنكم خائبين ، لم يصيبوا منكم شيئاً مما رجوا أن ينالوه منكم ، كما : —
٧٨٠١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « أو يكتبهم فينقلبوا خائبين » ، أو يردم خائبين ، أي : يرجع من بقي منهم فلا خائبين ، (٢)
لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون . (٣)

(١) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ١٠٤ .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « أو يرجع من بقي . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام . وأما المطبوعة فقد حذفته قوله : « فلا » ، لأن قلم الناسخ قد اضطرب فضرب خطأ غير بالغ على قوله : « فلا » ، فظنها الناشر علامة حذف . والصواب إثباتها كما في سيرة ابن هشام . والفعل (بفتح الفاء وتشديد اللام) : المنهون ، يقال : « جاء فل القوم » ، أي منهزوم ، يستوي فيه الواحد والجمع .

(٣) الأثر : ٧٨٠١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الآثار التي آخرها رقم : ٧٧٩٩ .

٧٨٠٢ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «أو يكبتهم»، يقول: يخرجهم، «فينقلبوا خائبين» .
 ٧٨٠٣ - حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك تعالى ذكره: ليقطع طرفاً من الدين كفروا، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، لأنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء .
 فقوله: «أو يتوب عليهم»، منصوبٌ عطفاً على قوله: «أو يكبتهم» .
 وقد يحتمل أن يكون تأويله: ليس لك من الأمر شيء، حتى يتوب عليهم - فيكون نصب «يتوب» بمعنى «أو» التي هي في معنى «حتى» . (١)

قال أبو جعفر: والقول الأول أولى بالصواب، لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحدٍ سوى خالقهم، قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك .

وتأويل قوله: «ليس لك من الأمر شيء»، ليس إليك، يا محمد، من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إلى، والقضاء فيهم بيدي دون غيري، أقضى فيهم وأحكم بالذي أشاء، من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة، وإما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي، كما: -

٧٨٠٤ - حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم قال
 لمحمد صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم
 فإنهم ظالمون » ، أى : ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به
 فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم = (١) « فإنهم
 ظالمون » ، أى قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياى . (٢)

* * *

وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،
 لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين ، قال ، كالأيس لم من الهدى أو
 من الإنابة إلى الحق : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ! !
 . ذكر الرواية بذلك :

٧٨٠٥ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا
 حميد قال ، قال أنس : قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكسرت
 رباعيته وشج فجعل يسبح عن وجهه الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم
 بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم !! فأنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب
 عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (٣)

(١) فى سيرة ابن هشام : « . . . بذنوبهم ، فبحق » .

(٢) الأثر : ٧٨٠٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التى أخرها : ٧٨٠١ ،
 مع اختلاف يسير فى بعض لفظه .

(٣) الحديث : ٧٨٠٥ - هذا الحديث رواه الطبرى متصلا بخمسة أسانيد : ٧٨٠٥ - ٧٨٠٨ ،
 ٧٨١٠ ، من طريق بشر بن المفضل ، وابن أبى عدى ، وهشيم ، وأبى بكر بن هياش ،
 وابن علية - الخمسة من حميد بن أبى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك . ورواه : ٧٨٠٩ ، من حديث
 الحسن البصرى ، بنحوه ، مرسلا .

وقد رواه أحمد فى المسند : ١١٩٨٠ ، عن هشيم ، و : ١٢٨٦٢ ، عن سهل بن يوسف ، و :
 ١٣١١٥ ، عن يزيد بن هرون ، و : ١٣١٧٠ ، عن ابن أبى عدى - أربعهم من حميد الطويل ، به .
 (ج ٣ ص ٩٩ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ حطبى) .

ورواه الترمذى : ٨٣ ، عن أحمد بن منيع ، وعبد بن حميد - كلاهما عن يزيد بن هرون ، كرواية
 المسند : ١٣١١٥ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

٧٨٠٦ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٧ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٨ - حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شُجَّ في جبهته وكسرت ربايعته : لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم ! فأوحى الله إليه : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فلمهم ظالمون » . (١)

٧٨٠٩ - حدثني يعقوب ، عن ابن علي قال ، حدثنا ابن عون ، عن الحسن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو

ورواه أبو جعفر النحاس ، في الناسخ والمنسوخ ، ص : ٩٠ ، من طريق يزيد بن هرون .
ورواه أحمد أيضاً ، بنحوه : ١٣٦٩٢ (ج ٣ ص ٢٥٣ ح ١) ، عن عفان ، عن حاد - وهو ابن سلمة - عن ثابت ، عن أنس .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٦٧ ، عن عبد الله بن مسلمة القعنبي ، عن حاد بن سلمة ، به .
وذكره البخاري في الصحيح ٧ : ٢٨١ ، مختصراً ، حلقاً ، من الوجهين . قال : « قال حميد وثابت ، عن أنس . . . » .

وبين الحفاظ في الفتح أن رواية حميد وصلها أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن إسحق في المغازي .
وأن رواية ثابت وصلها مسلم .

وذكر ابن كثير ٢ : ٢٣٨ رواية البخاري المعلقة . وفي ص : ٢٣٩ رواية أحمد عن هشيم . ثم أشار إلى رواية مسلم .

وذكره السيوطي ٢ : ٧٠ - ٧١ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الدلائل .

وانظر ما يأتي : ٧٨١٨ - ٧٨٢١ .

« الرباعية » - هل وزن « ثمانية » : الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا ، بين الثنية والتاب .

(١) الحديث : ٧٨٠٨ - يحيى بن طلحة اليربوعي : سبق في : ٢٢١ أن النسائي ضعفه .
والراجح توثيقه . فقد ترجمه ابن أبي حاتم ١٦٠/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

يدعوهم إلى الله عز وجل ! ! فتزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١)

٧٨١٠ - حدثنا يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك .

٧٨١١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد ، وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبَ بعضُ ربايعيته ، فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن مطر ، عن قتادة قال : أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد وكسرت ربايعيته وفُريق حاجبه ، فوقع وعليه درعان ، والدم يسيل ، فر به سالم مولى أبي حذيفة ، فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول : كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٣ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية ، قال قال الربيع بن أنس : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد ، وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبت ربايعيته ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم ،

(١) الحديث : ٧٨٠٩ - هذه رواية الحسن المرسلة .

وقد ذكر السيوطي ٢ : ٧١ رواية عن الحسن ، مطولة مرسله أيضاً ، ونسبها لعبد بن حميد ، وحده .

فقال : كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى الشيطان ، ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة ، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ! فهم أن يدعو عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم .

٧٨١٤ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية كلها ، فقال : جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر ، فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديداً ، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله أنها قد خالطت غضباً : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الإسلام ! فقال الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد ، أجسامها عتبة بن أبي وقاص ، وشجه في وجهه . وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم صنعوا بنبيهم هذا ! ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٥٨/٤

٧٨١٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري وعن عثمان الجزري ، عن مقسم : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد ، حين كسر رباطه وثأ وجهه ، (١)

(١) وثأ وثأ : فهو أن يضرب حتى يرمص الجلد واللحم ، ويعمل الضرب إلى العظم من غير أن ينكسر ، ينكسر اللحم ولا ينكسر العظم .

فقال : اللهم لا تجعل عليه الحول حتى يموت كافراً ! قال : فما حال عليه الحول حتى مات كافراً .

٧٨١٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسرت رباعيته = قال ابن جريج : ذكر لنا أنه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء » .

• • •

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عز وجل : ليس الأمر إليك فيهم .
« ذكر الرواية بذلك :

٧٨١٨ - حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، قال : وهذا هم الله للإسلام .^(١)

(١) الحديث : ٧٨١٨ - خالد بن الحارث بن عبيد ، أبو عثمان الهبيعي : ثقة ثبت إمام . وقال أحمد : « إليه المنتهى في التثبت بالبصرة » .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٨١٣ ، عن يحيى بن حبيب بن عربي - شيخ الطبري هنا - بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية قبله .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٤ عن يحيى بن حبيب بن عربي أيضاً . وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح ، يستغرب من هذا الوجه ، من حديث نافع عن ابن عمر . ورواه يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان » .

ورواه أحمد أيضاً : ٥٨١٢ - قبل الرواية السابقة - عن أبي معاوية الغلابي ، عن خالد بن الحارث . ورواه أحمد أيضاً : ٥٩٩٧ ، بنحوه ، عن هرون بن معروف المروزي ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر .

٧٨١٩ - حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أحمد بن بشير ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم العن أبا سفيان ! اللهم العن الحارث بن هشام ! اللهم العن صفوان ابن أمية ، فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١)

وهو متابعة صحيحة لرواية ابن عجلان عن نافع ، التي استقرها الترمذي - فكانت غير غريبة ، بهذه المتابعة الصحيحة .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، من رواية المسند : ٥٨١٢ .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٧٠ ، من روايتي أحمد والترمذي .

وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، ونسبه للترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، فقط .

وانظر الحديث التالي لهذا .

(١) الحديث : ٧٨١٩ - أحمد بن بشير ، أبو بكر الكوفي ، مولى عمرو بن حريث الخزومي : ثقة ، أخرج له البخاري في صحيحه . وترجمه هو وابن أبي حاتم ، فلم يذكر فيه جرحاً . ومن نقل فيه جرحاً عن ابن معين فقد وهم . ذلك « أحمد بن بشير » آخر ، كما بينه الخطيب في تاريخ بغداد ٤ : ٤٦ - ٤٨ .

وقوع في المطبوعة هنا اسم أبيه « سفيان » ، وفي المخطوطة « سنين » - وكلاهما خطأ ، ليس في الرواية من يسمى بهذا أو بذلك ، إلا راوياً اسمه « أحمد بن سفيان أبو سفيان النسائي » . وهو متأخر عن هذه الطبقة . وأثبتنا الصواب عن ذلك ، وعن رواية الترمذي هذا الحديث بهذا الإسناد ، كما سيأتي .

عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : رجحنا توثيقه في شرح المسند : ٥٦٣٨ ، بأنه أخرج له مسلم في صحيحه ، ويقول الحاكم : « أحاديثه كلها مستقيمة » . وهو يروى هنا عن عمه « سالم بن عبد الله بن عمر » ، عن جده « عبد الله بن عمر » .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٦٧٤ ، عن أبي النضر ، عن أبي عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عمر بن حمزة ، به . وزاد في آخره بعد نزول الآية : « قال : فتب عليهم » .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٣ ، عن أبي السائب سلم بن جنادة بن سلم الكوفي - شيخ الطبري هنا - بهذا الإسناد . وزاد في آخره : « فتأب عليهم ، فأسلموا فحسن إسلامهم » .

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم . وكذا رواه الزهري ، عن سالم ، عن أبيه » .

ورواية الزهري عن سالم - التي أشار إليها الترمذي - رواها أحمد في المسند : ٦٣٤٩ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه .

وكذا رواها أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ص : ٨٩ ، من طريق عبد الرزاق ، به . ورواه أيضاً ابن المبارك عن معمر .

٧٨٢٠ --- حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن كعب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال : اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، والوليد بن الوليد ! اللهم أنج المستضعفين من المسلمين ! اللهم اشد وطأتك على مُضَرَّ ! اللهم سنين كسنتين آل يوسف ! فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية . (١)

فرواه أحمد في المسند : ٦٣٥٠ ، عن علي بن إسحق ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن سالم . عن أبيه .

وكذلك رواه البخاري ٧ / ٢٨١ ، ٨ : ١٧٠ / ١٣ ، ٢٦٣ - ٢٦٤ ، من طريق عبد الله بن المبارك .

ورواه البخاري أيضاً ٧ : ٢٨١ ، من رواية ابن المبارك ، عن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي ، عن سالم بن عبد الله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو . . . » ، رواه تبعاً لحديث ابن المبارك عن معمر . فقال الحافظ في الفتح : « والراوى له عن حنظلة ، هو عبد الله بن المبارك » .
وهم من زعم أنه معلق . وقوله : « سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو » ، إلى آخره - : هو مرسل .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية المسند : ٥٦٧٤ .

وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، وزاد نسبه للنسائي ، والبيهقي في الدلائل .

(١) الحديث : ٧٨٢٠ - عبد الله بن كعب : هو الحميري المدني ، مولى عثمان بن عفان . وهو ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه ، وترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢ : ١٤٢ .

وهذا الحديث مرسل ، لأن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي - تابعي - وقد مضت ترجمته في : ٢٣٥١ . ولم أجد هذا الحديث المرسل في موضع آخر . ومعناه ثابت صحيح في الحديث الآتي عقبه : ٧٨٢١ ، وفي حديث أبي هريرة في المسند : ٧٦٥٦ ، من رواية الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . عن أبي هريرة . ولكن ليس فيه نزول الآية .
ثم وجدته موصولاً من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن نفسه :

فرواه البخاري ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، في حديث مطول ، عن أبي إيمان ، عن شعيب ، عن الزهري « قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة ... قال : وقال أبو هريرة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع رأسه . . . » - إلخ .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٢٠٧ ، مقتصرأ على القسم الأخير منه ، من أول قوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم » - من طريق عثمان بن سعيد الدارمي ، عن أبي إيمان ، بمثل إسناد البخاري ، ثم قال : « رواه البخاري في الصحيح ، عن أبي إيمان » .

٧٨٢١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب أخبره ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن : أنهما سمعا أبا هريرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ ، في صلاة الفجر ، من القراءة ويكبر ويرفع رأسه : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد . ثم يقول وهو قائم : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ! اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسني يوسف ! اللهم العن لحيان ورِعْلاً وذكوان ، وعُصَيَّةَ عَصَتِ الله ورسوله ! ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١)

* * *

ووجدته أيضاً مرسلًا ، مثل رواية الطبري هنا :
 فرواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٤٢ ، من طريق سلمة بن رجاء ، عن محمد بن إسحق ، بمثل إسناده الطبري هنا . وزاد في آخره بعد الآية : « قال : فادع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعاه على أحد » .
 (١) الحديث : ٧٨٢١ - روى مسلم في صحيحه ١ : ١٨٧ ، عن أبي الطاهر ، وجرملة بن يحيى - كلاهما عن ابن وهب ، بهذا الإسناد .
 ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٩٧ ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب ، به . ثم أشار إلى رواية مسلم .
 ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٤٢ ، عن يونس بن عبد الأعلى - شيخ الطبري هنا - بهذا الإسناد ؛ ولكنه اختصر آخره ، فلم يذكر قوله : « ثم بلغنا أنه ترك ذلك . . . » .
 ورواه أحمد في المسند : ٧٤٥٨ ، عن أبي كامل ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، بهذا الإسناد ، نحوه .
 وكذلك رواه البخاري ٨ : ١٧٠ - ١٧١ (فتح) ، عن موسى بن إسماعيل ، عن إبراهيم بن سعد ، به . وكذلك رواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ، ص : ٨٩ ، من طريق الحسن بن محمد ، عن إبراهيم بن سعد .
 وكذلك رواه البيهقي ٢ : ١٩٧ ، من طريق محمد بن عثمان بن خالد ، عن إبراهيم بن سعد . ونقله ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية البخاري ، التي أشرنا إليها آنفاً .
 وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ولم يفرق بين روايتي إبراهيم بن سعد ويونس ، والفرق بينهما واضح - فنسبه بنحو رواية يونس - للبخاري والنحاس ، وهما لم يروياه بهذا اللفظ .

القول في تأويل قوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ليس لك ، يا محمد ، من الأمر شيء . والله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها ، دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما يشاء ، ويقضى فيهم ما أحب ، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ، ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه ، وهو الغفور الذى يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضلله عليهم بالعفو والصفح ، والرحيم بهم فى تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم ، كما : —

٧٨٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « والله غفور

رحيم » ، أى يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم . (١)

* * *

وقد قال الحافظ في الفتح ٧ : ٢٨٢ ، فى شرح حديث ابن عمر ، الذى أشرنا إليه فى شرح : ٧٨١٩ — قال : « وقع فى رواية يونس ، عن الزهري ، عن سيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، نحو حديث ابن عمر ، لكن فيه : اللهم العن الحيان ورعلا وذكوان وعصية ، قال : ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت : (ليس لك من الأمر شيء) . قات [القائل ابن حجر] . وهذا إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخى عن قصة أحد . لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها ، كما سيأتى تلوه هذه الفزوة ، وفيه بعد . والصواب : أنها نزلت فى شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد . والله أعلم . ويؤيد ذلك ظاهر قوله فى صدر الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) أى يقتلهم ، (أو يكتهم) أى يخرجهم ، ثم قال : (أو يتوب عليهم) أى فيسلّموا ، (أو يعذبهم) أى إن ماتوا كفاراً .

وهذا تحقيق نفيس جيد من الطراز العالى .

(١) الأثر : ٧٨٢٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهوتابع الآثار الى آخرها رقم : ٧٨٠٤ .

القول في تأويل قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) ٥٩/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تأكلوا الربا في إسلامكم بعد إذ هداكم له ، كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم .

وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم : أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه ، فيقول له البذئ عليه المال : أخر عني دينك وأزيدك على مالك . فيفعلان ذلك . فذلك هو « الربا أضعافاً مضاعفة » ، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه ، كما : —

٧٨٢٣ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : كانت ثقيف تدّأين في بني المغيرة في الجاهلية ، فإذا حلّ الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخّرون ؟ فترلت : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

٧٨٢٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، أى : لا تأكلوا في الإسلام إذ هداكم الله له ، ^(١) ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم في دينكم . ^(٢)

٧٨٢٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : ربا الجاهلية .

٧٨٢٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول

(١) في سيرة ابن هشام : « هداكم الله به » .

(٢) الأثر : ٧٨٢٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، من بقية الآثار التي آخروها بقم : ٧٨٢٢ .

في قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : كان أبي يقول : إنما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن .^(١) يكون للرجل فضل دين ، فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضيني أو تزيدني؟^(٢) فإن كان عنده شيء يقضيه قضى ، وإلا حوَّله إلى السن التي فوق ذلك = إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية ، ثم حِقَّة ، ثم جَدَّعة ، ثم رباعياً .^(٣) ثم هكذا إلى فوق = وفي العين يأتيه ،^(٤) فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً ، فتكون مئة فيجعلها إلى قابل مئتين . فإن لم يكن عنده جعلها أربعمئة ، يضعفها له كل سنة أو يقضيه . قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

* * *

وأما قوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فإنه يعني : واتقوا الله أيها المؤمنون ، في أمر الربا فلا تأكلوه ، وفي غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه ، وأطيعوه فيه = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لتنجحوا فتنجوا من عقابه ، وتدركوا ما رغبتكم فيه من ثوابه والخلود في جنانه ، كما : —

٧٨٢٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « واتقوا الله

لعلكم تفلحون » ، أى : فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه ، وتدركوا ما رغبتكم فيه من ثوابه .^(٥)

* * *

(١) السن : العمر . يريد بها أسنان الأنعام ، كما سيبين لك من بقية الأثر .

(٢) في المخطوطة : « تقضى أو تزيدني » .

(٣) « المخاض » : النوق الحوامل . و « ابن المخاض » و « ابنة المخاض » ، ما دخل في السنة الثانية ، لأن أمه لحقت بالمخاض ، أى الحوامل . و « اللبون » : الناقة ذات اللبن . و « ابن اللبون » و « ابنة لبون » ، ما ألق عليه سستان ، ودخل في السنة الثالثة . قصارت أمه لبوناً ، أى ذات لبن . و « الحق » و « الحقة » البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة . و « الجذعة » ما استكمل أربعة أعوام ودخل في الخامسة . فإذا طعن البعير في السادسة فهو « ثنى » ، وقد سقط هذا من الأسنان التي يذكرها . أما « الرباع » للذكر ، و « الرباعية » للأنثى ، فهو الذي دخل في السابعة .

(٤) العين : المال . من ذهب وقضة وأشباهها .

(٥) الأثر : ٧٨٢٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التي آخرها : ٧٨٢٤ ،

وفي السيرة « لعلكم تنجوا » . . . وتدركون » .

القول في تأويل قوله ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واتقوا ، أيها المؤمنون ، النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهى إياكم عنه - التي أعددت لها لمن كفر بي ، فتدخلوا مدخلهم بعد إيمانكم بي ، (١) بخلافكم أمرى ، وترككم طاعتي ، كما : - ٧٨٢٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » ، التي جعلت داراً لمن كفر بي . (٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأطيعوا الله ، أيها المؤمنون ، فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء ، وفيما أمركم به الرسول . يقول : وأطيعوا الرسول أيضاً كذلك - « لعلكم ترحمون » ، يقول : لترحموا فلا تعذبوا .

• • •

وقد قيل إن ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد ، فأخذوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها .
• ذكر من قال ذلك :

٧٨٢٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وأطيعوا

(١) في المخطوطة : « مدخلهم » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٨٢٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ تابع الآثار التي أخرها : ٧٨٢٧ .

الله والرسول لعلمكم ترحمون » ، معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذي أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره - يعنى : في يوم أحد . (١)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وسارعوا » ، وبادروا وسابقوا = (٢) « إلى مغفرة من ربكم » ، يعنى : إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمة ، وما يغايبها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها = « وجنة عرضها السموات والأرض » ، يعنى : وسارعوا أيضاً إلى جنة عرضها السموات والأرض .

٦٠/٤

• • •

ذكر أن معنى ذلك : وجنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع ، إذا ضم بعضها إلى بعض .

« ذكر من قال ذلك :

٧٨٣٠ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، قال : قال ابن عباس : تُقَرَّن السموات السبع والأرضون السبع ، كما تُقَرَّن الثياب بعضها إلى بعض ، فذاك عرض الجنة .

• • •

ولأنما قيل : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فوصف عرضها بالسموات والأرضين ، والمعنى ما وصفنا : من وصف عرضها بعرض السموات والأرض ،

(١) الأثر : ٧٨٢٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، تابع الآثار التي آخرها : ٧٨٢٨ .

(٢) الظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠ .

تشبيهاً به في السعة والعظم ، كما قيل : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَغْنَمُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة لقمان : ٢٨] ، يعني : إلا كبعث نفس واحدة ، وكما قال الشاعر : (١)

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلَى نَعَامٍ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارٍ (٢)

أى : عذيرُ نعام ، وكما قال الآخر : (٣)

حَسِبْتَ بُنْعَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا ! وَمَا هِيَ ، وَيَبَّ غَيْرُكَ ، بِالْعَنَاقِ (٤)

يريد : صوت عناق .

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له :

(١) هو شقيق بن جزء بن رياح الباهل ، وينسب لأعشى باهلة ، ولنا بفتح خطأ .
(٢) الكامل ٢ : ١٩٦ ، معجم البلدان (سلى) ، واللسان (فوق) (سلى) ، وكان شقيق بن جزء قد أغار على بني ضبة بروضه سلى وروضه ساجر ، وهما روضتان لمكل - وضبة وعدى وعكل وتيم حلفاء متجاوزون - فهزبهم ، وأفلت عوف بن ضرار ، وحكيم بن قبيصة بن ضرار بعد أن جرح ، وقتلوا عبدة بن قصيب الضبي ، فقال شقيق :

لَقَدْ قَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي بِسَلَى وَرَوْضَةَ سَاجِرِ ذَاتِ الْقَرَارِ
جَزَيْتُ الْمُلْجَيْنِ بِمَا أَرَأْتُ مِنَ الْبُؤْسِ رِمَاحُ بَنِي ضِرَارِ
وَأَفْلَتَ مِنْ أَسْلَتِنَا حَكِيمٌ جَرِيضًا مِثْلَ إِفْلَاتِ الْحِمَارِ
كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ

وفي المعجم « ذات الرار » ، والصواب ما أثبت . والقرار : المكان المنخفض المظلم يستقر فيه الماء ، فتكون عندها الرياض ، ومنه قوله تعالى : « وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » . والملجى الذى قد تحصن بملجاً واعتصم . وأزل إليه زلة : أى أنتم إليه واصطنع عنده ضيعة ، وإنما أراد : ما قدم من السوء ، سخرية منهم . يقول : جزيتهم هؤلاء المتصمين بأسوأ ما صنعوا . وقوله : « جريضاً » ، أى أفلت وقد كاد يقضى ويهلك . والعذير : الحال . يقول كأن حالهم حال نعام فى أرض قفر يصوت مدحوراً ، هزموه وتصايحوا . والقفار جمع قفر ، يقال : « أرض قفر وأرض قفار » ، يوصف بالجمع .

(٣) هو ذو الحرق الطهوى .

(٤) سلف تخريجه وشرحه فى ٣ : ١٠٣ .

هذه الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال : هذا النهار إذا جاء ، أين الليل .

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره .

٧٨٣١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن يعلى بن مرة قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحصر ، شيخاً كبيراً قد فُئِدَ . (١) قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلاً عن يساره . قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية . فإذا كتاب صاحبني : « إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، (٢) فأين النار ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ (٣)

(١) في المطبوعة : « قد أقعد » . وهو خطأ لاشك فيه ، وفي تفسير ابن كثير ٢ : ٢٤٠ « قد فسد » ، وهو خطأ أيضاً ، ولكنه رجح عندي أن نص الطبري هنا قد « فئد » (بضم الفاء وتشديد النون المكسورة مبنياً للمجهول) بمعنى : قد نسب إلى الفئد (بفتح الحاء) وهو العجز ، والخرف وإنكار العقل من الهرم والمرس ، ولم يرد ذلك إنما أراد الكبر والهرم إلى أقصى العمر . وأهل اللغة يقولون في ذلك « أفند » (بالبناء للمعلوم) ، وأفنده الكبر : إذا أوقمه في الفئد ، وأما رواية أحمد في المسند ، فنصها : « شيخاً كبيراً قد بلغ الفئد أو قرب » .

(٢) في المطبوعة : « فإذا هو أنك كتبت تدعوني » ، وهو محاولة تصحيح لما في المخطوطة ، وكان فيها : « فإذا كان كتبت تدعوني » ، والصواب الذي أثبتته من ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٤١ ، ومثله في خبر أحمد في مسنده .

(٣) الحديث : ٧٨٣١ - « مسلم بن خالد » : هو الزنجي المكي الفقيه ، شيخ الإمام الشافعي . وهو في نفسه صدوق ، ولكنه يخطئ كثيراً في روايته ، حتى قال البخاري : « منكر الحديث » ولذلك رجعنا تضعيفاً في المسند : ٦١٣ .

ابن خثيم - بضم الخاء المعجمة ثم فتح الثاء المثناة : هو عبد الله بن عثمان بن خثيم ، مضت ترجمته في : ٤٣٤١ .

سعيد بن أبي راشد : في التهذيب ٤ : ٢٦ ويقال : ابن راشد . روى عن يعلى بن مرة الثقفي ، وعن التنوخي النمراني رسول قيصر ، ويقال : رسول هرقل . وعنه عبد الله بن عثمان بن خثيم . ذكره ابن حبان في الثقات ، قلت : وفي الرواة سعيد بن أبي راشد ، أو ابن راشد - آخر .

٧٨٣٢ — حدثنا محمد بن يشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ،

ثم نقل طابع التهذيب هامشة عن الأصل الذي يطبع عنه . وجعل رقمها عند قوله « التصريف » - وهذا نصها : « قال شيخنا : أسلم متأخراً ، عن هذا يقال له أبو محمد المازني ، السهك ، مذكور في كتاب الضمفاء . نهت عليه ! ! »
وهذا تخطيط عجيب من الطابع . فالهامشة أصلها هامشتان يقيناً ، كل منهما في موضع ، كما هو بدهي .

فإن قوله : « أسلم متأخراً » هو المناسب لقوله « التصرف » . وأما ما بعده ، فإنه يريد به أن « سعيد ابن راشد » أو « ابن أبي راشد » متأخر عن المترجم الذي يروي عن رسول قيصر ، وأن هذا المتأخر هو الذي كنيته « أبو محمد المازني السهك » . وهو مترجم في الكبير للبخاري ٤٣١/١/٢ ، وقال فيه : « متكرر الحديث » . وترجمه ابن أبي حاتم ١٩/١/٤ - ٢٠ برقم : ٨٠ ، وترجم قبله ، برقم : ٧٩ « سعيد بن أبي راشد » وأنه صحابي ، وترجم بعدهما برقم : ٨١ « سعيد بن راشد المرادي » - وهو متأخر عن هذين .

وترجم الحافظ في الإصابة ٣ : ٩٦ للصحابي ، ثم قال في آخر الترجمة : « وأما سعيد بن أبي راشد شيخ عبد الله بن عثمان بن خثيم ، روى عنه عن رسول قيصر حديثاً = فأظنه غير هذا » .
وترجم الذهبي في الميزان ١ : ٣٧٩ ثلاث تراجم ، فرق بينها ، وبين ضعف « سعيد بن راشد المازني السهك » . وكذلك صنع الحافظ في لسان الميزان ٣ : ٢٧ - ٢٨
و « سعيد بن راشد السهك » الضعيف : ترجمه ابن حبان في المحروحين ، برقم : ٣٩٨ ، وأساء القول فيه .

والراجح عندي أن « سعيد بن أبي راشد » الذي هنا = هو الصحابي . وأنه روى هذا عن التنوخي رسول هرقل .

يمل بن مرة : هو الثقفى الصحابي المعروف . وعندي أن ذكره في هذا الإستاد مقحم خطأ ، كما سيأتي .
التنوخي رسول هرقل : لم أجد له ترجمة ، إلا ذكره بهذا الوصف وأنه روى عنه سعيد بن أبي راشد ، كما ذكره الحافظ في التجميع ، ص : ٥٣٥ . وإلا الكلمة التي نقلها طابع التهذيب عن هامش أصله بأنه أسلم متأخراً . فهو بهذا لا يعتبر من الصحابة ، لأنه حين لقي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مسلماً ، وإنما أسلم بعده . ولا يعتبر من الصحابة إلا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسلماً حين الرؤية . أما من رآه وكان كافراً حين الرؤية ثم أسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم - كالتنوخي هذا - فلا محبة له . انظر تدريب الراوى ، ص : ٢٠٢ .

ولكن روايته تكون صحيحة مقبولة ، لأنه كان مسلماً حين الأداء ، أعني التبليغ والتحديث ، وإن كان كافراً حين التحمل ، أعني الرؤية وسماح ما يرويه . وانظر أيضاً تدريب الراوى ، ص : ١٢٨ .
وهذا الحديث طرف من حديث طويل في قصة ، رواه الإمام أحمد في المستدرك : ١٥٧١٩ (ج ٣ ص ٤٤١ - ٤٤٢ حلي) ، عن إسحق بن عيسى - وهو الطباع - عن يحيى بن سليم ، وهو الطائفي ، « عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : رأيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بجمص ، وكان جاراً لي ، شيخاً كبيراً ، قد بلغ الفتى أو قرب . . . » - إلى آخر القصة .

حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أن ناساً من اليهود سألو عمر بن الخطاب عن « جنة عرضها السموات والأرض » ، أين النار ؟ قال : رأيتم إذا جاء الليل ، أن يكون النهار ؟ فقالوا : اللهم نزعْتَ بمثله من التوراة !^(١)

٧٨٣٣ - حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران ، فسألوه وعنده أصحابه فقالوا : رأيْت قوله : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فأين النار ؟ فأحجم الناس ، فقال عمر : رأيتم إذا جاء الليل ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟ فقالوا : نزعْت مثلها من التوراة .

٧٨٣٤ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، أخبرنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر بنحوه ، في الثلاثة الرّهط الذين أتوا عمر فسألوه : عن جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، بمثل حديث قيس بن مسلم .

وقد نقله الحافظ ابن كثير في التاريخ ٥ : ١٥ - ١٦ ، عن المسند - بطوله - وإسناده ، ثم قال : « هذا حديث غريب » ، وإسناده لا بأس به . تفرد به أحمد . وأشار إليه في التفسير ٢ : ٢٤٠ ، إشارة موجزة .

وقد وقع في نسختي المسند - المطبوعة والمخطوطة : « يحيى بن سليمان » ، بدل « يحيى بن سليم » . وهو خطأ من النسخين . وثبت على الصواب في تاريخ ابن كثير . فهذه رواية يحيى بن سليم الطائفي عن ابن خثيم - فيها أن سميد بن أبي راشد هو الذي لقي التنوخى وسمع منه هذا الحديث .

ويحيى بن سليم : سبق توثيقه في : ٤٨٩٤ . وقد تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه ، ومهما يقل في حفظه فلا نشك أنه كان أحفظ من مسلم بن خالد الزنجي الضعيف ، وخاصة في حديث ابن خثيم ، فقد شهد أحد ليحيى بن سليم بأنه « كان قد أتقن حديث ابن خثيم » .

فمن ذلك قطعنا بأن زيادة « عن يعلى بن مرة » - في إسناده الطبري هذا - خطأ وهم . والراجح أن الخطأ من مسلم بن خالد .

ورواية الطبري - هذه - ذكرها ابن كثير في التفسير ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١ ، والسيوطي ٢ : ٧١ ، ولم ينسبها لغيره .

(١) في المطبوعة : « مثله من التوراة » ، وفي المخطوطة « مثله » ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « انتزع معنى جيداً ونزعه » ، أى استخرجه واستنبطه .

٧٨٣٥ - حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، أخبرنا الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال : تقولون : « جنة عرضها السموات والأرض » ، أين تكون النار ؟ فقال له عمر : أرايت النهار إذا جاء أين يكون الليل ؟ أرايت الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ فقال : إنه لمثلها في التوراة ، فقال له صاحبه : لم أخبرته ؟ فقال له صاحبه : دعه ، إنه بكلِّ موقن .

٧٨٣٦ - حدثني أحمد بن حازم قال ، أخبرنا أبو نعيم قال ، حدثنا جعفر بن برقان قال ، حدثنا يزيد بن الأصم : أن رجلاً من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال : تقولون : « جنة عرضها السموات والأرض » ، فأين النار ؟ فقال ابن عباس : أرايت الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟ (١)

• • •

(١) الحديث : ٧٨٣٦ - جعفر بن برقان - بضم الباء الموحدة وسكون الراء - الكلبي الجزري : ثقة صدوق ، وثقه ابن معين ، وابن نمير ، وغيرهما .
يزيد بن الأصم بن عبيد البكائي : تابعي ثقة ، أمه برزة بنت الحارث ، أخت ميمونة أم المؤمنين . وعبد الله بن عباس هو ابن خالته .
ورقع في المطبوعة هنا « يزيد الأصم » ، وهو خطأ . « الأصم » لقب أبيه ، وليس لقبه .
وهذا الحديث رواه يزيد بن الأصم عن ابن خالته ابن عباس ، موقوفاً عليه من كلامه . والإستناد إليه صحيح .

وقد رواه أيضاً يزيد ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أرايت جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرايت هذا الليل قد كان ثم ليس شيء ، أين جعل ؟ قال : الله أعلم ، قال : فإن الله يفعل ما يشاء . رواه ابن حبان في صحيحه ، رقم : ١٠٣ بتحقيقنا ، والحاكم في المستدرک : ١ : ٣٦ - من حديث يزيد بن الأصم عن أبي هريرة . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ولا أعلم له علة » ، ووافقه الذهبي .

وكذلك رواه البزار من حديثه . نقله عنه ابن كثير ٢ : ٢٤١ ، بنحوه . وذكره الميشتي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٧ ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » . وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، ونسبه للبزار والحاكم فقط .
وأما الموقوف على ابن عباس ، فقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤١ ، عن هذا الموضع من الطبري . وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، ونسبه إليه وإلى عبد بن حميد .

قال أبو جعفر : وأما قوله : « أعدت للمتقين » فإنه يعنى : أن الجنة التى عرضها كعرض السموات والأرضين السبع ، أعدها الله للمتقين ، الذين اتقوا الله فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم ، فلم يتعدوا حدوده ، ولم يقصروا فى واجب حقه عليهم /
فيضيئوه ، كما : —

٧٨٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، أى : داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين ينفقون فى السراء والضراء » ، أعدت الجنة التى عرضها السموات والأرض للمتقين ، وهم المنفقون أموالهم فى سبيل الله ، إما فى صرفه على محتاج ، وإما فى تقوية مُضعِف على النهوض لجهاده فى سبيل الله . (٢)

* * *

وأما فى قوله : « فى السراء » ، فإنه يعنى : فى حال السرور ، بكثرة المال ورخاء العيش .

* * *

(١) الأثر : ٧٨٣٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٧٨٢٩ . وكان فى المطبوعة : « أى ذلك لمن أطاعنى » ، وهو إن كان مستقرباً على وجه ، إلا أن نص ابن هشام أشد استقامة على منهاج المعنى فى الآية ، فأثبت نص ابن هشام . هذا مع قرب التصحيف فى « داراً » إلى « ذلك » . فمن أجل هذا رجعت ما فى سيرة ابن هشام .
(٢) فى المطبوعة : « للجهاد » ، بلامين ، وأثبت ما فى المخطوطة . والمضعف : الذى قد ضعفت دابته .

« والسراء » مصدر من قولهم : « سرفى هذا الأمر مسرةً وسروراً »

* * *

« والضراء » مصدر من قولهم : « قد ضُرَّ فلان فهو يُضَرُّ » ، إذا أصابه الضرُّ ، وذلك إذا أصابه الضيق ، والجهد في عيشه . (١)

* * *

٧٨٣٨ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين ينفقون في السراء والضراء » ، يقول : في العسر واليسر .

* * *

فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها ، لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة ، (٢) وفي حال الضيق والشدة ، في سبيله .

* * *

وقوله : « والكاذمين الغيظ » ، يعنى : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه .

* * *

يقال منه : « كظم فلان غيظه » ، إذ تجرَّعه ، فحفظ نفسه من أن تمضى ما هي قادرة على إمضائه ، باستمكانها من غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها . وأصل ذلك من « كظم القربة » ، يقال منه : « كظمتُ القربة » ، إذا ملأها ماء . و « فلان كظيمٌ ومكظومٌ » ، إذا كان ممتلئاً غماً وحزناً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ٨٤] ، يعنى : ممتلئاً من الحزن . ومنه قيل لجارى المياه : « الكظائم » ، لامتلائها بالماء . ومنه قيل : « أخلدت بكظمه » يعنى : بمجارى نفسه .

* * *

(١) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٥٠ - ٣٥٢ .
(٢) في المخطوطة : « في حال الرضا » ، وكأنها صواب أيضاً .

و « الغيظ » مصدر من قول القائل : « غاظني فلان فهو يغیظني غيظاً » ، وذلك إذا أحفظه وأغضبه .

* * *

وأما قوله : « والعافين عن الناس » ، فإنه يعنى : والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون ، فتاركوها لهم .

* * *

وأما قوله : « والله يحب المحسنين » ، فإنه يعنى : فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدّ للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض ، والعاملون بها هم « المحسنون » ، وإحسانهم ، هو عملهم بها ، كما : —

٧٨٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين ينفقون في السراء والضراء » الآية ، « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، أى : وذلك الإحسان ، وأنا أحب من عمل به . (١)

٧٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، قوم أنفقوا في العسر واليسر ، والجهد والرخاء ، فن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ، ولا قوة إلا بالله . فنبهت ، والله يا ابن آدم ، الجرعة نجت عنها من صبر وأنت مغیظ ، وأنت مظلوم .

٧٨٤١ — حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ، حدثنا محمد بن بشر قال ، حدثنا محرز أبو رجاء ، عن الحسن قال : يقال يوم القيامة : ليقم من كان له على الله أجر . فما يقوم إلا إنسان عفا ، ثم قرأ هذه الآية : « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » . (٢)

(١) الأثر : ٧٨٣٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ وهو من تمام الآثار التي آخرها : ٧٨٣٧ .

(٢) الأثر : ٧٨٤١ — « موسى بن عبد الرحمن المسروقي » سلفت ترجمته برقم : ٣٣٤٥ .

و « محمد بن بشر بن الفرافصة المديني » مفتت ترجمته أيضاً برقم : ٤٥٥٧ . و « محرز » « أبو رجاء » هو « محرز بن عبد الله الجزري » ، مولى هشام بن عبد الملك . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : « كان يدلس عن مكحول » .

٧٨٤٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة في قوله : « والكاذمين الغيظ » : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ، ملأه الله أمناً وإيماناً . (١)

٧٨٤٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والكاذمين الغيظ » إلى « والله يحب المحسنين » ، ف « الكاذمين الغيظ » كقوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

(١) الحديث : ٧٨٤٢ - داود بن قيس الفراء : سبق توثيقه في : ٥٣٩٨ .

زيد بن أسلم : تابعي ثقة معروف ، مضى في ٥٤٦٥ .
وأما عبد الجليل ، الذي ذكر غير منسوب ، إلا بأنه من أهل الشام - : فإنه مجهول . وعنه أشد جهالة منه .

وقد ذكره الذهبي في الميزان ، والحافظ في اللسان ، في ترجمة « عبد الجليل » ، وقالوا : « قال البخاري : لا يتابع عليه » .

وترجمه ابن أبي حاتم ٣/١/٣ ، وقال : « روى عنه داود بن قيس . وقال بعضهم : عن داود ابن قيس ، عن زيد بن أسلم » . أي كثر رواية الطبري هنا .
وهذا الإسناد ضعيف ، لجهالة اثنين من رواته .

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، عن عبد الرزاق ، به .

ونقله السيوطي ٢ : ٧١ - ٧٢ ، ونسبه لعبد الرزاق ، والطبري وابن المنذر .

وذكره في الجامع الصغير : ٨٩٩٧ ، ونسبه لابن أبي الدنيا في ذم النفس ؛ ولم ينسبه لغيره ، فكان عجباً !!

وفي معناه حديثان ، رواهما أبو داود : ٤٧٧٧ ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه . و : ٤٧٧٨ ، عن سويد بن وهب ، عن رجل من أبناء الصحابة ، عن أبيه .

وقد روى أحمد في المسند : ٦١١٤ ، عن علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، أخبرنا الحسن ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ ، يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى .
وهذا إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، من تفسير ابن مردويه . من طريق علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، به . ثم قال : « رواه ابن جرير . وكذا رواه ابن ماجة ، عن بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد ، به » .

فنسبه ابن كثير - في هذا الموضع - لرواية الطبري . ولم يقع إلتيافه في هذا الموضع . فلا ندري :
أرواه ابن جرير في موضع آخر ، أم سقط هنا سهواً من الناقلين ؟ فلذلك أثبتناه في الشرح احتياطاً .

[سورة الشورى : ٣٧] ، يغضبون في الأمر لو وقعوا به كان حراماً ، فيغفرون ويعفون ، يلتمسون بذلك وجه الله = « والعافين عن الناس » كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ إلى ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة النور : ٢٢] ، يقول : لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً ، واعفوا واصفحوا .

٦٣/٤

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أن الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين ، المنفقين في السراء والضراء ، والذين إذا فعلوا فاحشة . وجميع هذه النعوت من صفة « المتقين » ، الذين قال تعالى ذكره : « وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، كما : —

٧٨٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر ابن سليمان ، عن ثابت البناني قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، ثم قرأ : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » إلى « أجر العاملين » ، فقال : إن هذين النعتين لنعيت رجل واحد .

٧٨٤٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، قال : هذان ذنبان ، « الفاحشة » ، ذنب ، « وظلموا أنفسهم » ذنب .

* * *

أما « الفاحشة » ، فهي صفة لمترك ، ومعنى الكلام : والذين إذا فعلوا فعلة فاحشة .

* * *

ومعنى « الفاحشة » ، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه . وأصل « الفحش » : القبح ، والخروج عن الحد والمقدار في كل شيء . ومنه قيل للطويل المفرط الطول : « إنه لفاحش الطول » ، يراد به : قبيح الطول ، خارج عن المقدار المستحسن . ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد : « كلام فاحش » ، وقيل للمتكلم به : « أفحش في كلامه » ، إذا نطق بفحش . (١)

* * *

وقيل : إن « الفاحشة » في هذا الموضع ، معنى بها الزنا .
* ذكر من قال ذلك :

٧٨٤٦ — حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ، حدثنا حبان قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن جابر : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، قال : زنى القوم ورب الكعبة .

٧٨٤٧ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أما « الفاحشة » ، فالزنا .

* * *

وقوله : « أو ظلموا أنفسهم » ، يعنى به : فعلوا بأنفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بها . والذى فعلوا من ذلك ، ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته ، كما : —

٧٨٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان عن منصور ، عن إبراهيم قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، قال : الظلم من الفاحشة ، والفاحشة من الظلم .

* * *

(١) انظر تفسير « الفحشاء » فيما سلف ٣ : ٤/٣٠٣ : ٥٧١ .

وقوله : « ذكروا الله » ، يعنى بذلك : ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه = « فاستغفروا لذنوبهم » ، يقول : فسألوا ربهم أن يستر عايبهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها = « ومن يغفر الذنوب إلا الله » ، يقول : وهل يغفر الذنوب — أى يعفو عن ركبها فيسترها عليه — إلا الله = « ولم يصروا على ما فعلوا » ، يقول : ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ، ومعصيتهم التى ركبوها = « وهم يعلمون » ، يقول : لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها ، وهم يعلمون أن الله قد تقدم بالنهاى عنها ، وأوعد عليها العقوبة من ركبها .

• • •

وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويسرها أمّتنا ،^(١) لما كانت بنو إسرائيل ممتهنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها .

٧٨٤٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح : أنهم قالوا : يا نبي الله ، بنو إسرائيل أكرم على الله منا ! كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه : « اجدع أذنك » ، « اجدع أنفك » ، « افعل » ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترلت : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » إلى قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير من ذلك » ؟ فقرأ هؤلاء الآيات .

٧٨٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني عمر بن أبى خليفة العبدى قال ، حدثنا على بن زيد بن جدعان قال : قال ابن مسعود : كانت

(١) فى المطبوعة : « أمنا » ، مكان « أمتنا » ، أخطأ الناشر الأول قراءتها ، لأنها غير منقوطة فى المخطوطة ، وقوله : « أمتنا » منصوب ، مفعول به لقوله : « خصوصاً » . أى : قد خص الله بتخفيفها ويسرها أمّتنا .

بنو إسرائيل إذا أذنبوا أصبح مكتوباً على بابہ الذنب وكفارته ، فأعطينا خيراً من ذلك ، هذه الآية . (١)

٦٣/٤ ٧٨٥١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني قال : لما نزلت : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه » ، بكى إبليس فرعاً من هذه الآية .

٧٨٥٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني قال : بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، بكى .

٧٨٥٣ - حدثنا محمد بن المنثي قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي قال : سمعت علي بن ربيعة يحدث ، عن رجل من فزارة يقال له أسماء - و : ابن أسماء - ، عن علي قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفغني الله بما شاء أن ينفعني [منه] ، فحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد - قال شعبة : وأحسبه قال : مسلم - يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب [إلا غفر له] = وقال شعبة : وقرأ إحدى هاتين الآيتين : ﴿ مَنْ يَفْعَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . (٢)

(١) الأثر : ٧٨٥٠ - « عمر بن أبي خليفة العبدى » ، واسم « أبي خليفة » : « حجاج بن صائب » ، ثقة مات سنة ١٨٩ ، مترجم في التهذيب ، وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عمر بن خليفة » وهو خطأ .

(٢) الحديث : ٧٨٥٣ - عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي : هو عثمان بن المغيرة مولى ثقيف . وسيأتى باسم أبيه في الحديث التالى لهذا . وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين وغيرهما .

علي بن ربيعة بن نضلة الوائلي الأسدي : تابعي ثقة ، روى له الشيخان وأصحاب السنن . أسماء أو ابن أسماء ، هكذا شك فيه شعبة . وغيره لم يشك فيه . وهو أسماء بن الحكم الفزاري ، كما سيأتى في الإسناد التالى لهذا . وهو تابعي ثقة ، وثقه المعجل وغيره . وترجمه ابن أبي حاتم ٣٢٥/١/١ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

٧٨٥٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = وحدثنا الفضل بن إسحق قال ،
 حدثنا وكيع = عن مسعر وسفيان ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن علي بن ربيعة
 الوالبي ، عن أسماء بن الحكم الفزاري ، عن علي بن أبي طالب قال : كنت إذا
 سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني
 عنه غيره استحلقتة ، فإذا حلف لي صدقته . وحدثنني أبو بكر ، وصدق أبو بكر ،
 أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ،
 ثم يصلي = قال أحدهما : ركعتين ، وقال الآخر : ثم يصلي = ويستغفر الله ،
 إلا غفر له . (١)

وترجمه البخارى في الكبير ٥٥٠/٢/١ ، وأشار إلى روايته هذا الحديث ، ثم قال : « ولم يتابع
 عليه . وقد روى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم عن بعض ، فلم يحلف بعضهم بعضاً » . وهذا
 لا يقدح في صحة الحديث ، كما قال الحافظ المزى .

والحديث رواه الطيالسي ، عن شعبة ، بهذا الإسناد . وهو أول حديث في مسنده المطبوع .

ورواه أحمد في المسند ، برقم : ٤٨ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به .

ورواه أيضاً ، برقم : ٤٧ ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة .

ورواه أيضاً ، برقم : ٥٦ ، عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عثمان بن أبي زرة ، عن علي
 ابن ربيعة . و « عثمان بن أبي زرة » : هو عثمان بن المغيرة الثقفي .

وكذلك رواه الترمذي ١ : ٣١٣ - ٣١٤ (رقم : ٤٠٦ بشرحنا) . عن قتيبة ، عن أبي عوانة .
 وكذلك رواه أيضاً في كتاب التفسير ٤ : ٨٤ ، بهذا الإسناد .

وقال في الموضع الأول : « حديث علي حديث حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، من حديث
 عثمان بن المغيرة . وروى عنه شعبة وغير واحد ، فرفعوه مثل حديث أبي عوانة . ورواه سفيان الثوري
 ومسرحاً وفقاه ، ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم » ! وقال نحو ذلك في الموضع الثاني .

كأنه يريد تعليل المرفوع بالموقوف . وما هي بطله .

ولكنه وهم - رحمه الله - وهما شديداً فيما نسب إلى مسمر وسفيان . وما هي ذى روايتهما عقب هذه
 الرواية ، مرفوعة أيضاً . ولعل له عذراً أن تكون روايتهما وقعت له موقوفة .

(١) الحديث : ٧٨٥٤ - هو تكرار للحديث السابق ، ولكنه مختصر قليلاً .

والفضل بن إسحق - شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ ولم أجده له ترجمة . ولعله محرف عن اسم آخر .

والحديث من هذا الوجه رواه أحمد في المسند ، برقم : ٢ ، عن وكيع ، عن مسمر وسفيان ، بهذا
 الإسناد ، مرفوعاً أيضاً . فهو يرد على الترمذي ادعائه أن سفيان ومسرحاً رواه موقوفاً .

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤٦ ، عن رواية المسند هذه . ثم قال : « وهكذا رواه علي بن المديني ،

٧٨٥٥ — حدثنا الزبير بن بكار قال ، حدثني سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أخيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب أنه قال : ما حدثني أحدٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سألتُه أن يقسم لي بالله لهو سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أبا بكر ، فإنه كان لا يكذب . قال علي رضي الله عنه : فحدثني أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يذنب ذنباً ، ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ، ثم يصلي ركعتين ، ويستغفر الله من ذنبه ذلك ، إلا غفره الله له . (١)

* * *

وأما قوله : « ذكرُوا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فإنه كما بينا تأويله .

وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون :

٧٨٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أي : إن أتوا فاحشة = « أو ظلموا أنفسهم » بمعصية ،

والحميدي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأهل السنن ، وابن حبان في صحيحه ، والبخاري ، والدارقطني - من طرق ، عن عثمان بن المغيرة ، به .

وذكره السيوطي ٢ : ٧٧ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١ : ٢٤١ ، مختصراً ، ونسبه لبعض من ذكرنا ، ثم قال : « وذكره ابن خزيمة في صحيحه بغير إسناد ، وذكر فيه الركعتين » .

(١) الحديث : ٧٨٥٥ — وهذا إسناد ثالث للحديث السابق . ولكنه إسناد ضعيف جداً .

الزبير بن بكار — شيخ الطبري : ثقة ثبت عالم بالنسب ، عارف بأخبار المتقدمين . وهو ابن أخي المصعب بن عبد الله الزبيري ، صاحب كتاب « نسب قريش » .

سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري : قال أبو حاتم — فيما روى عنه ابنه ٢/١/٨٥ : « هو في نفسه مستقيم ، وبليته أنه يحدث بن أخيه عبد الله بن سعيد ، وعبد الله بن سعيد ضعيف الحديث ، ولا يحدث من غيره . فلا أدري ، منه أم من أخيه ؟ » .

وأخوه : هو عبد الله بن سعيد المقبري ، وهو ضعيف جداً ، روى بالكذب .

والإسنادان السابقان كافيان كل الكفاية لصحة الحديث ، دون هذا الإسناد الواهي .

ذكروا نهي الله عنها ، وما حرّم الله عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوبَ إلا هو . (١)

* * *

وأما قوله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » ، فإن اسم « الله » مرفوع ولا جحد قبله ، وإنما يرفع ما بعد « إلا » بإتباعه ما قبله إذا كان نكرة ومعه جحد ، كقول القائل : « ما في الدار أحد إلا أخوك » . (٢) فأما إذا قيل : « قام القوم إلا أباك » ، فإن وجه الكلام في « الأب » النصب . و« مَنْ » بصلته في قوله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » ، معرفة . فإن ذلك إنما جاء رفعاً ، لأن معنى الكلام : وهل يغفر الذنوب أحدٌ = أو : ما يغفر الذنوب أحدٌ إلا الله . فرفع ما بعد « إلا » من [اسم] الله ، (٣) على تأويل الكلام لا على لفظه .

* * *

وأما قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ؛ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويل « الإصرار » ، ومعنى هذه الكلمة . فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يشنوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ، ولكنهم تابوا واستغفروا ، كما وصفهم الله به . ذكر من قال ذلك :

٧٨٥٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، فإياكم والإصرار ، فإنما هلك المصرون ، الماضون قُدماً ، لانتهاهم مخافة الله عن حرام حرّمه الله عليهم ، ولا يتوبون من ذنب أصابوه ، حتى أتاهم الموت وهم على ذلك .

٤

(١) الأثر : ٧٨٥٦ - ابن هشام ٣ : ١١٥ ، ١١٦ - وهو تنص الأثر إلى آخرها رقم :

٧٨٣٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٢٤ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « ما بعد إلا من الله » ، والصواب زيادة ما بين الأقوسين .

٧٨٥٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ؟ قال : قَدْماً قَدْماً في معاصي الله !! لا تنهاهم مخافة الله ، حتى جاءهم أمر الله .

٧٨٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أى : لم يقيموا على معصيتي ، كفعل من أشرك بي ، فيما عملوا به من كفرٍ بي .^(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يواقعوا الذنب إذا هموا به .

• ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا » ، قال : إتيان العبد ذنباً لإصراراً ، حتى يتوب .

٧٨٦١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ولم يصروا على ما فعلوا » ، قال : لم يواقعوا .^(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى « الإصرار » ، السكوت على الذنب وترك الاستغفار .

• ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أما « يصروا » فيسكتوا ولا يستغفروا .

* * *

(١) الأثر : ٧٨٥٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٨٥٦ .

(٢) في المخطوطة : « قال : لم يصروا » ، لم يفعل غير إعادة لفظ الآية ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب ، كما سترى في ترجيح أبي جعفر به .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : « الإصرار » ، الإقامة على الذنب عامداً ، وترك التوبة منه .^(١) ولا معنى لقول من قال : « الإصرار على الذنب هو مواقته » ، لأن الله عز وجل مدح بترك الإصرار على الذنب ومواقع الذنب ، فقال : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، ولو كان المواقع الذنب مصراً بمواقته إياه ، لم يكن للاستغفار وجهٌ مفهوم . لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم ، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقع صاحبه ، وجهٌ .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » .

٧٨٦٣ - حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي قال ، حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي نصيرة ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(٢)

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « أو ترك التوبة » ، ولا معنى لوضع « أو » هنا والصواب ما أثبت .
(٢) الحديث : ٧٨٦٣ - الحسين بن يزيد السبيعي ؛ مضى الكلام في : ٢٨٩٢ بالشك في نسبته « السبيعي » . ولكن هكذا ثبتت هذه النسبة مرة أخرى في هذا الموضع . فلمله شيخ الطبري لم تصل إلينا معرفته .

عبد الحميد الحماني - بكسر الحاء وتشديد الميم : هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأخرج له الشيخان .
عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أحمد : « لا أرى به بأساً » .

أبو نصيرة - بضم النون وفتح الصاد المهمل - الواسطي : اسمه مسلم بن عبيد . وهو تابعي ثقة .
والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٤٨ ، من رواية أبي يعلى ، من طريق عبد الحميد الحماني ، بهذا الإسناد ، ووقع فيه تحريف في كنية « أبي نصيرة » واسمه ونسبه . وهو خطأ مطبعي فيما أرجح .
وقال ابن كثير - بعد ذكره : « ورواه أبو داود ، والترمذي ، والبخاري ، وابن ماجة ، من حديث عثمان بن واقد ، وقد وثقه يحيى بن معين - به . وشيخه أبو نصيرة الواسطي ، واسمه مسلم بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد ، وابن حبان . وقول علي بن المديني والترمذي : ليس لإسناد هذا الحديث بذاك - فالظاهر أنه

= فلو كان مواقع الذنب مصرًا ، لم يكن لقوله : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ، معنى . لأن واقعة الذنب إذا كانت هي الإصرار ، فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره ، كما لا يزيل عن الزاني اسم « زان » وعن القاتل اسم « قاتل » ، توبته منه ، ولا معنى غيرها . وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصرٍّ عليه ، فعلوم بذلك أن « الإصرار » غير الواقعة ، وأنه المقام عليه ، على ما قلنا قبل .

* * *

واختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله : « وهم يعلمون » .
فقال بعضهم : معناه : وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا .
* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « وهم يعلمون » ، فيعلمون أنهم قد أذنبوا ، ثم أقاموا فلم يستغفروا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يعلمون أن الذي أتوا معصية لله . (١)
* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وهم يعلمون » ، قال : يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب .

* * *

لأجل جهالة مولى أبي بكر . ولكن جهالة مثله لا تضر ، لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبة إلى أبي بكر ، فهو حديث حسن .

وذكره السيوطي ٢ : ٧٨ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب .
(١) في المخطوطة : « معصية الله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٨٦٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تمة الآثار التي آخرها : ٧٨٥٩ .
وكان في المطبوعة والمخطوطة : « بما حرمت عليهم » ، وأثبت ما في ابن هشام ، فهو الصواب .

القول في تأويل قوله ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ وَّهُمْ مُنْفَرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَجَنَّتْ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، الذين ذكر أنه أعد لهم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، من المتقين ، ووصفهم بما وصفهم به . ثم قال : هؤلاء الذين هذه صفتهم = « جزاؤهم » ، يعنى : ثوابهم من أعمالهم التي وصفهم تعالى ذكره أنهم عملوها ^(١) = « مغفرة من ربهم » ، يقول : عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ، ولم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها = « جنات » ، وهى البساتين ^(٢) = « تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : تجرى خلال أشجارها الأنهار وفى أسافلها ، جزاء لهم على صالح أعمالهم ^(٣) = « خالدين فيها » يعنى : دائمى المقام فى هذه الجنات التي وصفها = « ونعم أجر العاملين » ، يعنى : ونعم جزاء العاملين لله ، الجنات التي وصفها ، كما : —

٧٨٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أولئك

جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » ، أى ثواب المطيعين . ^(٤)

• • •

(١) انظر تفسير : « الجزء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١٤ / ٦ : ٥٧٦ .

(٢) انظر تفسير : « الجنات » فيما سلف ١ : ٣٨٤ / ٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ .

(٣) انظر تفسير : « تجرى من تحتها الأنهار » فيما سلف ٥ : ٥٤٢ .

(٤) الأثر : ٧٨٦٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٨٦٥ .

القول في تأويل قوله ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : « قد خلت من قبلكم سنن » ، مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم ، (١) يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به ، من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط ، وغيرهم من سُلَاف الأمم قبلكم (٢) = « سنن » يعني : مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ، بإمهالي أهل التكذيب بهم ، واستدراجي إياهم ، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم ، ثم أحلت بهم عقوبتي ، وأنزلت بساحتهم نِقَمِي ، (٣) فتركهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا = « فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، يقول : فسيروا - أيها الظانئون ، أن إدالتي من أدلت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه ، لغير استدراج مني لمن أشرك بي ، وكفر برسلي ، وخالف أمرى - في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم ، ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي ، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي ، وما الذي آل إليه غيبُ خلافهم أمرى ، (٤) وإنكارهم وحدانيتي ، فتعلموا عند ذلك أن إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد ، إنما هي استدراج وإمهال ليلبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم .

(١) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ٤/١٢٨ : ٢٨٩ .

(٢) « سلاف » عل وزن « جهال » جمع « سلف » ، وجهه أيضاً « أسلاف » ، والسلاف : المتقدمون من الآباء الذين مضوا .

(٣) في المطبوعة : « نِقَمِي » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « عن خلافهم أمرى » ، وهي في المخطوطة « عب » غير منقوطة ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، وغيب الأمر : عاقبه وآخرته .

ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم : من تعجيل العقوبة عليهم ، أو ينيبوا إلى طاعتي واتباع رسولي .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٧ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، فقال : ألم تسيرا فى الأرض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح ، والأمم التى عذب الله عز وجل ؟

٧٨٦٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » ، يقول : فى الكفار والمؤمنين ، والخير والشر .

٧٨٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد خلت من قبلكم سنن » ، فى المؤمنين والكفار .

٧٨٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم = يعنى بالمسلمين يوم أحد = والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال تغزية لهم وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، أى : قد مضت منى وقائع نعمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : (١) عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فسيروا فى الأرض تروا مثلات قد مضت فيهم ، ولمن كان على مثل ما هم عليه من ذلك

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشرك فى عاد وثمود . . . » ، وهو خطأ جداً ، والصواب ما أثبتته من سيرة ابن هشام .

منى ، ^(١) وإن أمليت لهم ، ^(٢) أى : لثلاث تظنوا أن تقمى انقطعت عن علومكم وعدوى ، ^(٣) للدولة التى أدلتها عليكم بها ، لأبتليكم بذلك ، ^(٤) لأعلم ما عندكم . ^(٥)
٧٨٧١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، يقول : متعهم فى الدنيا قليلا ، ثم صيرهم إلى النار .

قال أبو جعفر : وأما « السنن » فإنها جمع « سنة » ، « والسنة » ، هى المثال المتبع ، والإمام المؤتم به . يقال منه : « سن فلان فينا سنة حسنة ، وسن سنة سيئة » ، إذا عمل عملا اتبع عليه من خير وشر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامٌ ^(٦)

-
- (١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما هم عليه مثل ذلك منى » ، والصواب من ابن هشام .
(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إن أمكنت لهم » ، والصواب من ابن هشام . والإجماع : الإيهال والاستدراج .
(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « عن علوم وعدوى » ، والصواب من ابن هشام ، وهو مقتضى سياق الضمائر فى عبارته .
(٤) الإدالة الفلبة . يقال : « أدلى لنا على عدونا » ، أى نصرنا عليهم ، وه أدلى على فلان » ، أى : انصرفى عليه . والدولة (بضم الدال ، وبفتحها سكن الواو) : الانتقال من حال إلى حال فى الحرب وغيرها . وانظر ما ساقى فى تفسير ذلك بعد قليل ص : ٢٣٩ .
(٥) الأثر : ٧٨٧٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو من تمام الآثار التى أخرها : ٧٨٦٦ .
(٦) من معلقته البارعة ، يذكر قومه وفضلهم ، والبيت متعلق بقوله قبل :

إِنَّا إِذَا التَقَّتِ الْمَجَامِيعُ ، لَمْ يَزَلْ مِنَّا لِرِازِ عَظِيمَةٍ جَسَامُهَا
وَمُقَسَّمٌ يُعْطَى الشَّيْءَ حَقَّهَا ، وَمُعْذِرٌ لِحَقْوَقِهَا هَضَامُهَا
فَضْلًا ، وَذَوْ كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى ، سَمِيحٌ كَسُوبِ رَغَائِبِ غَنَامُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ

يقول : هذه المادة سنة وطريقة قد توارثناها ، ولكل سنة إمام قد تقدم الناس فيها فاتبعوه ، فمن أهل الفضل القديم الذى ابتدئته أوائلنا للناس .

٦/٤

وقول سليمان بن قتة : (١)

وَإِنَّ الْأُلَىَّ بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا، فَتَسَّوْا لِلِكِرَامِ النَّاسِيَا (٢)

* * *

وقال ابن زيد في ذلك ما : —

٧٨٧٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« قد دخلت من قبلكم سنن » ، قال : أمثال *

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ هَذَا يَبَآنُ لِلنَّاسِ وَهَدَى

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في المعنى الذى أشير إليه بـ « هذا » .

فقال بعضهم : عني بقوله : « هذا » ، القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٣ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

(١) في المطبوعة : « سليمان بن قتة » ، وهو تصحيف وقع في كتب كثيرة ، و « قتة » أمه ، وهو مولد لثيم قریش . وهو من التابعين ، روى عن أبي سعيد الخدرى ، وابن عمر وابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، ومعاوية . ترجم له البخارى في الكبير ٣٣/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ١٣٦/١/٢ . وزعم بعضهم أنه « سليمان بن حبيب المحارب » ، وهو خطأ ، بل هما رجلان ، هذا محارب ، وهذا تيمى . وهو أحد الشعراء الفرسان ، وهو القائل :

وَقَدْ يَحْرِمُ اللَّهُ الْفَتَى وَهُوَ عَاقِلٌ وَيُعْطَى الْفَتَى مَالًا وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ

وهو من أول من سن رثاء أهل البيت ، وله في رثائهم شعر كثير .

(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٨٤ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٣٩ ، وأمالى الشجرى ١ : ١٣١ ، واللسان (أسى) ، وغيرها . وهذا البيت ، أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله ، فلم الناس أن لا يريم حتى يقتل . و « الطف » : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وقوله : « تأسوا » ، صار بعضهم أسوة لبعض في الصبر على المصير إلى الموت بلا رهبة ولا فرق .

عباد ، عن الحسن في قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، قال : هذا القرآن .

٧٨٧٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هذا بيان للناس » ، وهو هذا القرآن ، جعله الله بياناً للناس عامة ، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً .

٧٨٧٥ — حدثنا المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال في قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصة .

٧٨٧٦ — حدثني المثني قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج في قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصة .

وقال آخرون : إنما أشير بقوله : « هذا » ، إلى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، ثم قال : هذا الذي عرفتكم ، يا معشر أصحاب محمد ، بيان للناس .
* * *
ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق بذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : قوله : « هذا » ، إشارة إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده ، وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم . لأن قوله : « هذا » ، إشارة إلى حاضر : إما مرثى وإما مسموع ، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة .

فمعنى الكلام : هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه ، بيان للناس = يعنى بـ « البيان » ، الشرح والتفسير ، كما : —

٧٨٧٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « هذا بيان للناس » ، أى : هذا تفسير للناس إن قبلوه . (١)

٧٨٧٩ — حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي : « هذا بيان للناس » ، قال : من العمى .

٧٨٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الشعبي مثله .

• • •

وأما قوله : « وهدى وموعظة » ، فإنه يعنى بـ « الهدى » ، الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين = « الموعظة » ، التذكير للصواب والرشاد ، (٢) كما : —

٧٨٨١ — حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي : « وهدى » ، قال : من الضلالة = « وموعظة » ، من الجهل .

٧٨٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن بيان ، عن الشعبي مثله .

٧٨٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « للمتقين » ، أى : لمن أطاعنى وعرف أمرى . (٣)

• • •

(١) الأثر : ٧٨٧٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تسمية الآثار التي آخرها رقم : ٧٨٧٠ .

(٢) انظر تفسير : « الهدى » فيما سلف ، من فهارس اللغة = وتفسير « الموعظة » ، فيما سلف ٢ : ١٨٠ / ٦ : ١٤ .

(٣) الأثر : ٧٨٨٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تسمية الآثار التي آخرها : ٧٨٧٨ ، والظاهر أنه قد سقط من نص ابن إسحق ، ما أثبتته ابن هشام في تفسير هذه الآية ، وهو قوله قبل الذى رواه أبو جعفر : أى : « نور وأدب للمتقين » . أما ما رواه أبو جعفر فهو تفسير قوله : « للمتقين » ، وهو في هذا الموضع يفسر « الهدى » ، و « الموعظة » .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد .

قال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يا أصحاب محمد ، يعني : ولا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد ، من القتل والقروح — عن جهاد عدوكم وحرهم .

= من قول القائل : « وهن فلان في هذا الأمر فهو بين وهناً » .

= « ولا تحزنوا » ، ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ ، فإنكم « أنتم الأعلون » ، يعني : الظاهرون عليهم ، ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقوني نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم ، وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم ، كما : —

٧٨٨٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري قال : كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح ، حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأس ، فأنزل الله عز وجل القرآن ، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية ، فقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » إلى قوله : « لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » .

٧٨٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، يعزى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويحثهم على قتال عدوهم ، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله .

٧٨٨٦ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، قال : يأمر محمداً ، يقول : « ولا تهنوا » ، أن تمضوا في سبيل الله . (١)

٧٨٨٧ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ولا تهنوا » ، ولا تضعفوا .

٧٨٨٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٨٨٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يقول : ولا تضعفوا .

٧٨٩٠ - حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تهنوا » ، قال ابن جريج : ولا تضعفوا في أمر عدوكم = « ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » ، قال : انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ، فقالوا : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فنعى بعضهم بعضاً ، وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فكانوا في همّ وحزن . فبينما هم كذلك ، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم ، وهم أسفلُ في الشعب . فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا قوة لنا إلا بك ، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء نفر » ! قال : وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة ، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون الجبلَ . فذلك قوله : « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

٧٨٩١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تهنوا » ، أى : لا تضعفوا = « ولا تحزنوا » ، ولا تأسوا على ما أصابكم (٢) = « وأنتم الأعلون » ،

(١) في المخطوطة : « وأن تمضوا » ، بزيادة « واو » ، والذي في المطبوعة أظهر .

(٢) في سيرة ابن هشام : « ولا تبتسوا » .

أى : لكم تكون العاقبة والظهور = « إن كنتم مؤمنين » إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عنى .^(١)

٧٨٩٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا يعلو علينا » . فأنزل الله عز وجل : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قراءة أهل الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ ، كلاهما بفتح « القاف » ، بمعنى : إن يمسسكم القتل والجراح ، يا معشر أصحاب محمد ، فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح = قتل وجراح = مثله .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة : ﴿ إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ [كلاهما بضم القاف] .^(٢)

• • •

(١) الأثر : ٧٨٩١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٨٧٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من سياق كلامه . هذا ، وظاهر من ترجيح أبي جعفر بعد ، أن في الكلام سقطاً من الناسخ ، وذلك تفسير « القرح » بضم القاف ، ولعله كان قد ذكر هنا ما قاله الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٣٤ وذلك قوله :

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ : « إن يمسخكم قرح » فقد مس القوم قرح مثله ، ، بفتح « القاف » في الحرفين ، لإجماع أهل التأويل على أن معناه : القتل والجراح . فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح .
 وكان بعض أهل العربية يزعم أن « القرّح » و « القرُح » لغتان بمعنى واحد .
 والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا .^(١)

• • •
 . ذكر من قال : « إن « القرّح » ، الجراح والقتل .

٧٨٩٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إن يمسخكم قرح » فقد مس القوم قرح مثله ، ، قال : جراح وقتل .

٧٨٩٤ - حدثني الثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٨٩٥ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « إن يمسخكم قرح » فقد مس القوم قرح مثله ، ، قال : إن يقتلوا منكم يوم أحد ، فقد قتلهم منهم يوم بدر .

٧٨٩٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن يمسخكم قرح » فقد مس القوم قرح مثله ، ، والقرح الجراحة ، وذاك يوم أحد ، فشا في أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة ، فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم ، وأن الذي أصابكم عقوبة .

« وقد قرأ أصحابُ عبد الله « قرح » وكانَ القرُح : ألم الجراحات ، وكانَ القرّحَ الجراحاتُ بأعينها »

٧٨٩٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله » ، قال : ذلك يوم أحد ، فشا في المسلمين الجراح ، وفشا فيهم القتل ، فذلك قوله : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، يقول : إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله = يعزى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثم على القتال .
٧٨٩٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، والقرح هي الجراحات .

٧٨٩٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن يمسسكم قرحٌ أي : جراح = « فقد مس القوم قرح مثله » ، أي : جراح مثلها . (١)
٧٩٠٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نام المسلمون وبهم الكلوم = يعني يوم أحد = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس » ، وفيهم أنزلت ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [سورة النساء : ١٠٤] .

* * *

وأما تأويل قوله : « إن يمسسكم قرحٌ » ، فإنه : إن يصيبكم ، (٢) كما : -
٧٩٠١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إن يمسسكم » ، إن يصيبكم .

* * *

(١) الأثر : ٧٨٩٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تلمذة الآثار التي آخرها : ٧٨٩١ .

(٢) انظر تفسير : « المس » فيما سلف ٢ : ٢٧٤ / ٥ : ١١٨ / ٧ : ١٥٠ .

القول في تأويل قوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] ^(١) : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، أيام بدر وأحد .

* * *

ويعنى بقوله : « نداولها بين الناس » ، نجعلها دُولاً بين الناس مصرفة .
= ويعنى : « الناس » ، المسلمين والمشركين . وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين . وأدال المشركين من المسلمين بأحد ، فقتلوا منهم سبعين ، سوى من جرحوا منهم .

* * *

يقال منه : « أدال الله فلاناً من فلان ، فهو يُدِيلُه منه إدالة » ، إذا ظفربه فانصرف منه مما كان نال منه المدال منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٧٩٠٢ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال جعل الله الأيام دولا ، أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، إنه والله لولا الدُّوَل ما أودى المؤمنون ، ولكن قد يُدال للكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب .

٧٩٠٤ — حدثني المنفي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فأظهر الله عز وجل

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضها سياق تفسيره .

نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر ، وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد . وقد يدال الكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب . وأما من ابتلى منهم = من المسلمين = يوم أحد ، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تلك الأيام نداوها بين الناس » ، يوماً لكم ويوماً عليكم .
٧٩٠٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « نداوها بين الناس » ، قال : أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩٠٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « تلك الأيام نداوها بين الناس » ، فإنه كان يوم أحد بيوم بدر ، قُتل المؤمنون يوم أحد ، اتخذ الله منهم شهداء ، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين ، فجعل له الدولة عليهم .

٧٩٠٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان فقال : يا محمد ! يا محمد ! ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟ الحربُ سجال : يوم لنا ويوم لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيئوه ، فقالوا : لا سواء ، لا سواء ، قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار ! فقال أبو سفيان : لنا عِزٌّ ولا عِزٌّ لكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : اعلُ هُبُل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلى وأجل ! فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدا بدر الصغرى = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : « تلك الأيام نداوها بين الناس » .

٧٩٠٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ،

عن ابن جريج ، عن ابن عباس في قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فإنه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتلك

الأيام نداولها بين الناس » ، أى نصرتها للناس ، للبلاء والتمحيص . (١)

٧٩١١ - حدثني إبراهيم بن عبد الله قال ، أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب

الحجبي قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابن عون ، عن محمد في قول الله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال : يعنى الأمراء . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء = نداولها بين الناس .

ولو لم يكن في الكلام « واو » ، لكان قوله : « ليعلم » متصلاً بما قبله ، وكان « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت « الواو » فيه ، أذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبراً مطلوباً ، واللام التى فى قوله : « وليعلم » ، به متعلقة . (٣)

* * *

(١) الأثر : ٧٩١٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، ١١٧ ، وهوتمة الآثار التى أخرها : ٧٨٩٩ .

(٢) الأثر : ٧٩١١ - « إبراهيم بن عبد الله » ، كثير ، والذي نصوا على أن الطبرى روى عنه ، هو : « إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العيسى ، أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة » توفى سنة ٢٦٥ . مترجم فى التهذيب .

« وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبي » ، روى عن مالك وحماد بن زيد . وروى عنه البخارى ، مات سنة ٢٢٨ . مترجم فى التهذيب . و « محمد » هو ابن سيرين :

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « اللام » بغير واو ، والصواب إثباتها . وفى المطبوعة : « متعلقة

» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « وليعلم الله الذين آمنوا » معرفة ، وأنت لا تستجيز في الكلام : « قد سألت فعلمتُ عبد الله » ، وأنت تريد : علمت شخصه ، إلا أن تريد : علمت صفته وما هو ؟

قيل : إن ذلك إنما جاز مع « الذين » ، لأن في « الذين » تأويل « من » و « أى » ، وكذلك جائز مثله في « الألف واللام » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة النكيت : ٣] ، (١) لأن في « الألف واللام » من تأويل « أى » و « من » ، مثل الذى فى « الذى » . ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على « أى » ، جاز ، كما يقال : « سألت لأعلم عبد الله من عمرو » ، ويراد بذلك : لأعرف هذا من هذا . (٢)

• • •

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : وليعلم الله الذين آمنوا منكم ، أيها القوم ، من الذين نافقوا منكم ، نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا منكم » ، عن ذكر قوله : « من الذين نافقوا » ، لدلالة الكلام عليه . إذ كان في قوله : « الذين آمنوا » تأويل « أى » على ما وصفنا . فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ﴾ [سورة الكهف : ١٢] (٣) غير أن « الألف واللام » ، و « الذى » و « من » إذا وضعت مع العلم موضع « أى » ، نصبت بوقوع العلم عليه ، كما قيل : « وليعلمنَّ الكاذبين » ، فأما « أى » ، فإنها تُرفع . (٤)

• • •

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ويتخذ منكم شهداء » ، فإنه يعنى : « وليعلم

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وليعلمن الله » بالواو ، وهو سهو من النسخ مخالف للتلاوة .

(٢) انظر تفصيل هذا في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « ليعلم » بالياء ، وهو سهو من النسخ مخالف للتلاوة .

(٤) انظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

الله الذين آمنوا « وليتخذ منكم شهداء ، أى : ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها .

* * *

= « والشهداء » جمع « شهيد » ، (١) كما : —

٧٩١٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، أى : ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة . (٢)

٧٩١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، قال : فإن المسلمين كانوا يسألون ربهم : « ربنا أرنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ، ونُبلِّيك فيه خيراً ، ونلتمس فيه الشهادة » ! فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ٧٠/٤ قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، فكَّرَمَ الله أوليائه بالشهادة بأيدي عدوهم ، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله .

٧٩١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، قال قال ابن عباس : كانوا يسألون الشهادة ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، كان المسلمون يسألون ربهم أن يُريهم يوماً كيوم بدر ، يبلون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق ، فلقوا المشركين

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف ١ : ٣٧٦ — ٣٧٨ / ٣ : ٩٧ ، ٦/١٤٥ : ٧٥ .

(٢) الأثر : ٧٩١٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٩١٠ .

يوم أحد ، (١) فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ الآية ، [سورة البقرة : ١٥٤] .

قال أبو جعفر : وأما قوله : « والله لا يحب الظالمين » ، فإنه يعنى به : الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم ، كما : —

٧٩١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله لا يحب الظالمين » ، أى : المنافقين الذين يظهرون بالسنهم الطاعة ، وقلوبهم مصرة على المعصية . (٢)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله ، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم ، حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان ، من المنافق ، كما : —

٧٩١٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، قال : ليبتلى . (٣)

(١) فى المطبوعة : « فلقى المسلمون » ، بدل الناشر ما كان فى المخطوطة : « فلقوا المسلمين » ، أما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٧٩ ، فحذف « المسلمين » ، وكتب : « فلقوا يوم أحد » لفساد العبارة التى فى مخطوطة الطبرى فيما أستظهر . ولكنى رجعت أن الناسخ الكثير السهو ، سها أيضاً فكتب « المسلمين » مكان « المشركين » ، وأثبت ما رجعت ، لأنه حق الكلام .

(٢) الأثر : ٧٩١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٢ .

(٣) فى المطبوعة : « . . . عن مجاهد مثله فى قوله . . . » ، وزيادة « مثله » فساد ، وليس فى المخطوطة .

٧٩١٩- حدثنا المنفى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٩٢٠- حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ولیمحص الله الذين آمنوا » ، قال : لیمحص الله المؤمن حتى یصدّق .

٧٩٢١- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولیمحص الله الذين آمنوا » ، يقول : يتلى المؤمنين .

٧٩٢٢- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ولیمحص الله الذين آمنوا » ، قال : يتلیمهم .

٧٩٢٣- حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » ، فكان تمحيصاً للمؤمنين ، ومحقاً للكافرين .

٧٩٢٤- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « ولیمحص الله الذين آمنوا » ، أي : يختبر الذين آمنوا ، حتى یخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم ، وكيف صبرهم ویقینهم .^(١)

٧٩٢٥- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » ، قال : يمحق من مُحق في الدنيا ، وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار .

* * *

وأما قوله : « ويمحق الكافرين » ، فإنه یعنی به : أنه ينقصهم ويفنيهم .

* * *

يقال منه : « محق فلان هذا الطعام » ، إذا نقصه أو أفناه ، « يمحقه محقاً » ، ومنه قيل لمحاق القمر : « مُحاق » ، وذلك نقصانه وفناؤه ،^(٢) كما : —

٧٩٢٦- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ٧٩٢٤- سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تنص الآثار التي آخرها : ٧٩١٧ .

(٢) انظر تفسير « محق » فيما سلف ٦ : ١٥٠ و « المحاق » بضم الميم وكسرهما .

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ويمحق الكافرين » ، قال : ينقصهم .
 ٧٩٢٧ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ،
 عن الحسن في قوله : « ويمحق الكافرين » ، قال : يمحق الكافر حتى يكذب به .
 ٧٩٢٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ويمحق
 الكافرين » ، أى : يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى
 يظهر منهم كفرهم الذى يسترون به منكم .^(١)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « أَمْ حَسِبْتُمْ » ، يا معشر أصحاب
 محمد ، وطننتم = « أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ » ، وتنالوا كرامة ربكم ، وشرف المنازل عنده =
 « وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ » ، يقول : ولما يتيقن لعبادى المؤمنين المجاهد^{٧١/٤}
 منكم فى سبيل الله على ما أمره به .

• • •

وقد بينت معنى قوله : « وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ » ، « وَيَعْلَمِ اللَّهُ » ، وما أشبه ذلك ، بأدلته
 فيها مضى ، بما أغنى عن إعادته .^(٢)

• • •

وقوله : « وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ » ، يعنى : الصابرين عند البأس على ما ينالهم فى
 ذات الله من جرح وألم ومكروه ، كما : —

(١) الأثر : ٧٩٢٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو نسخة الآثار التى آخرها : ٧٩٢٤ .

(٢) انظر تفسير « لنعلم » فيما سلف ٣ : ١٥٨ - ١٦٢ .

٧٩٢٩ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أم حسبت أن تدخلوا الجنة » وتصيبوا من ثوابي الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بي ، والصبر على ما أصابكم في . (١)

* * *

ونصب « ويعلم الصابرين » ، على الصرف . و « الصرف » ، أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق ، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق ، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف ، لأنه مصروف عن معنى الأول ، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى في أول الكلام . (٢) وذلك كقولهم : « لا يسعني شيء ويضيق عنك » ، لأن « لا » التي مع « يسعني » ، لا يحسن إعادتها مع قوله : « ويضيق عنك » ، فلذلك نصب . (٣)

والقرأة في هذا الحرف على النصب .

* * *

وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ : ﴿ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ ، فيكسر « الميم » من « يعلم » ، لأنه كان ينوي جزمها على العطف به على قوله : « ولما يعلم الله » .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٢٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٩٢٨ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « حتى أعلم أصدق ذلك الإيمان بي . . . » فرددته إلى الصواب من رواية ابن هشام .

(٢) انظر « الصرف » فيما سلف ١ : ٥٦٩ ، وتعليق : ٣/١ : ٥٥٢ ، تعليق : ١ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، ولقد كنتم ، يا معشر أصحاب محمد = « تمنون الموت » ، يعنى أسباب الموت ، وذلك : القتال = « فقد رأيتموه » ، فقد رأيتم ما كنتم تمنونه — والماء في قوله : « رأيتموه » عائدة على « الموت » ، والمعنى : [القتال] = (١) « وأنتم تنظرون » ، يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر ، أى بقرب منكم .

وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل : « وأنتم تنظرون » ، على وجه التوكيد للكلام ، كما يقال : « رأيته عياناً » و « رأيته بعينى » ، وسمعته بأذنى .

قال أبو جعفر : وإنما قيل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، لأن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدرأ ، كانوا يتمنون قبل أحد يوماً مثل يوم بدر ، فيُبلّوا الله من أنفسهم خيراً ، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر . فلما كان يوم أحد فرّ بعضهم ، وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك ، فعاتب الله من فرّ منهم فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، الآية ، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم .

• ذكر الأخبار بما ذكرنا من ذلك :

٧٩٣٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، قال : غاب رجال عن بدر ، فكانوا

(١) في المطبوعة : « عائدة على الموت » ، ومعنى « وأنتم تنظرون » ، وهو كلام فاسد . وفي المخطوطة : « عائدة على الموت » ، والمعنى : « وبهذا يباين قدر كلمة » ، ثم كتب : « وأنتم تنظرون » فوضعت بين القوسين ما استظهرته من كلام أبي جعفر .

يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه ، فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصاب أهل بدر . فلما كان يوم أحد ، ولَّى من ولَّى منهم ، فعاتبهم الله = أو : فعابهم ، أو : فعيبهم = على ذلك . (١) شك أبو عاصم .

٧٩٣١ - حدثني المتني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد نحوه - إلا أنه قال : « فعاتبهم الله على ذلك » ، ولم يشك .

٧٩٣٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر ، فكان يتمنون أن يرزقوا قتالاً فيقاتلوا ، فسبق إليهم القتال حتى كان في ناحية المدينة يوم أحد ، فقال الله عز وجل كما تسمعون : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، حتى بلغ « الشاكرين » .

٧٩٣٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، قال : كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم ، فلما لقوهم يوم أحد ولّوا .

٧٩٣٤ - حدثني المتني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : إن أناساً من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً فيقاتلوا ، فسبق إليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد ، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، الآية .

٧٩٣٥ - حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا هوزة قال ، حدثنا عوف ، ٧٢/٤

(١) في المطبوعة : « ولرقتهم » ، وفي المخطوطة « معهم » غير منقوطة ، وكان صواب قراءتها ما أثبت عليه وعيه : فنه إلى العيب .

عن الحسن قال : بلغني أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : « لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن » ، فابتلوا بذلك ، فلا والله ما كلهم صدق الله ، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : كان ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرًا ، فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا : « اللهم إنا نسألك أن ترينا يوماً كيوم بدر نبليك فيه خيراً » ! فرأوا أحداً ، فقال لهم : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى : لقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم = يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم إلى عدوهم ، ^(١) لما فاتهم من الحضور في اليوم الذى كان قبله ببدر ، رغبة في الشهادة التى قد فاتتهم به . يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى : الموت بالسيف في أيدي الرجال ، قد خلّى بينكم وبينهم ، ^(٢) وأنتم تنظرون إليهم ، فصددتم عنهم . ^(٣)

* * *

(١) في المطبوعة : « يعنى الذين حملوا رسول الله . . . » ، غيره الناشر ، وكان في المخطوطة « اساسوا » غير منقطعة ، ولولا أن الذى في سيرة ابن هشام « استنهضوا » ، لقلت إن صواب قراءتها : « استباحوا » بالصاد في آخره من قولهم : « بصت فلاناً » إذا استعجلته . والبوص (يفتح فسكون) : أن تستعجل إنساناً في تحميله كرهماً ، لا تدعه يتمهل فيه . وهذه صفة فعل أصحاب رسول الله الذين لم يشهدوا بدرًا ، وأرادوا القتال يوم أحد .

(٢) في المطبوعة : « قد حل بينكم وبينهم » ، وهى في المخطوطة غير بيّنة ، والصواب ما جاء في سيرة ابن هشام ، وقد أثبتته .

(٣) الأثر : ٧٩٣٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٧٩٢٩ . هذا وفي السيرة خطأ بين ، تصحيحه في رواية الطبرى ، فليراجع . وقد جاء في السيرة . « ثم صدم عنكم مكان » فصددتم عنهم ، وهما معنيان مختلفان ، ولكنها الرواية ، لا يمكن أن أرجع فيها بغير مرجح ، فكلاهما صواب .

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما محمد إلا رسول كقبض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه ، داعياً إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه .^(١) يقول جل ثناؤه : فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما هو فيما الله به صانع من قبضه إليه عند انقضاء مدة أجله ، كسائر رسله إلى خلقه الذين مضوا قبله ،^(٢) وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم .

ثم قال لأصحاب محمد ، معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد : « إنَّ محمداً قُتِلَ » ، ومُقبِحاً إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهازه عنهم : أفائن مات محمد ، أيها القوم ، لانقضاء مدة أجله ، أو قتله عدو^(٣) « = انقلبتم على أعقابكم » ، = يعنى : ارتددتم عن دينكم الذى بعث الله محمداً بالدعاء إليه ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به ، وبعد ما قد وصّحت لكم صفة ما دعاكم محمد إليه ، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه = « ومن ينقلب على عقبيه » ، يعنى بذلك : ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه ،^(٤)

(١) قوله : « الذين حين انقضت آجالهم » ، من صفة « رسل الله » الذين ذكرهم قبل .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « كسائر مدة رسله إلى خلقه » بزيادة « مدة » ، وهى مفصلة للكلام وكأنها سبق قلم من الناسخ ، فلذلك أسقطتها .

(٣) في المطبوعة : « أو قتله عدوكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « انقلب على عقبيه » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

= « فلن يضر الله شيئاً » يقول : فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ، ولا يدخل بذلك نقصٌ في ملكه ، ^(١) بل نفسه يضر بردته ، وحفظ نفسه ينقص بكفره = « وسيجزى الله الشاكرين » ، يقول : وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه ، بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إن هو مات أو قتل ، واستقامته على منهاجه ، وتمسكه بدينه وملته بعده ، كما : —

٧٩٣٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، ^(٢) عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي في قوله : « وسيجزى الله الشاكرين » ، الثابتين على دينهم ، أبا بكر وأصحابه . فكان علي رضي الله عنه يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين ، وأمين أحياء الله ، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله .

٧٩٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن العلاء بن بدر قال : إن أبا بكر أمين الشاكرين . وتلا هذه الآية : « وسيجزى الله الشاكرين » . ^(٣)

٧٩٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وسيجزى الله الشاكرين » ، أي : من أطاعه وعمل بأمره . ^(٤)

• • •

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه .

(١) في المطبوعة : « ولا يدخل بذلك » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « سيف بن عمرو » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . وهو : « سيف بن عمر التميمي » صاحب كتاب الردة والفتوح . وقد أكثر أبو جعفر سياق روايته في تاريخه .

(٣) الأثر : ٧٩٣٩ — « العلاء بن بدر » ، هو : « العلاء بن عبد الله بن بدر القنوي » ، نسب إلى جده ، أرسل عن حل . وهو ثقة . مترجم في التهذيب .

(٤) الأثر : ٧٩٤٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو من تمة الآثار التي آخرها : ٧٩٣٧

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

٧٩٤١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما محمد

إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » إلى قوله : « وسبجزي الله الشاكرين » ، ذاك يوم أحد ، حين أصابهم القرع والقتل ، ثم تناعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم تفئة ذلك ، ^(١) فقال أناس : « لو كان نبياً ما قتل » ! وقال أناس من عصابة أصحاب نبي الله ﷺ ٧٣/٤ صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به » ! فقال الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، يقول : إن مات نبيكم أو قتل ، ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم .

٧٩٤٢ - حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = وزاد فيه ، قال الربيع : وذكر لنا والله أعلم ، أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشخط في دمه ، ^(٢) فقال : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ ^(٣) فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم . فأنزل الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، يقول : ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم .

(١) في المطبوعة : « ثم تنازعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك » ، وهو كلام أهدر معناه . وأما السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٨٠ فقد خفي عليه صواب الكلام ، فجمله : « ثم تداعوا نبي الله قالوا قد قتل » ، ولعلها رواية الربيع ، كما نسبها إليه . أما المخطوطة فإن فيها « ناعوا » ، و « معه ذلك » غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : « تناعوا نبي الله » أي ناه بعضهم لبعض ، قالوا : قتل نبي الله . وكانت العرب تتناعى في الحرب ، يمتنون قتلاهم ليحرضهم على القتل وطلب الثأر . وقوله : « تفئة ذلك » ، أي : على إثر ذلك . يقال : « أتيت على تفئة ذلك » أي : على حينه وزمانه . وفي الحديث : « دخل عمر فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل أبو بكر على تفئة ذلك » ، أي على إثره ، وفي ذلك الحين .

(٢) تشط القتل في دمه : تخبط فيه واضطرب وتمرغ .

(٣) قوله : « أشعرت » ، أي : أعلمت .

٧٩٤٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحدٍ إليهم - يعني : إلى المشركين - أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإننا لن نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم » . ^(١) وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوات بن جبير . ^(٢)

= ثم شدّ الزبير بن العوام والمقدادُ بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد ، وهو على خيل المشركين ، كرّ . ^(٣) فرمته الرماة فانقمع . ^(٤) فلما نظرَ الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين يتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : « لا تترك أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فانطلق عامتهم فلاحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة ، صاح في خيله ثم حمل ، فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، تنادوا ، ^(٥) فشددوا على المسلمين فهزموهم وقتلوه . ^(٦)

= فأبى ابن قميصة الحارثي - أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ^(٧) - فرمى

(١) نص ما في تاريخ الطبري : « إن رأيتم قد هزمناهم ، فإننا لا نزال غالبين » ، وهي أجود ، وأخشى أن يكون ما في التفسير من تصرف الناسخ . ثم انظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .
(٢) بين هذه الفقرة والتي تليها ، كلام قد اختصره أبو جعفر ، وأثبتته في روايته في التاريخ .
(٣) في المطبوعة مكان « كر » « قدم » بمعنى أقدم . وهو تصرف كالمقبول من الناشر الأول ، ولكنه في المخطوطة « لر » وعلى الراء شدة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « كر على العدو » رجع وعطف ثم حمل عليه . وأما رواية التاريخ ، ففيها مكان « كر » « حل » ، وهما سواء في المعنى ، والأولى أجودها . وانظر ما سيأتى في التعليق على الأثر : ٨٠٠٤ .
(٤) انقمع : رجع وارتد وتداخل فرقاً وغرفاً .

(٥) في المطبوعة : « تبادروا » ، وهو خطأ غث ، والصواب من المخطوطة والتاريخ ، ومن الأثر الآتي : ٨٠٠٤ . وقوله : « تنادوا » تداعوا ونادى بعضهم بعضاً لكي يهربوا إلى المعرك .

(٦) إلى هذا الموضع من الأثر ، انتهى ما رواه أبو جعفر في تاريخه ٣ : ١٤ ، ١٥ ، وسيأتى تخريج بقية الأثر كله في آخره . وانظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .

(٧) في المطبوعة والمخطوطة : « بني الحارث بن عبد مناف » ، وهو خطأ محض . والصواب من التاريخ ومن نسب القوم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله ، (١) وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : « إلى عباد الله ! إلى عباد الله ! » ، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلا لطلحة وسهل بن حنيف : فحماء طلحة ، قرُمِيّ بسهم في يده فيست يده . = وأقبل أبي بن خلف الجمحي - وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتله (٢) - فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ فحمل عليه ، فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ، (٣) فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور . (٤) فاحتملوه وقالوا : ليس بك جراحة ! [فما يُجزعك] ؟ (٥) قال : أليس قال : « لأقتلنك » ؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! ولم يلبث إلا يوماً وبعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

= وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : « ليت لنا رسلاً إلى عبد الله بن أبي ، فيأخذ لنا أمانةً من أبي سفيان !! يا قوم ، إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم » . (٦) قال أنس بن النضر : « يا قوم ، إن كان محمد قد قُتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعتذر إليك مما

(١) الرباعية (مثل ثمانية) : إحدى الأسنان الأربعة التي تل الثنايا ، بين الثنية والتاب .
(٢) في المطبوعة : « بل أقتلك » ، غير الناشر ما في المخطوطة ، وهو موافق لما في التاريخ ، ظناً منه أن أبي بن خلف ، قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك كذلك ، بل قاله في منفيه لا في مشهده . فلما بلغ ذلك رسول الله قال : بل أنا أقتله .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « جنب الدرع » ، وهو خطأ ، صوابه من التاريخ . وجيب القميص والدرع : الموضع الذي يقور منه ويقطع ، لكن ليس من ناحيته .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « يخور خوران الثور » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ . خار الثور يخور خواراً : صاح وصوت أشد صوت . وليس في مصادره « خوران » .

(٥) الزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٦) الأمة (بفتح الألف والميم والنون) : الأمان .

يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل .
 = وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب
 الصخرة . فلما رآه ، وضع رجل مهبماً في قوسه فأراد أن يرميه ، فقال : « أنا رسول
 الله ! ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ، وفرح رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به .^(١) فلما اجتمعوا وفيهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم
 منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .^(٢) ٧٤/٤

= فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم
 » وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابهم
 ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين .^(٣)

٧٩٤٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
 عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن ينقلب على عقبيه » ، قال : يرتد .

٧٩٤٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
 عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ،
 حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه = : أن رجلاً من المهاجرين مرّ على
 رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه ، فقال : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد
 قتل ! فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ! فقاتلوا عن دينكم .

٧٩٤٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ،
 حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بني عدي بن النجار قال : انتهى

(١) في المخطوطة والمطبوعة « من يمتنع » يسقط « به » وليست بشيء ، والصواب من التاريخ .
 وانظر التعليق على الأثر رقم : ٨٠٦٤ ، الآتي .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « ويذكرون أصحابه » ، والصواب من التاريخ .

(٣) الأثر : ٧٩٤٣ - صدره في التاريخ : ٣ : ١٤ ، ١٥ / ثم سائر فيه ٣ : ٢٠ / ثم
 انظر رقم : ٨٠٠٤ .

أنس بن النصر = عم أنس بن مالك = إلى عمر ، وطلحة بن عبد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ،^(١) فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمد رسول الله ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا ففوتوا على ما مات عليه رسول الله ! واستقبل القوم فقاتل حتى قتل = وبه سمى أنس بن مالك .^(٢)

٧٩٤٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قال : نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « ألا إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول » ! فأنزل الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية .

٧٩٤٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : ألقى في أفواه المسلمين يوم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فترلت هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية .

٧٩٤٩ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة ، والناس يفرّون ، ورجل قائم على الطريق يسألهم : « ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون : « والله ما ندري ما فعل » ! فقال : « والذي نفسى بيده ، لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قُتل ، لنعطينهم بأيدينا ، لأنهم لعشائرتنا وإخواننا » ! وقالوا : « إن محمداً إن كان حياً لم يهزم ، ولكنه قُتل » ! فترخصوا في الفرار حينئذ . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية كلها .

(١) « أتى بيده » : استلم ، فبقى لا يصنع شيئاً يأساً أو مللاً . وهو مجاز ، كأنه طرح يده طرماً بعيداً عنه .

(٢) الأثر : ٧٩٤٦ - سيرة ابن هشام ٢ : ٨٨ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٩ .

٧٩٥٠ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية ، ناس من أهل الارتياح والمرض والنفاق ، قالوا يوم فرّ الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشجّ فوق حاجبه وكُسرت رباعيته : « قُتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول » ! فذلك قوله : « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

٧٩٥١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، قال : ما بينكم وبين أن تدعوا الإسلام وتقلبوا على أعقابكم إلا أن يموت محمد أو يقتل ! فسوف يكون أحد هذين : فسوف يموت ، أو يقتل .

٧٩٥٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، إلى قوله : « وسيعجزى الله الشاكرين » ، أى : لقول الناس : « قتل محمد » ، وانهم لم يمت عند ذلك وانصرفهم عن علومهم = أى : أفائن مات نبيكم أو قتل ، رجعت عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد علومكم وكتاب الله وما قد خلف نبيّه من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم عنى أنه ميت ومفارقكم ؟ = « ومن ينقلب على عقبيه » ، أى : يرجع عن دينه = « فلن يضر الله شيئاً » ، أى : لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه . (١)

٧٩٥٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قال أهل المرض والارتياح والنفاق ، حين فرّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قد قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول » ! فترلت هذه الآية .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، ١١٨ ، وهو تمة الآثار السابقة التي أعرفها : ٧٩٣٧ ، ثم تمة هذا الأثر ، مرت برقم : ٧٩٤٠ .

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفنتقلبون على أعقابكم ، إن مات محمد أو قتل ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً = فجعل الاستفهام في حرف الجزاء ، ومعناه أن يكون في جوابه . وكذلك كل استفهام دخل على جزء ، فعناه أن يكون في جوابه . لأن الجواب خبر يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ، ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع ، لمحيطه بعد الجزاء ، كما قال الشاعر : (١)

حَلَفْتُ لَهُ : إِنْ تَذَلِّجَ اللَّيْلُ لَا يَزَلْ أَمَامَكَ يَنْتَ مِنْ بَيُوتِي سَائِرُ (٢)

فمعنى « لا يزل » رفع ، ولكنه جزم لمحيطه بعد الجزاء ، فصار كالجواب . ومثله : ﴿ أَفَأَنْتَ مِتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٤] ، و﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ [سورة المزمل : ١٧] ، (٣) ، ولو كان مكان « فهم الخالدون » ، « يخلدون » ، وقيل : « أفأنت مت يخلدوا » ، جاز الرفع فيه والجزم . وكذلك لو كان مكان « انقلبتم » ، « تنقلبوا » ، جاز الرفع والجزم ، لما وصفت قبل . (٤) وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله : « انقلبتم » ، اكتفاءً بالاستفهام في أول الكلام ، وأن الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه .

وقد كان بعض القراءة يختار في قوله : ﴿ أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا

(١) هو الراعى .

(٢) معاني القرآن للقراء : ١ ، ٦٩ ، ٢٣٦ ، والمعاني الكبير : ٨٠٥ ، والخزانة : ٤ : ٤٥٠ ، وسيأتي في التفسير : ١٣ : ٦٩ (بولاق) ، ورواه ابن قتيبة في المعاني الكبير : « عائر » مكان « سائر » وقال : « أى بيت هجاء سائر » . وذلك من قولهم : « عار الفرس » ، إذا أفلت ودعب على وجهه ، ودعب وجاء متردداً . ويقال : « قسيده عائرة » ، أى سائرة في كل وجه . وكان في المطبوعة هنا « سائر » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومن الموضع الآخر من التفسير ، ومن المراجع .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة « وكيف تتقون . . . » ، وهو خطأ في التلاوة .

(٤) انظر معاني القرآن للقراء : ١ : ٢٣٦

لَمَجْعُوثُونَ ﴿ [سورة الإسراء : ٨٢ / سورة الصافات : ١٦ / سورة الواقعة : ٤٧] ، ^(١) ترك إعادة الاستفهام مع « أثنا » ، اكتفاء بالاستفهام في قوله : « أثنا كنا تراباً » ، ويستشهد على صحة وجه ذلك بإجماع القراءة على تركهم إعادة الاستفهام مع قوله : ^(٢) « انقلبتم » ، اكتفاء بالاستفهام في قوله : « أفائن مات » ، إذ كان دالاً على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه . ^(٣) وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن . وسأتى على الصواب من القول في ذلك إن شاء الله إذا انتهينا إليه . ^(٤)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذى جعله الله غاية لحياته وبقائه ، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذى كتبه الله له ، وأذن له بالموت ، فحينئذ يموت . فأما قبل ذلك ، فلن يموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال ، كما : —

٧٩٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » ، أى : إن لمحمد أجلاً هو بالغه ، إذا أذن الله له في ذلك كان . ^(٥)

• • •

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أثنا كنا تراباً وعظاماً » أسقط « متناً » والواو من « وكنا » ، وهو خطأ في التلاوة .

(٢) في المطبوعة « باجتماع القراءة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « إذا كان دالاً » ، والصواب « إذ » كما أثبتنا .

(٤) كأنه يعنى ما سأتى في تفسيره ١٣ : ٦٩ (يولاق) ، فإذا وجدت بعد ذلك مكاناً آخر غيره أشرت إليه .

(٥) الأثر : ٧٩٥٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو نسخة الآثار التى أخرها : ٧٩٤٠ .

وقد قيل إن معنى ذلك : وما كانت نفس تموت إلا بإذن الله . (١)

* * *

وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله : « كتاباً مؤجلاً » . فقال بعض نحوي البصرة : هو توكيد ، ونصبه على : « كتب الله كتاباً مؤجلاً » . قال : وكذلك كل شيء في القرآن من قوله : ﴿ حَقًّا ﴾ إنما هو : أحق ذلك حقاً . وكذلك : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَرَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ﴿ وَصُنِعَ اللَّهُ ﴾ الَّذِي أَتَى كُلُّ شَيْءٍ ، ﴿ وَكُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، (٢) إنما هو : صَنَعَ الله هكذا صنعاً . فهكذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا ، فإنه كثير .

* * *

وقال بعض نحوي الكوفة في قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ، معناه : كتب الله آجال النفوس ، ثم قيل : « كتاباً مؤجلاً » ، فأخرج قوله : « كتاباً مؤجلاً » ، نصباً من المعنى الذي في الكلام ، إذ كان قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ، قد أدّى عن معنى : « كتب » . (٣) قال وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك ، فهو على هذا النحو .

* * *

وقال آخرون منهم : قول القائل : « زيد قائم حقاً » ، بمعنى : « أقول زيد قائم حقاً » ، لأن كل كلام « قول » ، فأدى المقول عن « القول » ، ثم خرج ما بعده منه ، كما تقول : « أقول قولاً حقاً » ، وكذلك « ظناً » و « يقيناً » وكذلك : « وعد الله » ، وما أشبهه .

* * *

(١) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ١٠٤ .

(٢) هذه مواضع الآيات من كتاب الله على الترتيب : [سورة النساء : ١٢٢ / سورة يونس : ٤ / سورة لقمان : ٩] / [سورة الكهف : ٨٢ / سورة القصص : ٤٦ / سورة الدخان : ٦] / [سورة النمل : ٨٨] / [سورة النساء : ٢٤] .

(٣) في المطبوعة : « عن معناه كتب » ، وهو كلام غخل ، والصواب من المخطوطة .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندى ، أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذى قبله ، لأن فى كل ما قبل المصادر التى هى مخالفة ألفاظها ألفاظاً ما قبلها من الكلام ، معانيّ ألفاظ المصادر وإن خالفها فى اللفظ ، فنصبها من معانى ما قبلها دون ألفاظه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يرد منكم ، أيها المؤمنون ، بعمله جزاءً منه بعض أعراض الدنيا ، دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده = « نؤته منها » ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الدنيا ، يعنى أنه يعطيه منها ما قُسم له فيها من رزق أيام حياته ، ثم لانصيب له فى كرامة الله التى أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده فى الآخرة = « ومن يرد ثواب الآخرة » ، يقول : ومن يرد منكم بعمله جزاءً منه ثواب الآخرة ، يعنى : ما عند الله من كرامته التى أعدها للعاملين له فى الآخرة = « نؤته منها » ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الآخرة . والمعنى : من كرامة الله التى خص بها أهل طاعته فى الآخرة . فخرج الكلام على الدنيا والآخرة ، والمعنى ما فيهما ، كما : —

٧٦/٤

٧٩٥٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ومن يرد

ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ، أى : فمن كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته ما قسم له منها من رزق ، ولا حظ له فى

الآخرة = « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعده ، مع ما يُجرى عليه من رزقه في دنياه . (١)

* * *

وأما قوله : « وسنجزي الشاكرين » ، يقول : وسأثيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه = بطاعته إياي ، وانتهائه إلى أمرى ، وتجنبه محاربي = في الآخرة مثل الذى وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم إياي .
وقال ابن إسحق في ذلك بما : —

٧٩٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وسنجزي الشاكرين » ، أى : ذلك جزاء الشاكرين ، يعنى بذلك ، إعطاء الله إياه ما وعده في الآخرة ، مع ما يجرى عليه من الرزق في الدنيا . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك :
فقرأه بعضهم : ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ ، بهمز « الألف » وتشديد « الياء » .

* * *

وقراه آخرون بمد « الألف » وتخفيف « الياء »

* * *

وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ، ولغتان معروفتان ، لا اختلاف في معناهما ، فبأى القراءتين قرأ ذلك قارئ فصيب . لاتفاق معنى ذلك ، وشهرتهما في كلام العرب . ومعناه : وكم من نبي .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٩٥٤ .
والاختلاف عظيم في لفظ الأثر .
(٢) الأثر : ٧٩٥٦ — ليس في سيرة ابن هشام بنصه .

القول في تأويل قوله ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة قوله : « قتل معه ريشون » .^(١)

فقرأ ذلك جماعة من قراءة الحجاز والبصرة : ﴿ قَتَلَ ﴾ ، بضم القاف .

وقرأه جماعة آخر بفتح « القاف » ، وبالالف .^(٢) وهي قراءة جماعة من قراءة الحجاز والكوفة .

قال أبو جعفر : فأما من قرأ ﴿ قَاتَلَ ﴾ ، فإنه اختار ذلك ، لأنه قال : لو قُتِلوا لم يكن لقوله : « فما وهنوا » ، وجه معروف . لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهينوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا .

وأما الذين قرأوا ذلك : ﴿ قُتِلَ ﴾ ، فإنهم قالوا : إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفي الوهن والضعف عن بقي من الربيين ممن لم يقتل .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بضم « القاف » : ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ ﴾ ، لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها = من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾^(٣) = الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال ، أو سمعوا الصائح يصيح : « إن محمداً قد قتل » . فعذلم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال : أفائن مات محمد أو قتل ، أيها المؤمنون ، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم : هلاً فعلتم كما كان

(١) في المطبوعة : « ريشون كثير » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « جماعة أخرى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) السياق : إنما عاتب بهذه الآية الذين انهزموا .

أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم = من المضي على منهاج نبيهم ، والقتال على دينه أعداء دين الله ، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم = ولم تنهوا ولم تضعفوا ، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم ، ولكنهم صَبَرُوا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟ وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأولين .^(١)

* * *

وأما «الريون» ، فإنهم مرفوعون بقوله : «معه» لا بقوله : «قتل» . وإنما تأويل الكلام : وكأين من نبي قُتِلَ ، ومعه ريون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله . وفي الكلام إضمار «واو» ، لأنها «واو» تدل على معنى حال قَتَلَ النبي صلى الله عليه وسلم ، غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها ، وذلك كقول القائل في الكلام : «قتل الأمير معه جيش عظيم» ، ٧٧/٤ بمعنى : قتل ومعه جيش عظيم .

* * *

وأما «الريون» ، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه .

فقال بعض نحوي البصرة : هم الذين يعبدون الربَّ ، واحدهم «رَبِّي» .

* * *

وقال بعض نحوي الكوفة : لو كانوا منسويين إلى عبادة الربَّ لكانوا «رَبِّيون» بفتح «راء» ، ولكنه : العلماء ، والألوف .

* * *

و«الريون» عندنا ، الجماعات الكثيرة ،^(٢) واحدهم «رَبِّي» ، وهم الجماعة .^(٣)

* * *

واختلف أهل التأويل في معناه .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : «تأويل المتأول» ، ولكن «لام» «التأول» في المخطوطة ممدودة في الهامش ، وتحته نقطتان ، فهذا صواب قراءتها ، وهو صواب السياق .

(٢) في المطبوعة : «الجماعة الكثيرة» ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : «وهم جماعة» ، وكأن الأجود ما أثبت ، إلا أن يكون قد سقط من الناصخ شيء .

فقال بعضهم مثل ما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٥٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن

عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : الربيون ، الألوف .

٧٩٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان الثوري ،

عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله مثله .

٧٩٥٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

الثوري وابن عيينة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن

عاصم ، عن زر ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦١ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ،

عن حدثه ، عن ابن عباس في قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٦٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ،

عن علي ، عن ابن عباس قوله : « قاتل معه ربيون كثير » ، ^(١) قال : جموع .

٧٩٦٣ — حدثني حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا

شعبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : الألوف .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٩٦٤ — حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ، حدثنا محمد بن الصلت

(١) في هذا الموضع من الآثار التالية ، كتب « قاتل معه » ، وسائر « قتل » ، كالقراءة التي اختارها أبو جعفر ، فتركت قراءة أبي جعفر كما هي في هذه الآثار ، وإن خالفت القراءة التي عليها مصحفنا وقراءتنا في مصر وغيرها . وذلك لأن معاني الآثار كلها مطابقة لقراءتها « قتل » بالبناء للمجهول .

قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :
« وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير .

٧٩٦٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ،
عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : فقهاء
علماء .

٧٩٦٦ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ،
عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : الجموع
الكثيرة = قال يعقوب : وكذلك قرأها إسماعيل : ﴿ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .
٧٩٦٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٦٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
معمر ، عن الحسن في قوله : « قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير = (١)
وقال قتادة : جموع كثيرة .

٧٩٦٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن
عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة في قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .
٧٩٧٠ - حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي قال ، حدثنا سفيان ، عن
عمرو ، عن عكرمة مثله .

٧٩٧١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « قتل معه ربيون كثير » ،
قال : جموع كثيرة .

٧٩٧٢ - حدثني الثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٩٧٣- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «قتل معه ربيون كثير»، يقول: جموع كثيرة.

٧٩٧٤- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: «وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير»، يقول: جموع كثيرة، قُتل نبيهم.

٧٩٧٥- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جعفر بن حبان والمبارك، عن الحسن في قوله: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير»، قال جعفر: علماء صبروا = وقال ابن المبارك: أتقياء صُبر^(١).
٧٩٧٦- حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «قتل معه ربيون كثير»، يعني الجموع الكثيرة، قتل نبيهم.

٧٩٧٧- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «قاتل معه ربيون كثير»، يقول: جموع كثيرة.

٧٩٧٨- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قوله: «وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير»، قال: وكأين من نبي أصابه القتل، ومعه جماعات^(٢).

٧٩٧٩- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير»، الربيون: هم الجموع الكثيرة^(٣).

• • •

وقال آخرون: الربيون، الأتباع.

(١) في المطبوعة: «أتقياء صبروا» والصواب ما في المخطوطة: «صبر» (بضمين) جمع «صبور»

(٢) الأثر: ٧٩٧٨- سيرة ابن هشام ٣: ١١٨، وهو من تلمذة الأثر إلى آخرها: ٧٩٥٥

مع بعض خلاف في لفظه.

(٣) في المطبوعة: «الربيون الجموع» بإسقاط «هم»، وأثبت ما في المخطوطة.

• ذكر من قال ذلك :

٧٩٨٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : « الربيون » الأتباع ، و « الربانيون » الولاة ، و « الربيون » الرعية . وبهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه ، ^(١) حين صاح الشيطان : « إن محمداً قد قتل » = قال : كانت الهزيمة عند صباحه في [سبه صاح] : ^(٢) أيها الناس ، إن محمداً رسول الله قد قُتل ، فارجعوا إلى عشائركم يؤمنوك !

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله » ، فما عجزوا = لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله ، ^(١) ولا لقتل من قُتل منهم = ، عن حرب أعداء الله ، ولا نكلوا عن جهادهم = « وما ضعفوا » ، يقول : وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم = « وما استكانوا » ، يعني وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم ، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم ، وطاعة لله واتباعاً لتتريزه ووجيه =

(١) في المطبوعة : « وهذا عاتبهم » ، وكان صواب قراءتها في المخطوطة ما أثبت ، وهو السياق .

(٢) الكلمات التي بين القوسين ، هكذا جاءت في المخطوطة غير منقوطة ، أما المطبوعة فقد قرأها « في سنية صاح » ، وهو لا معنى له . وقد جهدت أن أجدها في مكان آخر ، أو أن أعرف وجهاً مرضياً في قراءته ، فأعيايت طلب ذلك . وقد بدا لي أنها محرفة عن اسم موضع ، أو ثنية ، وقف عندها إبليس فنادى بذلك النداء ، ولكني لم أجدها أردت . والمعروف في السير ، أن أذب العقبة إبليس قد تصور مثلاً في شبه جمال بن سراقه ، وصرخ بما صرخ به ، حتى هم أناس بقتل جمال ، فشهد له خوات بن جبير ، وأبو بردة بن نيار ، بأن جمالا كان عندهما ويحببهما يقاتل ، حين صرخ ذلك الصارخ . فأرجو أن أجدها بعد إن شاء الله صواب قراءة هذا الرسم المشكل .

(٣) انظر تفسير « وهن » فيما سلف قريباً : ٢٣٤

« والله يحب الصابرين » ، يقول : والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه ، لا مَنْ فشل ففرَّ عن عدوه ، ولا من انقلب على عقبيه فذلَّ لعدوه لأنَّ قُتِلَ نبيه أو مات ، ولا مَنْ دخله وهن عن عدوه ، و«ضعف» لفقد نبيه .

* * *

وينحوما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٨١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ، يقول : ما عجزوا وما تضعفوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » يقول : ما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم ، ^(١) بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا » ، يقول : ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » ، يقول : وما ارتدوا عن بصيرتهم ، ^(٢) قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فما وهنوا » ، فما وهن الربيون = « لما أصابهم في سبيل الله » من قتل النبي صلى الله عليه وسلم = « وما ضعفوا » ، يقول : ما ضعفوا في سبيل الله لقتل النبي = « وما استكانوا » ، يقول : ما ذلُّوا حين قال رسول الله صلى الله عليه

(١) في المطبوعة والمخطوطة في هذا الموضع « عن نصرتهم » ، وهو خطأ لا معنى له . و « البصيرة » : عقيدة القلب ، والمعرفة على تثبيت و يقين واستبانة . يريد ما اعتقدوا في قلوبهم من الدين عن بصر و يقين . وقد سلف منذ أسطر : ولكن مضوا قدماً على بصائرهم » ، وانظر ما سيأتى في الأثر التالي ، والتعليق عليه .
(٢) في المطبوعة : « عن نصرتهم » كما في الأثر السالف ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة « عن نصرهم » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . انظر التعليق السالف .

وسلم : « اللهم ليس لهم أن يعلونا » - ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

٧٩٨٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فما وهنوا

لفقد نيهم = « وما ضعفوا » ، عن عدوهم = « وما استكانوا » ، لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر = « والله يحب الصابرين » (٢).

٧٩٨٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وما استكانوا » ، قال : تخشعوا .

٧٩٨٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما

استكانوا » ، قال : ما استكانوا لعدوهم = « والله يحب الصابرين » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وما كان قولهم » ، وما كان قول الربيين - و « الهاء والميم » من ذكر أسماء الربيين = « إلا أن قالوا » ، يعنى : ما كان لهم قول سوى هذا القول ، إذ قتل نيهم = وقوله : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا » ، يقول : لم يعتصموا ، إذ قتل نيهم ، إلا بالصبر على ما أصابهم ، ومجاهدة عدوهم ، وبمسألة

(١) في المطبوعة : « ليس لهم أن يعلونا ولا تهنوا . . . » ، وفي المخطوطة : « ليس لهم أن يعلونا لا تهنوا . . . » ، والصواب ما أثبت ، مع الفصل ، يعنى : ما ذلوا حين قال لهم رسول الله ما قال ، وحين نزل الله على رسوله الآية . وانظر تفسير الآية فيما سلف ص : ٢٣٤ ، والآثر : ٧٨٩٢ .
(٢) الآثر : ٧٩٨٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٩٧٨ .

ربهم المغفرة والنصر على عدوهم . ومعنى الكلام : وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا . (١)

وأما « الإسراف » ، فإنه الإفراط في الشيء : يقال منه : « أسرف فلان » في هذا الأمر ، إذا تجاوز مقداره فأفراط .

ومعناه ههنا : اغفر لنا ذنوبنا : الصغار منها ، وما أسرفنا فيه منها فتخطينا إلى العظام . وكان معنى الكلام : اغفر لنا ذنوبنا ، الصغائر منها والكبائر ، كما :- ٧٩/٤

٧٩٨٧ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله : « وإسرافنا في أمرنا » ، قال : خطايانا .

٧٩٨٨ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإسرافنا في أمرنا » ، خطايانا وظلمنا أنفسنا .

٧٩٨٩ - حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك في قوله : « وإسرافنا في أمرنا » ، يعني الخطايا الكبار .

٧٩٩٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قال : الكبائر .

٧٩٩١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإسرافنا في أمرنا » ، قال : خطايانا .

٧٩٩٢ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإسرافنا في أمرنا » ، يقول : خطايانا .

وأما قوله : « وثبت أقدامنا » ، فإنه يقول : اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك

(١) هذا نص الآية ، وكان الصواب : « وما كان قولنا لم إلا أن قالوا » ؛ لبيان من أن قولهم « خبر » كان « و » أن قالوا « اسمها . وانظر ص : ٢٧٣ ، ٢٧٤

وقتلهم ، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرّ منهم ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم =
« وانصرنا على القوم الكافرين » ، يقول : وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك
ونبوة نبيك . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين قرأوا عن
العدو يوم أحد وتركوا قتالهم ، وتأديب لهم . يقول : الله عز وجل : هلاًّ فعلتم إذ
قيل لكم : « قُتل نبيكم » — كما فعل هؤلاء الرّبيون الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء
إذ قُتل أنبياءهم ، فصبرتم لعدوكم صبرهم ، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتحاولوا
الارتداد على أعقابكم ، كما لم يضعف هؤلاء الرّبيون ولم يستكينوا لعدوهم ، وسألتم
ربكم النصر والظفر كما سألوا ، فينصركم الله عليهم كما نصرنا ، فإن الله يحب من
صبر لأمره وعلى جهاد عدوه ، فيعطيه النصر والظفر على عدوه ؟ كما : —

٧٩٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان
قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين » ، أى : فقولوا كما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروا
كما استغفروا ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا تردّثوا على أعقابكم
راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم
الكافرين . فكل هذا من قولهم قد كان وقد قُتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي هي القراءة في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾
النصب ، لإجماع قرأة الأمصار على ذلك نقلاً مستفيضاً ورائة عن الحجة . (٣) وإنما

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

(٢) الأثر : ٧٩٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، ١١٩ ، وهو تنصّب الآثار إلى آخرها :

٧٩٨٤

(٣) انظر استعمال « ورائة » ، و « موروثة » فيما سلف ٦ : ١٢٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع
هناك .

اختير النصبُ في « القول » ، لأن « أن » لا تكون إلا معرفة ، ^(١) فكانت أولى بأن تكون هي الاسم ، دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً ، ^(٢) ولذلك اختير النصبُ في كل اسم ولى « كان » ، إذا كان بعده « أن » الخفيفة : كقوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [سورة النكيت : ٢٤] ، ^(٣) وقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَنَتْنَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] . ^(٤) فأما إذا كان الذى يلى « كان » اسماً معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفعُ والنصبُ فى الذى ولى « كان » . فإن جعلت الذى ولى « كان » هو الاسم ، رفعتَه ونصبت الذى بعده . وإن جعلت الذى ولى « كان » هو الخبر ، نصبتَه ورفعت الذى بعده ، وذلك كقوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوْى ﴾ [سورة الروم : ١٠] . إن جعلت « العاقبة » الاسم رفعتها ، وجعلت « السوْى » هي الخبر منصوبة . وإن جعلت « العاقبة » الخبر ، نصبت فقلت : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوْى » ، وجعلت « السوْى » هي الاسم ، فكانت مرفوعة ، وكما قال الشاعر : ^(٥)

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مَا كَانَ دَاءُهَا بِثَهْلَانٍ إِلَّا الْخِزْيُ مِنْ يَقُودِهَا ^(٦)

وروى أيضاً : « ما كان دأؤها بثهْلانٍ إلا الخِزْيُ » ، نصباً ورفعاً على ما قد

(١) في المطبوعة : « لأن إلا أن لا تكون إلا معرفة » بزيادة « إلا » الأولى ، وهو فساد مستهجن ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناسخ كان قد أخطأ ، فغير وضرب ، فأخطأ الناشر الأولى قراءة ما كتب .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٧ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « وما كان جواب . . . » بالواو ، وصحيح التلاوة ما أثبت .

(٤) أثبت قراءة النصب كما ذكر الطبري ، والذي عليه مصحفنا وقراءتنا ، رفع « فتنهم » .

(٥) لم أعرف قائله .

(٦) سيبويه ١ : ٢٤ ، ولم ينسبه ، قال الشنمري : « استشهد به على استواء اسم كان وخبرها في الرفع والنصب ، لاستوائهما في المعرفة . وصف كتيبة انهزمت ، فيقول : لم يكن دأؤها وسبب انهزامها إلا جبن من يقودها وانهزامه . وجعل الفعل للخِزْيُ مجازاً واتساعاً ، والمعنى : إلا قائدها المهزم الخِزْيَان ، وثهْلان : اسم جبل . »

ينت . ولو فعل مثل ذلك مع « أن » كان جائزاً ، غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم ، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم ، وعلى جهاد عدوهم ، ٤ والاستعانة بالله في أمورهم ، واقتفائهم مناهج إمامهم على ما أبلوا في الله — « ثواب الدنيا » ، يعنى : جزاء في الدنيا ، وذلك : النصر على عدوهم وعدو الله ، والظفر ، والفتح عليهم ، والتمكين لهم في البلاد = « وحسن ثواب الآخرة » ، يعنى : وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة ، وذلك : الجنة ونعيمها ، كما : — ٧٩٩٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا » ، فقرأ حتى بلغ « والله يحب المحسنين » ، إى والله ، لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا = « وحسن ثواب الآخرة » ، يقول : حسن الثواب في الآخرة ، هى الجنة .

٧٩٩٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما كان قولهم » ، ثم ذكر نحوه .
٧٩٩٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « فآتاهم الله ثواب الدنيا » ، قال : النصر والغنيمة = « وحسن ثواب الآخرة » ، قال : رضوان الله ورحمته .

٧٩٩٧ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فأتاهم الله ثواب الدنيا »، الظهور على عدوهم = ^(١) « وحسن ثواب الآخرة »، الجنة وما أعد فيها = وقوله : « والله يحب المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : فعل الله ذلك بهم بإحسانهم ، فإنه يحب المحسنين ، وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم . ^(٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ^(١١٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه = « إن تطيعوا الذين كفروا » ، يعنى : الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى - فيما يأمرونكم به وفيما ينهاونكم عنه - فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنصحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه ناصحون = « يردوكم على أعقابكم » ، يقول : يحملوكم على الردة بعد الإيمان ، والكفر بالله وآياته ورسوله بعد الإسلام ^(٢) = « فتنقلبوا خاسرين » ، يقول : قترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذى هداكم الله له = « خاسرين » ، يعنى : هالكين ، قد خسرتم أنفسكم ، وضملمتم عن دينكم ، وذهبت دنياكم وآخرتكم . ^(٣)

(١) في المطبوعة : « حسن الظهور على عدوهم » ، وفي المخطوطة كتب « وحسن الظهور » ثم ضرب على « وحسن » . وفي ابن هشام : « بالظهور » بالياء .

(٢) الأثر : ٧٩٩٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٣ ، مع اختلاف في اللفظ ، ومع اختصاره .

(٣) انظر تفسير « ارتد على عقبه » فيما سلف قريباً : ٢٥١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١ : ١٧٤ / ٢ : ١٦٦ ، ٥٧٢ / ٦ : ٥٧٠

ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم ويتنصحوهم في أديانهم ، كما : —

٧٩٩٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، أى : عن دينكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم .^(١)

٧٩٩٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا » ، قال ابن جريج : يقول : لا تنتصحو اليهود والنصارى على دينكم ، ولا تصدقوهم بشئ في دينكم .

٨٠٠٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، يقول : إن تطيعوا أبا سفيان ، يردكم كفاراً .^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ

النَّاصِرِينَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إن الله مسددكم ، أيها المؤمنون ، فنقذكم من طاعة الذين كفروا .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٩٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٧٩٩٧ . وفي سيرة ابن هشام : « أى : عن علوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم » ، وهو فاسد المعنى ، تصحيحه من هذا الموضع من الطبري .

(٢) في المطبوعة : « يردوكم كفاراً » بالجمع ، وهو غير مستقيم ، والصواب من المخطوطة .

وإنما قيل : « بل الله مولاكم » ، لأن في قوله : « إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم » ، نهياً لهم عن طاعتهم ، فكأنه قال : يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ، ثم ابتداء الخبر فقال : « بل الله مولاكم » ، فأطيعوه ، دون الذين كفروا ، فهو خيرٌ من نصّر . ولذلك رفع اسم « الله » ، ولو كان منصوباً على معنى : بل أطيعوا الله مولاكم ، دون الذين كفروا = كان وجهاً صحيحاً .

• • •

ويعنى بقوله : « بل الله مولاكم » ، وليسكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا ، ^(١) وهو خير الناصرين » ، لا من فررتهم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله . فبالله الذى هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا ، وإياه فاستنصروا ، دون غيره ممن يبغيتكم الغوائل ، ويرصدكم بالمكارة ، كما : — ٨١/٤

٨٠٠١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « - بل الله مولاكم » ، إن كان ما تقولون بألستكم صدقاً في قلوبكم = « وهو خير الناصرين » ، أى : فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم . ^(٢)

• • •

(١) انظر تفسير « المولى » فيما سلف ٦ : ١٤١ .
(٢) الأثر : ٨٠٠١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، ١٢٠ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٨ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .

القول في تأويل قوله ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : سلقى الله ، أيها المؤمنون = « في قلوب
الذين كفروا » برهم ، وجعلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، من حاربكم بأحد =
« الرعب » ، وهو الجزع والملع = « بما أشركوا بالله » ، يعنى : بشركهم بالله
وعبادتهم الأصنام ، وطاعتهم الشيطان التى لم أجعل لهم بها حجة = وهى « السلطان »
= التى أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم .

وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على
أعدائهم ، والفليح عليهم ، ما استقاموا على عهده ، وتمسكوا بطاعته . ثم أخبرهم
ما هو فاعل " بأعدائهم بعد مصيرهم إليه ، فقال جل ثناؤه : « ومأواهم النار » ، يعنى :
ومرجعهم الذى يرجعون إليه يوم القيامة ، النار = « وبئس مَثْوَى الظالمين » ، يقول :
وبئس مقام الظالمين — الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله
— النار ، كما : —

٨٠٠٢ — حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « سلقى

في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار
وبئس مَثْوَى الظالمين » ، إني سألت في قلوب الذين كفروا الرعب الذى به كنت
أنصركم عليهم ، بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم به حجة ، أى : فلا تظنوا أن لهم
حاقبة نصر ولا ظهور عليكم ، ما اعتصمتم واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم

منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى ، وعصيتم فيها نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .^(١)

٨٠٠٣ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة ، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق . ثم إنهم ندموا فقالوا : بش ما صنعتم ، إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم !^(٢) ارجعوا فاستأصلوهم ! فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فانهمزموا . فلقوا أعرابياً ، فجعلوا له جُعللاً وقالوا له : إن لقيت محمداً فأخبره بما قد جمعنا لهم . فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فأنزل الله عز وجل في ذلك ، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قُذف في قلبه من الرعب فقال : « سئل في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله . »^(٣)

* * *

-
- (١) الأثر : ٨٠٠٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو قصة الآثار التي آخرها : ٨٠٠١ .
 (٢) « الشريد » ، هكذا في المطبوعة والدر المنثور ٢ : ٨٢ ، وأما المخطوطة ، فاللفظ فيها مضطرب لا يستبين . وانظر أيضاً رقم : ٨٢٣٧ .
 (٣) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما قصه :

« يتلوه القول في تأويل قوله :

« ولقد صدقكم الله وعده

« وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم »

ثم يتلوه ما قصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسر .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بقوله تعالى ذكره: « ولقد صدقكم الله »، أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحد، وعدة الذى وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

و « الوعد » الذى كان وعدهم على لسانه بأحد، قوله للرامة: « اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا، وإن رأيتمونا قد هزمناهم، فلإنا لن نزال غاليين ما ثبتم مكانكم ». وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره، كالذى :-

٨٠٠٤ - حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال: لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد، أمر الرامة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال: « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم، فلإنا لن نزال غاليين ما ثبتم مكانكم »، وأمر عليهم عبد الله بن جبير، أخا خوات بن جبير. ثم إن طلحة بن عثمان، صاحب لواء المشركين، قام فقال: يا معشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة! فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة! أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه على بن أبي طالب فقال: والذى نفسى بيده، لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة! فضره على ففقط رجله، فسقط، فأنكشت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم، ابن عم! فتركه.

٨٢/٤

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال، أخبرنا

أبو جعفر محمد بن جرير

ثم انظر ما سلف في ص ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ التلخيص رقم ٥ : / ثم ٧ : ٢١ ، تعليق ١ /
ثم ٧ : ١٥٤ ، تعليق ١

فكَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعليّ أصحابه : ما منعك أن تجهز عليه ؟ قال : إنّ ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته ، فاستحييت منه .

= ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزموهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل ، ^(١) فرومته الرماة ، فانقمع . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينهبونه ، يادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فانطلق عامتهم فلاحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ، ثم حل فقتل الرماة ، ثم حل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تناذوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوه ^(٢) .

٨٠٠٥ — حدثنا هرون بن إسحق قال ، حدثنا مصعب بن المقدم قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : لما كان يوم أحد ولقينا المشركين ، أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بإزاء الرماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوات بن جبير ، وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا » . فلما التقى القوم ، هُزِمَ المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن ، فجعلوا يقولون : « الغنيمة ، الغنيمة » ! قال عبد الله : مهلاً ! أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً .

(١) في التعليق على الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، ذكرت أن المخطوطة هناك ، كان فيها « لر » غير منقوطة ، واستظهرت مرجحاً أنها « كر » ، ولكنه عاد هنا في المخطوطة ، فكتبها « حل » واضحة ، فأعشى أن يكون هذا هو الصواب الراجح .

(٢) الأثر : ٨٠٠٤ — الأثر السالف رقم : ٧٩٤٣ ، والتاريخ ٣ : ١٤ ، ١٥ .

٨٠٠٦ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي

إسحق ، عن البراء بنحوه . (١)

٨٠٠٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه » ، فإن أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحداً ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس ، فاجتمعوا ، وأمر على الخليل الزبير بن العوام ، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي . وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلاً من قريش يقال له : مصعب بن عمير . وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحُسَّـر ، (٢) وبعث حمزة بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال : « استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أؤذنك » . وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ، فقال : « لا تبرحوا حتى أؤذنكم » . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه ، كما قال : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وإن الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم . (٣)

٨٠٠٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني

(١) الأثران : ٨٠٠٥ ، ٨٠٠٦ — تاريخ الطبري ٣ : ١٣ ، ١٤ وانظر مستد أحمد ٤ :

٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) في المطبوعة : « بالجسر » ، وهو خطأ ، « والجسر » جمع حاسر ، وهم الرجال الذين لا خيل لهم ، يقال : سموا بذلك لأنهم يحسرون عن أيديهم وأرجلهم . ويقال إنه يقال لهم « حسر » ، لأنه لا يبيض لهم ولا دروع يلبسونها .

(٣) الأثر : ٨٠٠٧ — تاريخ الطبري ٣ : ١٤ .

محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري . ومحمد بن يحيى بن حبان ، ^(١) وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا . في قصة ذكرها عن أحد . - ذكر أن كلهم قد حدثت ببعضها ، وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث ، فكان فيما ذكر في ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في غدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : « لا يقاتلنَّ أحدٌ ، حتى نأمره بالقتال » . ^(٢) وقد سرَّحت قريش الظهر والكراع . ^(٣) في زروع كانت بالصَّغَة من قناة للمسلمين ، ^(٤) فقال رجل من الأنصار حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أتُرعى زروع بني قيلة ولما نُضارب ! ^(٥) وتعباً رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعة رجل ، ^(٦) وتعبات قريش وهم ثلاثة آلاف ، ^(٧) ومعهم مائتا فرس قد جَسَبوها ، ^(٨) فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة ابن أبي جهل . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ،

٨٣/٤

- (١) في المطبوعة والمخطوطة : « أن محمد بن يحيى . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ وتاريخ الطبري ٣ : ٩ .
- (٢) في المطبوعة : « لا تقاتلوا حتى نأمر بالقتال » ، وفي المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب : « نأمره » والصواب من سيرة ابن هشام ، ومن تاريخ الطبري .
- (٣) الظهر : الإبل التي يحمل عليها ويركب . والكراع : اسم يجمع الخيل وال سلاح ، ويعنى هنا الخيل .
- (٤) « الصغَة » : أرض في ناحية أحد . و « قناة » واد يأتى من الطائف ، حتى ينتهى إلى أصل قبور الشهداء بأحد .
- (٥) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج ، الأنصار . وقيلة : أم قديمة لهم ينسبون إليها .
- (٦) في المطبوعة : « وصفنا رسول الله . . . » ، وهو خطأ محض ، والصواب من سيرة ابن هشام ، والتاريخ ، والمخطوطة ، وهي فيها غير منقوطة .
- (٧) في المطبوعة : « وتمصاف قريش . . . » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ ، ومن المخطوطة وهي فيها غير منقوطة .
- (٨) جنب الفرس والأسير يحنه (بضم النون) جنباً (بالتحريك) فهو مجنوب وجنيب ، وغيل جنائب : إذا قادها إلى جنبه . ويقال : « خيل مجنبة » بتشديد النون مثلها .

وقال : انضح عنا الخيل بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ! إن كانت لنا أو علينا فائت مكانك ، لا نؤتيسنَّ من قبلك » .^(١) فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض .^(٢) واقتتلوا ، حتى حيت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين . فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده ، فحسَّوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .^(٣)

٨٠٠٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده قال ، قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمَّرات هوارب ،^(٤) ما دون إحداهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه

(١) نضح عنه : ذب عنه ، ورد عنه ونافح .

(٢) هذا اختصار لمحل جداً ، فإن أبا جعفر وفق كلام ابن إسحق ، والذي رواه ابن هشام مخالف في ترتيبه لما جاء في خبر الطبري هنا . وذلك أنه من أول قوله : « وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة . . . » مقدم على قوله : « وتعبأت قريش » ، وذلك في السيرة ٣ : ٦٩ ، ٧١ . أما قوله : « فلما التقى الناس » فإنه يأتي في السيرة في ص ٧٢ ، وسياق الجملة : « فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم » ، وساق ما كان من أمرهن ، ثم قال : « قال ابن إسحق : فاقتتل الناس حتى حيت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس » ، أما قوله بعد ذلك : « وحمزة بن عبد المطلب . . . » فهو عطف على « وقاتل أبو دجانة » ، استخرجه الطبري من سياق سيرة ابن إسحق ٣ : ٧٧ ، لا من نصه . وقد تركت ما في التفسير على حاله ، لأنه خطأ من أبي جعفر نفسه ولا شك . وأما قوله : « ثم أنزل الله نصره . . . » إلى آخر الأثر فهو في السيرة ٣ : ٨٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٠٨ — هذا أثر ملفق من نص ابن إسحق ، وهو فيما رواه ابن هشام في سيرته من مواضع متفرقة كما سرى ٣ : ٦٩ ، ٧٠ / ثم ص : ٧٢ / ثم ص : ٧٧ / ثم ص ٨٢ ، وانظر التعليق السالف . ثم انظر تاريخ الطبري ٣ : ١٣ / ثم ص ١٦ . وقوله : « حسوم » أى قتلهم واستأصلوهم ، كما سيأتي في تفسير الآية بعد .

(٤) في المخطوطة : « مسومات هواند » وضبط الكلمة الأولى بالقلم بفتح الميم وضم السين وبيم مشددة مفتوحة !! وهذا أعجب ما رأيت من السهو والغفلة ! والكلمتان خطأ محض ، وفي المطبوعة : « هوازم » ، والصواب من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري .

يريدون النهب ، واخلؤا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا . وصرخ صارخ : « ألا إن محمداً قد قُتل » ! فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ،^(١) حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .^(٢)

٨٠١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، أى : لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم .^(٣)

٨٠١١ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، وذلك يوم أحد ، قال لهم : « لأنكم ستظهرون ، فلا أعرفنَّ ما أصبتم من غنائمهم شيئاً ،^(٤) حتى تفرغوا » ! فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا في الغنائم ، ونسوا عهده الذي عهده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به .^(٥)

* * *

و « الخدم » جمع خدمة : وهى الخلخال ، ويجمع أيضاً « خدام » بكسر الخاء . « شمر تشميراً فهو مشمر » : جد في السير أو العمل وأسرع ومضى مضياً ، وأصله من فعل العادى إذا جد في عدوه وشمر عن ساقه وجمع ثوبه في يده ، ليكون أسرع له .

(١) في المخطوطة : « بعد أن رأينا أصحابنا » وضرب على « بنا » من « أصحابنا » ، فاجتهد الناشر قراءة هذا الكلام الفاسد فجعل مكان « أصبنا » « هزمتنا » ولكنى رددته إلى نص ابن إسحق من رواية ابن هشام في السيرة ، والطبرى في التاريخ .

« انكفأ » : مال ورجع وانقلب ، وهو صورة حركة الراجع ، من انكفاء الإناء إذا أملت ناحية ، و « انكفأوا علينا » ، أى مالوا راجعين عليهم .

(٢) الأثر : ٨٠٠٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ٨٢ ، وهو تابع آخر الأثر السالف رقم : ٨٠٠٨ ، وفي تاريخ الطبرى ٣ : ١٦ ، ١٧ .

(٣) الأثر : ٨٠١٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨٠٠٢ .

(٤) في المخطوطة : « فلا تعرض ما أصبتم » ، وفي المطبوعة : « فلا تأخذوا ما أصبتم » ، تصرف في طلب المعنى ، وهو خطأ ، وستأتى على الصواب في الأثر رقم : ٨٠٢٥ ، في المطبوعة والمخطوطة معاً ، كما كتبها هنا . وقوله : « فلا أعرفن ما أصبتم ... » ، يعنى : لا يبلغنى أنكم أصبتم من غنائمهم شيئاً . وقولهم : « لا أعرفن كذا » و « ولا عرفن كذا » كلمة تقال عند الوعيد والتهديد والزجر الشديد . وانظر مجيئها في الأثرين رقم : ٨١٥٨ ، ٨١٦٠ والتعليق عليهما . وانظر الدر المنثور ٢ : ٨٥ .

(٥) انظر الأثر الآتى رقم : ٨٠٢٥ .

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بذلك: ولقد وفى الله لكم، أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحد، حين «تحسئونهم»، يعنى: حين تقتلونهم.

• • •

يقال منه: «حسَّه يحسُّه حساً»، إذا قتله، ^(١) كما: -

٨٠١٢ - حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال، حدثنا يعقوب ابن عيسى قال، حدثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف، عن محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن المسور ابن مخزومة، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف في قوله: «إذ تحسئونهم بإذنه»، قال: الحسُّ القتل. ^(٢)

٨٠١٣ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا بن أبي الزناد، عن أبيه قال: سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل: «إذ تحسئونهم»، قال: القتل.

٨٠١٤ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا

(١) انظر تفسير «الحس» فيما سلف ٦ : ٤٤٣

(٢) الأثر: ٨٠١٢ - محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي، مضى القول فيه برقم: ٢٨٦٧، ٢٨٦٨، ٢٨٨٨، وفى ٢٨٦٨ «محمد بن عبيد الله بن سعيد». و «يعقوب بن عيسى» هو: «يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري»، سلف في رقم: ٢٨٦٧. و «عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز... الزهري»، هو الأعرج، المعروف بابن أبي ثابت، قيل: «ليس بثقة»، إنما كان صاحب شعر، وقال يحيى: «رأيت به بغداد، كان يشتم الناس ويظعن في أحسابهم. ليس حديثه بشيء». مترجم في التهذيب. و «محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف» قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال أبو حاتم: «هم ثلاثة إخوة: محمد بن عبد العزيز، وعبد الله بن عبد العزيز. وعمران بن عبد العزيز، وهم ضعفاء الحديث، ليس لهم حديث مستقيم، وليس لمحمد عن أبي الزناد، والزهري، وهشام بن عروة، حديث صحيح». مترجم في الكبير ١/١٦٧، وابن أبي حاتم ٧/١/٤

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إذ تحسونهم بإذنه » ، قال : تقتلونهم .
 ٨٠١٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
 « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم » ، أى : قتلاً بإذنه .

٨٠١٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 معمر ، عن قتادة فى قوله : « إذ تحسونهم » ، يقول : إذ تقتلونهم .
 ٨٠١٧ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع :
 « إذ تحسونهم بإذنه » ، والحس القتل .

٨٠١٨ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثه
 أسباط ، عن السدى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » ، يقول :
 تقتلونهم .

٨٠١٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ تحسونهم
 بالسيف ، أى : القتل .^(١)

٨٠٢٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 مبارك ، عن الحسن : « إذ تحسونهم بإذنه » ، يعنى : القتل .

٨٠٢١ - حدثني على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
 معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إذ تحسونهم بإذنه » ،
 يقول : تقتلونهم .

وأما قوله : « بإذنه » ، فإنه يعنى : بحكى وقضائى لكم بذلك ، وتسليطى
 لياكم عليهم ،^(٢) كما : -

(١) الأثر : ٨٠١٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تنية الآثار الى آخرها : ٨٠١٠ ،
 وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « أى : بالقتل » ، والياء زيادة لا خير فيها ، والصواب من سيرة ابن هشام .
 (٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤/٤٥٠ ، ٢٨٦ ، ٥/٣٧١ ، ٣٥٢ ،
 ٣٩٥ ، ٣٥٥ .

- ٨٠٢٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة عن ابن إسحاق : إذ تحسبهم
بلاذنى ، وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم . (١)

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَّسَكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « حتى إذا فشلتُم » ، حتى إذا جبتُم
وضعتُم (٢) = « وتنازعتم فى الأمر » ، يقول : واختلفتم فى أمر الله ، يقول : وعصيتُم
ونخالفتم نبيكم ، فركبتم أمره وما عهد إليكم . وإنما يعنى بذلك الرماة الذين كان
أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب بأحد يازاء نخالد
ابن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين ، الذين ذكرنا قبلُ أمرهم .

= وأما قوله : « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، فإنه يعنى بذلك : من بعد
الذى أراكم الله ، أيها المؤمنون بمحمد ، من النصر والظفر بالمشركين ، وذلك هو
الهيبة التى كانوا هزموهم عن نسايتهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها ، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين
من ورائهم .

• • •

وبنحو الذى فلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

(١) الأثر : ٨٠٢٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨٠١٩ .

(٢) انظر تفسير « فشل » فيما سلف ٧ : ١٦٨ .

وقد مضى ذكر بعض من قال ، وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى .

• ذكر من قال ذلك :

٨٠٢٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر » ، أى اختلفتم في الأمر = « وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وإذاكم يوم أحد ، عهد إليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بأمر ففسخوا العهد ، وجاوزوا ، ^(١) وخالفوا ما أمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ففقد عليهم عدوهم ، ^(٢) بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون .

٨٠٢٤ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس - يعنى يوم أحد - فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كونوا ههنا ، فردوا وجهه من فرنا ، ^(٣) وكونوا حرصاً لنا من قبل ظهورنا » . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جعلوا من ورائهم ، بعضهم لبعض ، ^(٤) لما رأوا النساء منصعدات في الجبل ورأوا الغنائم ،

(١) في المطبوعة : « وجاوزوا » ، وهي ضعيفة المعنى هنا . ولم تذكر كتب اللغة « حاوز » لكنهم قالوا : « انحاز القوم وتحوزوا وتحيزوا : تركوا مركزهم ومركزة قتالهم وتنعوا عنه ، ومالوا إلى موضع آخر » . وانظر ما سلف في التعليق على رقم : ٧٥٢٤ ، من قوله : « تحاوز الناس » .
(٢) في المطبوعة : « فأنصرف عليهم » ، ولا معنى لها ، ولكنه أخطأ من الأثر الثالث ٨٠٢٥ ، من رسم المخطوطة هناك . وفي الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فأنصرف عليهم » ، ولا معنى لها أيضاً . وهي في المخطوطة هنا « فصرف » ، فربحت أن يكون هذا تصحيف « ففقد » ، فأثبتها ، وهي سياق المعنى حين انحطت عليهم خيل المشركين من ورائهم .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « من قدمنا » ، والصواب من تاريخ الطبري . وفي الدر المنثور ٢ : ٨٤ « من فد منا » ، يقال « لد البعير » ، إذا نفر ورشد وذهب حل وجهه ، ولا بأس بمناعها هنا .
(٤) في المطبوعة : « اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض » ، زاد الناشر الأول « اختلف » ، أما المخطوطة ، والدر المنثور ٢ : ٨٤ ، فليس فيها « اختلف » ، والكلام بمد كما هو ، وهو مضطرب ، وردده إلى الصواب من تاريخ الطبري ، حلفت « فقال » من وسط الكلام ، ووضعت « قال » في أوله .

قالوا : « انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوا الغنيمة قبل أن تُسبقوا إليها ! » وقالت طائفة أخرى : « بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا ! » فذلك قوله : « منكم من يريد الدنيا » ، للذين أرادوا الغنيمة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، للذين قالوا : « نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا » . فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فكان فشلاً حين تنازعوا بينهم يقول : « وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون » ، كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة .

٨٠٢٥ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « حتى إذا فشلتم » ، يقول : جبتم عن عدوكم = « وتنازعتم في الأمر » ، يقول : اختلفتم = « وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وذلك يوم أحد قال لهم : « إنكم ستظهرون ، فلا أعرفن » ما أصبتم من غنائمهم شيئاً حتى تفرغوا » ، (١) فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا في الغنائم ، ونسوا عهده الذي عهده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به ، فانقلبت عليهم عدوهم ، (٢) من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون . (٣)

٨٠٢٦ - حدثنا القاسم قال ، - حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « حتى إذا فشلتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : الفشل الجبن .

٨٠٢٧ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون » ، من الفتح .

(١) انظر التعليق على الأثر : ٨٠١١ ، ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٤ .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « فانصرف عليهم عدوهم » ، ولا معنى لها ، وفي الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فانصر عليهم » ، ولا معنى لها ، وانظر التعليق السالف ص : ٢٩٠ ، تعليق : ٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٢٥ - معنى برقم : ٨٠١١ مختصراً .

٨٠٢٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « حتى إذا فشلتم » ، أى : تخاذلتم ^(١) = « وتنازعتم في الأمر » ، أى : اختلفتم في أمرى = « وعصيتم » ، أى : تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما عهد إليكم ، يعنى الرماة = « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، أى : الفتح لا شك فيه ، وهزيمة القوم عن نساءهم وأموالهم . ^(٢)

٨٠٢٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن : « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، يعنى : من الفتح .

٨٥/٤

* * *

قال أبو جعفر : وقيل معنى قوله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » = حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون = وأنه من المقدم الذى معناه التأخير ، ^(٣) وأن « الواو » دخلت في ذلك ومعناها السقوط ، كما يقال ، ^(٤) ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ ﴾ [سورة الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] معناه : ناديناه . وهذا مقول فى : ﴿ حَتَّى إِذَا ﴾ وفى ﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ . [لم يأت فى غير هذين] . ^(٥) ومنه قول الله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٦ : ٩٧] .

(١) فى المطبوعة : « تجادلتم » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٠٢٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ .

(٣) فى المطبوعة : « أنه من المقدم . . . » بإسقاط الواو ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة « كما قلنا فى فلما أسلما . . . » بزيادة « فى » وفى المخطوطة : « كما قلنا فلما أسلما » ، بإسقاط « فى » ، وأثبت ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فهذا نص كلامه .

(٥) فى المطبوعة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (لما) ومنه قول الله . . . » ، وفى المخطوطة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (فلما أن) ، وفلما » ، ومنه قول الله عز وجل . . . والذى فى المطبوعة تغيير لا خير فيه ، والذى فى المخطوطة خطأ لاشك فيه ، فأثرت إثبات ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فإنه نص مقالته ، وزدت منه ما بين القوسين .

ومعناه : اقترِب ، ^(١) كما قال الشاعر : ^(٢)

حَتَّى إِذَا قَمِيتَ بِطُونِكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبَّوْا ^(٣)

وَقَلَبْتُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَنَا إِنَّ اللَّئِيمَ الْمَاجِرَ الْخَبَّ ^(٤)

...

القول في تأويل قوله ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « منكم من يريد الدنيا » ، الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب من أحد لحيل المشركين ، ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين = « ومنكم من يريد الآخرة » ، يعنى بذلك : الذين ثبتوا من الرماة فى مقاعدهم التى

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ١ : ٢٣٨ .

(٢) هو الأسود بن يعفر النسل ، وهو فى أكثر الكتب غير منسوب .

(٣) معاني القرآن للفراء : ١ : ١٠٧ ، ٢٣٨ / اللسان (قمل) والجزم : ٢٠ : ٣٨١ / تأويل مشكل

القرآن : ١٩٧ ، ١٩٨ / المعاني الكبير : ٥٣٣ / مجالس ثعلب : ٧٤ / أمالي الشجرى : ١ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ / الإنصاف لابن الأنبارى : ١٨٩ / الخزائن : ٤ : ٤١٤ / وهو فى جميعها غير منسوب ، وهو من شعر لم أجده تاماً ، ذكر أبياتاً منه البكرى فى معجم ما استعجم : ٣٧٩ ، فيها البيت الأول وحده ، وبيتان آخران منها فى اللسان (وقب) وبهذيب الألفاظ : ١٩٦ . وهو من شعر يهجو فيه بنى نجيب ، من بنى عبد الله بن مجاشع بن دارم يقول فى مجاهم :

أَبْنَى نَجِيجٍ ، إِنَّ أَمَكُمُ أُمَةٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَقَبُ
أَكَلْتُ خَيْثَ الرَّادِ فَأَتَمَحَّتْ عَنْهُ ، وَشَمَّ خَارَهَا الْكَلْبُ

وقوله : « قملت بطونكم » ، كثرت قبائلكم . والبطون بطون القبائل .

(٤) يقال : « قلبت له ظهر الهجن » - والهجن : الترس ، لأنه يوارى صاحبه - كلمة تضرب

مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن ذلك فعاداه . والجب (يفتح الحاء ، وكسرها) الخداع الخبيث المنكر : وفى الحديث : « المؤمن غر كريم ، والكافر غب خبيث » .

أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا أمره ، محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة ، كما : —

٨٠٣٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :

« منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا ، والذين بقوا وقالوا : « لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أرادوا الآخرة .

٨٠٣١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس مثله .

٨٠٣٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد

ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « منكم من يريد الدنيا ومنكم يريد الآخرة » ، فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال : « كونوا مسلحة للناس » ، ^(١) بمنزلة أمرهم أن يشبوا بها ، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم . فلما لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين ، هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ! فلما رأى المسلمة أن الله عز وجل هزم المشركين ، انطلق بعضهم وهم يتنادون : « الغنيمة ! الغنيمة ! لا تفتكم » ! وثبت بعضهم مكانهم ، وقالوا : لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم ! ففى ذلك نزل : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها ، ^(٢) حتى كان يوم أحد .

(١) المسلحة : القوم ذوو السلاح يركلون يثرون من الثغور يحفظونه مخالفة أن يأتي منه العدو .
وسميت الثغور « مسالح » من ذلك ، وهي فواضع المخافة .
(٢) « ما شعرت » ، أى : ما علمت ، يأتي كذلك فى الأثر التالى .

٨٠٣٣- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : لما هزم الله المشركين يوم أحد ، قال الرماة : « أدركوا الناس ونبي الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم إلى الغنائم ، فتكون لهم دونكم » ! وقال بعضهم : « لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم » . فنزلت : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، قال : ابن جريج ، قال ابن مسعود : ما علمنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها ، حتى كان يومئذ .

٨٠٣٤- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن : « منكم من يريد الدنيا » ، هؤلاء الذين يجترئون الغنائم ^(١) = « ومنكم من يريد الآخرة » ، الذين يتبعونهم يقتلونهم .

٨٠٣٥- حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ، حدثنا أحمد بن المنفصل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن عبد خير قال : قال عبد الله : ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » . ^(٢)

٨٠٣٦- حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، ٨٦/٤ عن عبد خير قال ، قال ابن مسعود : ما كنت أظن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحداً يريد الدنيا ، حتى قال الله ما قال .

٨٠٣٧- حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع

(١) في المطبوعة : « يميزون الغنائم » ، وهو خطأ ، والكلمة في المخطوطة غير منقوطة ، والذي أثبتته هو صواب قراءتها . واجتر الشيء : جره ، يعني يطلبونها إلى أنفسهم .

(٢) الأثر ٨٠٣٥- « الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي » ، مضى مراراً ، وسلف ترجمته في رقم : ١٦٢٥ ، وكان في المطبوعة : « المبقرى » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة غير منقوط . وأما « عبد خير » ، فهو « عبد خير بن يزيد الهمداني » . أدرك الجاهلية ، وروى عن أبي بكر ، وابن مسعود وعطى ، وزيد بن أرقم ، وعائشة . وهو تابعي ثقة . مترجم في التهذيب .

قال ، قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا في الغنائم : ما كنت أحسب أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم .

٨٠٣٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان ابن مسعود يقول : ما شعرتُ أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها ، حتى كان يومئذ . (١)

٨٠٣٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « منكم من يريد الدنيا » ، أي : الذين أرادوا النهب رغبة في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، أي : الذي جاهلوا في الله ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيها ، (٢) رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة . (٣)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَنْتَلِيَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ثم صرفكم ، أيها المؤمنون ، عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفي أنفسكم ، من هزيمتكم لإيائهم وظهوركم عليهم ، فردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسول ، ومخالفتكم طاعته ، وإيثاركهم الدنيا على الآخرة ،

(١) الأثر : ٨٠٣٨ - هو من بقية الأثر السالف : ٨٠٢٤ ، ورواه في تاريخه ٣ : ١٤ .

(٢) في المطبوعة : « لم يخالفوا » بإسقاط الواو ، وأثبتها من المخطوطة وابن هشام . وفي المطبوعة والمخطوطة : « لعرض من الدنيا رغبة في رجاء ما عند الله » ، وهو كلام يتجلج ، والصواب ما في سيرة ابن هشام ، وهو الذي أثبت .

(٣) الأثر : ٨٠٣٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تحفة الآثار إلى آخرها : ٨٠٢٨ .

— عقوبة لكم على ما فعلتم ، « ليتليكم » ، يقول : ليختبركم ، ^(١) فيتميز المتأفق منكم من المخلص الصادق في إيمانه منكم ، كما : —

٨٠٤٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :

ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد : « ثم صرفكم عنهم ليتليكم » .

٨٠٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

مبارك ، عن الحسن في قوله : « ثم صرفكم عنهم » ، قال : صرف القوم عنهم ،

فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر ، وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وكسرت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول : « كيف

يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ

الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٨] ، الآية . فقالوا : أليس كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم وعدنا النصر ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولقد صدقكم الله وعده » إلى قوله :

« ثم صرفكم عنهم ليتليكم ولقد عفا عنكم » .

٨٠٤٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « ثم صرفكم عنهم

ليتليكم » ، أى : صرفكم عنهم ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم . ^(٢)

• • •

(١) انظر تفسير « اجل » فيما سلف ٢ : ٤٩ / ٣ ، ٧ : ٢٢٠ / ٥ ، ٣٣٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٤٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٨٠٣٩ .

وفي سيرة ابن هشام المطبوعة ، سقط بعض الكلام ، فاضطرب لفظه ، ويستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله = أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتاركون طاعته فيما تقدم به إليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه = عنكم ، فصنع لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه ، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم لإياكم ، وصرف وجوهكم عنهم ، (١) إذ لم يستأصل جمعكم ، كما : —

٨٠٤٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن في قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : قال الحسن ، وصفق يديه : وكيف عفا عنهم ، وقد قُتل منهم سبعون ، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وشج في وجهه ؟ قال : ثم يقول : قال الله عز وجل : « قد عفوت عنكم إذ عصيتموني ، أن لا أكون استأصلتكم » . قال : ثم يقول الحسن : هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سبيل الله ، غضاب الله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شيء ففصنعوه ، فوالله ما تركوا حتى غُشوا بهذا الغم ، فأفسق الفاسقين اليوم يتَجَرَّثُ كُلُّ كَبِيرَةٍ (٢) ويركب كل داهية ، ويسحب عليها ثيابه ، ويزعم أن لا بأس عليه !! فسوف يعلم .

٨٠٤٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : لم يستأصلكم .

(١) في المخطوطة : « وصرف وجوهكم عنه » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « يتجراً على كل كبيرة » ، تصرف في نص المخطوطة ، وتجترث الشيء : أخذ معظمه ، وجترثية كل شيء : أصله ويجتمع .

٨٠٤٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، لم يهلككم بما آتيتهم من معصية نبيكم ، ولكن حُدَّتْ بغضلي عليكم .^(١)

• • •

١٧/٤ وأما قوله : « والله ذو فضل على المؤمنين » ، فإنه يعني : والله ذو طَوْلٍ على أهل الإيمان به وبرسوله ،^(٢) بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم ، فإن عاقبهم على بعض ذلك ، فلو لإحسان إليهم بجميل أياديه عندهم ، كما : -
٨٠٤٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ، يقول : وكذلك من الله على المؤمنين ، إن عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته ، رحمةً لهم وعائلة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .^(٣)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولقد عفا عنكم ، أيها المؤمنون ، إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم = « إذ تصعدون ولا تلون على أحد » .

• • •

(١) الأثر : ٨٠٤٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو نسخة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٢ .

(٢) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٥/٢٤٤ ، ١٦٤ ، ٦/٥٧١ ، ١٥٦ .

(٣) الأثر : ٨٠٤٦ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو نسخة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٥ .

وفي سيرة ابن هشام المطبوعة فساد قبيح . يستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأه عامة قراءة الحجاز والعراق والشام ، سوى الحسن البصري : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » . وبه القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القراءة على القراءة به ، واستنكارهم ما خالفه .

• • •

وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرأه : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ ﴾ ، بفتح « التاء » و « العين » .

٨٠٤٧ - حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن .

• • •

فأما الذين قرأوا ﴿ تُصْعِدُونَ ﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » ، فلأنهم وجهوا معنى ذلك إلى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم ، أخذوا في الوادي هارين . وذكروا أن ذلك في قراءة أبي ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي ﴾ .

٨٠٤٨ - حدثنا [بذلك] أحمد بن يوسف قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون .

• • •

= قالوا : فالهرب في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب : « إصعاد » ، لا صعود .^(١) قالوا : وإنما يكون « الصعود » على الجبال والسهال والدرج . لأن معنى « الصعود » ، الارتفاع والارتفاع على الشيء علواً .^(٢)

قالوا : فأما الأخذ في مستوى الأرض والمبوط ، فلأنما هو « إصعاد » ، كما يقال : « أصدعنا من مكة » ، إذا بدأت في السفر منها والخروج = « وأصدعنا

(١) في المطبعة : « قالوا : الهرب في مستوى الأرض » . وفي المخطوطة : « بالهرب » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيد ١ : ١٠٥ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ .

من الكوفة إلى خراسان ، بمعنى : خرجنا منها سفرًا إليها ، وابتدأنا منها الخروج إليها . قالوا : وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل ، بأن القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي .

• ذكر من قال ذلك :

٨٠٤٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« ولا تلون على أحد » ، ذاكم يوم أحد ، أصعدوا في الوادي فرارًا ، ^(١) ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أحرارهم : « إلى عباد الله ، إلى عباد الله ! » ^(٢)

• • •

قال أبو جعفر : وأما الحسن ، فلما أراه ذهب في قراءته : « إذ تصعدون » بفتح « التاء » و « العين » ، إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل . وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٠ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

قال : لما شدَّ المشركون على المسلمين بأحد فهزمهم ، دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : « إلى عباد الله ، إلى عباد الله ! فذكر الله صعودهم على الجبل ، ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : « إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أحراركم » . ^(٣)

(١) في المخطوطة : « في الوادي » في الله « وما بينهما يياض ، وما ثبت في المطبعة ، صواب موافق لما في الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، حل خطأ ظاهر في الدر .

(٢) في المخطوطة : « قال عباد الله قال عباد الله » ، والفي في المطبعة هو الصواب الموافق لما في الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، إلا أن ناشر المطبعة زاد « قال » قبل : « إلى عباد الله » ، وهو فاسد فحذفها ، فإن الذي في المخطوطة تصحيف إلى . . . إلى . وانظر الأثر التال : ٨٠٥٠ .

(٣) الأثر : ٨٠٥٠ - هو بعض الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، مع زيادة فيه ، وفي تاريخ الطبري أيضًا ٣ : ٢٠ ، مع زيادة هنا .

٨٠٥١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : انحازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يصعدون في الجبل ، والرسول يدعوهم في أنحرهم .

٨٠٥٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٠٥٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد » ، قال صعدوا في أجْدٍ فراراً .

• • •

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ : « إذ تُصْعِدُونَ » ، بضم « التاء » وكسر « العين » ، بمعنى : السبق والحرب في مستوى الأرض أو في المهابط ، لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة . ففي إجماعها على ذلك ، الدليلُ الواضح على أن أولى التأويلين بالآية ، تأويل من قال : « اصعدوا في الوادي ومضوا فيه » ، دون قول من قال : « صعدوا على الجبل » .

٨٨/٤

• • •

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ولا تلوون على أحد » ، فإنه يعني : ولا تعطفون على أحد منكم ، ولا يلتفت بعضهم إلى بعض ، هرباً من عدوكم مُصْعِدِينَ في الوادي . (١)

• • •

ويعني بقوله : « والرسول يدعوكم في أنحرهم » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه = « في أنحرهم » ، يعني : أنه يناديكم من خلفكم : « إلى عباد الله ، إلى عبد الله ! » (٢) كما : —

(١) انظر تفسير « لوى » فيما سلف : ٦ : ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأب حبيدة ١ : ١٠٥ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٢٣٩ .

٨٠٥٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، إلى عباد الله ارجعوا ، إلى عباد الله ارجعوا !

٨٠٥٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، رأوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم : « إلى عباد الله » !

٨٠٥٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي مثله .

٨٠٥٧ - حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أنبئهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعوهم ، لا يعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : « إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم » .^(١)

٨٠٥٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَتَّبُكُمْ غَمًّا بَغِيًّا لَّكِنَّا لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « فَأَتَّبُكُمْ غَمًّا بَغِيًّا » ، يعني : فجازاكم بفراركم عن نبيكم ، وفشلكم عن عدوكم ، ومعصيتكم ربكم = « غَمًّا بَغِيًّا » ، يقول : غمًّا على غم .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٥٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٦ .

وسمى العقوبة التي عاقبهم بها = من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال « ثواباً » ، إذ كان عوضاً من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم ، ^(١) فدلّ بذلك جل ثناؤه أنّ كل عوض كان لمعوض من شيء من العمل ، خيراً كان أو شراً = أو العوض الذي بذله رجل لرجل ، أو يد سلفت له إليه ، فإنه مستحق اسم « ثواب » ، كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ، ونظير ذلك قول الشاعر : ^(٢)

أَخَافُ زِيَادًا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَامَ سُودًا أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمْرًا ^(٣)

فجعل « العطاء » القيود ^(٤) ، وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه :
« لأجازينك على فعلك ، ولأثيبنك ثوابك » . ^(٥)

وأما قوله : « غمّاً بغم » ، فإنه قيل : « غمّاً بغم » ، معناه : غمّاً على غم ، كما قيل :
« وَلَا صَلَبْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ » [سورة طه : ٧١] ، بمعنى : ولأصلبنكم على جذوع النخل . وإنما جاز ذلك ، لأن معنى قول القائل : « أثابك الله غمّاً على غم » ، جزاك الله

(١) في المطبوعة : « إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه » ، وكان في المخطوطة مكان « ذلك » :
يماض ، والصواب ما أثبت ، استظهاراً من كلام أبي جعفر التال .
(٢) هو الفرزدق .

(٣) ديوانه : ٢٢٧ ، التناضس : ٦١٨ ، طبقات فحول الشعراء : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبري ٦ : ١٣٩ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وغيرها . من شعره في زياد بن أبي سفيان ، وهو يل الأبيات التي ذكرتها في التفسير آنفاً ٢ : ١٩٥ ، تعليق : ١ ، والرواية التي ذكرها الطبري هنا ، متأخرة للفراء ، وهي لا تستقيم مع الشعر ، وأجمع الرواة على أنه :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ
نَمِيتُ إِلَى حَرْفٍ أَضْرَّ بَنِيهَا سُرَى الْيَدِ وَأَسْتَعْرَضَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا

والأدام جمع آدم : وهو القيد ، سمى بذلك لسواده . والمحدجة : السياط . حدرج السوط : قتله قتلاً محكماً حتى استوى . وجعلها « سمرًا » ، لأدمة جلدها التي تصنع منه .
(٤) في المطبوعة : « فجعل العطاء العقوبة » ، والصواب من المخطوطة ، ولا أدري لم غيره الناشر الأول .

(٥) انظر لما سلف ، معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وانظر معنى « الثواب » فيما سلف قريباً :
٢ : ٤٥٨ / ٧ : ٢٧٢ ، وقد نسي أن أذكر مرجعه هناك .

غماً بعد غم تقدّمه ، ^(١) فكان كذلك معنى : « فأثابكم غماً بغم » ، لأن معناه : فجزاكم الله غماً بعقب غم تقدّمه ، ^(١) وهو نظير قول القائل : « نزلت بيني فلان ، ونزلت على بنى فلان » ، « وضربته بالسيف وعلى السيف » . ^(٢)

• • •

واختلف أهل التأويل في الغم الذي أثيب القوم على الغم ، وما كان غمّهم الأول والثاني ؟

فقال بعضهم : « أما الغم الأول ، فكان ما تحدّث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قُتل . وأما الغم الآخر ، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح . » . ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأثابكم غماً بغم » ، كانوا تحدّثوا يومئذ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أصيب ، وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابهم . قال : وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ستة وستون رجلاً من الأنصار ، وأربعة من المهاجرين = وقوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، يقول : ما فاتكم من غنيمة القوم = « ولا ما أصابكم » ، في أنفسكم من القتل والجراحات .

٨٠٦٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فأثابكم غماً بغم » ، قال : فرّة بعد فرّة : الأولى حين سمعوا الصوت أن محمداً قد قتل ، والثانية حين رجع الكفار ، فضربهم مدبرين ، حتى قتلوا منهم سبعين رجلاً ، ثم انحازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أنزاهم .

(١) في المطبوعة : « يقمّه » في الموضعين ، وهو خطأ لا شك فيه .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، ٢/٣١٣ ، ٤١١ ، ٤١٢ .

٨٠٦١ - حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد نحوه .

* * *

وقال آخرون : « بل غمهم الأول كان قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم . والغم الثاني كان من سماعهم صوت القاتل : « قُتِلَ مُحَمَّدٌ » ، صلى الله عليه وسلم .
* ذكر من قال ذلك :

٨٠٦٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراح والقتل ، والغم الثاني حين سمعوا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

٨٠٦٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأنابكم غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراح والقتل ، والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول الله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

* * *

وقال آخرون : « بل الغم الأول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة ، والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشعب . وذلك أن أبا سفيان - فيما زعم بعض أهل السير - لما أصاب من المسلمين ما أصاب ، وهرب المسلمون ، جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب أحد ، الذي كانوا ولَّوْا إليه عند الهزيمة ، فخافوا أن يضطلمهم أبو سفيان وأصحابه » . (١)

(١) إذا أبعد القوم من أصلهم واستأصلهم عديم قيل : « اضطلموا » بالبناء للمجهول .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٦٤ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة . فلما رأوه، وضع رجل سهماً في قوسه، فأراد أن يرميه ، فقال : « أنا رسول الله ! » ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً ، وفرح رسول الله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع .^(١) فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .

= فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه ، نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمهم أبو سفيان ،^(٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لهم أن يعلونا، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبد ! » ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : « اعلُّ هُبْلَ حَنْظَلَةَ بِحَنْظَلَةِ ، ويوم بيوم بدر ! » = وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُباً فغسلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر = وقال أبو سفيان : « لنا العزى ولا عزى لكم » ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قل : الله مولانا ولا مولى لكم » ! فقال أبو سفيان : فيكم محمد ؟^(٣) قالوا : نعم ! قال : « أما إنها قد كانت فيكم مثلة ، ما أمرتُ بها ولا نهيتُ عنها ، ولا سرتنى ولا ساعتنى ! » فذكر الله إشراف أبي سفيان عليهم فقال : « فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، الغم الأول : ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغم الثانى :

(١) انظر ما سلف : ٢٥٦ تملق : ١ ، فإن زدت « به » من التاريخ ، ولكنه عاد هنا في المخطوطة فأسقطها ، فاتفقت المخطوطة في الموضعين ، فتركت هذه على حالها ، وإن كنت لا أرتضيها .

(٢) في التاريخ « وأهمهم » ، وهم الأمر وأهمه ، سواء في المعنى .

(٣) في التاريخ : « أفياكم محمد » بالالف ، وهما سواء .

إشراف العدو عليهم = « لكيلا يجهزوا على ما فاتكم » ، من الغنيمة = « ولا ما أصابكم »
من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان . (١)

٨٠٦٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني
ابن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ،
والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، فيما
ذكرُوا من حديث أحد ، قالوا : كان المسلمون في ذلك اليوم - لما أصابهم فيه من
شدة البلاء - أثلاثاً ، ثلثٌ قَتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلثٌ منهزم ، وقد بلغت الحرب
حتى ما يدري ما يصنع = (٢) وحتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشِقِّه ، وأصبحت رِباعيته ، وشُجَّ في وجهه ، وكُلِّمت
شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص = (٣) وقاتل مصعب بن عمير دون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لوائه حتى قتل ، وكان الذي أصابه ابن قميصة
الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال :
« قتل محمدًا » . (٤)

٨٠٦٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فكان
أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم » = كما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن

(١) الأثر ٨٠٦٤ - تاريخ الطبري ٣ : ٢٠ ، ٢١ ، وبضه في الأثرين السالفين :
٧٩٤٣ ، ٨٠٥٠ ، وكلها سياق واحد في التاريخ .

(٢) هذه الفقرة من الأثر ، لم أجدها في سيرة ابن هشام .

(٣) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٨٤ ، وانظر التخریج في آخره . ودثه بالمصا
وبالحجر رماء ربيعاً متتابعاً ، أو ضربه بالمصا ضرباً متتابعاً من وراء الثياب حتى يأخذه الألم . والشق :
الجنب . والكلم : الجرح .

(٤) الفقرة التالية من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٧٧ ، قبل السالفة .

(٥) الأثر : ٨٠٦٥ - هذا أثر مطلق من سيرة ابن إسحق ، كما رأيت في التعليقين السالفين ، وهو
فيها من ٣ : ٣ / ٨٤ : ٧٧ / والقسم الأول لم أشر عليه فيها .

إسحق قال ، محدثي ابن شهاب الزهري = كعبُ بن مالك أخو بني سلَمة قال :
عرفتُ عينه تَزْهَرَان تحت المغفر ، فنادت بأعلى صوتي : « يا معشر المسلمين :
أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! فأشار إلى رسول الله أن أنصت .
فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ،
معه عليّ بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة
ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ،^(١) في رهط من المسلمين .^(٢)
= قال فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك النفر من
أصحابه ، إذ علت عالية من قریش الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اللهم إني لا ينبغي لم أن يعلونا » ! فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين
حتى أهبطوهم عن الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل
ليعلوها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُدِّن ، فظاهر بين درعين ،^(٣)
فلما ذهب لينهض فلم يستطع ، جلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى
استوى عليها .^(٤)

= ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى

(١) في المطبوعة : « والحارث بن الصامت » ، والصواب من المخطوطة والمراجع ، ولا أدري فيم

غيره الناشر الأول !!

(٢) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) بدن الرجل تبدينا : ألبسه البدن ، أي الدرع . وقد مضى شرح السيرة ، فزعموا أن « بدن »
(بالبناء للمعلوم) هنا ، معناها : أسن . قال أبو ذر الحثني في تفسير غريب سيرة ابن هشام : ٢٢٨
« بدن الرجل ، إذا أسن . وبدن ، إذا عظم بدنه من كثرة اللحم » . وكلا التفسيرين خطأ هنا ، وإن
كان صحيحاً في اللغة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يوم قاتل في أحد مسناً ولا يبلغ في السن
ما يضعفه . وأيضاً فإنه ، بأبي هوأى صلى الله عليه وسلم ، لم يوصف قط بالبدانة والسن . وأما قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث الصلاة : « إني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود » ، فإنه لم يعن البدانة ،
وإنما أراد أن الحركة قد ثقلت عليه ، كما تثقل على الرجل البادن . ولو قرئت في « بدن » بالبناء للمعلوم
لكان عربية صحيحة .

وأما قوله : « ظاهر بين درعين » ، أي ليس إحداها على الأخرى ، وكذلك « ظاهر بين ثوبين ،
أونملين » ، ليس أحدهما على الآخر .

(٤) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٩١ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢١ .

صوته: «أَنعَمْتَ فعَالٍ ! إن الحرب بحبال، يوم بيوم بذر، اعلُ هُبَيْلٌ»، أى: أظهر دينك، ^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «قم فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل! لا سواء! قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار! فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان، قال له أبو سفيان: «هلم إلى يا عمر! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنته فانظر ما شأنه؟ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن! فقال: أنت أصدقُ عندي من ابن قميئة وأبرُّ! = ^(٢) لقول ابن قميئة لهم: إئتني قتلت محمداً = ثم نادى أبو سفيان فقال: إنه قد كان في قتلناكم مُثْلَةٌ، والله ما رضىتُ ولا سخطتُ، ولا نهيتُ ولا أمرتُ. ^(٣)

(١) قوله: «أَنعَمْتَ»، أى جئت بالسهم الذى فيه «نم»، و«عال»، أى: تجاف عنها - عن الأصنام - ولا تذكرها بسوء. يقال: «عال عني، وأعل عني»، أى تنج. وذلك أن الرجل من قريش من أهل الجاهلية، كان إذا أراد ابتداء أمر، عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما «نم» وعلى الآخر «لا»، ثم يتقدم إلى الصنم ويحجبل سهمه، فإن خرج سهم «نم» أقدم، وإن خرج سهم «لا» امتنع. وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد، استقى هبل، فخرج له سهم الإتمام. فذلك تفسير كلمته. ومن لطيف أخبار الاستقسام بالأزلام. ما فعل امرؤ القيس، حين قتل أبوه، فاستقسم عند ذى الخلصة، فأجال سهمه فخرج له السهم التامى «لا» ثلاث مرات، فجمع قداحه وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال له: «مصصت ببطر أمك! لو أبوك قتل ما عقتى!!»، ثم خرج فقاتل، فظفر. فيقال إنه لم يستقسم بعد ذلك بقدح عند ذى الخلصة حتى جاء الإسلام، وهدمه جرير ابن عبد الله البجلي، وأبطل الله أمر الجاهلية كله.

وقد قيل لأبي سفيان يوم الفتح: «أين قولك، أَنعَمْتَ فعَالٌ؟ فقال: «قد صنع الله خيراً، وذهب أمر الجاهلية».

هذا وقد كان في المطبوعة: «أَنعَمْتَ فقال إن الحرب بحبال»، وهو خطأ صرف. والحرب بحبال: أى مرة لهذا، ومرة لهذا. وقوله: «اعل هبل» قد شرحه ابن إسحق، فيظن بعض من يضبط السيرة أنه «أعل» (بفتح الألف وسكون العين وكسر اللام) وهو خطأ، والصواب أنه أمر من «علا»، يريد: زد علواً.

(٢) في المطبوعة: «وأشار لقول ابن قميئة»، لم يحسن قراءة المخطوطة، والصواب منها ومن سيرة ابن هشام. وقوله: «وأبر» من «البر»، وهو الصدق والخير كله.

(٣) الأثر ٨٠٦٦ - هذا الأثر مجموع من مواضع في السيرة كما أشرت إليه، وهى في: سيرة ابن هشام ٣: ٨٨، ٨٩ / ٣: ٩١، وتاريخ الطبرى ٣: ٢١ / والسيرة ٣: ٩٩.

٨٠٦٧- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحق
 « فأتاكم غمًا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، أي : كرباً بعد كرب،
 قتلٌ من قتل من إخوانكم، وعلوٌ عدوكم عليكم، وما وقع في أنفسكم من قول من
 قال : « قتل نبيكم »، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًا بغم = « لكيلا تحزنوا على
 ما فاتكم »، من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم = « ولا ما أصابكم » من
 قتل إخوانكم، حتى فرجت بذلك الكرب عنكم = « والله خير بما تعملون »، وكان
 الذي فرج به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم، ^(١) أن الله عز
 وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم. فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حيًّا بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة
 التي أصابتهم في إخوانهم، ^(٢) حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه
 وسلم. ^(٣)

٨٠٦٨- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن
 ابن جريج : « فأتاكم غمًا بغم »، قال ابن جريج، قال مجاهد : أصاب الناس حزن
 وغم على ما أصابهم في أصحابهم الذين قُتلوا. فلما تولَّجُوا في الشعب وهم مصابون، ^(٤)
 وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب، فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وكان الذي خرج عنهم » بإسقاط « به » والسياق يقتضي إثباتها،
 فأتيتها من سيرة ابن هشام.

(٢) في المطبوعة : « فهان الظهور عليهم »، وفي المخطوطة : « فهذا الظهور عليهم » كتب
 « فهذا » في آخر « السطر » و « الظهور » في أول السطر التالي، فلم يحسن الناشر قراءتها، والصواب من
 سيرة ابن هشام.

(٣) الأثر : ٨٠٦٧- سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١، ١٢٢، وهو تمة الآثار التي آخرها :

٨٠٥٧.

(٤) في المطبوعة : « فلما تولَّجوا في الشعب يتصافون »، وهو لا معنى له، والصواب من المخطوطة
 إلا أن كاتبها كان قد سقط من كتابته من أول « وهم مصابون » إلى « باب الشعب »، فكتبها في
 الهامش. فاستعجمت على الناشر الأول قراءتها.

فيقتلونهم أيضاً ، فأصابهم حزن في ذلك أيضاً أنساهم حُزنهم في أصحابهم ، فذلك قوله : « فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » = قال ابن جريج ، قوله : « على ما فاتكم » ، يقول : على ما فاتكم من غنائم القوم = « ولا ما أصابكم » ، في أنفسكم .

٩١/٤

٨٠٦٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج عن ابن جريج . قال ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن عبيد بن عمير قال : جاء أبو سفيان بن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ، ثم نادى : أفي القوم ابن أبي كبشة ؟ ^(١) فسكتوا ، فقال أبو سفيان : قُتِل ورب الكعبة ! ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فسكتوا ، فقال : قُتِل ورب الكعبة ! ثم قال : أفي القوم عمر ابن الخطاب ؟ فسكتوا ، فقال : قُتِل ورب الكعبة ! ثم قال أبو سفيان : اهل هُبُل ، يوم بيوم بدر ، وحنظلة بحنظلة ، وأنتم واجدون في القوم مثلاً ، ^(٢) لم يكن عن رأي سَرَاتنا وخيارنا ، ولم نكرهه حين رأيناه ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : قم فناد فقل : الله أعلى وأجل ! نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وها أنا ذا ! لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ، قتلانا في الجنة وقتلاكُم في النار !

• • •

وقال آخرون في ذلك ، بما : —

(١) « ابن أبي كبشة » ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك كان المشركون يذكرون رسول الله . فقيل إن « أبا كبشة » ، رجل من خزاعة ، خالف قريشاً في عبادة الأوثان وبعد الشمرى العبور ، فذكروه بذلك لمخالفته إياهم إلى عبادة الله تعالى ، كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشمرى . ويقال : إنها كنية وهب بن عبد مناف ، جد رسول الله من قبل أمه ، فنسب إليه ، لأنه نزع إليه في الشبه . ويقال : هي كنية زوج حليمة السعدية التي أرضعت صلى الله عليه وسلم .

(٢) في المخطوطة : « وأنتم واحد ورق القوم سلا » ، وهو كلام « فاسد » صوابه في المطبوعة . والمثل (يفتح الميم وسكون الهمزة) مصدر « مثل بالقتيل » إذا جدد أنفه ، أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه وجسده ، طلب التشويه لخصته . والاسم « المثلة » (يضم الميم وسكون الهمزة) .

٨٠٧٠ - حدثني به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم » ، فرجعوا فقالوا : والله لنا بينهم ثم لقتلهم ! قد جرحوا منا ! ^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلاً ، فلما أصابكم الذي أصابكم من أجل أنكم عصيتموني أفيننا هم كذلك إذ أتاهم القوم قد اتشبهوا وقد اخترطوا سيوفهم ، ^(٢) فكان غمّ الهزيمة ، وغمهم حين أنوهم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، من القتل = « ولا ما أصابكم » ، من الجراحة = « فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا » الآية ، وهو يوم أحد .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : « معنى قوله : « فأثابكم غمّاً بغم » ، أيها المؤمنون ، بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ - بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون - بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غمّ ظنكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل ، وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم » . ^(٣)

والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه ، قوله : « لكيلا تحزنوا

(١) في المطبوعة : « قد خرجوا منا » ، وأسقطها السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، فاستظهر ناشر الطبعة السالفة إسقاطها كما فعل السيوطي ، وهي في المخطوطة : « قد جرحوا منا » ، غير منقوطة ، كما أثبتا وصواب قراءتها ما أثبت . ومعنى : « جرحوا منا » ، أي أصابوا بعضنا بالجراحات والقتل ، وبلغوا في ذلك مبلغاً . ولم تثبت كتب اللغة ذلك ، ولكنه عربي مرق عتيق ، وما كل اللغة تثبت كتب اللغة ، وخاصة مجاز المبارات .

(٢) في المطبوعة : « قد أنسوا وقد اخترطوا سيوفهم » ، وفي الدر المنثور ٢ : ٨٧ « قد أيسوا » وفي المخطوطة : « قد أسوا » غير منقوطة ، والذي في المطبوعة والدر لا معنى له ، وقد رجعت قراءتها . تأشب القوم واتشبهوا : انضم بعضهم لبعض واجتمعوا والتفوا ، وفي الحديث « فتأشب أصحابه إليه » ، أي اجتمعوا إليه وطاقوا به . وأصله من « أشب الشجر » . إذا التف وكثر حتى ضاقت فرجه ، وحتى لا مجاز فيه ليجاز .

(٣) قوله « بعد فلولكم منهم » يعني : بعد هزيمتكم وفراركم منهم ، ولم تصرح كتب اللغة بفعل

على ما فاتكم ولا ما أصابكم» ، والفائت ، لا شك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول إليه من غيرهم ، إما من ظهور عليهم بغلبهم ، وإما من غنيمة يمتازونها = وأن قوله : « ولا ما أصابكم » . هو ما أصابهم : إما في أبدانهم ، وإما في إخوانهم . إذ كان ذلك كذلك ، فنعلم أن « الغم » الثاني هو معنى غير هذين . لأن الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه أثابهم غمماً بغم لثلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم ، ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم ، وهو الغم الأول ، على ما قد بيناه قبل .

* * *

وأما قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، فإن تأويله على ما قد بينت ، من أنه : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، فلم تتركوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور ، وحيازة غنائمهم = « ولا ما أصابكم » ، في أنفسكم : من جرح من جرح وقتل من قتل من إخوانكم .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبلُ على السبيل التي اختلفوا فيه ، كما : — ٨٠٧١ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » ، قال : على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون = « ولا تحزنوا على ما أصابكم » ، من الهزيمة .

* * *

وأما قوله : « والله خير بما تعملون » ، فإنه يعني جل ثناؤه : والله بالذي تعملون ، أيها المؤمنون — من إصعادكم في الوادي هرباً من عدوكم ، وانهمزامكم

ثلاث لازم مصدره «فلول» ، بل قالوا : « فله يفله ، فانقل » ، ولكن يرجح صواب ما في نص الطبري أنه جاء في أمثاله : « من فل ذل » ، أي من فر عن عدوه ذل . وأما ابن كثير فقد نقل في تفسيره ٢ : ٢٧٠ نص الطبري هذا ، وفيه « ونبؤكم منهم » ، وليست بشيء ، وكأن الصواب ما في التفسير ، فهو جيد في العربية .

منهم ، وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم ، وحزنكم على ما فاتكم من علومكم وما أصابكم في أنفسكم = ذو خبرة وعلم ، وهو محصٍ ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به : المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، أو يعفو عنه .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم أنزل الله ، أيها المؤمنون من بعد الغم الذى أثابكم ربكم بعد غم تقلمه قبله = « أمنة » ، وهى الأمان ، ^(١) على أهل الإخلاص منكم واليقين ، دون أهل النفاق والشك .

• • •

ثم بين جل ثناؤه ، عن « الأمنة » التى أنزلها عليهم ، ما هى ؟ فقال = « نعاساً » ، ينصب « النعاس » على الإبدال من « الأمنة » .

• • •

ثم اختلفت القراءة فى قراءة قوله : « يَغْشَى » .
فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء : ﴿ يَغْشَى ﴾ .

• • •

وقرأ جماعة من قرأة الكوفيين بالتأنيث : ﴿ تَغْشَى ﴾ بالتاء .

• • •

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتذكير ، إلى أن النعاس هو الذى يغشى الطائفة من

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ٣ : ٤/٢٩ : ٨٧ .

المؤمنين دون الأمانة ، فذكره بتذكير « النعاس » .
 وذهب الذين قرأوا ذلك بالتأنيث ، إلى أن الأمانة هي التي تغشاهم فأنثوه لتأنيث
 « الأمانة » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى ، أنهما قراءتان معروفتان
 مستفيضتان في قراءة الأمصار ، غير مختلفتين في معنى ولا غيره . لأن « الأمانة » في
 هذا الموضع هي النعاس ، والنعاس هو الأمانة . فسواء ذلك ، ^(١) وبأيتهما قرأ
 القارئ فهو مصيب الحق في قراءته . وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من
 نحو قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ طَعَامٌ لِلْإِنْسَانِ . كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾
 [سورة النخيل : ٤٢ - ٤٥] و ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْقَةً مِنْ مِثْنِ مِمْنَى ﴾ [سورة القيامة : ٢٧] ،
 و ﴿ وَهَرَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ نُسَاقِطٌ ﴾ [سورة مريم : ٢٥] . ^(٢)

* * *

فإن قال قائل : وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان
 ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتيهما ، فأمنت إحداهما بنفسها حتى
 نعست ، وأهمت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية ؟
 قيل : كان سبب ذلك فيما ذكر لنا ، كما : —

٨٠٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا
 أسباط ، عن السدي : أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذي كان من أمرهم
 وأمر المسلمين ، فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدرأ من قابل ، فقال زم ! نعم !
 فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال :

(١) في المطبعة : « وسواء ذلك » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٠ .

« انظر، فإن رأيتم قعدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم، ^(١) فإن القوم ذاهبون، وإن رأيتم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا أثقالهم، ^(٢) فإن القوم يتزلون المدينة، فاتقوا الله واصبروا»، ووطنهم على القتال. فلما أبصرهم الرسول قعدوا على الأثقال سراعاً عجالاً، نادى بأعلى صوته بذهابهم. فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا، وبقي أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم. فقال الله جل وعز، يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم إن كانوا ركبو الأثقال فلأنهم منطلقون فناموا: «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية».

٨٠٧٣- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: أمسهم يومئذ نعاس غشاهم. وإنما ينعس من يأمن = يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

٨٠٧٤- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة قال: كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمانة، حتى سقط من يدي مراراً = قال أبو جعفر: يعني سوطه، أو سيفه.

٨٠٧٥- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا تحت حجفته يمين من النعاس. ^(٣)

(١) الأثقال جمع ثقل (بفتحين): وهو متاع المسافر، وعنى به الإبل التي تحمل المتاع. وجنب الفرس والأسير وغيره: قاده إلى جنبه.

(٢) في المطبوعة والمخطوطة والدرر المشور ٢: ٨٧: «وجنبوا على أثقالهم»، والصواب الذي لا شك فيه حذف «على».

(٣) «الحجفة»: ضرب من الترس، تتخذ من جلود الإبل مقورة، يطارق بعضها على بعض، ليس فيه خشب، وهي الحجفة والدرة. «ماد يمين»: مال وتحرك واضطرب.

٨٠٧٦ - حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن صبَّ عليه النعاس يوم أحد .

٨٠٧٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك : عن أبي طلحة : أنه كان يومئذ ممن غشيته النعاس ، قال : كان السيف يسقط من يدي ثم آخذه ، من النعاس . ٩٣/٤

٨٠٧٨ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا ، والله أعلم ، عن أنس : أن أبا طلحة حدثهم : أنه كان يومئذ ممن غشيته النعاس ، قال : فجعل سيقى يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ويسقط = والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همة إلا أنفسهم ، « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » ، الآية كلها .

٨٠٧٩ - حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ، حدثنا ضرار بن صرد قال ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبيه قال : سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمّنةً نعاساً » . قال : ألقى علينا النوم يوم أحد .

٨٠٨٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمّنةً نعاساً » ، الآية ، وذاكم يوم أحد ، كانوا يومئذ فريقين ، فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمّنةً منه ورحمة .

٨٠٨١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس نحوه .

٨٠٨٢ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع قوله : « أمانة نعاساً » ، قال : ألقى عليهم النعاس ، فكان ذلك أمانة لهم .

٨٠٨٣ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين قال ، قال عبد الله : النعاس في القتال أمانة ، والنعاس في الصلاة من الشيطان .

٨٠٨٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً » ، قال : أنزل النعاس أمانة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون . (٢١)

٨٠٨٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن تنادة في قوله : « أمانة نعاساً » ، قال : ألقى الله عليهم النعاس ، فكان « أمانة لهم » . وذكر أن أبا طلحة قال : ألقى على النعاس يومئذ ، فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي .

٨٠٨٦ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا إسحق بن إدريس قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة = وهشام بن عروة ، عن عروة ، عن الزبير ، أنهما قالوا : لقد رفعنا رؤوسنا يوم أحد ، فجعلنا ننظر ، فما منهم من أحد إلا وهو يميل بجانب حجفته . قال : وتلا هذه الآية : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً » .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٨٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو من تمة الآثار التي آخرها : ٨٠٦٧ .

القول في تأويل قوله ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وطائفة منكم » ، أيها المؤمنون = « قد أهتمهم أنفسهم » ، يقول : هم المنافقون ، لا هم لم غير أنفسهم ، فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شغل ، قد طار عن أعينهم الكرى ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله ، شكاً في أمر الله ، وتكذيباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعَلِّ عليه أهل الكفر به ، ^(١) يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ! كالذى : —

٨٠٨٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق ، يظنون بالله غير الحق ظنوناً كاذبة ، إنما هم أهل شك وريبة في أمر الله : ﴿ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ .

٨٠٨٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم هم إلا أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ . قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ الآية .

٨٠٨٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وطائفة

(١) حسب الشيء يحسبه (بكسر السين) حساباً (بكسر الهاء) ومحبة ومحبة (بكسر السين) ونسبها ، ظنه ظناً .

قد أهمتهم أنفسهم» ، قال : أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة^(١) .

٨٠٩٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ٩٤/٤ « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون .

* * *

وأما قوله : « ظنّ الجاهلية » ، فإنه يعنى أهل الشرك ، كالذى : -

٨٠٩١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ظنّ الجاهلية » ، قال : ظنّ أهل الشرك .
٨٠٩٢ - حدثني المشي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ظنّ الجاهلية » ، قال : ظنّ أهل الشرك .

* * *

قال أبو جعفر : وفي رفع قوله : « وطائفة » ، وجهان .
أحدهما ، أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله : « قد أهمتهم » .
والآخر : بقوله : « يظنون بالله غير الحق » ، ولو كانت منصوبة كان جائزاً ، وكانت « الواو » ، في قوله : « وطائفة » ، ظرفاً للفعل ، بمعنى : وأهمت طائفة أنفسهم ، كما قال ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧] .^(٢)

* * *

(١) الأثر : ٨٠٨٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تسمية الآثار التي آخرها : ٨٠٨٤ .

(٢) قد استقصى هذا الباب من العربية ، الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

القول في تأويل قوله ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك الطائفة المنافقة التى قد أهتمهم أنفسهم ، يقولون : ليس لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، ولو كان لنا من الأمر شيء ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا ، كما : —

٨٠٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قيل لعبد الله بن أبي : قُتِلَ بنو الخزرج اليوم ! قال : وهل لنا من الأمر من شيء ؟ قيل : إن الأمر كله لله ! (١)

* * *

وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، هؤلاء المنافقين : « إن الأمر كله لله » ، يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب .

ثم عاد إلى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين ، فقال : « يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ » يقول : يخفى ، يا محمد ، هؤلاء المنافقون الذين وصفتُ لك صفتهم ، في أنفسهم من الكفر والشك في الله ، ما لا يبديون لك . ثم أظهر نبيّه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم ، والحسرة التى أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد ، فقال مخبراً عن قلوبهم الكفر وإعلانهم النفاق بينهم : « يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا » ، يعنى بذلك ، أن هؤلاء المنافقين يقولون : لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ، ما خرجنا

(١) في المطبوعة : « قل إن الأمر كله لله » كنص الآية ، وأثبت ما في المخطوطة .

إليهم ، ولا قُتِلَ منا أحدٌ في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد .

* * *

وذكر أن من قال هذا القول ، معتبٌ بن قشير ، أخو بني عمرو بن عوف .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، قال ، قال ابن إسحق ، حدثني

يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن

الزبير قال : والله إنني لأسمع قول معتب بن قشير ، أخى بني عمرو بن عوف ،

والنعاسُ يغشاني ، ما أسمعُه إلا كالحلم حين قال : لو كان لنا من الأمر شيء

ما قُتِلنا ههنا ! (١)

٨٠٩٥ — حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال ، حدثني أبي ، عن ابن إسحق

قال ، حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن

الزبير ، عن أبيه بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قراءة الحجاز والعراق : ﴿ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ ، بنصب «الكل»

على وجه النعت لـ « الأمر » والصفة له .

* * *

وقرأه بعض قراءة أهل البصرة : ﴿ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ برفع «الكل» ، على

توجيه «الكل» إلى أنه اسم ، وقوله «لله» خبره ، كقول القائل : «إن الأمر بعضه

لعبد الله» . (٢)

* * *

وقد يجوز أن يكون «الكل» في قراءة من قرأه بالنصب ، منصوباً على البدل .

* * *

(١) لم أجد نص الخبر في سيرة ابن هشام ، في خبر أحد ، ولكنني وجدت معناه والإشارة إليه

قبل أحد في ذكر من اجتمع إلى يهود من منافق الأنصار ٢ : ١٦٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ .

قال أبو جعفر : والقراءة التي هي القراءة عندنا ، النصبُ في « الكل » لإجماع أكثر القراء عليه ، من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية . ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراءة ، لكانت سواءً عندى القراءة بأى ذلك قرئ ، لاتفاق معانى ذلك بأى وجهيه قرئ .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين : لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين ، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من تفاقمكم ، وتكتمونه من شككم في دينكم ^(١) = « لبرز الذين كُتب عليهم القتل » ، يقول : لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه ، من قد كتب عليه القتل منهم ^(٢) ، ونخرج من بيته إليه حتى يصرع في الموضع الذى كُتب عليه أن يصرع فيه . ^(٣)

• • •

وأما قوله : « وليبتلى الله ما في صدوركم » ، فإنه يعنى به : وليبتلى الله ما في صدوركم ، أيها المنافقون ، كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم .

• • •

(١) في المطبوعة : « من شرككم في دينكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « برز » فيما سلف : ٣٥٤ .

(٣) في المطبوعة : « ويخرج من بيته » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

ويعنى بقوله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم » ، وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك ، فيميزكم = بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم = من المؤمنين . (١)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معانى نظائر قوله : « ليتلى الله » و « ليعلم الله » وما أشبه ذلك ، وإن كان فى ظاهر الكلام مضافاً إلى الله الوصف به ، فراد به أولياؤه وأهل طاعته = (٢) وأن معنى ذلك : وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذى فى صدوركم من الشك والمرض ، فيعرفوكم ، [فيميزوكم] من أهل الإخلاص واليقين = « ولیمحص ما فى قلوبكم » ، يقول ولتبينوا ما فى قلوبكم من الاعتقاد لله وارسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية . (٣)

* * *

« والله عليم بذات الصدور » ، يقول : والله ذو علم بالذى فى صدور خلقه من خير وشر ، وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، سرائرها علانياتها ، وهو لجميع ذلك حافظ ، حتى يجازى جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن إسحق يقول :

٨٠٩٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ذكر الله تلاؤمهم - يعنى تلاؤم المنافقين - وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال لنبه صلى الله عليه وسلم قل : « لو كنتم فى بيوتكم » ، لم تحضروا هذا الموضع الذى أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم ، لأخرج الذين كتب عليهم القتل إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدوركم = « ولیمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » ، أى : لا يخفى عليه ما فى صدورهم ، (٤)

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٧ : ٢٩٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٤٦ ، تعليق ٢ ، / ثم انظر ٣ : ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣) انظر تفسير « محص » فيما سلف ص : ٢٤٤ .

(٤) فى المطبوعة « لا يخفى عليه شيء ما فى صدورهم » ، وفى المخطوطة « لا يخفى عليه شيء ما فى

مَّا اسْتَخَفُّوْا بِهِ مِنْكُمْ . (١)

٨٠٩٧ - حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر السقاء ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال : مثل عن قوله : « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » ، قال : كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله ، وليس كل من يقاتل يُقتل ، ولكن يُقتل من كَتَبَ الله عليه القتل . (٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آلَتَقَى الْجَمْعَمَانِ إِنَّمَا أَسْتَرْاهُمْ الشَّيْطَانُ يَمْضِي مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين ولّوا عن المشركين ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم .

• • •

وقوله : « تولّوا » ، « تفعلّوا » ، من قولهم : « ولّى فلان ظهره » . (٣)

• • •

صدورهم » ، وضرب بالقلم على « شيء » ، ولكن الناشر آثر إثباتها ، وجعل « ما » « بما » ، والصواب المطابق لنص السيرة هو ما أثبت .

(١) الأثر : ٨٠٩٦ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تنصه الآثار التي آخرها : ٨٠٨٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٩٧ - « الحارث بن مسلم الرازي المقرئ » ، روى عن الثوري ، والريعي

ابن صبيح وغيرهما . قال أبو حاتم : « الحارث بن مسلم ، عابد ، شيخ ثقة صدوق . رأيته وصليت خلفه » . مترجم في ابن أبي حاتم ١/٢٨٨ .

و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهل السقاء أبو الفضل » روى عن الحسن ، والزهري وقتادة . وهو جد « عمرو بن علي الفلاس » . وروى عنه الثوري وكناه ولم يسمه ، قال يحيى بن سعيد القطان : « كان سفيان الثوري يحدثني ، فإذا حدثني عن رجل يعلم أني لا أرضاه كناه لي ، فحدثني يوما قال حدثني أبو الفضل ، يعني بحراً السقاء » . وقال يحيى بن معين : « بحر السقاء ، لا يكتب حديثه » . وهو متروك . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٤١٨ .

(٣) انظر تفسير « تولي » فيما سلف ٢ : ١٦٢ ، ٣/٢٩٩ : ١١٥ ، ٤/١٣١ : ٢٣٧ /

وقوله : « يوم التقى الجمعان » ، يعنى : يوم التقى جمعُ المشركين والمسلمين بأحد = « إنما استزلهم الشيطان » ، أى : إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان .

* * *

وقوله : « استزل » « استفعل » من « الزلة » . و « الزلة » ، هى الخطيئة . (١)

* * *

= « ببعض ما كسبوا » ، يعنى ببعض ما عملوا من الذنوب (٢) = « ولقد عفا الله عنهم » ، يقول : ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصّح لهم عنه (٣) = « إن الله غفور » ، يعنى به : مغطّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله ، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها = « حلیم » ، يعنى أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة . (٤)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى أعيان القوم الذين عُنُوا بهذه الآية . فقال بعضهم : عنى بها كلُّ من وَلَّى الدُّبُرَ عن المشركين بأحد . ذكر من قال ذلك :

٨٠٩٨ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه قال : خطب عمر يوم الجمعة فقرأ « آل عمران » ، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها ، فلما انتهى إلى قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، قال : لما كان يوم أحد هزمناهم ، فقررتُ حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتنى أنزوا كأننى أروى ، (٥) والناس يقولون : « قُتِلَ محمد » ! فقلت : لا أجد أحداً يقول : « قتل محمد » ، إلا قتلته ! حتى اجتمعنا على الجبل ، فنزلت :

(١) انظر تفسير : « زل » فيما سلف ١ : ٥٢٤ ، ٤/٥٢٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٣/٢٧٤ ، ١٠١ ، ٤/١٢٨ ، ٤٤٩/

٦ : ١٣١ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر تفسير « عفا » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « غفور حلیم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) « أنزوا » : أثبت ، والنزوا الوثب . والأروى : أنثى الوعل ، وهى قوية على التصميد فى الجبال .

« إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان » ، الآية كلها . (١)

٨٠٩٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

« إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه ، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون : أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم .

٨١٠٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان » ، الآية ، فذكر نحو قول قتادة .

* * *

وقال آخرون : بل غنى بذلك خاص^١ ممن ولَّى الدبر يومئذ . قالوا : وإنما

غنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدي قال : لما انهزموا يومئذ ، تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأثر : ٨٠٩٨ - « أبو هشام الرفاعي » هو « محمد بن يزيد بن محمد بن كثير » ، مضى

في رقم : ٣٢٨٦ ، ٤٥٥٧ ، ٤٨٨٨ ، وغيرها . و « أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الخنابط » ، قيل اسمه « محمد » ، وقيل : « عبد الله » وقيل وقيل ، ولكن الحفاظ قال : « والصحيح أن اسمه كتيبه » ، كان حافظاً متقناً ، ولكنه لما كبر ساء حفظه ، فكان يهمل إذا روى ، موثقاً والهم شيطان لا يثق عنهما البشر ، كما قال ابن حبان . مترجم في التهذيب .

و « عاصم بن كليب بن شهاب المجنون الجرمي » ، روى عن أبيه ، وأبي بردة بن أبي موسى ، ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهم . روى عنه ابن عون وشعبة وشريك والفيضان وغيرهم . قال أحمد : « لا بأس بحديثه » ، وقال النسائي وابن معين : « ثقة » . وكان من العباد ، ولم يكن كثير الحديث . مترجم في التهذيب .

وأبو : « كليب بن شهاب بن المجنون الجرمي » ، روى عن أبيه ، وعن خاله القلتان بن عاصم ، وعمر ، وعطى ، وسعد ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة وغيرهم . قال ابن سعد : « كان ثقة » ، ورأيهم يستحسنون حديثه ويحتجون به . مترجم في التهذيب .

أصحابه ، فلخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، الآية .

• • •

وقال آخرون : بل نزل ذلك في رجال بأعيانهم معروفين .

• ذكر من قال ذلك :

٨١٠٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، قال : نزلت في رافع بن الملعلي وغيره من الأنصار ، وأبي حذيفة بن عتبة ورجل آخر = قال ابن جريج : وقوله : « إنما استترهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » ، إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فرّ عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان - رجلاً من الأنصار - حتى بلغوا الجَلْعَبَ^(١) جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص - فأقاموا به ثلاثاً ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة^(٢) !!^(٣)

٨١٠٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استترهم الشيطان ببعض ما كسبوا » الآية ،

(١) « الجَلْعَب » ضبطه البكري بفتح الجيم وسكون اللام وفتح العين ، وضبطه ياقوت بفتح الجيم واللام وسكون العين ، وقال : وقد ثناء بعضهم في الشر كما ذمهم في أشأله فقال (من آيات مصحتها ، في مطبوعة مسجد البلدان خطأ كثير) :

فَمَا قَتَلَتْ ضُبُعُ الْجَلْمَيْنِ تَمْتَرَى مَصَارِعَ قَتْلَى فِي التُّرَابِ سِبَالَهَا

(٢) قوله : « لقد ذهبتم فيها عريضة » ، أي واسعة . والتفسير في قوله : « فيها » إل « الأرض » ، يقول : لقد اتسمت منادح الأرض في وجهكم حين فررت ، فأبذتم المذهب ، يتعجب من فعلهم . هنا ، ولم أجد الأثر في سيرة ابن هشام .

والذين استزلم الشيطان : عثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن عثمان ،
الأنصاريان ، ثم الزرقعيان . (١)

* * *

وأما قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، فإن معناه : ولقد تجاوز الله عن الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم ، كما : —
٨١٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ،
قال ابن جريج قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، يقول : « ولقد عفا الله عنهم » ،
إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله
في توليهم يوم أحد : « ولقد عفا الله عنهم » ، فلا أدري أذلك العفو عن تلك العصابة ،
أم عفو عن المسلمين كلهم ؟

* * *

وقد بينا تأويل قوله : « إن الله غفورٌ حلِيمٌ » ، فيما مضى . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله
وأقرؤا بما جاء به محمد من عند الله ، لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله ، فوجد نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال لإخوانه من أهل الكفر = « إذا ضربوا في الأرض »

(١) الأثر : ٨١٠٤ — لم أجد هذا الأثر أيضاً في سيرة ابن هشام .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ١١٧ ، ٥٢١ .

فخرجوا من بلادهم سفراً في تجارة = «أو كانوا غُزًى»، يقول : أو كان خروجهم من بلادهم غزاةً فهلكوا فأتوا في سفرهم ، أو قتلوا في غزوهم = «لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا» ، يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل ، أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله، أو تجارة : لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا = «ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم» ،
يعنى : أنهم يقولون ذلك ، كي يجعل الله قولهم ذلك حزناً في قلوبهم وغماً ، ويجهلون ٩٧/٤
أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده .

* * *

وقد قيل : إن الذين نهي الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله ، هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه .
• ذكر من قال ذلك :

٨١٠٧ - حدثني محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :
« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم « الآية ، قال : هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي » .

٨١٠٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًى » ، قولُ المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول .

٨١٠٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون في ذلك : هم جميع المنافقين .

• ذكر من قال ذلك :

٨١١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها

الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم « الآية ، أى : لا تكونوا كالمنافقين الذين يهنون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضرب فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا. (١)

* * *

وأما قوله : « إذا ضربوا فى الأرض » ، فإنه اختلف فى تأويله . (٢)
فقال بعضهم : هو السفر فى التجارة ، والسير فى الأرض لطلب المعيشة .
* ذكر من قال ذلك :

٨١١١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذا ضربوا فى الأرض » ، وهى التجارة .

* * *

وقال آخرون ، بل هو السير فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .
* ذكر من قال ذلك :

٨١١٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « إذا ضربوا فى الأرض » ، الضرب فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله . (٣)

* * *

وأصل « الضرب فى الأرض » ، الإبعاد فيها سيراً . (٤)

* * *

وأما قوله « أو كانوا غُزًى » ، فإنه يعنى : أو كانوا غزاة فى سبيل الله .

* * *

و « الغُزًى » جمع « غاز » ، جمع على « فَعَّلَ » كما يجمع « شاهد » « شُهِدَ » ، و « قاتل » « قَوَّلَ » ، وقد ينشد بيت رؤبة :

(١) الأثر : ٨١١٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها :

٨٠٩٦ .

(٢) انظر تفسير « ضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٥٩٣ ، وجزاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٦ .

(٣) الأثر : ٨١١٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو بعض الأثر السالف :

٨١١٠ ، وتنتمه .

فَالْيَوْمَ قَدْ تَنَهَيْتَنِي تَنَهْيِي وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسْقَ
وَقَوْلُهُ : إِلَّا دَوْ فَلَادَوْ (١)

وينشد أيضاً :

• وَقَوْلُهُمْ : إِلَّا دَوْ فَلَادَوْ •

• • •

وإنما قيل : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى » ، فأصحب ماضى الفعل ، الحرف الذى لا يصحب مع الماضى منه إلا المستقبل ، فقيل : « وقالوا لإخوانهم » ، ثم قيل : « إذا ضربوا » ، وإنما يقال فى الكلام : « أكرمك إذا زرتنى » ، ولا يقال : « أكرمك إذا زرتنى » . لأن « القول » الذى فى قوله : « وقالوا لإخوانهم » ، وإن كان فى لفظ الماضى ، فإنه بمعنى

(١) ديوانه : ١٦٦ ، وجماز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٥٦ ، ومشكل القرآن : ٤٣٨ ، وجمهرة الأمثال : ٢٣ ، وأمثال الميداني ١ : ٣٨ ، والحزانة ٣ : ٩٠ ، واللسان (قول) (دها) ، وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٢٤ : ٦٦ (بولاق) . وهو من قصيدته التى يذكر فيها نفسه وشبابه ، وقد سلفت منها عدة أبيات فى مواضع متفرقة .

« تنهت فلاناً عن الشيء فتنه » ، أى : زجرته فانزجر ، وكففته فانكف . و « الأول » : الرجوع . يقول : قد كفى عن الصبا طول عتابى لنفسى وملامتى إياها ، ورجوع عقل لا يوصف بالسفه ، بعد جنون الشباب ، ثم قول الناس : « إلا ده ، فلا ده » .

وقد اختلف فى تفسير « إلا ده فلا ده » ، اختلف كثير ، قال أبو عبيدة : « يقول إن لم يكن هذا فلا ذا . ومثل هذا قولهم : إن لم تترك هذا اليوم فلا تتركه أبداً ، وإن لم يكن ذلك الآن ، لم يكن أبداً » . وقال ابن تقيية : « يريسون : إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره . . . ويروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال ، كأنهم أرادوا : إن لم تكن هذه ، لم تكن أخرى » .

وقال أبو هلال : « قال بعضهم : يضرب مثلا الرجل يطلب شيئاً ، فإذا منعه طلب غيره . وقال الأصبغى : لا أدري ما أصله ! وقال غيره : أصله أن بعض الكهان تنافروا إليه رجلان فاستحناه ، فقالا له : فى أى شيء جشاك ؟ قال : فى كذا ، قال : لا ! فأعاد النظر وقال : إلا ده فلا ده - أى : إن لم يكن كذا فليس غيره ، ثم أخبرهما . . . وكانت العرب تقول ، إذا رأى الرجل ثأره : - إلا ده فلا ده - أى : إن لم يثأر الآن ، لم يثأر أبداً » .

ومهما يكن من أصله ، فإن رؤية يريد : زجرى عن ذلك كف نفسى عن الفى ، وأوبة علم أطاره جنون الشباب ، وقول ناصحين يقول : إن لم ترعو الآن عن غيوك ، فلن ترعوى ما عشت !

المستقبل . وذلك أن العرب تذهب بـ « الذين » مذهب الجزاء ، وتعاملها في ذلك معاملة « من » و « ما » ، لتقارب معاني ذلك في كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء ^(١) مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » . ^(٢)

فلما كان ذلك كذلك = وكان صحيحاً في الكلام فصيحاً أن يقال للرجل : « أكرم من أكرمك » « وأكرم كل رجل أكرمك » ، فيكون الكلام خارجاً بلفظ الماضي مع « من » ، و « كل » ، مجهولتين ومعناه الاستقبال ، ^(٣) إذ كان الموصوف بالفعل غير مؤقت ، وكان « الذين » في قوله : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض » ، غير مؤقتين ^(٤) = أجريت مجرى « من » و « ما » في ترجمتها التي تذهب مذهب الجزاء ، ^(٥) وإخراج صلاتها بألفاظ الماضي من الأفعال وهي بمعنى الاستقبال ، كما قال الشاعر في « ما » : ^(٦)

وإني لآتيكم تشكراً ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان في غد ^(٧)

فقال : « ما كان في غد » ، وهو يريد : ما يكون في غد . وأو كان أراد الماضي لقال : « ما كان في أمس » ، ولم يجزأه أن يقول : « ما كان في غد » . ولو كان « الذي » مؤقتاً ، لم يجز أن يقال ذلك . خطأ أن يقال : « لتكريم من

(١) في المطبوعة : « وأن جمهن أشياء . . . » ، وهو خطأ صوابه من المطبوعة .

(٢) الموقت ، والتوقيت : هو المعرفة المحددة ، والتعريف المحدد ، وهو الذي يعنى ساء تعيناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » ، فإنه يعين ساء تعيناً مطلقاً ، أو محدد . وانظر ما سلف ١ : ١٨١ ، تعليق ٢/١ : ٣٣٩ . والمجهول : غير المعروف ، وهو النكرة .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة « مع من وكل مجهول » ، والصواب ما أثبت ، ويعنى بقوله « مجهولين » : نكرتين .

(٤) « مؤقتين » جمع « مؤقت » بالياء والنون ، وهي المعرفة كما سلف . والسياق « وكان الذين . . . » غير مؤقتين ، لأن « الذين » جمع ، فوصفها بالجمع .

(٥) في المخطوطة « التي تذهب الجزاء » ، وفي معاني القرآن للقرآن ١ : ٢٤٣ : « لأن « الذين » يذهب بها إلى معنى الجزاء ، من : من ، وما » . فالتصرف الذي ذهب إليه الناشر الأول صواب جيد جداً . « والترجمة » هنا : التفسير والبيان .

(٦) هو الطرماح بن حكيم .

(٧) مضى تخريج البيت وشرحه فيما سلف ٢ : ٣٥١ ، تعليق ٥ : .

هذا الذى أكرمك إذا زرتك » ، (١) لأن « الذى » ههنا موقت ، فقد خرج من معنى الجزاء . ولو لم يكن فى الكلام « هذا » ، لكان جائزاً فصيحاً ، لأن « الذى » يصير حينئذ مجهولاً غير موقت . ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحج : ٢٥] ، فردّ « يصدون » على « كفروا » ، لأن « الذين » غير موقتة . فقوله : « كفروا » ، وإن كان فى لفظ ماض ، فعناه الاستقبال ، وكذلك قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سورة مريم : ٦٠] ، وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٣٤] ، معناه : إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدرُوا عليهم = وإلا من يتوب ويؤمن . ونظائر ذلك فى القرآن والكلام كثير ، والعلة فى كل ذلك واحدة . (٢)

وأما قوله : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، فإنه يعنى بذلك : حزناً فى قلوبهم ، (٣) كما : -

٨١١٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فى قلوبهم » ، قال : يحزنهم قلوبهم ، لا ينفعهم شيئاً .

٨١١٤ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨١١٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، لقلة اليقين برهم جل ثناؤه . (٤)

* * *

(١) فى المطبوعة : « خطأ أن يقال لك من هذا الذى . . . » أخطأ قراءة المخطوطة فجعل « لتكرمن » « لك من » وهو فاسد ، والصواب ما أثبت ، وهو الذى يدل عليه السياق .

(٢) انظر معانى القرآن للقرأه ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٢٩٥ - ٢٩٩ .

(٤) الأثر : ٨١١٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨١١٠ ،

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٥٦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والله يحيى ويميت » ، والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء ، ^(١) والمميت من يشاء كلما شاء ، دون غيره من سائر خلقه .

وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم ، وإخراج هيبتهم من صدورهم ، وإن قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله = وإعلام^٢ منه لهم أن الإمامة والإحياء بيده ، وأنه لن يموت أحد ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذى كتب له = ونهى^٣ منه لهم ، إذ كان كذلك ، أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم فى حرب المشركين .

* * *

ثم قال جل ثناؤه : « والله بما تعملون بصير » ، يقول : إن الله يرى ما تعملون من خير وشر ، فاتقوه أيها المؤمنون ، إنه محصٍ ذلك كله ، حتى يجازى كل عامل بعمله على قدر استحقاقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

٨١١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله يحيى ويميت » ، أى : يعجل ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء من أجالهم بقدرته . ^(٢)

* * *

(١) أخشى أن يكون سقط من النسخ بعض تفسير الآية ، وكأنه كان : « والله المؤخر أجل من يشاء من حيث شاء ، وهو المعجل . . . » ، وانظر الأثر الآتى رقم : ٨١١٦ .
(٢) الأثر : ٨١١٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨١١٥

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَلَيْسَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر: يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين ، يقول لهم : (١) لا تكونوا ، أيها المؤمنون ، في شك من أن الأمور كلها بيد الله ، وأن إليه الإحياء والإماتة ، كما شك المنافقون في ذلك ، ولكن جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ، على يقين منكم بأنه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته . ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة ، وأخبرهم أن موتاً في سبيل الله أو قتلاً في الله ، (٢) خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذي من أجله يتناقلون عن الجهاد في سبيل الله ، ويتأخرون عن لقاء العدو ، كما : —

٨١١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن قتلتم في سبيل الله أو مِتُّم لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » ، أي : إن الموت كائن لا بد منه ، فموت في سبيل الله أو قتل ، خير = لو علموا فأيقنوا = مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوفاً من الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا ، وزهادة في الآخرة . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قال الله عز وجل : « لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » ، وابتدأ الكلام : « ولئن مِتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ » بحذف جواب « لئن » ، (٤) لأن في قوله :

(١) في المطبوعة : « فخاطب » ، وأثبت صوابها من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وقتلا » وأثبت ما في المخطوطة ، وهو أجود .

(٣) الأثر : ٨١١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تمة الآثار التي آخرها : ٨١١٦ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « لما جمعوا من زهرة الدنيا » وهو تحريف ، والصواب من سيرة ابن هشام . وزهرة الدنيا : حسناتها وبهجتها وغضارتها ، وكثرة خيرها ، ورغيد عيشها . وفي سيرة ابن هشام : « زهادة في الآخرة » ، بغير واو .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « بحذف جزاء لئن » ، وهو خطأ بين وتصحيح من الناسخ ، سقطت منه باء « جواب » فكتب « جزاء » .

« لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » معنى جواب للجزاء ، ^(١) وذلك أنه وعد^٢
 خرج مخرج الخبر .

* * *

فتأويل الكلام : ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ، ليغفرن الله لكم وليرحمكم =
 فدلّ على ذلك بقوله : « لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، وجمع مع الدلالة
 به عليه ، الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثره من الدنيا وما يجمعون فيها .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أنه إن قيل : كيف يكون :
 « لمغفرة من الله ورحمة » جواباً لقوله : « ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ؟ » فإن الوجه ٩٩/٤
 فيه أن يقال فيه كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم فذلك لكم رحمة من الله ومغفرة ، إذ
 كان ذلك في سبيل ، ^(٢) فقال : « لمغفرة من الله ورحمة » ، يقول : لذلك خير مما
 تجمعون ، يعني : لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون .

* * *

ودخلت اللام في قوله : « لمغفرة من الله » ، لدخولها في قوله : « ولئن » ، كما قيل :
 ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ﴾ [سورة الحشر : ١٢] .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « معنى جواز للجزاء » ، وهو تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فإن [القول] فيه أن يقال فيه : كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم
 [فذكر لهم] رحمة من الله ومغفرة ، إذا كان ذلك في [السبيل] » ، وقد وضعت الكلمات التي استبدلت
 بها غيرها بين أقواس . وهذه الجملة التي في المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يكون لها معنى . فالكلمة الأولى
 « القول » لاشك في خطئها ، وصوابها ما أثبت . أما « فذكر لهم » ، فإني أظن أن الناسخ قد أخطأ قراءة
 المخطوطة القديمة التي نقل عنها فقراً « فذلك لكم » فذكر لهم « وأما » السبيل » ، ففي المخطوطة ضرب خفيف
 على ألف « السبيل » ، فرجعت قراءتها كما أثبت وهو حق المصنف ، فاستقامت هذه الجملة مع ما
 بعدها ، والحمد لله

القول في تأويل قوله ﴿وَلَيْنِ مَتَمٌ أَوْ قَتَلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولئن متم أو قتلتم ، أيها المؤمنون ، فلإن إلى الله مرجعكم ومحشركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، فأثروا ما يقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة ، من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته ، على الركون إلى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذي هو غير باقٍ لكم ، بل هو زائلٌ عنكم ، وعلى ترك طاعة الله والجهاد ، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم ، ويوجب لكم سخطه ، ويقربكم من النار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق :

٨١١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن متم أو قتلتم » ، أى ذلك كان = « لا إله إلا الله تحشرون » ، أى : إن إلى الله المرجع ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد وما رغبتكم الله فيه منه ، أثر عندكم منها .^(١)

* * *

وأدخلت « اللام » فى قوله : « لا إله إلا الله تحشرون » ، لدخولها فى قوله : « ولئن » . ولو كانت « اللام » مؤخرة إلى قوله : « تحشرون » ، لأحدثت « النون » الثقيلة فيه ، كما تقول فى الكلام : « لئن أحسنت إلى لأحسننَّ إليك » بنون مثقلة . فكان كذلك قوله : ولئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله ، ولكن لما حيل بين « اللام » وبين « تحشرون » بالصفة ،^(٢) أدخلت فى الصفة ، وسلمت « تحشرون » ،

(١) الأثر : ٨١١٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨١١٧ .

(٢) فى المطبوعة : « لما حيز بين اللام . . . » ، وفى المخطوطة : « ولما حين . . . » ، وصواب

فلم تدخلها « النون » الثقيلة ، كما تقول في الكلام : « لئن أحسنت إلى لإليك أحسن » ،
بغير « نون » مثقلة .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ
فَقْطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فبما رحمة من الله » ، فبرحمة من الله ،
و « ما » صلة . (١) وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦] . (٢) والعرب تجعل « ما »
صلة في المعرفة والنكرة ، كما قال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٥ /
سورة المائدة : ١٣] ، والمعنى : فينقضهم ميثاقهم . وهذا في المعرفة . وقال في
النكرة ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضْطَرُّنَا نَادِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٤٥] ، والمعنى : عن قليل .
وربما جعلت اسما وهي في مذهب صلة ، فيرفع ما بعدا أحيانا على وجه الصلة ،
ويخفض على إلتباع الصلة ما قبلها ، كما قال الشاعر : (٣)

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِبَانًا (٤)

إذا جعلت غير صلة رفعت بإضمار « هو » ، وإن خفضت أتبع « من » ، (٥)
فأعربته . فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات .

قراءتها ما أثبت . و « السفة » حرف الجر ، انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، و سائر فهارس
المصطلحات في الأجزاء السالفة .

(١) « الصلة » ، الزيادة ، انظر ما سلف ١ : ١٩٠ / ٤٠٥ ، تعليق : ٤ / ٤٠٦ / ٤٠٨ ،
ثم فهارس المصطلحات في سائر الأجزاء .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) هو حسان بن ثابت ، أو كعب بن مالك ، أو غيرهما ، انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ ، تعليق : ٥ .

(٤) سلف تخريج البيت في ١ : ٤٠٤ ، تعليق : ٥ .

(٥) وذلك أن « من » و « ما » حكمهما في هذا واحد ، كما سلف في ١ : ٤٠٤ .

فأما إذا كانت الصلة معرفة ، كان الفصيح من الكلام الإبتاع ، كما قيل :
« فبما نقضهم ميثاقهم » ، والرفع جائز في العربية . (١)

* * *

وبنحو ما قلنا في قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، قال جماعة من أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٨١١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
في قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، يقول : فبرحمة من الله لنت لهم .

* * *

وأما قوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك » ، فإنه يعني
بـ « الفظ » الجافي ، وبـ « الغليظ القلب » ، القاسى القلب ، غير ذى رحمة ولا رافة .
وكذلك كانت صفة صلي الله عليه وسلم ، كما وصفه الله به : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رُؤُوفٌ
رَحِيمُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨]

* * *

فتأويل الكلام : فبرحمة الله بنا محمد ، ورأفته بك ربي آمن بك من أصحابك =
« لنت لهم » ، لتسيأعك وأصحابك ، فسيئت لهم خلافتك ، وحسنت لهم أخلاقك ،
حقى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن أذى الجرم منهم جرمة ،
وأغفيت عن كثير ممن لم يغفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا
ما تبعك به من الرحمة ، وتذكر الله رحمتهم ورحمتك معهم ، فبرحمة من الله لنت
لهم ، كما : —

٨١٢٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك » ، أى والله ، أظهره الله من
الغلاظة والغلظة ، وجعله قريباً رحماً بالمؤمنين رؤوفاً = وذكر لنا أن نعت محمد صلى

الله عليه وسلم في التوراة : « ليس بنظ ولا غليظ ولا ضحوب في الأسواق ، ولا يحزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح » .

٨١٢١ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٨١٢٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، قال : ذكر ابنه لهم وصبره عليهم = اضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه = في كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم . (١)

* * *

وأما قوله : « لانفضوا من حولك » ، فإنه يعني : لتفرقوا عنك ، كما : -

٨١٢٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « لانفضوا من حولك » ، قال : انصرفوا عنك .

٨١٢٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « لانفضوا من حولك » ، أي : لتروك . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٨١٢٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو من تمة الآثار التي آخرها : ٨١١٨ ، وهو في السيرة تال للأثر الآتي رقم : ٨١٢٤ .

(٢) الأثر : ٨١٢٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تمة الآثار التي آخرها : ٨١٢٢ ، ولكنه سابق له في سيرة ابن هشام .

القول في تأويل قوله ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: « فاعف عنهم » ، فتجاوز ، يا محمد ، عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ، ما نالك من أذاهم ومكرهم في نفسك = « واستغفر لهم » ، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرّم ، واستحقوا عليه عقوبة منه ، كما :-

٨١٢٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاعف عنهم » ، أى : فتجاوز عنهم = « واستغفر لهم » ، ذنوب من قارف من أهل الإيمان منهم .^(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم ، وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه ؟ فقال بعضهم : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « وشاورهم في الأمر » ، بمشاورة أصحابه في مكاييد الحرب وعند لقاء العدو ، تطييباً منه بذلك أنفسهم ، وتألفاً لهم على دينهم ، وإبروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، وإن كان الله عز وجل قد أغناه = بتدبيره له أموره ، وسياسته لبيّاه وتقويمه أسبابه = عنهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٢٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وشاورهم في الأمر فإذا عزمْتَ فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » ،

(١) الأثر : ٨١٢٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تمة الآثار التي آخرها : ٨١٢٤ ، ولكنه تال للأثر رقم : ٨١٢٢ في سياق السيرة . وفي سيرة ابن هشام : « ذنوبهم من قارف » ، ولكن طابع السيرة جعل « ذنوبهم » من الآية ، فحصرها بين أقواس مع لفظ الآية ! ! وهو عجب !

أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحى السماء ، لأنه أطيّب لأنفس القوم = وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله ، عزم لهم على أرشده .

٨١٢٧ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وشاورهم في الأمر » ، قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحى من السماء ، لأنه أطيّب لأنفسهم .

٨١٢٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وشاورهم في الأمر » ، أى : لترىهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنياً ، تولفهم بذلك على دينهم . (١)

وقال آخرون : بل أمره بذلك في ذلك . ليبين له الرأى وأصوب الأمور في التدبير ، (٢) لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل .
* * *

٨١٢٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة بن زييط ، عن الضحاك بن مزاحم قوله : « وشاورهم في الأمر » ، قال : ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة ، إلا لما علم فيها من الفضل .

٨١٣٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن إياس بن دغفل ، عن الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُتِدُوا لأرشد أمورهم . (٣)

وقال آخرون : إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه ، مع

١٠١/٤

(١) الأثر : ٨١٢٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تنص الآثار إلى آخرها : ٨١٢٥ .

(٢) في المطبوعة : « بل أمره بذلك في ذلك وإن كان له الرأى وأصوب الأمور . . . » ، لم يستطع الناشر أن يحسن قراءة المخطوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) الأثر : ٨١٣٠ - « إياس بن دغفل الحارثى ، أبو دغفل » ، روى عن الحسن ، وأبي نضرة وعطاء وغيرهم ، وروى عنه معتمر بن سليمان ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو عامر العقدي . وهو ثقة . متري في التهذيب .

إغناؤه بتقويته إياه وتدييره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ، ويستثنوا بسنته في ذلك ، ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعل في حياته من مشاورته في أموره = مع المنزل التي هو بها من الله = أصحابه وتباعه في الأمر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم ،^(١) فيتشاوروا بينهم ثم يصدرُوا عما اجتمع عليه ملامهم . لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك ، لم يُخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه . قالوا : وذلك نظير قوله عز وجل الذي مدح به أهل الإيمان : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى : ٣٨] .

• ذكر من قال ذلك :

٨١٣١ - حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ، قال سفيان بن عيينة في قوله :

« وشاورهم في الأمر » ، قال : هي للمؤمنين ، أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أثر .

• • •

قال أبو جعفر : وأول الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايده حربه ، تأثراً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان = وتعريفاً منه أمته ما في الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها .^(٢) ليقنتلوا به في ذلك عند التوازل التي تنزل بهم ، فيتشاوروا فيما بينهم ، كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعل . فأما النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الله كان يعرفه مطالب وجهه ما حزبه من الأمور بوجهه أو إلهامه إياه صواب ذلك . وأما أمته ، فلإنهم إذا تشاوروا مستنئين بفعله في ذلك ، على تصادق وتأخير الحق ،^(٣) وإرادة

(١) قوله : « أصحابه وتباعه » منصوب مفعول لقوله : « من مشاورته في أموره . . . »

(٢) في المطبوعة : « ما في الأمور » ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكن الناشر الأول لم يحسن قرأها . يريد : الوجه الذي تنق من الأمور وتطلب .

(٣) « نوحى الأمر » : تحراه وقصده وجمعه ، ثم تقلب واوه ألفاً فيقال « تأخيت الأمر » ، والشافعي رضى الله عنه يكثر من استعمالها في كتبه كذلك . ثم انظر تعليق أخى السيد أحمد ، على رسالة

جميعهم للصواب ، من غير ميل إلى هوى . ولا حَيِّدٌ عن هدى ، فالله مسدّدٌ لهم وموفّقٌهم .

* * *

وأما قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، فإنه يعنى : فإذا صحَّ عزمك بتبشيتنا إياك ، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك ، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به ، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك ، أو خالفها = « وتوكل » ، فيما تأتى من أمورك وتدع ، وتحاول أو تزاوِل ، على ربك ، فتق به فى كل ذلك ، وارضى بقضائه فى جميعه ، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم = « فإن الله يحب المتوكلين » ، وهم الراضون بقضائه ، والمستسلمون لحكمه فيهم ، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه ، كما :-

٨١٣٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » = « فإذا عزمت » ، أى : على أمر جاءك منى ، أو أمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك = و « توكل على الله » ، ^(١) أى : ارضَ به من العباد = « إن الله يحب المتوكلين » . ^(٢)

٨١٣٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ، ويستقيم على أمر الله ، ويتوكل على الله .

٨١٣٤ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » الآية ، أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويتوكل عليه .

* * *

الشافعى ص : ٥٠٤ ، تعليق : ٢ .

(١) هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة وسيرة ابن هشام : « وتوكل » بالواو ، وهو جائز ، لأنه فى سياق التفسير ، وأما الآية فهى « فتوكل » بالفاء ، فلذلك جعلت الواو خارج القوس .

(٢) الأثر : ٨١٣٢ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٨١٢٨ .

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ »، أيها المؤمنون بالله ورسوله، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به = « فَلَا غَالِبَ لَكُمْ » من الناس، يقول: فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه، فلا تهابوا أعداء الله لقلته عددكم وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره واستتمتم على طاعته وطاعة رسوله، فإن الغلبة لكم والظفر، دونهم = « وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ »، يعني: إِنْ يَخْذُلْكُمْ رَبُّكُمْ بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله، فيكلكم إلى أنفسكم = « فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ »، يقول: فأيسوا من نصرة الناس، ^(١) فإنكم لا تجدون [ناصرًا] من بعد خذلان الله إياكم إِنْ خَذَلَكُمْ، ^(٢) يقول: فلا تركوا أمرى وطاعتي وطاعة ١٠٢/٤ رسولى فهلكوا بخذلانى إياكم = « وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »، يعني: ولكن على ربكم: أيها المؤمنون، فتوكلوا دون سائر خلقه، وبه فارضوا من جميع من دونه، ولقضائه فاستسلخوا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمدكم بنصره، كما: — ٨١٣٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « إِنْ يَنْصُرْكُمْ

(١) أيست من الشيء آيس يأس، لغة في « يست منه أياس يأس »، وقد سلف مثل ذلك في موضع آخر لم أجده الآن.

(٢) في المطبوعة: « فإنكم لا تجدون أمراً من بعد خذلان الله »، وفي المخطوطة: « لا تجدون أمراً »، ولم أجدها معنى أرتضيه، فوضعت « ناصراً » مكان « أمراً » بين القوسين، استظهاراً من معنى الآية، وإن كنت أعشى أن يكون قد سقط من النسخ شيء، أو كتبت شيئاً مصححاً لم أحتد لأصله. وانظر سهو النسخ في التلخيص الثالث.

الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون» ، أى : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس = لن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس = « فمن الذى ينصركم من بعده » ، أى : لا تترك أمرى للناس ، وارفض [أمر] الناس لأمرى ، وعلى الله ، [لا على الناس] ، فليتوكل المؤمنون . (١)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك .

فقراءته جماعة من قراءة الحجاز والعراق : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ ، بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم . واحتج بعض قارئى هذه القراءة : أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قطيفة فقُدت من مغنم القوم يوم بدر ، فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم : « لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ! » ، ورووا فى ذلك روايات ، فمنها ما : —

٨١٣٦ — حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد

ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مقسم قال ، حدثني ابن عباس :

أن هذه الآية : « وما كان لنبي أن يغل » ، نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ،

قال : فقال بعض الناس : أخذها ! قال : فأكثروا فى ذلك ، فأنزل الله عز وجل :

« وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » . (٢)

٨١٣٧ — حدثنا ابن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ٨١٣٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨١٣٢ ،

بيد أنه فى سيرة ابن هشام مختصر . لم يرو ابن هشام صدر هذا الخبر ، بل بدأ من قوله : « أى : لا تترك » ، وقد أخطأ الناسخ فيما أرجح فسقط منه ما أثبت من سيرة ابن هشام بين الأقواس .

(٢) الأثر : ٨١٣٦ — محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب القرشى الأموى ، روى عنه

خصيف قال ، سألت سعيد بن جبير : كيف تقرأ هذه الآية : « وما كان لنبي أن يغفل » أو : « يغفل » ؟ قال : لا ، بل « يغفل » ، فقد كان النبي والله يغفل ويقتل .

٨١٣٨ - حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب

ابن بشير ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « وما كان لنبي أن يغفل » ، قال : كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر ، فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « فلعل النبي أخذها » ! فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبي أن يغفل » = [قال سعيد : بلى والله ، إن النبي ليغفل ويقتل] .^(١)

٨١٣٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خلاد ، عن زهير ، عن خصيف ،

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : « أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! » . فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبي أن يغفل » .

مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ، قال النسائي : « لا بأس به » ، وهو ثقة جليل صدوق . و « عبد الواحد ابن زياد العمري » أحد الأعلام سلفت ترجمته في : ٢٦١٦ . و « خصيف بن عبد الرحمن الجزري » ، رأى أنساً ، وروى عن عطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقسم وغيرهم . قال أحمد « ضعيف الحديث » ، وقال : « شديد الاضطراب في المسند » . وقال ابن عدى : « إذا حدث عن خصيف ثقة ، فلا بأس بحديثه » . وقال ابن حبان : « تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون ، وكان شيخاً صالحاً فقيهاً عابداً ، إلا أنه كان يخطئ كثيراً فيما يروى ، وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه ، وهو صدوق في روايته ، إلا أن الإنصاف فيه ، قبول ما وافق الثقات ، وترك ما لم يتابع عليه » . مترجم في التهذيب . والحديث رواه الترمذي في باب تفسير القرآن ، من طريق قتبية ، عن عبد الواحد بن زياد ، بمثله وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه ابن عباس - يعني مرسلًا - ونسبه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٧٩ ، إلى أبي داود أيضاً ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٩١ إلى أبي داود ، وعبد بن حيد ، وابن أبي حاتم ، والترمذي ، وابن جرير .

(١) الأثر : ٨١٣٨ - « عتاب بن بشير الجزري » . روى عن خصيف وغيره . قال أحمد :

« أرجو أن لا يكون به بأس ، روى بأخرة أحاديث منكرة ، وما أرى إلا أنها من قبل خصيف » . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « بل والله » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة ، وأما قوله في آخر الأثر : « قال سعيد : . . . » ، فإني تركته مكانه هنا ، ولكن أرجح أنه من تمام الأثر الثاني رقم : ٨١٤٠ ، فوضعت بين القوسين . هذا ، إذا لم يكن قد سقط من النسخ أثر آخر من روايتي سعيد بن جبير .

٨١٤٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مالك بن إسماعيل قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا خضيف ، عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله : « وما كان لنبي أن يغفل » ، قالوا : يغفل = قال قال عكرمة أو غيره ، عن ابن عباس ، قال = كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : « أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! قال : فأنزل الله هذه الآية : « وما كان لنبي أن يغفل » .

٨١٤١ - حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا قرعة بن سويد الباهلي ، عن حميد الأعرج ، عن سعيد بن جبير قال : نزلت هذه الآية : « وما كان لنبي أن يغفل » ، في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة . (١)
٨١٤٢ - حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن سليمان الأعمش قال : كان ابن مسعود يقرأ : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْفَلَ » ، فقال ابن عباس : بلى ، وَيُغْفَلُ = قال : فذكر ابن عباس أنه إنما كانت في قطيفة قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غفلها ، يوم بدر . فأنزل الله : « وما كان لنبي أن يغفل » .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك ، بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجهه ، ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع . فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ ، وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ، ويعرفه الواجب عليه من الحكم فيما

١٠٣/٤

(١) الأثر : ٨١٤١ - « قرعة بن سويد بن حميد الباهلي » ، روى عن أبيه ، وحيد بن قيس الأعرج ، وابن أبي مليكة ، وابن أبي نجيع وغيرهم . قال أحمد : « مضطرب الحديث ، وهو شبه المتروك » . وقال أبو حاتم : « ليس بذاك القوي » ، وقال ابن حبان : « كان كثير الخطأ فاحش الروم ، فلما كثر ذلك في روايته سقط الاحتجاج بأخباره » . وقال البزار : « لم يكن بالقوي » ، حدث عنه أهل العلم . مترجم في التهذيب

أفاء الله عليه من الغنائم ، وأنه ليس له أن يخص بشيء منها أحداً من شهد الواقعة
 - أو ممن كان رداء لهم في غزوهم - دون أحد . (١)
 • ذكر من قال ذلك :

٨١٤٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،
 حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل
 يأتي ، بما غل » يوم القيامة ، يقول : ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين
 ويترك طائفة ويمحور في القسم ، ولكن يقسم بالعدل ، يأخذ فيه بأمر الله ، ويحكم
 فيه بما أنزل الله . يقول : ما كان الله ليجعل نبياً يغفل من أصحابه ، فإذا فعل ذلك
 النبي صلى الله عليه وسلم استنوا به . (٢)

٨١٤٤ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن جوير ، عن
 الضحاك : أنه كان يقرأ : « ما كان لنبي أن يغفل » ، قال : أن يعطى بعضاً ويترك
 بعضاً ، إذا أصاب مغنماً .

٨١٤٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة بن زييط ، عن
 الضحاك قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلّاع ، فغمم النبي صلى الله عليه
 وسلم ، فلم يقسم للطلّاع ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبي أن يغفل » .

٨١٤٦ - حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد
 ابن سليمان ، عن الضحاك : « ما كان لنبي أن يغفل » ، يقول : ما كان لنبي أن
 يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ، ولكن يعدل يأخذ في ذلك بأمر الله
 عز وجل ، ويحكم فيه بما أنزل الله .

٨١٤٧ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا

(١) الردء (يكسر فسكون) : الناصر والمعين .

(٢) الأثر : ٨١٤٣ - هذا إسناد دائر في التفسير ، وانظر الكلام فيه برقم : ٣٠٥ .

جوير ، عن الضحاك في قوله : « وما كان لنبي أن يغفل » ، قال : ما كان له إذا أصاب مغتماً أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضاً ، ولكن يقسم بينهم بالسوية .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما أنزل ذلك تعريفاً للناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحى الله شيئاً .
 * ذكر من قال ذلك :

٨١٤٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأتي بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، أى : ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رغبة من الناس ولا رغبة ، ومن يعمل ذلك يأتي به يوم القيامة . (١)

قال أبو جعفر : فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك : ما ينبغي لنبي أن يكون غالباً - بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أمهم .

يقال منه : « غل الرجل فهو يغفل » ، إذا خان ، « غلولا » . ويقال أيضاً منه : « أغل الرجل فهو يغفل لإغلالا » ، كما قال شريح : « ليس على المستعير غير المغفل ضمانة » ، يعنى : غير الخائن . ويقال منه : « أغل الجازر » ، إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد . (٢)

وبما قلنا في ذلك جاء تأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٩ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

(١) الأثر : ٨١٤٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تنمة الآثار الى آخرها : ٨١٣٥ ،

وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) (٢) يعنى عند سلع الذبيحة ، يسلخها فيترك شيئاً من اللحم ملتزقاً بإهابها

أصباط ، عن السدي : « ما كان لنبي أن يغفل » ، يقول : ما كان ينبغي له أن يخون ، فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا .

٨١٥٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ما كان لنبي أن يغفل » ، قال : أن يخون .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ بضم الياء ، وفتح الغين ، وهي قراءة عظم قرأة أهل المدينة والكوفة .

* * *

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبي أن يغفل أصحابه ، ثم أسقط « الأصحاب » ، فبقى الفعل غير مسمى فاعله . وتأويله : وما كان لنبي أن يخان .
* ذكر من قال ذلك :

٨١٥١ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه كان يقرأ : « وما كان لنبي أن يغفل » ، قال عوف ، قال الحسن : أن يخان .

٨١٥٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان لنبي أن يغفل » ، يقول : وما كان لنبي أن يغفل أصحابه الذين معه من المؤمنين - ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غلّ طوائف من أصحابه .

٨١٥٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وما كان لنبي أن يغفل » ، قال : أن يغفل أصحابه . ١٠٤/٤

٨١٥٤ - حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ج ٧ (٢٢)

الربيع قوله : « وما كان لنبي أن يُغْلَّ » ، قال الربيع بن أنس يقول : ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه — قال : ذكر لنا ، والله أعلم : أن هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غلّ طوائف من أصحابه .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى ذلك : وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق . وكأن متأولي ذلك كذلك ، وجّهوا قوله : « وما كان لنبي أن يغل » ، إلى أنه مراد به : « يُغْلَل » ، ثم خففت « العين » من « يفعل » ، فصارت « يفعل » كما قرأ من قرأ قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] بتأول : يُكَذِّبُونَكَ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي ، قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبياً من غلّ .

ولما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله : « وما كان لنبي أن يغل » أهل الغلول فقال : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » ، الآية والتي بعدها . فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول ، الدليل الواضح على أنه إنما نهي بذلك عن الغلول ، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله : « وما كان لنبي أن يغل » . لأنه لو كان إنما نهي بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول ، لعقّب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بالوعيد على الغلول . وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول ، بيانٌ بيّن أنه إنما عرّف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتفٍ من صفة الأنبياء وأخلاقهم ، لأنّ ذلك جرم عظيم ، والأنبياء لا تأتي مثله .

* * *

فإن قال قائل من قرأ ذلك كذلك : فأولى منه ^(١) : « وما كان للنبي أن يخونه أصحابه » ، إن كان ذلك كما ذكرت ، ^(٢) ولم يعقّب الله قوله : « وما كان للنبي أن يغفل » إلا بالوعيد على الغلول ، ولكنه إنما وجب الحكمُ بالصحة لقراءة من قرأ : « يغفل » بذم « الياء » وفتح « الغين » ، لأن معنى ذلك : وما كان للنبي أن يغله أصحابه فيخونوه في الغنائم ؟ قيل له : أفكان لهم أن يغلوا غير النبي صلى الله عليه وسلم فيخونوه ، حتى خُصوا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فإن قالوا : « نعم » ، خرجوا من قول أهل الإسلام . لأن الله لم يبح خيانة أحد في قول أحد من أهل الإسلام قط .

وإن قال قائل : لم يكن ذلك لهم في نبي ولا غيره .
قيل : فما وجه خصوصهم إذاً بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما ، وما يلزم المؤمن من أداء الأمانة إليهما ؟
وإذ كان ذلك كذلك ، فنعلم أن معنى ذلك هو ما قلنا ، من أن الله عز وجل نهي بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ، ناهياً بذلك عباده عن الغلول ، وأمرهم بالاستئذان بمنهج نبيهم ، كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية ، ^(٣) ثم عقّب تعالى ذكره نهيتهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال : « ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة » ، الآيتين معاً .

* * *

(١) قوله : « فأولى منه » ، أى فأولى من المذهب الذى ذهبت إليه في قراءة الآية وتفسيرها = يقوله هذا القائل ، ردأ على أبي جعفر .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « إن ذلك كما ذكرت » سقط من النسخ « كان » فأثبتها ، لأن هذا هو حق المعنى الذى أراد أبو جعفر في سياق قول من رد عليه قوله .

(٣) يعنى الأثر : ٨١٤٣ ، « وعطية » المذكور ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفي » ، الذى روى عن ابن عباس ، وهو المذكور في الإسناد السالف « عن أبيه » . وقد أشكل ذلك على بعض من علق على التفسير ، فقال : لم يمض لعطية هذا ذكر ! ! ولكنه مذكور كما ترى .

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَنْ يَفْضُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ومن يَحْنُ من غنائم المسلمين شيئاً وفيهم وغير ذلك ، يأت به يوم القيامة في المحشر ، كما : —

٨١٥٥ — حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد

أبي حيان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قام خطيباً فوعظ وذكر ثم قال : ألا عسى رجل منكم يحيى يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، ^(١) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يحيى يوم القيامة على رقبته فرس لها حممة ، ^(٢) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يحيى يوم القيامة على رقبته صامت ، ^(٣) فيقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يحيى يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار ، ^(٤) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يحيى يوم القيامة على رقبته رقاع تحفيق

١٠٥/٤

(١) « الثغاء » : صوت الشاة والمعر والظباء وما شاكلها . « ثغت الشاة تنغو » : صاحت .

يقال : « ماله ثاغية ولا راغية » ، الثاغية : الشاة : والراغية : الإبل .

(٢) الحممة : صوت الفرس دون الصهيل ، كالذى يكون منه إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذى كان ألفه ، فاستأنس إليه .

(٣) « الصامت » : هو الذهب والفضة ، أو ما لا روح فيه من أصناف المال . يقال : « ماله صامت ولا فاطق » ، فالناطق : الحيوان ، كالإبل والغنم وغيرها .

(٤) « الخوار » : صوت الثور ، وما اشتد من صوت البقرة والعجل . « خار الثور يخور » .

يقول : (١) يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتكَ ! (٢)
٨١٥٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي حيان ،
عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل هذا = زاد فيه :

(١) « الرقاع » جمع رقعة : وهو الحرقعة ، و « تخفق » تضطرب وتلمع إذا حركتها الرياح ،
أو لإسراع حاملها . يريد الثياب التي يخلها الغال مما يختطفه من الغنائم . وقد فسره كثير من الشراح بأنه
أراد الرقاع المكتوبة التي تكون فيها الحقوق والديون ، وخفوقها حركتها ، وأرجع القولين ما قدمت منهما .
(٢) الحديث : ٨١٥٥ - أبو حيان - بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء التحتية - يحيى بن سعيد
ابن حيان التيمي : مضت ترجمته : ٥٣٨٢ . ووقع في المطبوعة في الإسنادين التاليين لهذا « أبو حيان »
بالباء الموحدة ، وهو خطأ .

ووقع هنا في المخطوطة : « عن يحيى بن سعيد ، عن أبي حيان » . وهو خطأ . فإن « أبا حيان » :
اسمه « يحيى بن سعيد » - كما ذكرنا . ومحمد بن فضيل بن غزوان سمع منه ، ويروى عنه مباشرة ،
كما هو ثابت في ترجمتهما .

نم : إن « يحيى بن سعيد القطان » روى هذا الحديث عن « أبي حيان يحيى بن سعيد التيمي » ، كما
سيأتي في التخريج - ولكن ليس في هذا الإسناد .

أبو زرعة - بضم الزاي وسكون الراء : هو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي . وهو تابعي ثقة ،
من علماء التابعين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٤ - ٢٤٣ - ٢٤٤ ، فيمن اسمه « هرم » ،
وإبن أبي حاتم ٢/٢ - ٢٦٥ - ٢٦٦ ، فيمن اسمه « عبد الرحمن » ، لاختلافهم في اسمه . والظاهر أن
اسمه كنيته .

ووقع في المطبوعة ، في الرواية الآتية : ٨١٥٧ - « عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير » ، وهو
تحريف ، صوابه « بن » بدل « عن » .

والحديث سيأتي عقب هذا بإسنادين : من طريق عبد الرحمن ، عن أبي حيان ، ومن طريق ابن عليه ،
عن أبي حيان .

ورواه أحمد في المسند : ٩٤٩٩ (ج ٢ : ص : ٤٢٦ حلي) . عن إسماعيل - وهو ابن عليه -
عن أبي حيان .

ورواه مسلم ٢ : ٨٣ ، عن زهير بن حرب ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، وهو ابن عليه ، به .
ورواه البخارى ٦ : ١٢٩ (فتح) ، عن مسدد ، عن يحيى - وهو ابن سعيد القطان ، عن أبي حيان

وهو يحيى بن سعيد التيمي .

ورواه مسلم أيضاً بأسانيد .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩ : ١٠١ بأسانيد .

وروى البخارى قطعة منه ، ضمن حديث ، من وجه آخر ٣ : ٢١٣ (فتح) .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨١ ، من رواية المسند ، ثم قال : « أخرجه من حديث أبي حيان ، به »

يريد الشيخين .

وذكره السيوطي ٢ : ٩٢ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، والبيهقي في الشعب .

لا ألفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح. (١)

٨١٥٧ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو حيان ، عن أنى زرة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوماً ، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال : لا ألفين أحدكم يبيع يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثنى^(٢) ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن . (٣)

٨١٥٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حفص بن بشر ، عن يعقوب القمي قال ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى : يا محمد ! يا محمد ! (٤) فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد بلغتك ! ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملاله رغاء يقول : يا محمد ! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد بلغتك ! ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حممة ينادى : يا محمد ! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً . قد بلغتك ! ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قيشعاً من آدم ، (٥)

(١) الحديث : ٨١٥٦ - هو تكرار للحديث السابق .

ولكن « عبد الرحمن » - في هذا الإسناد : لم أستطع أن أجزم فيه بشيء . وأخشى أن يكون محرفاً عن « عبد الرحيم » ، فيكون : « عبد الرحيم بن سليمان الأشل » ، فهو الذي يروى عن أبي حيان ، ويروى عنه « أبو كريب » . وهو راوى هذا الحديث - رواه مسلم ٢ : ٨٣ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الرحيم بن سليمان .

قوله : « نفس لها صياح » ، قال الحفاظ ابن حجر في الفتح : « وكأنه أراد بالنفس ، ما يظله من الرقيق ، من امرأة أو صبي » .

(٢) « الرغاء » : صوت ذوات الخف كالإبل ، وقد يستعار لغيره : « رغاء البعير يرغو » .

(٣) الحديث : ٨١٥٧ - هو تكرار للحديثين قبله . وقوله في آخره « ثم ذكر نحو حديث

أبي كريب عن عبد الرحمن » أخشى أن يكون محرفاً ، وأن صوابه « عن عبد الرحيم » ، كما بينا من قبل .

(٤) قوله : « لا أعرفن » قد سلف أن بينت في التعليق على الأثر : ٨٠١١ ، ص : ٢٨٦

تطبيق : ٤ ، والأثر : ٨٠٢٥ ، أنها كلمة تقال عند التهديد والوعيد والزجر الشديد ، وتتأق أيضاً في

رقم : ٨١٦٠ بعد .

(٥) « القشع » : هو النطع الخلق من الجلد ، وهو الفرو والخلق أيضاً . وقال ابن الأثير : أراد

القربة البالية . و« آدم » جمع أديم : وهو الجلد . وفي المطبوعة والمخطوطة وابن كثير « قشاه » ، خطأ محض .

ينادى : يا محمد ! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد بلغتك .^(١)
 ٨١٥٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أسباط بن محمد قال ، حدثنا
 أبو إسحق الشيباني ، عن عبد الله بن ذكوان ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي
 حميد قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً فجاء بسوادٍ كثير ، قال :
 فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه . فلما أتوه جعل يقول : هذا لى ،
 وهذا لكم . قال فقالوا : من أين لك هذا ؟ قال : أهدى إلى ! فأتوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك ، فخرج فخطب فقال : «أيها الناس ، ما بالى
 أبعث قوماً إلى الصدقة ، فيجىء أحدهم بالسواد الكثير ،^(٢) فإذا بعثت من يقبضه
 قال : « هذا لى ، وهذا لكم » ! فإن كان صادقاً ، أفلا أهدى له وهو فى بيت أبيه
 أو فى بيت أمه ؟ ثم قال : «أيها الناس ، من بعثناه على عمل ففعل شيئاً ، جاء به يوم
 القيامة على عنقه يحمله ، فاتقوا الله أن يأتى أحدكم يوم القيامة على عنقه بغير له
 رغاء ، أو بقرة تخور ، أو شاة تنغو » .^(٣)

٨١٦٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو معاوية وابن نمير وعبد بن
 سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له «ابن الأُتَيْبِيَّة» على صدقات

(١) الحديث : ٨١٥٨ - حفص بن بشر ، ويعقوب بن عبد الله القمي ، مضيا في : ٤٨٤٢ .
 حفص بن حميد القمي أبو عبيد : مترجم في التهذيب ، وعند ابن أبي حاتم ١٧١/٢ . وهو
 ثقة ، وثقه النسائي وغيره . وقال ابن معين : « صالح » . وجهله ابن المديني ، ولئن جهله لقد عرفه غيره .
 وهذا إسناد صحيح .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٠ ، عن هذا الموضع من الطبري . وقال : « لم يروه أحد من
 أهل الكتب الستة » .

ولم أجده في موضع آخر مما بين يدي من المراجع ، حتى السيوطي لم يذكره في الدر المنثور .
 (٢) « السواد » العدد الكثير من المال ، سمي بذلك لأن الإبل والغنم وغيرها إذا جاءت كثيرة
 مجتمعة ، ترى كأنها سواد في خافق الأرض . يقال : « لفلان سواد كثير » ، أى مال كثير من إبل وغنم
 وغيرها . ويقال للشخص الذى يرى من بعيد « سواد » ، وفي الحديث : « إذا رأى أحدكم سواداً لبيل ،
 فلا يكن أجبن السوادين ، فإنه يخافك كما تخافه » ، يعنى بالسواد الشخص .

(٣) انظر التعليق على رقم : ٨١٦١

بنى سليم، فلما جاء قال : « هذا لكم ، وهذا هدية أهديت لى » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا يجلس أحدكم فى بيته فتأتيه هديته ! ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فإنى أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولائى الله ، فيقول أحدكم : هذا الذى لكم ، وهذا هدية أهديت لى ! أفلا يجلس فى بيت أبيه أو فى بيت أمه فتأتيه هديته ؟ والذى نفسى بيده ، لا يأخذ أحدكم من ذلك شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، فلا أعرفن ما جاء رجل يحمل بعيراً له رغاء ،^(١) أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر !^(٢) ثم رفع يده فقال : ألا هل بلغت ؟

٨١٦١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن أبى حميد ، حدثه بمثل هذا الحديث = قال : أفلا جلست فى بيت أبيك وأملك حتى تأتيك هديتك ؟ ثم رفع يده حتى إنى لأنظر إلى بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ = قال أبو حميد : بَصَرُ عَيْنِي وَسَمْعُ أُذُنِي :^(٣)

٨١٦٢ - حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن هب وقال ، حدثنى عمى عبد الله ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث : أن موسى بن جبير حدثه : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى حدثه : أن عبد الله بن أنيس حدثه : أنه تذاكر هو وعمر يوماً الصدقة فقال : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر

١٠٦/٤

(١) قوله : « فلا أعرفن » ، انظر التعليق السالف ص : ٣٥٨ تعليق : ٤ .
(٢) يعرر العنز تيعر (مثل فتح يفتح) يعاراً (بضم الياء) : صوتت صوتاً شديداً . وكان فى المطبوعة : « تشغو » ، وهو وإن كان صواباً فى المعنى ، فهو خطأ فى الرواية ، صوابه من المخطوطة ، ومن رواية الحديث كما ترى فى التخريج .

(٣) الأحاديث : ٨١٥٩ - ٨١٦١ ، هى ثلاثة أسانيد لحديث واحد . وعبد الرحيم - فى ثالثها هو ابن سليمان الأشل .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ٤٢٣ - ٤٢٤ (حلى) ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أبى حميد الساعدى ، بنحوه .

وكذلك رواه البخارى ١٣ : ١٤٤ - ١٤٦ ، ومسلم ٢ : ٨٣ - ٨٤ ، من طريق سفيان بن عيينة . ورواه البخارى أيضاً فى مواضع آخر .

ورواه مسلم - عقب تلك الرواية - من أوجه آخر ، منها من طريق عبد الرحيم بن سليمان . وذكره ابن كثير : ٢ : ٢٨٠ - ٢٨١ ، من رواية المسند ، ثم قال : « أخرجاه (يعنى الشيخين) ،

غلول الصدقة : « من غل منها بغيراً أو شاة ، فإنه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبد الله ابن أنيس : بلى . (١)

٨١٦٣ - حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا يحيى ابن سعيد الأنصارى ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقاً ، فقال : إياك ، يا سعد ، أن تجيء يوم القيامة بغير تحمله له رغاء ! قال : لا آخذه ولا أجيء به ! فأعفاه . (٢)

من حديث سفيان بن عيينة . . . ومن غير وجه عن الزهوى ، ومن طرق عن هشام بن عروة - كلاهما عن عروة ، به .
قوله : « بصر عيني ، وسمع أذني » اختلفوا في ضبطه ، فروى على أنه فعل « بصر » (يفتح الباء وضم الصاد) « وسمع » فعل . وروى « بصر » وسمع « اسمان . يراد به : « أعلم هذا الكلام يقيناً ، أبصرت عيني الذي صلى الله عليه وسلم حين تكلم به ، وسمعت أذني فلا شك في علمي به » ، كما قال النووي في شرح مسلم ١٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١) الحديث : ٨١٦٢ - موسى بن جبير الأنصارى المدني : مضت ترجمته وتوثيقه في : ٢٩٤١ . عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى المدني : تابعي ثقة . ترجمه ابن أبي حاتم ٩٦/٢/٢ . ونقل الحافظ في التهذيب أن البخارى صرح بأنه « سمع عبد الله بن أنيس » .
عبد الله بن أنيس - بالتصغير - الجهني المدني ، حليف الأنصار : صحابي معروف ، مترجم في التهذيب ، والإصابة .

وهذا الحديث من مسند عمر ، ومن مسند عبد الله بن أنيس ، لتصريح كل منهما بأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الإمام أحمد لم يذكره في مسند عمر ، وذكره في مسند عبد الله بن أنيس فقط . فرواه أحمد : ١٦١٣١ (ج ٣ ص ٤٩٨ حلي) ، عن هرون بن معروف ، عن عمرو بن الحارث - بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابنه عبد الله بن أحمد ، عن هرون بن معروف .

ورواه ابن ماجة : ١٨١٠ ، من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، به . وقال البوصيري في زوائده : « في إسناده مقال ، لأن موسى بن جبير ذكره ابن حبان في الثقات وقال : إنه يخطئ . وقال الذهبي في الكاشف : ثقة ، ولم أر لغيرهما فيه كلاماً . وعبد الله بن عبد الرحمن : ذكره ابن حبان في الثقات . وبقى رجاله ثقات » .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبري ، ثم نسب أيضاً لابن ماجة ، ولم يزد ! ففاته أن ينسبه للمسند ، وهو أم .

وذكره السيوطي في الجامع الصغير : ٨٨٨٢ ، ونسبه لأحمد ، والفضلاء المقدسي ، عن عبد الله بن أنيس فقط . وهو عنه وعن عمر ، كما بينا .

(٢) الحديث : ٨١٦٣ - سعيد بن يحيى بن سيد الأموى : مضيا في : ٢٢٥٥

يحيى بن سعيد الأنصارى التجارى : مضى مراراً ، آخرها : ٤٨٠٩ .

٨١٦٤- حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد قال ، حدثنا الربيع بن روح قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثني عبيد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه استعمل سعد بن عباد ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إياك ، يا سعد ، أن تجيء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيراً له رغاء ! فقال سعد : فإن فعلتُ يا رسول الله ، إن ذلك لكائن ! قال : نعم ! قال سعد : قد علمت يا رسول الله أني أسأل فأعطيني ! فأعفني . فأعفاه . (١)

٨١٦٥- حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن حبان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الحارث قال ، حدثني جدى عبيد بن أبي عبيد - وكان أول مولود

وهذا إسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

وسألت تخريج الحديث في الذي بعده .

(١) الحديث : ٨١٦٤ - أحمد بن المغيرة ، شيخ الطبري : مضى في : ٣٤٧٣ أني لم أعرفه . وقد زادنا أبو جعفر هنا تعريفاً به ، فنسبه « الحمصي » ، وأن كنيته « أبو حميد » . ولا يزال مع هذا غير معروف لنا .

الربيع بن روح الحمصي ، أبو روح الحضرمي . ثقة ، روى عنه أيضاً أبو حاتم ، وقال : « وكان ثقة خياراً » . مترجم في التهذيب ، والكبير للخيارى ٢/١٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢٠٦١ . ابن عياش : هو إسماعيل بن عياش الحمصي ، مضى توثيقه في : ٥٤٤٥ . وهذا إسناد صحيح أيضاً ، لكن إسماعيل بن عياش لم يخرج له شيء في الصحيحين . والحديث في معنى الذي قبله ، أطول في اللفظ قليلاً .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ٨٦ ، من حديث ابن عمر ، بنحو اللفظ السابق . وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن الرواية الماضية من الطبري . ثم قال : « ثم رواه من طريق عبيد الله ، عن نافع ، به . نحوه » .

ولم يروه أحد في المسند في مسند عبد الله بن عمر ، ولكن رواه في مسند « سعد بن عباد » ، من حديثه ٥ : ٢٨٥ (حلب) ، بنحوه - بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ، عن سعد بن عباد . وهو إسناد منقطع بين ابن المسيب وابن عباد .

فإن سعد بن عباد توفي سنة ١٥ ، وقيل : سنة ١١ . وسعيد بن المسيب ولد سنة ١٥ ، فلم يدركه يقيناً وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الروايات ٣ : ٨٥ ، من حديث سعد بن عباد . وقال : « رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات ، إلا أن سعيد بن المسيب لم ير سعد بن عباد » .

بالمدينة - قال : استعملت على صدقة دوس ، فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه ، فسلم . فخرجت إليه فسلمت عليه فقال : كيف أنت والبعير ؟ كيف أنت والبقرة ؟ كيف أنت والغنم ؟ ثم قال : سمعت حيي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ بغيراً بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ، ومن أخذ بقره بغير حقه جاء بها يوم القيامة لها خوار ، ومن أخذ شاة بغير حقه جاء بها يوم القيامة على عنقه لها يُعار » ، ^(١) فأياك والبقرة ، فإنها أحدٌ قروناً وأشدُّ أظلالاً . ^(٢)

٨١٦٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثني محمد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن جده عبيد بن أبي عبيد قال : استعملت على صدقة دوس ، فلما قضيت العمل قدمت ، فجاءني أبو هريرة فسلم على فقال : أخبرني كيف أنت والإبل = ثم ذكر نحوه حديثه عن زيد ، إلا أنه قال : جاء به يوم القيامة على عنقه له رُغاء . ^(٣)

٨١٦٧ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم

(١) في المطبوعة : « لها ثغاء » ، وأثبت ما في المخطوطة . قد سلف « اليعار » ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٢ .
(٢) الحديث : ٨١٦٥ - أبو كريب : هو محمد بن العلاء ، الحافظ الثقة .
زيد بن حبان : هكذا ثبت في الطبرى . وأكاد أجزم بأنه محرف . فليس في الرواة - فيما نعلم - إلا زيد بن حبان الرقي ، وهو قديم ، مات سنة ١٥٨ . فلم يدركه أبو كريب المتوفى سنة ٢٤٨ .
والراجح عندي أنه محرف عن « زيد بن الحباب المكل » ، الذي يروى عنه كريب كثيراً . وهو ثقة ، مضت ترجمته : ٢١٨٥ .

عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن أبي عبيد : ثقة . قال أبو زرعة : « لا بأس به » . وهو مترجم عند ابن أبي حاتم ٢/٢/٢٢٤ ، باسم « عبد الرحمن بن الحارث بن أبي عبيد » . فقصر في نسبه ، إذ حذف اسم جده الأدنى . وقد ثبت نسبه على الصواب في ترجمة جده في التهذيب . ولم أجد لعبد الرحمن هذا ترجمة غيرها .

عبيد بن أبي عبيد الغفارى ، مولى بنى رهم : تابعى ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٤١١ ، وثقات ابن حبان ، ص : ٢٦٩ (مخطوط مصور) . وقد خلط ابن أبي حاتم في اسم حفيده « عبد الرحمن ابن الحارث » فذكره في ترجمة جده ، في الرواة عنه ، باسم « عبد الرحمن بن عبيد بن الحارث » .
والحديث سيأتى عقبه بإسناد آخر .

(٣) الحديث : ٨١٦٦ - خالد بن مخلد : هو القطوانى البجلي . مضت ترجمته في : ٢٢٠٦ .

القيامة ، قال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غم مغتماً بحث متادياً :
« ألا لا يغفلن رجل مخبطاً فما دونه ، ^(١) ألا لا يغفلن رجل بعيراً فيأتى به على ظهره
يوم القيامة له رغاء ، ألا لا يغفلن رجل فرساً فيأتى به على ظهره يوم القيامة له
تمخمة » .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ^(١٦١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه ^(٢) : « ثم توفى كل نفس » ، ثم تعطى
كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها ، وافيأ غير منقوص مما استحقه واستوجبه من
ذلك ^(٣) = « وهم لا يظلمون » ، يقول : لا يفعل بهم إلا الذى ينبغى أن يفعل بهم ،
من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه ، كما : —

وقوله « حدثني محمد » — هكذا ثبت في الطبرى . وأكاد أجزم أنه خطأ ، زيادة من النسخين .
فإن « خالد بن مخلد » يروى عن « عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد » مباشرة ، كما ثبت في ترجمة « عبد الرحمن »
عند ابن أبي حاتم . وفيه : « سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن بن الحارث الذى يحدث عنه خالد بن مخلد
القطواني » .

ولو كان هذا الراوى « محمد » ثابتاً في الإسناد ، لبين نسيه أو نحو ذلك ، فإن اسم « محمد » أكثر
الأسماء دوراناً ، فلا يذكر هكذا مجهلاً ، دون قرينة ترشد عن شخصه .
والحديث مكرر ما قبله .

وقد مضى معناه من حديث أبي هريرة ، من رواية أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عنه : ٨١٥٥ —

٨١٥٧ .

وأما من هذا الوجه ، . رواية عبيد بن أبي عبيد ، عنه — : فإن لم أجده في موضع آخر .

(١) « المحيط » (بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الباء) : ما يخاطبه ، كالإبرة ونحوها .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والصواب يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « وقى » فيما سلف ٦ : ٤٦٥ — وتفسير « كسب » فيما سلف ص : ٣٢٧ ،

تطبيق : ٢ ، والمراجع هناك .

٨١٦٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، ثم يُجزى بكسبه غير مظلوم ولا متعدى عليه . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مَنِ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول ، كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ؟ ذكر من قال ذلك :

٨١٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك في قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : من لم يغل " = « كمن باء بسخط من الله » ، كمن غل .

٨١٧٠ — حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال ، حدثني سفيان بن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، عن الضحاك قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : ٥٠٧/٤ من أدّى الخمس = « كمن باء بسخط من الله » ، فاستوجب سخطاً من الله .

* * *

وقال آخرون في ذلك ، بما : —

٨١٧١ — حدثني به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أفمن

(١) الأثر : ٨١٦٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٨١٤٨ ، وفي المطبوعة : « متدى عليه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو موافق لما في السيرة .

اتبع رضوان الله ، على ما أحب الناس ومخطوط = « كمن باء بسخط من الله » ، لرضى الناس ومخططهم ؟ يقول : أفن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه ، كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب غضبه ، وكان مأواه جهنم وبئس المصير ؟ أسواء المثلاث ؟ أى : فاعرفوا. (١)

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية عندي ، قول الضحاك بن مزاحم . لأن ذلك عقيب وعيد الله على الغلول ، ونهيه عباده عنه . ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده : أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه ، والمعاصي له في ذلك ؟ أى : إنهما لا يستويان ، ولا تستوى حالتهما عنده . لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه ، الجنة ، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار .

فمعنى قوله : « أفن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله » إذا : أفن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه ، وعمل بطاعة الله في تركه ذلك ، وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه ، متبعاً في كل ذلك رضى الله ، ومجتنباً سخطه = « كمن باء بسخط من الله » ، يعنى : كمن انصرف متحملاً بسخط الله وغضبه ، فاستحق بذلك سكنى جهنم ؟ يقول : ليسا سواء. (٢)

وأما قوله : « وبئس المصير » ، فإنه يعنى : وبئس المصير = الذى يصير إليه ويؤوب إليه من باء بسخط من الله = جهنم . (٣)

(١) الأثر : ٨١٧١ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهوتمة الآثار التى آخرها : ٨١٦٨ ، وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥ / ٧ ، ١١٦ .

(٣) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٦ / ٥٦ ، ١٢٨ ، ٣١٧ . وسياق الجملة : « وبئس المصير . . . جهنم » وبنا بينهما تفسير « المصير » .

القول في تأويل قوله ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن من اتبع رضوان الله ومن بآء بسخط من الله ، مختلفوا المنازل عند الله . فلمن اتبع رضوان الله ، الكرامة والثواب الجزيل ، ولمن بآء بسخط من الله ، المهانة والعقاب الأليم ، كما —
 ٨١٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون » ، أى : لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار ، إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته . (١)

٨١٧٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « هم درجات عند الله » ، يقول : بأعمالهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لهم درجات عند الله ، يعنى : لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة .
 * ذكر من قال ذلك :

٨١٧٤ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هم درجات عند الله » ، قال : هى كقوله : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

٨١٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هم درجات عند الله » ، يقول : لهم درجات عند الله .

* * *

(١) الأثر : ٨١٧٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨١٧١

وقيل : قوله « هم درجات » كقول القائل : « هم طبقات » ، « كما قال ابن جرير » :

أَرْجَاءَ الْمُنُونِ يَكُونُ قَوْمِي لِزَيْبِ الْفَخْرِ، أَمْ دَرَجَ السُّيُولِ؟^(١)

• • •

وأما قوله : « والله بصير بما يعملون » ، فإنه يعني : والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته ، لا يحق عليه من أعمالهم شيء ، يحصى على الفريقين جميعاً أعمالهم ، حتى توفي كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر ، كما : -

٨١٧٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله بصير

بما يعملون » ، يقول : إن الله لا يحق عليه أهل طاعته من أهل معصيته .^(٢)

• • •

(١) انظر تفسير درجۃ فيما سلف ٤ : ٥٢٢ - ٥٢٦ .

(٢) سيويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، وجماز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٠٧ ، والخزاعة ١ : ٢٠٣ ، والسان (درج) ، وروايتهم جميعاً ، غير الطبري وأبي عبيدة :

أَنْصَبُ لِلْمَنِيَةِ تَعْتَرِيهِمْ رِجَالِي ، أَمْ هُمْ دَرَجَ السُّيُولِ؟

وكان في المطبوعة : « إن هم المنون يكون قوم » ، لم يحسن الناشر الأول ، قوله المخطوطة فصرف اليت تحريفاً غثاً بريقاً من المعنى ، وردده إلى صواب المخطوطة ، على أن فيها « قوم » بدل « قومي » ، والصواب ما أثبت . وقد استشهد باليت سيويه على نصب « درج السُّيُولِ » على القطرف ، وعلى وجه خبر « هم » . وكذلك إعرابه على النصب والرفع في رواية الطبري وأبي عبيدة . وقوته : « أرواحا المنون » يعني به ما يعني في الرواية الأخرى ، « أنصب لمنية » . وأصل للرجم « القصف » ، ومعنى ما يرجم به « رجماً » (بفتح الراء وسكون الجيم) . ولم تذكر كتب اللغة « الرجم » (بفتح الراء وسكون الجيم) : يعني الشيء المنسوب الذي يرجم ويقصف ، ولكن بيت ابن هريرة شاهد عليه ، وهو صحيح في قيس القرية . و « درج الليل » : مدرجه ومنطوره وطريقه في معاطف الأودية . يستحسن ابن هريرة على قوله وإسراع الملاك إليهم بكل وجه ، حتى يأتوا أو كادوا .

(٣) الأثر : ٨١٧٦ - سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ ، وهو نسخة الأثر التي أعرفها : ٨١٧٢ ،

القول في تأويل قوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يعني بذلك : لقد تطول الله على المؤمنين = « إذ بعث فيهم رسولا » ، حين أرسل فيهم رسولا = « من أنفسهم » ، نبيا من أهل لسانهم ، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول = « يتلو عليهم آياته » ، يقول : يقرأ عليهم آى كتابه وتنزيله (١) = « ويزكّيهم » ، يعني : يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم (٢) = « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، يعني : ٤ ويعلمهم كتاب الله الذى أنزله عليه ، ويبين لهم تأويله ومعانيه = « والحكمة » ، ويعنى بالحكمة ، السنة التى سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيانه لهم (٣) = « وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » ، يعنى : وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذى هذه صفته = « لى ضلال مبين » ، يقول : فى جهالة جهلاء ، وفى حيرة عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقّا ، ولا يبطّرون باطلا .

* * *

وقد بينا أصل « الضلالة » فيما مضى ، وأنه الأخذ على غير هدى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٤)

* * *

(١) انظر تفسير « يتلو » فيما سلف ٢ : ٤١١ ، ٥٦٩ / ٦ : ٤٦٦ ، تعليق : ٣ ، وفهارس

اللفظ « تلا » .

(٢) انظر تفسير « يزكى » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٥٧٤ / ٣ : ٨٨ / ٥ : ٢٩ / ٦ : ٢٨٠

(٣) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨ / ٥ : ١٥ ، ٣٧١ ، ٥٧٦ - ٥٧٩

(٤) انظر تفسير « الضلالة » فيما سلف ١ : ١٩٥ / ٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦

= و«المبين» ، الذى يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه ، أنه على غير استقامة ولا هدى . (١)

• • •

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٨١٧٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » ، منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة ، جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم = قوله : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، الحكمة ، السنة = « وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » ، ليس والله كما يقول أهل حروراء : « محنة غالبية ، من أخطأها أحترق دمه » ، (٢) ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلهم ، وإلى قوم لا أدب لهم فأدبهم .

٨١٧٨ — حدثنا ابن جهميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « لقد منّ الله على المؤمنين » ، إلى قوله : « لى ضلال مبين » ، أى : لقد منّ الله عليكم ، يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أهدتكم وفيما علمتم ، (٣) ويعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه ، لتستكثروا من طاعته ، وتجتنبوا ما ينخط منكم من معصيته ، فتخلصوا بذلك من نقمته ، وتتركوا بذلك ثوابه من جنته = « وإن كنتم من قبل لى ضلال مبين » ، أى : فى عمياء من الجاهلية ،

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ٣ : ٤/٣٠٠ : ٢٥٨ .

(٢) أهل حروراء : هم الخوارج ، وهذا مذهبهم .

(٣) فى المطبوعة : « فيما أهدتكم وفيما علمتم » لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب منها ومن سيرة

ابن هشام .

لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، (١) صم عن الحق ، عمنى عن الهدى . (٢)

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أوحين أصابتكم ، أيها المؤمنون ، « مصيبة » ، وهى القتل الذى قتلوا منهم يوم أحد ، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد ، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفراً — « قد أصبتم مثليها » ، يقول : قد أصبتم ، أنتم أيها المؤمنون ، من المشركين مثلى هذه المصيبة التى أصابوا هم منكم ، وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر ، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين = « قلم أنى هذا » ، يعنى : قلم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد = « أنى هذا » ، من أى وجه هذا ؟ (٣) ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا ، ونحن مسلمون وهم مشركون ، وفيما نبى الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحى من السماء ، وعدونا أهل كفر بالله وشرك ؟ = « قل » يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك = « هو من عند أنفسكم » ، يقول : قل لهم : أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم ، بخلافكم أمرى وترككم طاعنى ، لا من عند غيركم ، ولا من قبل أحد سواكم = « إن الله على كل شىء قدير » ، يقول : إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة ، وتفضل

(١) فى المطبوعة : « تستغيثون من سيئة » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة « سمعون » غير منقوطة ، والأرجح أنه خطأ ، صوابه ما فى سيرة ابن هشام . .

(٢) الأثر : ٨١٧٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨١٧٢ ، ٨١٧٦ . وإجملة الأخيرة فى ابن هشام : « صم عن الخير ، بك عن الحق ، عمنى عن الهدى » .

(٣) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٥ / ٤١٦ ، ١٢ : ٦ / ٤٤٧ ، ٢٠ : ٤٢٠ ، ٣٥٨

وانتقام = « قدير » ، يعنى : ذو قدرة . (١)

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « قل هو من عند أنفسكم » ، بعد إجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا فى ذلك من التأويل .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : « قل هو من عند أنفسكم » ، بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوكم والإصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين أطامكم ، (٢) فأبيتهم ذلك عليه ، وقلتم : « اخرج بنا إليهم حتى نُصحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة » .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٩/٤

٨١٧٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » ، أصيبوا يوم أحد ، قُتل منهم سبعون يومئذ ، وأصابوا مثليها يوم بدر ، قتلوا من المشركين سبعين وأمروا سبعين = « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد ، حين قدم أبو سفيان والمشركون ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أنا فى جُنَّة حصينة » ، يعنى بذلك المدينة ، « فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم » . (٣) فقال له ناس من أصحابه من الأنصار : يا نبي الله ، إنا نكره أن نقتل فى طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع من الغزو فى الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه ! (٤) فابرز بنا إلى القوم . فانطلق رسول الله صلى الله

(١) انظر تفسير « قدير » فى فهارس اللغة فيما سلف من الأجزاء .

(٢) « أصحروا القوم » : برزوا إلى الصحراء . و « أصحروا لأعدائهم » : برزوا إلى قضاء لا يوارىهم ، لكى يقاتلهم فى الصحراء . و « الأطام » جمع ألم (بضم الهزة والطاء) : وهو حصى مبنى بالحجارة ، كان أهل المدينة يتخذونها ويسكنونها يحتنون بها .

(٣) « الجنة » (بضم الجيم وتشديد النون) : هو ما وراك من السلاح واستترت به ، كالدرع والبيضة ، وكل وقاية من شيء فهو جنة .

(٤) فى المطبوعة : « وقد كنا نمتنع فى الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، وفى المخطوطة : « قد كنا نمتنع من الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، والصواب فيها ما أثبت ، كما فى الدر المشور ٢ : ٩٤ .

عليه وسلم فلبس لأمنته ، فتلاوم القوم فقالوا : عرّض نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرّضتم بغيره ! اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم : «أمرنا لأمرك تبع» . فأقى حمزة فقال له : يا نبي الله ، إن القوم قد تلاوموا وقالوا : «أمرنا لأمرك تبع» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لانه ليس لنبي إذا لبس لأمنته أن يضعها حتى يتأخر ، ^(١) وإنه ستكون فيكم مصيبة . قالوا : يا نبي الله ، خاصة أو عامة ؟ قال : سترونها = ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن بقرًا تنحر ، فتأولها قتلاً في أصحابه = ورأى أن سيفه ذا الفقار انفصم ، فكان قتل عمه حمزة ، قتل يومئذ ، وكان يقال له : أسد الله = ورأى أن كبشاً عتير ، ^(٢) فتأول له كبش الكتيبة ، عثمان بن أبي طلحة ، أصيب يومئذ ، وكان معه لواء المشركين .

٨١٨٠ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = غير أنه قال : «قد أصبتم مثلها» ، يقول : مثلي ما أصيب منكم = «قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم» ، يقول : بما عصيتم .

٨١٨١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة ، وكانوا قد أصابوا مثلها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا ، فقال الله عز وجل : «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها» .

٨١٨٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) «اللأمة» : الدرع الحصينة ، وسائر أداة الحرب .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : «أن كبشاً أغبر» ، ولا معنى له ، ولا هو يستقيم . واستظهرت صوابها كما ترى ، وأن الناسخ صحفها . يقال : «عتر الشاة والظبية يعترها عتراً ، وهي عتيرة» ، ذبحها . ومن «العتيرة» ، وهي أول نتاج أنعامهم ، كانوا يذبحونه لأهلهم في الجاهلية . هذا على أني لم أجد هذا الخبر بلفظه في مكان آخر ، ولكن المروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أنه مردف كبشاً ، فقال : أما الكبش ، فإني أقتل كبش القوم ، أي حاميم وحامل لواثم .

ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين ، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله : « قد أصبتم مثلها قلم أنى هذا » إذ نحن مسلمون ، نقاتل غضباً لله وهؤلاء مشركون = « قل هو من عند أنفسكم » ، عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال .

٨١٨٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، قالوا : فإنما أصابنا هذا لأننا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى ، وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فن قتل منا كان شهيداً ، ومن بقى منا كان مطهرّاً ، رضيتم ربنا ! (١)

٨١٨٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن وابن جريج قالا : معصيتهم أنه قال لهم : « لا تتبعوهم » ، يوم أحد ، فاتبعوهم .

٨١٨٥ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين - يعنى بأحد - وقتل منهم سبعون إنساناً = « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها » ، كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلاً وقتلوا سبعين = « قلم أنى هذا » ، أن : من أين هذا = « قل هو من عند أنفسكم » ، أنكم عصيتم .

٨١٨٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها » يقول : لأنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد .

(١) في المطبوعة : « رضيتم بالله ربنا » ، غير ما في المخطوطة ، كأنه لم يفهمه !

٨١٨٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ثم ذكر المصيبة التي أصابتم فقال : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، أى : إن تلك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم ، فبذنوبكم . قد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، ^(١) فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتل وأسرى ، ١٠/٤ ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم . أنتم أحلتم ذلك بأنفسكم ^(٢) = « إن الله على كل شىء قدير » ، أى : إن الله على كل ما أراد بعباده من نعمة أو عفو ، قدير . ^(٣)

٨١٨٨ - حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » ، الآية ، يعنى بذلك : أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد .

* * *

وقال بعضهم : بل تأويل ذلك : « قل هو من عند أنفسكم » ، بإساركم المشركين يوم بدر ، ^(٤) وأخذكم منهم الفداء ، وترككم قتلهم .
* ذكر من قال ذلك :

٨١٨٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتتقوا به على

(١) فى المطبوعة : « قتل من عدوكم » وقبلها رقم (٣) لشك المصحح فى صحتها . وفى المخطوطة مثل ذلك غير منقوط ، والصواب من سيرة ابن هشام .
(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إنكم أحلتم . . . » ، ورجعت رواية ابن هشام ، فهى أجود فى السياق .

(٣) الأثر : ٨١٨٧ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، هو تنمة الآثار التي آخرها : ٨١٧٨ .

(٤) فى المطبوعة : « بإسارتكم » وهو خطأ ، أوقفه فيه ناسخ المخطوطة ، لأن كتب (تكم) ، ولكنه أدخل الراء على التاء ، فاختلطت كتابته . والصواب ما أثبت .

عدوكم ، وإن قبلته وه قتل منكم سبعون = أو تقتلوهم . فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ويُمْتَل منّا سبعون . قال : فأخذوا الفدية منهم ، وقتلوا منهم سبعين = قال عبدة : وطلبوا الخيزتين كلتيهما .

٨١٩٠ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبدة : أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شتم قتلهم ، وإن شتم فاديتهم واستشهد منكم بعدتهم . قالوا : بل نأخذ الفداء فنستمتع به ، ويدشهد منّا بعدتهم .

٨١٩١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني إسماعيل ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبدة السلماني = وحدثني حجاج ، عن جرير ، عن محمد ، عن عبدة السلماني = عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد ، إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين : أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُمْتَل منهم عدتهم . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشائرتنا وإخواننا !! لا بل نأخذ فداءهم فنتفقى به على قتال عدونا ، ويدشهد منّا حديدتهم ، فليس في ذلك ما نكره ! قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أسارى أهل بدر .

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَقُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذي أصابكم « يوم التقي الجمعان » ، وهو يوم أحد ، حين التقي جمع المسلمين والمشركين . ويعنى : « الذي أصابهم » ، ما نال من القتل من قُتِل منهم ، ومن الجراح من جرح منهم = « فَيَاذَنَ اللَّهُ » ، يقول : فهو ياذن الله كان = يعنى : بقضائه وقدّره فيكم . (١)

* * *

وأجاب « ما » بالفاء ، لأن « ما » حرف جزاء ، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل . (٢)

* * *

= « وليعلم المؤمنين » . وليعلم الذين ناققوا ، بمعنى : وليعلم الله المؤمنين ، وليعلم الذين ناققوا ، أصابكم ما أصابكم يوم التقي الجمعان بأحد ، ليميز أهل الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم ، لا يخفى عليهم أمر الفريقين . وقد بينا تأويل قوله : « وليعلم المؤمنين » فيما مضى ، وما وجه ذلك ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (٣)

* * *

وينحو ما قلنا في ذلك قال ابن إسحق .

٨١٩٢- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما أصابكم يوم التقي الجمعان فَيَاذَنَ اللَّهُ وليعلم المؤمنين » ، أى : ما أصابكم حين التقيتم أتم وعلوكم ، فَيَاذَنَ كان ذلك حين فعلم ما فعلتم ، بعد أن جاءكم

(١) انظر تفسير الإذنه فيا سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤/٢٨٦ : ٥/٢٨٩ : ٧/٢٨٩

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٥٨٥

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٧/١٦٠ : ٢٤٦ ، ٣٢٥

نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ^(١) ليميز بين المنافقين والمؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ،
أى : ليظهروا ما فيهم . ^(٢)

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ مَيْدٌ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبى سلول المنافق
وأصحابه ، الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، حين سار
نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم ، فقال لهم المسلمون : تعالوا ١١١/٤
قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقتلون
لسرنا معكم لإيهم ، ولكننا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم
قتال ! فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه ، وأبدوا بالسنتهم بقولهم : « لو نعلم
قتالاً لا تبعنناكم » ، غير ما كانوا يكتُمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأهل الإيمان به ، كما : —

٨١٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر
ابن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من
علمائنا ، كلهم قد حدث قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى
حين خرج إلى أحد — فى ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط بين

(١) فى المطبوعة : « وصدقتكم وعدى » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨١٨٧ .

أحد والمدينة ، انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس وقال : (١) أطاعهم فخرج وعصاني ! والله ما ندرى علامَ تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس !! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم ، أذكركم الله أن تتخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال ! فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيُغنى الله عنكم ! ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

٨١٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا » ، يعني : عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد = وقوله : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، يقول : لو نعلم أنكم تقتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكن لا نظن أن يكون قتال . فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم = يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » ، يظهرون لك الإيمان ، وليس في قلوبهم (٣) = « والله أعلم بما يكتمون » ، أي : يخفون . (٤)

٨١٩٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني يوم أحد — في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلما خرجوا ، رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعومهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ، ولئن أطعنا

(١) في المطبوعة : « فقال » ، والصواب من المخطوطة ، وسيره ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ٦٨ ، وهو تابع الأثر الماضي رقم : ٧٧١٥ ، وبين رواية الطبري ، ورواية ابن هشام خلاف في بعض اللفظ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، وليس في قلوبهم » ، وقد اختل الكلام ، وأُخلت سقط من سهو الناسخ ، فأتمته من السيرة ، وأتممت الآية وتفسيرها بمثلها .

(٤) الأثر : ٨١٩٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تمة الآثار التي أعمرها : ٨١٩٢ .

لترجعن معنا = (١) قال : فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي سلول ، وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم فقالوا : « ما نعلم قتالا ، ولئن أطعتمونا لترجعن معنا » ، فقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَمَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ۖ ﴾ (٢).

٨١٩٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال عكرمة : « قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، قال : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « لو نعلم قتالا » ، قال : لو نعلم أننا واجدون معكم قتالا ، لو نعلم مكان قتال ، لاتبعناكم .

* * *

واختلفوا في تأويل قوله : « أو ادفعوا » .

فقال بعضهم : معناه : أو كثروا ، فإنكم إذا كثرت دفعتم القوم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٩٧ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو ادفعوا » ، يقول : أو كثروا .

١١٢/٤

٨١٩٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أو ادفعوا » ، قال : بكثرتكم العدو ، وإن لم يكن قتال .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أو رابطوا إن لم تقاتلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٩٨ م - حدثنا إسماعيل بن حفص الأيلي وعلى بن سهل الرملي قالا ، حدثنا

(١) في هذا الأثر اختصار مخل ، وقد مضى تمامه برقم ٧٧٢٣ ، وجواب « فلما غلبوه » ، في بقية الأثر وهو : « هموا بالرجوع » ، يعني بنى سلمة رجع إلى جابر السلمي . وانظر التخريج بعد .

(٢) الأثر : ٨١٩٥ - مضى بعضه برقم : ٧٧٢٣ ، والتاريخ ٣ : ١٢ .

الوليد بن مسلم قال ، حدثنا عتبة بن ضمرة قال : سمعت أبا عون الأنصاري في قوله : « قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا » ، قال : رابطوا . (١)

وأما قوله : « والله أعلم بما يكتمون » ، فإنه يعنى به : والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين : « او نعلم قتالا لا تبعناكم » ، بما يضمرّون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيمترونه من العداوة والشئان ، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم ، وهو تعالى ذكره محيط بما هم مخفوه من ذلك ، (٢) مطلع عليه ، ومحصيه عليهم ، حتى يهلك أستارهم في عاجل الدنيا فيفضحهم به ، ويصلّهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « وليعلم الله الذين نافقوا » = « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » .

فوضع « الذين » نصب على الإبدال من « الذين نافقوا » . وقد يجوز أن

(١) الأثر : ٨١٩٨ - « إسماعيل بن حفص الأيل » ، سلفت ترجمته برقم : ٧٥٨١ ، وكان في المطبوعة هنا أيضاً « الأمل » مكان « الأيل » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة « الأمل » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « الوليد بن مسلم القرشي » ، سلفت ترجمته برقم : ٤٦١٠ . و « عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي الحمصي » ، روى عن أبيه ، وعمه المهاجر ، ومحمد بن زياد الألهاني ، وأبي عون الشامى . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، و « أبو عون الأنصاري الشامى الأعور » روى عن أبي إدريس الخولاني ، ثقة . مترجم في التهذيب .

(٢) في المطبوعة : « بما يخفونه من ذلك » ، غير ما في المخطوطة لغير شيء ! ! ، إلا أن يريدوا أن يدرجوا به على ما ألفوا من الكلام ! !

يكون رفعاً على الترجمة عما في قوله : « يكتمون » من ذكر « الذين نافقوا » .

• • •

فغنى الآية : وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائهم وقومهم = « وقعدوا » ،
يعنى : وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا — مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم — عن الجهاد مع إخوانهم وعشائهم في سبيل الله = « لو أطاعونا » ، يعنى : لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائنا = « ما قتلوا » يعنى : ما قتلوا هنالك = قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، هؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين = « فادروا » ، يعنى : فادفعوا .

* * *

من قول القائل : « درأت عن فلان القتل » ، بمعنى دفعت عنه ، « أدروا درءاً » ،^(١) ومنه قول الشاعر :^(٢)

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي^(٣)

* * *

يقول تعالى ذكره : قل لهم : فادفعوا = إن كنتم ، أيها المنافقون ، صادقين في قيلكم : لو أطاعنا إخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم أبا سفيان ومن معه من قريش ، ما قتلوا هنالك بالسيف ، ولكانوا أحياء بعودهم معكم ، وتخائنهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه = [عن أنفسكم] الموت ،^(٤) فإنكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم ، وأنتم لا محالة ميتون ، كما : —

(١) انظر تفسير « الدرء » فيما سلف ٢ : ٢٢٢ - ٢٢٨

(٢) هو المثقب العبد .

(٣) مضى تخريجه وشرحه فيما سلف ٢ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، والاستشهاد بهذا البيت لمعنى الدفع ، غريب من مثل أبي جعفر ، فراجع شرح البيت هناك .

(٤) السياق : « قل لهم : فادفعوا . . . عن أنفسكم الموت » ، والزيادة التي بين القوسين زيادة لا بد منها يقتضها السياق ، ومن نص الآية ، فلذلك أثبتها .

٨١٩٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين قالوا لإخوانهم » ، الذين أصيبوا معكم من عشائهم وقومهم = « لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، أى : إنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا . وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت . (١)

* * *

• ذكر من قال : الذين قالوا لإخوانهم هذا القول ، هم الذين قال الله فيهم : « وليعلم الذين نافقوا » .

٨٢٠٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، ذكر لنا أنها نزلت فى عدو الله عبد الله بن أبى .

٨٢٠١ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هم عبد الله بن أبى وأصحابه .

٨٢٠٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : هو عبد الله بن أبى الذى قعد وقال لإخوانه الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « لو أطاعونا ما قتلوا » ، الآية = قال ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال جابر بن عبد الله : هو عبد الله بن أبى ابن سلول .

٨٢٠٣ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » الآية ، قال : نزلت فى عدو الله عبد الله ابن أبى . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٨١٩٩ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٤ .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفى المخطوطة مانصه :

« يتلوه إن شاء الله : القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ولا تحسبن » ، ولا تظنن ، كما : —

٨٢٠٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سامة ، عن ابن إسحق : « ولا تحسبن » ،

١١٣/٤

ولا تظنن . (١)

* * *

وقوله : « الذين قتلوا في سبيل الله » . يعنى : الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = « أمواتاً » ، يقول : ولا تحسبنهم ، يا محمد ، أمواتاً لا يحسبون شيئاً ولا يلتذون ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندى ، متنعمون فى رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى ، وحبوتهم به من جزيل ثوابى وعطائى ، كما : —

٨٢٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق = وحدثنى

ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون .
والحمد لله على إحسانه ونعمته ، وصلى الله على محمد وعلى
آله الطاهرين ، وسلم كثيراً .

ثم يتلوه أول الجزء ، وفيها ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

ربِّه يستر يا كريم

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود قال ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير .

وانظر التعليق على هذا الإسناد فيما سلف ٤٩٦ : ٤٩٧ ، ٧ : ٢٣ ، ١٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

(١) الأثر ٨٢٠٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٩

يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ابن إسحق = عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش . فلما وجأوا طيب مشربهم ومأكلمهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ! لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينكلموا عن الحرب ! ^(١) فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات . ^(٢)

- (١) نكل عن عدوه : حين فنكس على عقبيه ، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً .
- (٢) الحديث : ٨٢٠٥ - أبو الزبير : هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، وهو تابعي ثقة ، مضى مراراً . وقيل إنه لم يسمع من ابن عباس ، ففي المراسيل لابن أبي حاتم ، ص : ٧١ ، عن ابن عيينة : « يقولون : ابن المكي لم يسمع من ابن عباس » . وفيه أيضاً : « سمعت أبي يقول : رأى ابن عباس رؤية » .
- والحديث رواه أحمد في المسند : ٢٣٨٨ ، عن يعقوب ، وهو ابن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، بهذا الإسناد .
- ثم رواه عقبه : ٢٣٨٩ ، « نحوه » ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحق ، به . وزاد في الإسناد « عن سعيد بن جبير » ، بين أبي الزبير وابن عباس . وكذلك رواه أبو داود في السنن : ٢٥٢٠ ، عن عثمان بن أبي شيبة ، به . وكذلك رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٨ ، من طريق عثمان بن أبي شيبة . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .
- وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ ، من رواية المسند الأولى ، وأشار إلى رواية الطبري هذه ، ثم إلى زيادة سعيد بن جبير في الإسناد ، عند أبي داود والحاكم ، ثم قال : « وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري ، عن سالم الأفلح ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس » .
- وذكره السيوطي ٢ : ٩٥ ، وزاد نسبه إلى هناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل . وقوله : « وحسن مقيلهم » - في المسند : « منقلبهم » . ومعنادا صحيح أيضاً . ولكن وجدت بعد ذلك في مخطوطة الرياض من المسند (المصور عددي) نسخة أخرى بهامشها « مقيلهم » . وهي أصح وأجود . وهي الموافقة لما في ابن كثير فقلنا عن المسند ، والموافقة لروايي أبي داود والحاكم .
- ويؤيد صحتها أنها الموافقة لألفاظ الكتاب العزيز . قال الله تعالى : (أصحاب الجنة يودّون خيراً مستقراً وأحسن مقيلاً) [سورة الفرقان : ٢٤] .
- وانظر ما يأتي من حديث ابن مسعود : ٨٢٠٦ - ٨٢٠٨ ، ٨٢١٨ ، ٨٢١٩ . وما يأتي من حديث ابن عباس : ٨٢٠٩ - ٨٢١٣ .

٨٢٠٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير بن عبد الحميد = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة = قالاً جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق بن الأجدع قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله » الآية ، قال : أما إنا قد سألتنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله إليهم اطلاعاً فيقول : يا عبادى ، ما تشهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا ، لا فوق ما أعطيتنا ! الجنة نأكل منها حيث شئنا !^(١) ثلاث مرات = ثم يطلع فيقول : يا عبادى ، ما تشهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا ، لا فوق ما أعطيتنا ! الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تُردَّ أرواحنا في أجسادنا ،^(٢) ثم تردَّنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى تقتل فيك مرة أخرى .^(٣)

٨٢٠٧ - حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدسى قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : سألتنا

(١) قوله : « لا فوق ما أعطيتنا » ، أى لاشئ فوق ذلك . و « الجنة » قال أبوذر الحنسى : « يروى هنا بالخفس والرفع ، بخفض الجنة ، على البدل من « ما » فى قوله : ما أعطيتنا - ورفعها على خبر مبتدأ مضمر ، تقديرها هو الجنة . وجائز أن تكون على النصب أيضاً ، على تقدير « أعطيتنا الجنة » .
(٢) فى المطبوعة : إلا أنا نختار أن تردَّ أرواحنا . . . ، وفى المخطوطة : « إلا أنا نختار تردَّ أرواحنا » ، وهو تصحيف ما فى سيرة ابن هشام « نحب أن ترد » ، فأثبت ما فى السيرة ، وفى رواية مسلم « إلا أنا نريد أن ترد » ، وهما سواء .
(٣) الحديث : ٨٢٠٦ - أبو الضحى : هو مسلم بن صبيح - بالتصغير - الهمداني . مضى الكلام عليه مراراً ، آخرها : ٧٢١٧ .

والحديث سيأتى عقب هذا ، من رواية الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق .
ويأتى بعده : ٨٢٠٨ ، من رواية سليمان - وهو الأعمش - عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق .
فلا أعمش فيه شيخان . سمعه منهما عن مسروق .
وسياتى تخريجه فى الأخير .

عبد الله عن هذه الآية = ثم ذكر نحوه وزاد فيه : إلى قد قضيت أن لا ترجعوا . (١)
 ٨٢٠٨ — حدثنا ابن المنثي قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ، ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد ! قال : أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم ترجع إلى قناديلها ، فيطأسع إليها ربها فيقول : ماذا تريدون ؟ فيقولون : نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى . (٢)

٨٢٠٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبد بن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن

(١) الحديث : ٨٢٠٧ — الحسن بن أبي يحيى المقدسي ، شيخ الطبري : لم أصل إلى الآن إلى معرفته . وقد مضى كذلك من قبل في : ٧٢١٦ .
 ووقع اسمه في المطبوعة هنا : « الحسن بن يحيى العبدى » . والتصويب من المخطوطة . ومن السهل جداً على الناسخ أو الطابع سقوط كلمة « أبي » ، وتحريف كلمة « المقدسي » إلى « العبدى » إذا كانت غير واضحة الرسم .

وهذا الحديث تكرر للذي قبله من هذا الوجه ، كما قلنا .

(٢) الحديث : ٨٢٠٨ — سليمان : هو ابن مهران الأعشى .
 والحديث مكرر ما قبله باختصار ، من وجه آخر ، من رواية الأعشى عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق .

وعبد الله بن مرة الحمداني الخارقي : تابعي ثقة ، أخرج له الجماعة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٠٣ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٦٥ .

والحديث رواه مسلم ٢ : ٩٨ ، بأسانيد ، من طريق الأعشى ، عن عبد الله بن مرة ، به نحوه — أطول مما هنا .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨٤ — ٨٥ ، من رواية الأعشى ، عن عبد الله بن مرة .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٩ ، عن صحيح مسلم .

وذكره السيوطي ٢ : ٩٦ ، وزاد نسبه لعبد الرزاق في المصنف ، والفرغاني ، وسعيد بن منصور ، وهناد ، وعبد بن حيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والبيهقي في الدلائل .

ولم يروه أحد في المسند ، فيما تحقق لدى ، إلا أن يكون أثناء مسند مصابي آخر فجا بعد المسانيد التي حققها . فانه أعلم .

وسأتي مرة رابعة : ٨٢١٨ ، من رواية عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله — وهو ابن مسعود

ويأتي مرة خامسة : ٨٢١٩ ، من رواية أبي عبيد بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = على نهر
بياب الجنة = في قبة خضراء = وقال عبدة : في روضة خضراء = يخرج عليهم رزقهم
من الجنة بكرة وعشيًا . (١)

٨٢١٠ - حدثنا أبو كريب ، وأنبأنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق
قال ، حدثني الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثله = إلا أنه قال : في قبة خضراء = وقال : يخرج
عليهم فيها .

٨٢١١ - حدثنا ابن وكيع ، وأنبأنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق قال ،
حدثني الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمثله .

٨٢١٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ،
وحدثني الحارث بن الفضيل الأنصاري ، عن محمود بن لبيد الأنصاري ، عن ابن
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = نهر بياب
الجنة = في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا . ١١٤/٤

٨٢١٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني أيضاً = يعني
إسماعيل بن عياش = عن ابن إسحق ، عن الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن
لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . (٢)

٨٢١٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ،
وحدثني بعض أصحابي عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال : سمعت
جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر؟

(١) الحديث : ٨٢٠٩ - سبق هذا الحديث ، بهذا السناد : ٢٢٢٣ . وفصلنا القول فيه هناك .
وسألق عقبه - هنا - بأربعة أسانيد .

(٢) الأحاديث : ٨٢١٠ - ٨٢١٣ ، هي أربعة أسانيد ، تكرر الحديث قبلها .

قال قلت : بلى ، يا رسول الله ! قال : إن أباك حيث أصيب بأحد ، أحياء الله ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : يا رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى .^(١)

٨٢١٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا ليتنا نعلم ما فعل

(١) الحديث : ٨٢١٤ - هكذا روى ابن إسحق هذا الحديث مجهلاً شيخه الذي حدثه ، فأضعف الإسناد بذلك .

وهو في سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٧ .

وقد ورد معناه عن جابر ، بإسناد آخر صحيح :

فروى أحمد في المسند : ١٤٩٣٨ (ج ٣ ص ٣٦١ حلي) ، عن علي بن المديني ، عن سفيان - وهو ابن عيينة - عن محمد بن علي بن ربيعة - بالتصغير - السلمي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، أما علمت أن الله عز وجل أحيأ أباك ، فقال له : نعمن علي . فقال : أردت إلى الدنيا ، فأقتل مرة أخرى . فقال : إني قضيت الحكم ، أنهم إليها لا يُرجعون .

وهذا إسناد صحيح .

٢٧ . وترجمه البخاري في الكبير ١٨٣/١ - ١٨٤ باسم « محمد بن علي السلمي » . وكذلك ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٥٧ - فلم يذكروا فيه جرحاً .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٩ من رواية المسند . ثم قال : « تفرد به أحمد من هذا الوجه » . يشير بهذا إلى أن الترمذي روى معناه مطولاً ٤ : ٨٤ ، من وجه آخر ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » . ثم قال : « وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر - شيئاً من هذا » . وهو إشارة إلى حديث المسند .

وقد ذكر السيوطي الرواية المطولة ٢ : ٩٥ ، ونسبها أيضاً لابن ماجه ، وابن أبي عاصم في السنة ، وابن خزيمة والطبراني ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

وانظر المستدرک ٣ : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

والله جابر : هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ، الخزرجي ، السلمي ، صحابي جليل مشهور ، من أهل العقبة ، ومن شهد بدرًا ، وكان من النقباء . استشهد يوم أحد ، رضى الله عنه .

إخواننا الذين قتلوا يوم أحد ! فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » = كنا نحدث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم السُّترة .^(١)

٨٢١٦ - حدثت عن عمار ، وأبانا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = إلا أنه قال : تعارف في طير خضر وبيض = وزاد فيه أيضاً : وذكر لنا عن بعضهم في قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء » ، قال : هم قتلى بدر وأحد .

٨٢١٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخزومة قال : قالوا : يا رب ، ألا رسول لنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطينا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم . فأمر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله » ، الآيتين .

٨٢١٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر ، لها قتاديل معلقة بالعرش ، تسرح في الجنة حيث شاءت . قال : فاطلع إليهم ربك اطّلاعة فقال : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا تسرح في الجنة في أيّها شئنا ! ثم اطلع عليهم الثالثة فقال : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه ؟ قالوا : تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة أخرى ! فسكت عنهم .^(٢)

(١) الأثر : ٨٢١٥ - مضمي مطولاً برقم : ٢٣١٩ .

(٢) الحديث : ٨٢١٨ - هذا هو الإسناد الرابع لحديث عبد الله بن مسعود ، الذي مضى ثلاثة

أسانيد : ٨٢٠٦ - ٨٢٠٨ .

٨٢١٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : أنهم قالوا في الثالثة = حين قال لهم : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه ؟ قالوا : تقرئ نبينا عنا السلام ، وتخبره أن قد رضينا ورضى عنا . (١)

٨٢٢٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال الله تبارك وتعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، يرغب المؤمنين في ثواب الجنة ويهون عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، أى : قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون في رَوْح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه . (٢)

رواه هنا من طريق عبد الرزاق . وهو في مصنف عبد الرزاق ٣ : ١١٥ (مخطوط مصور) . بهذا الإسناد وهذا اللفظ .

ولكن ليس في نسخة المصنف كلمة « خضر » في وصف الطير .

وقوله : « ثم اطلع عليهم الثالثة » - هكذا ثبت أيضاً في المصنف ، بحذف الاطلاعة الثانية . فليس ما هنا سقطاً من الناسخين ، بل هو اختصار في الرواية .

(١) الحديث : ٨٢١٩ - هذا هو الإسناد الخامس لحديث عبد الله بن مسعود . وهو من رواية ابنه أبي عبيدة عنه .

وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : تابعي ثقة . الراجع أن اسمه كنيته . وقيل إن اسمه « عامر » . وبه ترجم في التهذيب ، وترجمه ابن سعد ٦ : ١٤٩ بالكنية . وكذلك ترجمه البخاري في الكنى ، رقم : ٤٤٧ ، وابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٤٠٣ .

وروايته عن أبيه منقطعة ، مات أبوه وهو صغير . وجزم أبو حاتم وغيره بأنه لم يسمع منه ، انظر المراسيل ، ص : ٩١ - ٩٢ . وروى الترمذي (١ : ٢٦ بشرحنا) ، بإسناد صحيح ، عن عمرو بن مرة ، قال : « سألت أبا عبيدة بن عبد الله : هل تذكر من عبد الله شيئاً ؟ قال : لا » .

والحديث - من هذا الوجه - رواه الترمذي ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة - بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، بل جعله تابعاً لرواية الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، كمثل صحيح الطبري هنا ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وقوله : « ورضى عنا » : هو بالبناء لما لم يسم فاعله . أى : رضى الله عنا . كما هو ظاهر من السياق ، وكما نص عليه شارح الترمذي .

(٢) الأثر : ٨٢٢٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تمام الآثار التي آخرها : ٨٢٠٤ .

٨٢٢١ - حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك قال : كان المسلمون يسألون ربهم أن يرهم يوماً كيوم بدر ، يملون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، يرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً » الآية .

٨٢٢٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : ذكر الشهداء فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » ، زعم أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ،^(١) في قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة ، تبيت في القناديل ، فإذا سرحن نادى متاد : ماذا تريدون؟ ماذا تشتهون ؟ فيقولون : ربنا ، نحن فيما اشتت أنفسنا ! فيسألهم ربهم أيضاً : ماذا تشتهون ؟ وماذا تريدون ؟ فيقولون : نحن فيما اشتت أنفسنا ! فيسألون الثالثة ، فيقولون ما قالوا : ولكننا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ! لما رأوا من فضل الثواب .^(٢)

٨٢٢٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا عباد قال ، حدثنا إبراهيم بن معمر ، عن الحسن قال : ما زال ابن آدم يتحمد ،^(٣) حتى صار حياً ما يموت . ثم تلا هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

٨٢٢٤ - حدثنا محمد بن مرزوق قال ، حدثنا عمر بن يونس ، عن عكرمة قال ،

(١) قوله : « زعم » ، لا يراد به القول الباطل ، بل يراد به القول الحق ، والزم : هو القول ، يكون تارة حقاً ، وتارة باطلاً ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت :

وَأِنِّي أَذِينُ لَكُمْ أَنَّهُ سَيُنْجِزُكُمْ رَبُّكُمْ مَا زَعَمَ

أى : ما قال وما وعد .

(٢) في المطبوعة : « لما يرون من فضل الثواب » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) « تحمد الرجل يتحمد » ، إذا طلب بفعله الحمد ، و « فلان يتحمد إلى الناس بفعله » ، أى يلتبس بذلك حدهم .

حدثنا إسحق بن أبي طلحة قال ، حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ، قال : لا أدرى أربعين أو سبعين . قال : وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفي ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعلوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج حتى أتى حياً منهم ، ناحتي أمام البيوت ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، ^(١) فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه ، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل ^(٢) = قال قال إسحق : حدثني أنس بن مالك : إنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآناً ، رُفع بعد ما قرأناه زماناً . ^(٣) وأنزل الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . ^(٤)

(١) البيت : يعنى الخيمة . وكسر البيت (بكسر الكاف وسكون السين) : أسفل شقة البيت التي تلى الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمين ويسار .
(٢) في المخطوطة : « فقتلهم أجمعين » ، والصواب من التاريخ وسائر المراجع .
(٣) نص ما في التاريخ :

« أنزل فيهم قرآناً : ﴿ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْلَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَارَضِينَا وَعَنَّا وَعَنِ عَنَّا ۖ ثُمَّ نَسِخَتْ فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا ۖ » .

(٤) الحديث : ٨٢٢٤ - محمد بن مرزوق - شيخ الطبري - هو محمد بن محمد بن مرزوق ، نسب إلى جده . وقد مضت له عنه رواية ، برقم : ٢٨ . مترجم في التهذيب . وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ٣ : ١٩٩ - ٢٠٠ ، وترجمه ابن أبي حاتم ٨٩/١/٤ - ٩٠ باسم « محمد بن مرزوق » . عمر بن يونس الهامي : مضى في : ٤٤٣٥ . ووقع في الأصول هنا باسم « عمرو بن يونس » ، وكذلك في تاريخ الطبري في هذا الحديث ، وكذلك في تفسير ابن كثير ، في نقله الحديث عن هذا الموضع . ولعل الخطأ في هذا يكون من الطبري نفسه ، إذ يبدو أن يخطئ الناسخون في هذه المصادر الثلاثة خطأ واحداً .

٨٢٢٥ - حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ،

وليس في الرواة - فيما أعلم - من يسمى « عمرو بن يونس » .

ورفع في الإسناد هنا - في التفسير - خطأ آخر . في المخطوطة والمطبوعة ، إذ سقط من الإسناد [عن عكرمة] بين عمر بن يونس وإسحق بن أبي طلحة . وهو ثابت في التاريخ وتفسير ابن كثير . وعكرمة هذا : هو عكرمة بن عمار اليماني ، مضت ترجمته في : ٢١٨٥ . وعمر بن يونس معروف بالرواية عنه . ولم يدرك أن يروى عن « عكرمة مولى ابن عباس » .

إسحق بن أبي طلحة : هو إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري البخاري . نسب إلى جده . وهو تابعي ثقة حجة ، أخرج له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١/١ - ٣٩٣ - ٣٩٤ ، وابن أبي حاتم ١/١ - ٢٢٦ .

وأبوه « أبو طلحة » : هو « زيد بن سهل » ، وهو أخو أنس بن مالك لأمه .

وهذا الحديث رواه الطبري أيضاً في التاريخ ٣ : ٣٦ ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير في التفسير ٢ : ٢٨٨ ، عن هذا الموضع من التفسير .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٧ : ٢٩٨ ، حيث قال : « في رواية الطبري من طريق عكرمة بن عمار ، عن إسحق بن أبي طلحة . . . » ولكن وقع فيه « عكرمة عن عمار » - وهو خطأ مطبعي واضح . ووقع في أصل الطبري هنا - المخطوط والمطبوع - : « فقال أراه أبو ملحان » . وكذلك في نقل ابن كثير عن هذا الموضع . وهو خطأ قديم من النسخين ، صوابه : « ابن ملحان » . وثبت على الصواب في التاريخ ، ومنه صححناه .

وهو « حرام بن ملحان الأنصاري » ، وهو خال أنس بن مالك ، أخو أمه « أم سليم بنت ملحان » . ولا نعلم أن كنيته « أبو ملحان » - حتى نعلم أنه ذكر هنا بكنيته . وهو مترجم في ابن سعد ٣/٢ - ٧١ - ٧٢ ، والإصابة .

وهذا الحديث - في قصة بئر معونة - ثابت عن أنس بن مالك من أوجه ، مختصراً ومطولاً .

وقد رواه أحمد في المسند : ١٣٢٢٨ ، عن عبد الصمد ، و : ١٤١١٩ ، عن عفان - كلاهما عن همام ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس (المسند ج ٣ ص ٢١٠ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ حلبي) .

ورواه أيضاً : ١٢٤٢٩ (٣ : ١٣٧ حلبي) ، من رواية ثابت ، عن أنس .

ورواه البخاري ٧ : ٢٩٧ - ٢٩٩ ، عن موسى بن إسماعيل ، عن همام ، عن إسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة «

ورواه قبله وبعده من أوجه آخر .

ورواه ابن سعد في الطبقات ٣/٢ - ٧١ - ٧٢ ، عن عفان ، كرواية المسند : ١٤١١٩ .

وقد مضى بعض معناه مختصراً ، في تفسير الطبري : ١٧٦٩ ، من رواية قتادة ، عن أنس .

وتفصيل القصة في تاريخ ابن كثير ٤ : ٧١ - ٧٤

وانظر أيضاً جوامع السيرة لابن حزم ، ص : ١٧٨ - ١٨٠ ، وما أشير إليه من المراجع في التعليق عليه هناك .

وروى أحمد في المسند ، بعض هذا المعنى ، من حديث ابن مسعود : ٣٩٥٢ .

عن الضحاك قال : لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوا ربهم فأكرمهم ، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب ، قالوا : يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أننا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ! فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم . فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » . فهذا النبأ الذي بلغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء .

• • •

وفي نصب قوله : « فرحين » وجهان .

أحدهما : أن يكون منصوباً على الخروج من قوله : « عند ربهم » : = (١)
والآخر من قوله : « يرزقون » . ولو كان رفعا بالرد على قوله : « بل أحياء فرحون » ، كان جائزاً .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يفرحون بمن لم يلاحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك =

(١) « الخروج » ، نصبها على الخروج ، يعنى على خروجها منه على الحال . انظر ما سلف : ٢٥٣ / ٦ : ٢٥٧ / ٥٨٦ ، تعليق : ٣ . ثم انظر معاني القرآن للفراء : ٢٤٧ .

= « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، يعنى بذلك : ^(١) لا خوف عليهم ، لأنهم قد آمنوا عقاب الله ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد آمنوا بالخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها ، للخفض الذى صاروا إليه والدعة والزلفة . ^(٢)

ونصب « أن لا » بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ^(٣)
وينحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحظوا بهم من خلفهم » الآية ، يقول : لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم ، لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم . ١١٦/٤

٨٢٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ، قال ، يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا ، يلحقونا فيصيرون من كرامة الله تعالى ما أصبنا .
٨٢٢٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا عن بعضهم فى قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : هم قتلى بدر وأحد ، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة ، ^(٤) جُمِلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٥١ / ٢ : ١٥٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٩ / ٥ : ٥١٩

(٢) « الخفض » : لين العيش وسعته وخصبه ، يقال : « غيش خفض ، وخافض ، وخفيض ،

ونخفض » : خصيب فى دعة ولين . و « الزلفة » : القربة والدرجة والمنزلة ، عند الله رب العالمين .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

(٤) انظر تفسير « زعم » فيما سلف قريباً ص ٣٩٢ تعليق : ١ .

الجنة ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش . فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا : أيت لإخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه ! فإذا شهدوا قتالا تعجلوا إلى ما نحن فيه ! فقال الله تعالى : إني منزل على نبيكم ونخبر لإخوانكم بالذى أنتم فيه . ففرحوا به واستبشروا ، وقالوا : يخبر الله نبيكم وإخوانكم بالذى أنتم فيه ، فإذا شهدوا قتالا أتوكم ! قال : فذلك قوله : « فرحين بما آتاهم الله من فضله » إلى قوله : « أجر المؤمنين » .

٨٢٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » ، أى : ويسرون بلحق من لحق بهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، وأذهب الله عنهم الخوف والحزن .^(١)

٨٢٣٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » ، قال : هم إخوانهم من الشهداء ممن يُستشهد من بعدهم = « لا خوف عايهم ولا هم يحزنون » حتى بلغ : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

٨٢٣١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » ، فإن الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله ، فيقال : « يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا » ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا » ، فيستبشر حين يقدم عليه ، كما يستبشر أهل الغائب بقدمه فى الدنيا .

• • •

(١) الأثر : ٨٢٢٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨٢٢٠ . ونص ابن هشام : « قد أذهب الله . . . » ، وهو أجود .

القول في تأويل قوله ﴿يَسْتَبْشِرُونَ نِعْمَةَ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « يستبشرون » ، يفرحون = « بنعمة من الله » ، يعنى : بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه = « وفضل » يقول : وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه = « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، كما : —

٨٢٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « يستبشرون بنعمة من الله وفضل » الآية ، لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب . (١)

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فقرأ ذلك بعضهم بفتح « الألف » من « أن » بمعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين .

= وبكسر « الألف » ، على الاستئناف . واحتج من قرأ ذلك بذلك بأنها في قراءة عبد الله : ﴿ وَفَضْلٍ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قالوا : فذلك دليل على أن قوله : « وإن الله » ، مستأنف غير متصل بالأول . (٢)

ومعنى قوله : « لا يضيع أجر المؤمنين » ، لا يبطل جزاء أعمال من صدق ورسوله واتبعه ، وعمل بما جاءه من عند الله .

(١) الأثر : ٨٢٣٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٨٢٢٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : « وأن الله » بفتح « الألف » ، لإجماع الحجة من القراءة على ذلك .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم .^(١)

• • •

وإنما عني الله تعالى ذكره بذلك : الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد في طاب العلو - أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش - منصرفهم عن أحد . وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على علومهم ، كالذي : -

٨٢٣٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ،

حدثني حسين بن عبد الله ،^(٢) عن عكرمة قال : كان يوم أحد [يوم] السبت للنصف من شوال ،^(٣) فاما كان الغد من يوم أحد ، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب

(١) انظر تفسير « القرخ » في سلف ٢٣٧:٧

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « حسان بن عبد الله » ، وهو خطأ ، والصواب من تاريخ الطبري . وهو « حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب » . روى عن عكرمة ، وروى عنه هشام ابن عروة ، وابن جريج ، وابن المبارك ، وابن إسحق . وهو ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب .

(٣) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري .

العدو ، وأذن مؤذنه أن : « لا يخرجن معنا أحداً إلّا من حضر يومنا بالأمس » . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خلّفنى على أخوات لى سبع ، وقال لى : « يا بنى ، إنه لا ينبغي لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوّرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ! فتخلّف على أخواتك » ، فتخلّفت لى معهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ، ليبلغهم أنه خرج فى طابهم ، ليظنوا به قوة ، وأنّ الذى أصابهم لم يوهنهم عن علومهم .^(١)

٨٢٣٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل ، كان شهد أحداً قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين : فلما أذن [مؤذن] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو ،^(٢) قلت لأخى - أوقال لى - : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ! فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكنت إذا دُلب حملته عُمبة ومثنى عُمبة ،^(٣) حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً ، الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .^(٤)

(١) الأثر : ٨٢٣٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى .

(٣) « العمبة » : قدر ما يسره الماشى ما استطاع المشى ، يريد : حملته شوطاً ، وسار شوطاً .

(٤) الأثر : ٨٢٣٤ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٧ ، ١٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ .

٨٢٣٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله تبارك وتعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع » ، أى : الجراح ، وهم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدّ من يوم أحد إلى حمراء الأسد ، على ما بهم من ألم الجراح = « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » .^(١)

٨٢٣٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع » الآية ، وذلك يوم أحد ، بعد القتل والجراح ، وبعد ما انصرف المشركون - أبو سفيان وأصحابه - فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ألا عصابة تنتدب لأمر الله ،^(٢) تطلب عدوها ؟ فإنه أنكى للعدو ، وأبعد للسمع ! فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد .

٨٢٣٧ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : انطلق أبو سفيان منصرفاً من أحد ، حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم ندموا وقالوا : بنسما صنعتم !^(٣) إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ! ارجعوا واستأصلوهم . فقفذ الله في قلوبهم الرعب ، فهزموا ، فأخبر الله رسوله ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، ثم رجعوا من حمراء الأسد ، فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع » .^(٤)

٨٢٣٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

(١) الأثر : ٨٢٣٥ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ .

(٢) في المطبوعة : « ألا عصابة تشد لأمر الله » ، ولا معنى له ، وفي المخطوطة : ألا عصابة تشد لأمر الله » ، وهو بلا ريب تصحيف ما أثبت . « ندب القوم إلى الأمر فانتدبوا » : دعاهم إليه وحشهم ، فأسرعوا إليه واستجابوا . وفضلا عن ذلك ، فهذا هو اللفظ الذى كثر وروده في أخبار حمراء الأسد .

(٣) في المخطوطة : « بنس ما صنعنا صنعتم » ، وهو سهو ، والصواب ما في المطبوعة . وانظر

ما سلف رقم : ٨٠٠٣

(٤) الأثر : ٨٢٣٧ - مضى برقم : ٨٠٠٣ ، وانظر التعليق هناك .

حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إن الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب - يعني يوم أحد - بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طارفاً، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب»! وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذى القعدة، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرع، واشتكوا ذلك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، واشتد عليهم الذي أصابهم. وإن رسول الله نذب الناس ليطلقوا معه، ١١٨/٤ ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال: إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج، ولا يقدر على مثلها حتى عام مقبل، فجاء الشيطان فخوَّف أوليائه، فقال: «إن الناس قد جمعوا لكم»! فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: «إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد»، لأحضض الناس. (١) فانتدب معه أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة ابن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح، في سبعين رجلاً، فساروا في طاب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأُنزل الله تعالى: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم».

٨٢٣٩ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هاشم بن القاسم قال، حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت لعبد الله ابن الزبير: يا ابن أختي، أما والله إن أباك وجدك - تعني أبا بكر والزبير - لمن قال الله تعالى فيهم: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع». (٢)

(١) هكذا في المخطوطة والمطبوعة «وتفسير ابن كثير ٤ : ٢٩٨ . أما الدر المنثور ٢ : ١٠١ ، فقد أسقط « لأحضض الناس » ، وأنا أرجح أن صوابها هو : « ليحضض الناس » ، ولا أشك أن هذه الكلمة ليس من لفظه صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث : ٨٢٣٩ - هاشم بن القاسم : هو أبو النضر الإمام الحافظ ، شيخ الإمام أحمد ،

٨٢٤٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرْتُ أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد ، قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم : إنهم عامدون إلى المدينة ! فقال : إن ركبوا الخيل وتركوا الأثقال ، فإنهم عامدون إلى المدينة ، وإن جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل ، فقد رعبهم الله ، ^(١) وليسوا بعامديها . فركبوا الأثقال ، فرعبهم الله . ثم ندب ناساً يتبعونهم ليروا أن بهم قوة ، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثاً ، فنزلت : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » .

٨٢٤١ - حدثني سعيد بن الربيع قال ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت لى عائشة : إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح - تعني أبا بكر والزبير . ^(٢)

ولمحقق ، وابن المديني . وهو ثقة ثبت حجة . كان أهل بغداد يفخرون به . أبو سعيد : هو المؤدب ، واسمه « محمد بن أبي الوضاح القضاعي » . وهو ثقة مأمون . والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٨ ، من طريق العباس بن محمد الدوري ، عن هاشم بن القاسم ، بهذا الإسناد . ووقع في مطبوعة المستدرك « هشام بن القاسم » ، وهو خطأ مطبعي لا شك فيه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . والحديث في الصحيحين ، كما سيأتي في الرواية الآتية : ٨٢٤١ . ولعلهما اعتبرا من المستدرك لقوله في هذه الرواية « أنها قالت لعبد الله بن الزبير » . والذي في الرواية الآتية أنها قالت لعروة بن الزبير . وهما أخوان ، والكلام لهما واحد .

ومع ذلك فإن الحاكم رواه مرة أخرى ، كرواية مسلم ، كما سيأتي .

(١) في المطبوعة : « قد أربهم الله » ، وفي المخطوطة « فقد رعبهم » كما أثبتته وهو الصواب . يقال « رعبه يرعبه » (على وزن فتح) ، و « رعبه » (مشدد العين) ، وقد نص أهل اللغة أنه لا يقال : « أربهم » . وستأتي على الصواب في السطر التالي .

(٢) الحديث : ٨٢٤١ - سعيد بن الربيع الرازي - شيخ الطبري : مضت له رواية عنه في : ٣٧٩١ ، ولم نجد له ترجمة .

والحديث تكرار للحديث السابق : ٨٢٣٩ . ولكن في هذا أن خطاب عائشة لعروة بن الزبير ، وهناك خطابها لأخيه عبد الله ، وهما ابنا أختها أسماء بنت أبي بكر .

ورواه مسلم ٢ : ٢٤١ ، بأسانيد ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، ومن رواية إسماعيل بن أبي خالد ، عن الهبي - وهو : عبد الله الهبي مول مصعب بن الزبير - عن عروة ، به ، نحوه .

٨٢٤٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول .

قال أبو جعفر : فوعد تعالى ذكره ، **مُحْسَنَ** من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، إذا اتقى الله فخافه ، فأدّى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره = « أجرًا عظيمًا » ، وذلك الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا .

القول في تأويل قوله ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » .

ورواه البخارى ٧ : ٢٨٧ ، مطولا ، من طريق أبي معاوية ، عن هشام بن عروة . ومع ذلك فإن الحاكم رواد مرة أخرى ٣ : ٣٦٣ ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، عن عروة — كرواية مسلم . ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ! وسقطت هذه الرواية من تلخيص الذهبي ، مخطوطة ومطبوعة .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٧ — ٢٩٨ رواية البخارى ، ثم أشار إلى رواية الحاكم الأولى ، وتمتبه في دعواه أن الشيخين لم يخرجاه ، بقوله : « كذا قال » . ثم أشار إلى أنه رواد ابن ماجة ، وسعيد بن منصور ، وأبو بكر الحميدى في مسنده . ثم أشار إلى رواية الحاكم الثانية .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٢ ، مطولا . وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . والبيهقى في الدلائل .

و «الذين» في موضع خفض مردود على «المؤمنين»، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول.

* * *

و «الناس» الأول، هم قوم— فيما ذكر لنا — كان أبو سفيان سألهم أن يشبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد.

و «الناس» الثاني، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد.

* * *

ويعنى بقوله: «قد جمعوا لكم»، قد جمعوا الرجال للقائكم والكرّة إليكم لحربكم = «فاخشوهم»، يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم = «فزادهم إيماناً»، يقول: فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين، يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده ووعده رسوله إلى تصديقهم، ولم يشبه ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا = ثمة بالله وتوكلا عليه، إذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين = «حسبنا الله ونعم الوكيل»، يعنى بقوله: «حسبنا الله»، كفانا الله، يعنى: يكفيننا الله = (١) «ونعم الوكيل»، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفّله.

* * *

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك، لأن «الوكيل»، في كلام العرب، هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره. فلما كان القوم الذين وصفهم ١١٩/٤ الله بما وصفهم به في هذه الآيات، قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم.

* * *

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الناس قد جمعوا لكم » .

فقال بعضهم : قيل ذلك لهم في وجههم الذين خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد إلى حمراء الأسد ، في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين . ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ، ومن قائله :

٨٢٤٣ - حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ،

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : مرَّ به - يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم - معبد الخزاعي بحمراء الأسد = وكانت خزاعة ، مسامحهم ومشرکہم ، عتيبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهامة ، ^(١) صفقتهم معه ، ^(٢)

لا يخفون عليه شيئاً كان بها = ومعبد يومئذ مشرك = فقال : والله يا محمد ، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله كان أعفأك فيهم ! ^(٣)

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، ^(٤) حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء ، قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا ! حدَّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ! ^(٥) لتكرَّن على بقيتهم ، فأنفرغنَّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً

(١) العيبة : وعاء من آدم يكون فيه المتاع . ثم أخذوا منه عل المثل قولهم : « عيبة الرجل » ، أى موضع سره ، وفي الحديث : « الأنصار كرشى وعيتى » أى : خاصتى وموضع سرى . ويقال لأهل الرجل « هم عيبته » ، من ذلك .

(٢) الصفقة : البيعة ، ثم استعملت في العهد والميثاق ، وفي الحديث : « إن أكبر الكيائز أن تقاتل أهل صفقتك » ، وذلك إذا أعطى الرجل عهده وميثاقه ثم يقاتله ، وأصل ذلك كله من الصفق باليد . لأن المتعاهدين والمتبايعين ، يضع أحدهما يده في يد الآخر . ومنه حديث ابن عمر : « أعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه » . فالصفقة المرة من التصفيق باليد .

(٣) عافاه الله وأعفاه : وهب له العافية من الملل والبلايا . وفي سيرة ابن هشام « عافاك فيهم » ، وهما سواء . وقوله : « عافاك فيهم » ، أى : صانك بما نزل بأصحابك .

(٤) في المطبوعة : « من حمراء الأسد » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري .

(٥) في المطبوعة : « أصبنا في أحد أصحابه . . . » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسيرة

قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد ، قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرّون عليكم تحرقاً ،^(١) قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط !^(٢) قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ! قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ! قال : فإنني أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ! قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْذِنُ الْأَضْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَايِلِ^(٣)
تَرْدِي بِأَسْدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَاذِلِ^(٤)

ابن هشام والتاريخ . وحد كل شيء : طرف شبابه ، كحد السكين والسيف والسنان . ومنه يقال : « حد الرجل » وهو بأسه ونفاذه في نجدته . و « رجل ذو حد » : أى بأس ماض . وقوله : « أصبنا حد أصحابه » ، أى : كسرنا حدهم وثلمناه كما يثلم السيف ، فصاروا أضعف مما كانوا .

(١) يتحرق : يتلهب من الغيظ كمثل حريق النار .

(٢) في المطبوعة : « فهم من الخنق عليكم بشيء لم أر مثله قط » ، غير ما في المخطوطة ، وهو الصواب الموافق لما في سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٣) هد البناء : ضعفه وهدمه . ومنه « هذه الأمر » إذا بلغ منه فضيعه وكسره وأوهنه . يقول : كادت تنهار راحلته من الفزع . و « الجرد » جمع أجرد : وهو القصير الشعر من الخيل ، وهو من علامات عتقها وكرمها . و « الأبايل » الجماعات المتفرقة ، واحدها « إبيل » (بكسر الهزة وتشديد الباء المكسورة) ، وقيل غير ذلك ، وقيل : هو جمع لا واحد له . وزعم معبد كثرة خيل المسلمين في مخرجهم إلى حمراء الأسد ، والذي في السير أن المسلمين كانوا في أحد ألفاً ، فهم مئة دارع . وفرسان : أحدهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر لأبي بردة بن نيار .

(٤) ردت الخيل تردى (على وزن جرى يجرى) : رجعت الأرض بحوافرها في سيرها أو عدوها . و « التنايل » جمع تنابل وتنبالة (بكسر التاء) ، وهو القصير ، والقصر ميب ، لأن المقاتل القصير لا يطول باعه إذا قاتل سيف أو رمح . وفي المطبوعة « ولا ميل معاذيل » ، كما في سيرة ابن هشام ، ولكن الذى أثبتته هو رواية الطبرى في التفسير ، وفي التاريخ . و « الخرق » جمع . خرق : وهو الأحق الذى لا وفق له في عمل . وأنا أرجح أنه أراد الصفة من قولهم : « خرق الظبي وغيره » : إذا دهش وفزع ، فلفصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ، والصفة من ذلك « خرق » على وزن « فرح » ، ولكنه جمعه على باب « أفعل » .

وأما « الميل » فهو جمع أميل : وهو الذى يميل على السرج في جانب ولا يستوى عليه ، لأنه لا يحسن الركوب ولا الفروسية . و « المعاذيل » جمع مزال : وهو الذى لا سلاح معه . وأنا أرى أن « الأميل » ،

فَظَلْتُ عَدُوًّا ، أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوُا بِرِئَاسٍ غَيْرِ غَخْدُولٍ ^(١)
 قُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْخَيْلِ ^(٢)
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسِلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِزْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ ^(٣)
 مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ ، لَا وَخْشٍ قَنَابَهُ ، وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَيْلِ ^(٤)

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرَّ به ركب من عبد القيس . فقال :

أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل

هو الذى يميل عن عدوه من الخوف و « المعزال » ، الذى يعزّل المعركة من الفرق ، فلا يكاد يقاتل ، ولا ينجذ من استغاث به .

(١) قوله : « فظلت عدوا » . أى : فظلت أعدو عدواً . و « سما الرجل لعدوه » : إذ أشرف له وقصد نحوه ، عالياً عليه .

(٢) « تغطمت القدر » : اشتد غليانها ، وبان صوتها كصوت اضطراب الأمواج . و « البطحاء » : مسيل الوادى ، فيه دقاق الحصى . و « الخيل » ، ضبطه السبيل في الروض الأنف (٢ : ١٤٤) يفتح الخاء وسكون الباء ، وقال : « قوله : بالخيل ، جعل الرفع حرف لين ، والأبيات كلها مرادة الروى بحرف مد ولين . وهذا هو السناد . . ونظيره قول ابن كلثوم : « ألا هبى بصحنك فاصحين » ثم قال : « تصفها الرياح إذا جرينا » . ودو وجه صحيح مقارب . وأما أبو ذر الخثنى فقد ضبطه « الخيل » بكسر الجيم ، وقال : « الخيل : الصنف من الناس » . وهذا لا معنى له . وهو في مطبوعة سيرة ابن هشام « الخيل » بالجيم ، وكذلك هو في تاريخ الطبرى . فلو صح أنها بالجيم ، فأننا أرى أنها جماعة الخيل ، وذلك أنهم قالوا : « الجول » (بضم الجيم) و « الجول » بفتحها : هى جماعة الخيل أو الإبل ، وقالوا أيضاً : « الجول » بضم الجيم و « الجال » و « الخيل » ناحية البئر وجانبها . فكانه قاس هذا على هذا . أو كأنه جمع جائل من قومه : « جالت الخيل بفرسانها » إذا طافت وذهبت وجاءت ، جمعه كجمع : هائم وهيم ، على شذوذه . فأما إذا كانت الرواية « الخيل » بكسر الخاء ، فهو جمع خائل أيضاً كالذى سلف ، والخائل هو الحافظ للشيء الراعى له ، من خال المال يخوله : إذا ساه وأحسن القيام عليه ، فهو خائل وخال . يقال : « من خال هذا الفرس » ، أى صاحبها القائم بأمرها .

(٣) قال أبو ذر الخثنى : « البسل : الحرام . وأراد بأهل البسل قريشاً ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام » . وقوله : « ضاحية » أى علانية من « ضحا » أى برز ، والضحية من كل شيء ما يبرز منه . فهو إما مصدر على وزن « عافية » ، أو اسم فاعل قام مقامه . و « الإربة » البصر بالأمور . و « المعقول » مصدر كالمصادر التى جاءت على وزنه ، وهو العقل .

(٤) « الوخش » : رذالة الناس وسقاطهم وصغارهم . و « القنابل » جمع قنبلة (يفتح القاف) وهى الطائفة من الناس والخيل .

أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها ، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيياً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا . نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ! فر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : ^(١) « حسبنا الله ونعم الوكيل » . ^(٢)

٨٢٤٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، و « الناس » الذين قالوا لهم ما قالوا = نفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال = إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم ! يقول الله تبارك وتعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » الآية . ^(٣)

٨٢٤٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، ١٢٠/٤

عن السدى قال : لما ندموا = يعنى أبا سفيان وأصحابه = على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : « ارجعوا فاستأصلوهم » ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزمو ، فلقوا أعرابياً فجعلوا له جُعلاً ، فقالوا له : إن لقيت محمداً وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ! فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد . فلقوا الأعرابي في الطريق ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! ثم رجعوا من حمراء الأسد . فأنزل الله تعالى فيهم وفي الأعرابي الذى لقيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

(١) أسقطت المطبوعة : « وأصحابه » ، وهى ثابتة فى التاريخ وفى المخطوطة ، وفعل الناشر ذلك ليوافق ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٢٤٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٨ - ١١٠ ، وهو بقية الأثر السالف : ٨٢٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ - ٢٩

(٣) الأثر : ٨٢٤٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨٢٣٥ .

٨٢٤٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عيراً واردة المدينة ببضاعة لهم ، ^(١) وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيال ، ^(٢) فقال : إن لكم على رضاكم إن أنتم رددتم عنى محمداً ومن معه ، إن أنتم وجدتموه في طلبى ، وأخبرتموه أنى قد جمعت له جمعاً كثيرة . فاستقبلت العيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : ^(٣) يا محمد إنا نخبرك أن أبا سفيان قد جمع لك جمعاً كثيرة ، وأنه مقبل إلى المدينة ، وإن شئت أن ترجع فافعل ! فلم يزد ذلك ومن معه إلا يقيناً ، وقالوا : ^(٤) « حسبنا الله ونعم الوكيل » . فأنزل الله تبارك وتعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » الآية .

٨٢٤٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم ، حتى كانوا بذي الحليفة ، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم : هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس ! فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . فأنزل الله تعالى فيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

* * *

وقال آخرون : بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له ، في غزوة بدر الصغرى ، وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبي سفيان وأصحابه ، للموعد الذى كان واعدته الالتقاء بها .
* ذكر من قال ذلك :

(١) « العير » (بكسر الميم) : القافلة من الإبل أو الحمير أو البغال ، تحمل عليها الميرة .

(٢) « الحيال » جمع حبل : وهو العهد .

(٣) في المطبوعة : « قالوا له » ، بحذف الفاء ، والصواب من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « ولم يزد ذلك » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

٨٢٤٨- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » ، قال : هذا أبو سفيان قال لمحمد : « موعدكم بدر^(١) حيث قتلتم أصحابنا » ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : « عسى » ! فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدر^(٢) ، فوافقوا السوق فيها وابتاعوا ، فذلك قوله تبارك وتعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ، وهي غزوة بدر الصغرى .

٨٢٤٩- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه = وزاد فيه : وهي بدر الصغرى = قال ابن جريج : لما عبى النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان ،^(١) فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش ، فيقولون : « قد جمعوا لكم » ! يكيذبونهم بذلك ، يريدون أن يرعبوهم ، فيقول المؤمنون : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، حتى قدموا بدر^(٢) ، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد .^(٣) قال : وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام ، وقال في ذلك :^(٣)

نَفَرَتْ قُلُوصِي عَنْ خِيُولِ مُحَمَّدٍ وَعَجَوَةٍ مَنثورَةٍ كَالْعُنْجُدِ
وَأَتَخَذْتُ مَاءَ قَدِيدٍ مَوْعِدِي

• • •

قال أبو جعفر : هكذا أنشدنا القاسم ، وهو خطأ ، وإنما هو :

(١) في المطبوعة : « لما عد النبي . . . » ، وفي المخطوطة « لما عبد » ، ورجحت أن صحة قراءتها ما أثبت . « عبي الجيش تبعته » : هياه وأصلح أمره وجمعه ، مثل « عباه » . ورجحت ذلك ، لأن معناه وارد في الآثار الأخرى .

(٢) قوله : « أسواقهم عافية » ، أي وافرة ، من قولهم : « أرض عافية » : لم يرع أحد نبتها ، فوفر نبتها وكثر . يعني أن الأسواق لم يحضرها أحد يزايعهم في تجارتها . وانظر الأثر الآتي رقم : ٨٢٥٢ .

(٣) هو معبد بن أبي معبد الخزاعي ، كما روى ابن هشام في سيرته ٣ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والطبري

قَدْ نَفَرْتَ مِنْ رُقُقَتَى مُحَمَّدٍ وَعَجَوْهُ مِنْ يَنْزَبِ كَالْعُنْجُدِ^(١)
 تَهْوَى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَتْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قَدِيدٍ مَوْعِدِي^(٢) ١٢١/٤
 وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضَحَى الْفَدِ^(٣)

٨٢٥٠ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كانت بدر متجراً في الجاهلية ، فخرج ناس من المسلمين يريدونه ، ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ! فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة ، وقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! فأتوهم فلم يلقوا أحداً ، فأنزله الله عز وجل فيهم : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » = قال ابن يحيى قال ، عبد الرزاق قال ، ابن عيينة : وأخبرني زكريا ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين أتى في النار ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : « إن الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش ، مُنْصَرَفَهُمْ عَنْ أَحَدٍ إِلَى حِمَاءِ الْأَسَدِ » .

- (١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٤١ ، ومعجم ما استمع : ٨٥٦ ، ٨٥٧ . وقوله : « رُقُقَتَى مُحَمَّدٍ » بالثنية ، يعنى المهاجرين والأنصار . و « العجوة » ضرب من أجود التمر بالمدينة ، ونخلته هي « اللينة » المذكورة في قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة » ، في سورة الحشر . و « يثرب » مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و « العنجد » : الزبيب الأسود .
- (٢) تهوى : تسرع ، هوت الناقة تهوى : أسرع لإسراعاً . والدين : الدأب والعادة . و « الأتلد » الأقدم ، من التلبد ، وهو القديم . و « قديد » : موضع ماء بين مكة والمدينة .
- (٣) و « ضجنان » (يفتح أوله وسكون الجيم) : وهو جبل على طريق المدينة من مكة ، بينه وبين قديد ليلة ، كما بينه هذا الشعر . قاله أبو عبيد البكري في معجم ما استمع .

لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقليلهم : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، لما قيل لهم : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ، بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكولوم بقوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » ، ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد .

وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى ، ^(١) فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمته . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج إلى بدر الحجة الثانية إليها ، لموعد أبي سفيان الذي كان واعدته اللقاء بها ، بعد سنة من غزوة أحد ، في شعبان سنة أربع من الهجرة . وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث ، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع ، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه ، ولكن قد كان قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى . وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى .

° ° °

(١) في المطبوعة : « وأما قول الذين خرجوا معه » ، وهي زيادة فاسدة ، وليست في المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ فَاتَّقَلَّبُوا نِعْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلًا لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فاتقلّبوا بنعمة من الله » ، فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، ^(١) من وجههم الذى توجهوا فيه — وهو سيرهم فى أثر عدوهم — إلى حمراء الأسد = « بنعمة من الله » ، يعنى : بعافية من ربهم ، لم يلقوا بها عدوًّا ^(٢) = « وفضل » ، يعنى : أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهن التى تجرنها ، ^(٣) الأجر الذى اكتسبه ^(٤) = « لم يمسسهم سوء » يعنى : لم ينلهم بها مكروه من عدوهم ولا أذى ^(٥) = « واتبعوا رضوان الله » ، يعنى بذلك : أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك ، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدو ، وطاعتهم = « والله ذو فضل عظيم » ، يعنى : والله ذو إحسان وطول عليهم — بصرف عدوهم الذى كانوا قد همّوا بالكركة إليهم ، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم — بنعمه ^(٦) = « عظيم » عند من أنعم به عليه من خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٨٢٥١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

(١) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

(٢) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف ٤ : ٢٧٢ .

(٣) فى المطبوعة : « اتجروا بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « تجر يتجر تجراً وتجارة » : باع واشترى ، ومثله : « اتجر » على وزن (افعل) . والثلاثى على وزن (نصر وينصر) .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ص ٢٩٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « المس » فيما سلف ٥ : ١١٨ / ٧ : ١٥٥ ، ٢٣٨ .

(٦) السياق : « والله ذو إحسان وطول . . . بنعمه » .

عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » ، قال : والفضل ما أصابوا من التجارة والأجر .

٨٢٥٢- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد قال : وافقوا السوق فابتاعوا ، وذلك قوله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » . قال : الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر = قال ابن جريج : ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل ، أصابوا عَمَقُوهُ وَغَرَّتْهُ ^(١) لا يَنَازِعُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ = قال : وقوله : « لم يمسهمْ سوء » ، قال : قتل = « واتبعوا رضوان الله » ، قال : طاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

٨٢٥٣- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله

ذو فضل عظيم » ، لما صرف عنهم من لقاء عدوهم ^(٢) .

٨٢٥٤- حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني

أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ، ولم يؤذهم أحد ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهمْ سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

٨٢٥٥- حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى - ببدر دراهم ^(٣) ، ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة ، فذلك قول الله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهمْ سوء واتبعوا رضوان الله » . أما « النعمة » فهي العافية ، وأما « الفضل » فالتجارة ، و « سوء » القتل .

* * *

(١) في المطبوعة : « وعزته » ، ولا معنى لها ، وفي المخطوطة غير منقوطة . و « الفرة » (بكسر الفين) الغفلة ، يريد خلو السوق من يذاهم فيها ، كأنهم أتوها والناس في غفلة عنها . وهو مجاز ، ومثله عيش غرير : أى ناعم ، لا يفزع أهله .

(٢) الأثر : ٨٢٥٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تنمة الآثار التي آخرها : ٨٢٤٤ .

(٣) في المطبوعة والدر المنثور « ببدر دراهم » ، وفي المخطوطة « بدر دراهم » غير منقوطة ، وأخشي أن تكون كلمة مصحفة لم أهد إليها ، وإن قرأتها « نثر دراهم » ، فلعلها ! وشيء نثر (بفتحين) متناثر . ولا أدري أيصح ذلك أو لا يصح .

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إنما الذى قال لكم ، أيها المؤمنون : « إن الناس قد جمعوا لكم » ، فخوفوكم بجهوع عدوكم ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين — أبى سفيان وأصحابه من قريش — لترهبوهم وتجنبوا عنهم ، كما : — ٨٢٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يخوف والله المؤمن بالكافر ، ويرهب المؤمن بالكافر .

٨٢٥٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، قال : يخوف المؤمنين بالكفار . ٨٢٥٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبى قال ، حدثني عمى ، قال حدثني أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يقول : الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه .

٨٢٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، أى : أولئك الرهط ، يعنى النفر من عبد القيس ، الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا ، وما ألقى الشيطان على أفواههم = « يخوف أولياءه » ، أى : يرهبكم بأوليائه .^(١)

٨٢٦٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا على بن معبد ، عن عتاب بن بشير مولى قريش ، عن سالم الأفطس فى قوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، قال : يخوفكم بأوليائه .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٥٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٣ .

وقال آخرون : معنى ذلك ، إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين ، أيها المنافقون ، في أنفسكم فتخافونه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٦١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

قال : ذكر أمر المشركين وعيظهم في أعين المنافقين فقال : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « يخوف أولياءه » ؟ وهل يخوف الشيطان أولياءه ؟ [وكيف] قيل = إن كان معناه يخوفكم بأوليائه = « يخوف أولياءه » ؟ ^(١) قيل : ذلك نظير قوله : ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الكهف : ٢] ، بمعنى : لينذركم بأسه الشديد ، وذلك أن البأس لا يُنذر ، وإنما ينذر به . ^(٢)

* * *

وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى ذلك : يخوف الناس أولياءه ، كقول القائل : « هو يعطى الدراهم ، ويكسو الثياب » ، بمعنى : هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب ، فحذف ذلك للاستغناء عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وليس الذي شبه [من] ذلك بمشبهه ، ^(٣) لأن « الدراهم » في قول القائل : « هو يعطى الدراهم » ، معلوم أن المعطى هي « الدراهم » ، وليس كذلك « الأولياء » — في قوله : « يخوف أولياءه » — مخوفين ، ^(٤) بل التخويف من الأولياء لغيرهم ، فلذلك افترقا .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وهل يخوف الشيطان أولياءه ؟ قيل إن كان معناه يخوفكم بأوليائه » وهو كلام لا يستقيم ، ورجحت أن الناسخ أسقط ما زدته بين القوسين .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ .

(٣) في المطبوعة : « الذي شبه ذلك بمشبهه » ، والذي في المخطوطة مثله إلا أنه كتب « بمشبهه » ورجحت أن الناسخ أسقط « من » فوضهها بين القوسين ، مع إثبات نص المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) السياق : « وليس كذلك الأولياء . . . مخوفين » .

القول في تأويل قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : يقول : فلا تخافوا ، أيها المؤمنون ، المشركين ، ولا يعظمن عليكم أمرهم ، ولا ترهبوا جمعهم ، مع طاعتكم إياي ، ما أطعتموني واتبعتم أمري ، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر ، ^(١) ولكن خافون واتقوا أن تعصوني وتخالقوا أمري فتهلكوا = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : ولكن خافون دون المشركين ودون جميع خلقي ، أن تخالقوا أمري ، إن كنتم مصدقوني في رسولي وما جاءكم به من عندي .

» . . .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ولا يحزنك ، يا محمد ، كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدّين على أعقابهم من أهل النفاق ، ^(٢) فإنهم لن يضرّوا الله بمسارعهم في الكفر شيئاً ، وكما أن مسارعهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بناقضته . ^(٣) كذلك مسارعهم إلى الكفر غير ضارّة ، كما : —

٨٢٦٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » ، يعني : أنهم المنافقون . ^(٤)

(١) في المخطوطة : « وإني متكفل لكم بالنصر » ، وهو خطأ فاحش ، تعالى ربنا عن أن يتكلف شيئاً ، وهو القادر الذي لا يؤوده شيء . وقد أصاب ناشر الطبعة السالفة فيما فعل .

(٢) انظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠ ، ٢٠٧ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « كما أن مسارعهم » بغير واو ، والصواب إثبات الواو .

(٤) في المطبوعة : « هم المنافقون » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ولو قرئت المخطوطة : « فهم المنافقون » ، لكان أجود .

٨٢٦٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » ، أى : المنافقون . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ الْأَلَّا يُجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر ، نصيباً فى ثواب الآخرة ، فذلك خذلهم فسارعوا فيه . ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة ، لهم عذاب عظيم فى الآخرة ، وذلك عذاب النار . وقال ابن إسحق فى ذلك بما : -

٨٢٦٤ - حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً فى الآخرة » ، أن يحبط أعمالهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدّم إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم : أن لا يحزنه مسارعهم إلى الكفر ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

(١) الأثر : ٨٢٦٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٩ .

(٢) الأثر : ٨٢٦٤ - ليس فى سيرة ابن هشام .

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ابْتَعُوا الْكُفْرَ بِإِيمَانِهِمْ فَارْتَدُوا عَنْ إِيْمَانِهِمْ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ، ^(١) وَرَضُوا بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ عَوْضاً مِنَ الْإِيْمَانِ ، لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ بِكُفْرِهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيْمَانِهِمْ شَيْئاً ، بَلْ إِنَّمَا يَضُرُّوْنَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ ، بِإِيْجَابِهِمْ بِذَلِكَ لَهَا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مَا لَا قَبِيلَ لَهَا بِهِ .

* * *

وإنما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلى هذه الآية ، عبادة المؤمنين على إخلاص اليقين ، ولا انقطاع إليه في أمورهم ، والرضى به ناصراً وحده دون غيره من سائر خلقه = ورغب بها في جهاد أعدائه وأعداء دينه ، وشجع بها قلوبهم ، وأعلمهم أن من وليه ينصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحاده ، وأن من خذله فلن ينصره ناصراً ينفعه نصره ، ولو كثرت أعوانه ونصراؤه ، ^(٢) كما : —

٨٢٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ » ، أى : المنافقين = « لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، أى : موجه . ^(٣)

٨٢٦٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : هم المنافقون .

* * *

(١) انظر تفسير « الاشتراء » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٢/٣١٥ : ٣٤١ : ٣/٣٤٢ .

(٢) في المطبوعة : « أو نصراؤه » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ٨٢٦٥ — سيرة ابن هشام : ٣ : ١٢٨ ، وهو تسمية الآثار التي آخرها : ٨٢٦٣ . وليس في سيرة ابن هشام تفسير « أليم » .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُفْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : ولا يظن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، ^(١) أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم .

* * *

وبعنى بـ « الإملاء » ، الإطالة في العمر ، والإنشاء في الأجل ، ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاهْجُرْ فِي مِيلًا ﴾ [سورة مريم : ٤٦] ، أى : حيناً طويلاً ، ومنه قيل : « عشتَ طويلاً وتمايتَ حبیباً » . ^(٢) « والملا » نفسه الدهر ، « والمملوان » ، الليل والنهار ، ومنه قول تميم بن مقبل : ^(٣)

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلٌ عَلَيْهَا بِالْبِلَى الْمَلَوَانِ ^(٤)

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف قريباً ص : ٣٨٤

(٢) في المطبوعة : « وتعلت حينا » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة : « وتعلت حنيئاً » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت . وهو قول يقال في الدعاء ، ومثله في الدعاء لمن لبس ثوباً جديداً : « أبلت جديداً ، وتعلت حبیباً » ، أى : عشت معه ملاوة من دهرك وتمتعت به .

(٣) وينسب البيت لابن أحرر ، وإلى أعرابي من بني عقيل .

(٤) سيويه ٢ : ٣٢٢ ، مجاز القرآن ١ : ١٠٩ ، والأمال ١ : ٢٣٣ ، والسمط : ٥٣٣ ، والخزانة ٣ : ٢٧٥ ، واللسان (ملل) ، وغيرها ، وسيأتي في التفسير ١٣ : ١٠٦ (بولاق) . وقد بين صاحب الخزانة نسبة هذه الأبيات وذكر الشعر المختلف فيه ، وقال إن أبيات ابن مقبل بعد هذا البيت :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالِ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ لَا هَجَرَ بَيْنَنَا وَلَكِنْ رَوَعَاتٍ مِنَ الْحَدَثَانِ
لِدُهُمَاءٍ إِذْ لِلنَّاسِ وَالْقَيْشِ غِرَّةٌ وَإِذْ خُلِقْنَا بِالصَّبَا عِمْرَانِ

قال أبو عبيد البكري : « أمل عليها » : دأب ولازم ، وقال أبو عبيدة : أى رجع عليها حتى أهلاها ، أى : طال عليها . ومنه أن أصله من « الملل » ، يقول : حتى بلغ أقصى الملل والسآمة .

يعنى : « الملوان » ، الليل والنهار .

وقد اختلفت القراءة فى قراءة قوله : « وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ

خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ » . ١٢٤/٤

فقرأ ذلك جماعة منهم : ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ ﴾ ، بالياء ، وافتح « الألف » من قوله :

﴿ أَنَّمَا ﴾ ، على المعنى الذى وصفتُ من تأويله .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ ﴾ بالتاء و ﴿ أَنَّمَا ﴾ أيضاً يفتح « الألف » من

« أَنَّمَا » بمعنى : ولا تحسبن ، يا محمد ، الذين كفروا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ .

* * *

فإن قال قائل : فما الذى من أجله فتحت « الألف » من قوله : « أَنَّمَا » فى قراءة

من قرأ بالتاء ، وقد علمت أن ذلك إذا قرئ بالتاء فقد أعملت « تحسبن » ، فى

« الذين كفروا » ، وإذا أعملتها فى ذلك ، لم يجوز لها أن تقع على « أَنَّمَا » ، لأن « أَنَّمَا »

إنما يعمل فيها عاملٌ يعمل فى شيئين نصباً ؟

قيل : أما الصواب فى العربية ووجهُ الكلام المعروف من كلام العرب ، كسر

« إن » إذا قرئت « تحسبن » بالتاء ، لأن « تحسبن » إذا قرئت بالتاء فلإنها قد

نصبت « الذين كفروا » ، فلا يجوز أن تعمل ، وقد نصبت اسماً ، فى « أن » .

ولكنى أظن أن من قرأ ذلك بالتاء فى « تحسبن » وفتح الألف من « أَنَّمَا » ، إنما

أراد تكرير تحسبن على « أَنَّمَا » ، كأنه قصد إلى أن معنى الكلام : ولا تحسبن ،

يا محمد أنت ، الذين كفروا ، لا تحسبن أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ، كما قال جل

ثناؤه : ﴿ قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ [سورة محمد : ١٨] ، بتأويل :

هل ينظرون إلا الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيتهم بغتة .^(١) وذلك وإن كان وجهها

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٠٨ ، ١٠٩ .

جائزاً في العربية ، فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالياء من «يحسبن» وافتح الألف من «أنما» ، على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم ، ثم يعمل في «أنما» نصباً لأن «يحسبن» حيث لم يشغل بشيء عمل فيه ، وهي تطلب منصوبين .

وإنما اخترنا ذلك لإجماع القراءة على فتح «الألف» من «أنما» ، الأولى ، فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة في «يحسبن» بالياء لما وصفنا .

وأما ألف «إنما» الثانية ، فالكسر على الابتداء ، بإجماع من القراءة عليه .

* * *

وتأويل قوله : «إنما نعلمهم ليزدادوا إثماً» ، إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثماً ، يقول : ليكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر = «ولهم عذاب مهين» ، يقول : ول هؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة .^(١)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الأثر .

٨٢٦٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

عن الأعمش ، عن خيشمة ، عن الأسود قال ، قال عبد الله : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها . وقرأ : «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملئ لهم خير» لأنفسهم إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً» ، وقرأ : ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٨] .^(٢)

* * *

(١) انظر تفسير «مهين» فيما سلف ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨

(٢) الحديث : ٨٢٦٧ — عبد الرحمن : هو ابن مهدي . وسفيان : هو الثوري .

خيشمة : هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي . وهو تابعي ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .
الأسود : هو ابن يزيد النخعي .

وهذا الحديث ، وإن كان موقوفاً لفظاً ، فإنه — عندنا — مرفوع حكماً ، لأنه مما لا يدرك بالرأى .

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين » ، ما كان الله ليدع المؤمنين ^(١) = « على ما أنتم عليه » من التباس المؤمن منكم بالمنافق ، فلا يعرف هذا من هذا = « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يعنى بذلك : « حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر الكفر ^(٢) = « من الطيب » ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان . ^(٣) بالحن والاختبار ، كما ميّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم .

• • •

واختلف أهل التأويل في « الخبيث » الذى عنى الله بهذه الآية .

فقال بعضهم فيه ، مثل قولنا .

• ذكر من قال ذلك :

٨٢٦٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثني أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قول الله : « ما كان الله ليدر المؤمنين على

وسياق مرة أخرى : ٨٣٧٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن الثوري ، هذا الإستاد .

ورواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٩٨ ، من رواية جرير ، عن الأعشى ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من طريق أبي معاوية ، عن الأعشى ، به ، نحوه . ثم قال : « وكذا رواه عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن الأعشى ، به » .

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٤ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حيد ، وأبي بكر المروزي في الخناظر ، وابن المنذر ، والطبراني .

وسياق نحو معناه ، من حديث أبي الدرداء : ٨٣٧٥ .

(١) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ٦ : ٢٢ .

(٢) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٩ .

(٣) انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ ، ٥٥٥ : ٦/٥٥٦ ، ٣٦١

ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ميز بينهم يوم أحد ، المنافق من المؤمن .

٨٢٦٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ابن جريج ، يقول : ليبين الصادق بإيمانه من الكاذب = قال ابن جريج ، قال مجاهد : يوم أحد ، ميز بعضهم عن بعض ، المنافق عن المؤمن .

٨٢٧٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، أي : المنافقين .^(١)
 وقال آخرون : معنى ذلك : حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد .

• ذكر من قال ذلك :

٨٢٧١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه » ، يعني الكفار - يقول : لم يكن الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يميز بينهم في الجهاد والهجرة .

٨٢٧٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : حتى يميز الفاجر من المؤمن .

٨٢٧٣ - حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من

(١) الأثر : ٨٢٧٠ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو جزء من الأثر السالف رقم : ٨٢٦٥ ، وقصة الآثار التي قبله من تفسير ابن إسحق . وكان في المطبوعة هنا « المنافق » ، والصواب من المخطوطة ، والأثر السالف ، وسيرة ابن هشام .

الطيب » ، قالوا: «إن كان محمدٌ صادقاً، فلا يخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر» !!
فأنزل الله : « ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب » ، حتى يخرج المؤمن من الكافر .

* * *

قال أبو جعفر : والتأويل الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبلها في ذكر
المنافقين ، وهذه في سياقها . فكونها بأن تكون فيهم ، أشبه منها بأن تكون في غيرهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم بما : —

٨٢٧٤ — حدثنا به محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدي : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ، وما كان
الله ليطلع محمداً على الغيب ، ولكن الله اجتباه فجعله رسولا .

* * *

وقال آخرون بما : —

٨٢٧٥ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما

كان الله ليطلعكم على الغيب » ، أى : فيما يريد أن يتليكم به ، لتحذروا ما يدخل

عليكم فيه = « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » ، يعلمه . (١)

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله : وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمنين منهم من المنافق والكافر ، ولكنه يميز بينهم بالحن والابتلاء = كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد = وجهاد عدوه ، وما أشبه ذلك من صنوف الحن ، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم . غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه ، فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم ، بوجيه ذلك إليه ورسالته ، كما : —

٨٢٧٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » ، قال : يخلصهم لنفسه .

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لأن ابتداءها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده (٢) — يعني بغير محن — حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم . ثم عقب ذلك بقوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » . فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر ، دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم ، إلا بالذي ذكر أنه مميّز به نعتهم ، إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه .

(١) الأثر : ٨٢٧٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تمة الآثار التي آخرها : ٨٢٧٠ ، وكان في المطبوعة : « يعلمه » بالياء في أوله ، والصواب من سيرة ابن هشام ، ونصه : « أى : يعلمه ذلك » ، أما المخطوطة ، فالكلمة فيها غير منقوطة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة « وأبتدأها خبر من الله » ، وهو سياق لا يستقيم ، والظاهر أن ناسخ المخطوطة لما نسخ ، أشكل على بصره ، « الآية » ثم « لأن » بعقبها . فأسقط « لأن » ، وكتب « وأبتدأها » ، ورسم الكلمة في المخطوطة « وأبتدأها » ، فلذلك رجحت ما أثبتته ، وإن كان ضبط السياق وحده كافياً في الترجيح .

القول في تأويل قوله ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : (١) « وإن تؤمنوا » ، وإن تصدقوا من اجتهيته من رُسلى بعامى وأطلعته على المنافقين منكم = « وتتقوا » ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه = « فلكم أجر عظيم » ، يقول : فلكم بذلك من إيمانكم واتفائكم ربكم ، ثواب عظيم ، كما : —
٨٢٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فآمِنُوا بِاللَّهِ ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا » ، أى : ترجعوا وتوبوا = « فلكم أجر عظيم » . (٢)

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتُمْ أَعْتَمِدُوا مِنَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك :
فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾
بالتاء من « تحسبن » .

وقرأه جماعة أخرى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ بالياء . (٣)

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله » ، وإقحام « بذلك » مفسدة وهجنة في الكلام ، فأسقطها ، وهى سبق قلم من الناسخ .
(٢) الأثر : ٨٢٧٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تنمة الآثار التى آخرها : ٨٢٧٥ .
(٣) في المطبوعة والمخطوطة فى ذكر هاتين القراءتين ، كتب القراءة الأولى « ولا يحسبن » بالياء ،

ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك .

فقال بعض نحوي الكوفة: ^(١) معنى ذلك: لا يحسبن الباخلون البخل هو خيراً لهم = فاكثني بذكر « يبخلون » من « البخل » ، كما تقول : « قدم فلان فسررت به » ، وأنت تريد : فسررت بقدمه . و« هو » ، عماد ^(٢) .

١٢٦/٤

* * *

وقال بعض نحوي أهل البصرة: إنما أراد بقوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم » ^(٣) = « لا يحسبن البخل هو خيراً لهم » ، ^(٤) فألقى الاسم الذي أوقع عليه « الحسبان » به ، هو البخل ، لأنه قد ذكر « الحسبان » وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما . ^(٥)

والقراءة الثانية « ولا تحسبن » بالتاء . وهو خطأ بين جدأ ، لأنه عقب على هذه القراءة الأخيرة بقوله : « ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك » ، واختلافهم كما ترى في قراءة « الياء » لا « التاء » ، فن أجل ذلك صححت مكان القراءتين ، كما أثبتنا ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

(١) هو الفراء .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وهو نص كلامه ، و « العماد » عند الكوفيين ، هو ضمير الفصل عند البصريين ، ويسمى أيضاً « دعامة » و « صفة » ، انظر ما سلف ٢ : ٣١٢ ، تعليق ٢ / ثم ص ٣١٣ / ثم ص ٣٧٤ .

(٣) في المطبوعة : « ولا تحسبن » بالتاء ، والصواب بالياء كما أثبتنا . وانظر التعليق السالف . وهي في المخطوطة غير منقوطة .

(٤) وكان في المطبوعة أيضاً : « ولا تحسبن البخل » ، بالتاء ، والصواب بالياء ، وانظر التعليق السالف .

(٥) هكذا جاءت هذه الجملة من أولها ، وهي مضطربة أشد الاضطراب ، وكان في المطبوعة : « به وهو البخل » بزيادة واو ، ولكني أثبت ما في المخطوطة كما هو على اضطراب الكلام . وقد جهدت أن أجد إشارة في كتب التفسير وإعراب القرآن ، إلى هذا الذي قاله البصري فيما رواه أبو جعفر ، فلم أجد شيئاً ، وأرجح أن الناسخ قد أسقط من الكلام سطراً أو بعضه ، وأرجح أن سياق الجملة من أولها ، كان هكذا :

« وقال بعض نحوي أهل البصرة: إنما أراد بقوله: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ) = « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، لا يحسبن البخل هو خيراً لهم = فألقى « الحسبان » الثاني ،

قال: وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا ، قال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل ﴾ ولم يقل : « ومن أنفق من بعد الفتح » ، لأنه لما قال : ﴿ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، كان فيه دلائل على أنه قد عناهم .

• • •

وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة : إن « مَنْ » في قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ في معنى جمع . ومعنى الكلام : لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم ، فكيف من أنفق من بعد الفتح ؟ فالأول مكتف . وقال : في قوله : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » محذوف ، غير أنه لم يحذف إلا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف ، لأن « هو » عائد البخل ، و « خيراً لهم » عائد الأسماء ، فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله : « يبخلون » من « البخل » . قال : وهذا إذا قرئ بـ « التاء » ، فـ « البخل » قبل « الذين » ، وإذا قرئ بـ « الياء » ، فـ « البخل » بعد « الذين » ، وقد اكتفى بـ « الذين يبخلون » ، من « البخل » كما قال الشاعر : (١)

وَأَلْقَى الْأَسْمَ الَّذِي أَوْقَعَ عَلَيْهِ « الْحَسْبَان » . وما وقع « الحسبان » به هو البخل = لأنه قد ذكر « الحسبان » ، وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما . ويكون القائل : من أهل البصرة ، قد عني أن هذه الآية شبيهة بالآية في سورة آل عمران : ١٨٨ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

إذ كرر « لا تحسبن » تأكيداً لما طال الكلام ، وهو صحيح كلام العرب وصريحه . فذلك هو في هذه الآية ، على ما أرجح أن البصري قال ، كرر « الحسبان » ، ولكنه حذف « الحسبان » الذي كرره ، وأبقى الأول الذي ألبأ إلى التكرار والتوكيد .

ويعني بقوله : « أضمرهما » ، « الحسبان » الثاني في تأويله ، و « البخل » ، ولم أجد وجهاً يستقيم به الكلام غير هذا الوجه ، فإن أصبت فيحمد الله وتوفيقه ، وإن أخطأت ، فأسأل الله المغفرة بفضله . (١) لم يعرف قائله .

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَىٰ إِلَيْهِ وَخَالَفَ ، وَالسَّفِيهُ إِلَىٰ خِلَافٍ^(١)

كأنه قال : جرى إلى السفه ، فاكثفى عن « السفه » بـ « السفيه » ، كذلك اكثفى بـ « الذين يبخلون » ، من « البخل » .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي ، قراءة من قرأ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بالتاء ، بتأويل : ولا تحسبن ، أنت يا محمد ، بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم = ثم ترك ذكر « البخل » ، إذ كان في قوله : « هو خيراً لهم » دلالة على أنه مراد في الكلام ، إذ كان قد تقدمه قوله : « الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » .

ولنما قلنا : قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء ، لأن « المحسبة » من شأنها طلب اسم وخبر ، فإذا قرئ قوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون » بالياء : لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله : « هو خيراً لهم » خبراً عنه . وإذا قرئ ذلك بالتاء ، كان قوله : « الذين يبخلون » اسماً له قد أدّى عن معنى « البخل » الذى هو اسم المحسبة المتروك ، وكان قوله : « هو خيراً لهم » خبراً لها ، فكان جارياً مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح . فلذلك اخترنا القراءة بـ « التاء » في ذلك على ما بيناه ، وإن كانت القراءة بـ « الياء » غير خطأ ، ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب .

• • •

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية الذى هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك : ولا تحسبن ، يا محمد ، بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال ، فلا يخرجون منه حق الله الذى فرضه عليهم فيه من الزكوات ، هو خيراً

(١) معاني القرآن للقراء : ١٠٤ ، ٢٤٩ ، أمالي الشجرى : ١ ، ٦٨ ، ١١٣ ، ٢/٣٠٥ :

١٣٢ ، ٢٠٩ ، والإنصاف : ٦٣ ، والخزانة : ٢ ، ٣٨٣ ، وسائر كتب النحاة .

لهم عند الله يوم القيامة ، بل هو شر لهم عنده في الآخرة ، كما : —
 ٨٢٧٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا
 أسباط ، عن السدي : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
 خيراً لهم بل هو شر لهم » ، هم الذين آتاهم الله من فضله ، فبخلوا أن ينفقوها في
 سبيل الله ، ولم يؤدوا زكاتها .

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في
 التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته .
 * ذكر من قال ذلك :

٨٢٧٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،
 حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
 الله من فضله » إلى « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، يعني بذلك أهل الكتاب ،
 ١٢٧/٤ أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس .

٨٢٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
 فضله » ، قال : هم يهود ، إلى قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٤] . (١)

* * *

وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية ، التأويل الأول ، وهو أنه معنى بـ « البخل »
 في هذا الموضع ، منع الزكاة ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنه تأول قوله : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، قال : البخل الذي منع
 حق الله منه ، أنه يصير ثعباناً في عنقه = ولقول الله عقيب هذه الآية ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ
 قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، فوصف جل ثناؤه قول المشركين من

(١) تركت الآية في هذه الآثار على قراءة أبي جعفر « ولا تحسبن » بالناء ، وقراءة مصحفنا اليوم

« ولا يحسبن » بالياء .

اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة ، أن الله فقير* .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « سَيُطَوَّقُونَ » ، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة ، طوقاً في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة ، كالذى : —

٨٢٨١ — حدثني الحسن بن قزعة قال ، حدثنا مسلمة بن علقمة قال ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة ، عن أبي مالك العبدى قال : ما من عبد يأتيه ذو رَحِمٍ له ، يسأله من فضلٍ عنده فيبخل عليه ، إلا أخرج له الذى بَخِلَ به عليه شجاعاً أقرع .^(١) قال : وقرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » إلى آخر الآية .^(٢)

(١) « الشجاع » : الحية الذكر ، وهو ضرب من الحيات خيث مارد . و « أقرع » صفة من صفات الحيات الخبيثة ، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية ، وكثر سمه ، جمعه في رأسه حتى تتمط منه فروة رأسه .
(٢) الحديث : ٨٢٨١ — الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي ، شيخ الطبري : ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٤/٢/١ .

و « قزعة » : بفتح القاف والزاي ، وقيل : بسكون الزاي . انظر المشتبه ، ص ٤٢٥ . واقتصر الحافظ في تحريره على الفتح .

مسلمة — بفتح الميم — بن علقمة المازني : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وضعفه أحمد . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٣٨٨/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٦٧/١/٤ — ٣٦٨ . ولم يذكر فيه البخاري جرحاً . فهو ثقة عنده .

داود : هو ابن أبي هند .

أبو قزعة : هو سويد بن حجير — بالتصغير فيهما — بن بيان ، الباهلي البصري . وهو تابعي ثقة ، وثقه أحمد ، وابن المديني ، وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٤٨/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١ — ٢٣٥ — ٢٣٦ .

وسها الحافظ في الإصابة ١ : ٣٣١ ، في ترجمة أبيه ، فذكر أنه « ذهل » ، والمصادر كلها على أنه « باهل » .

وسأق : في : ٨٢٨٣ « عن أبي قزعة حجير بن بيان » ؛ وهو خطأ صرف ؛ كما سنبينه هناك ، إن شاء الله .

أبو مالك العبدى : لا ندري من هو ؟ ولا ندري : أهو صحابي أم تابعي ؟ فاعلمت أحداً ترجمه ،

٨٢٨٢ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة ، عن رجل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من ذى رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه . (١)

٨٢٨٣ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة حجر بن بيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ذى رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله إياه ، فيبخل به عليه ، إلا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه . ثم قرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى إلى قوله : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » . (٢)

إلا الحافظ في الإصابة ٧ : ١٦٩ ، بنى ترجمته على هذا الحديث عند الطبرى وحده : فأشار إلى هذه الرواية ، وإلى الرواية التالية « عن أبي قزعة ، عن رجل » ، وذكر أن الثعلبي رواها : « عن رجل من قيس » . وإلى الرواية الثالثة : « عن أبي قزعة ، مرسل » . ثم قال : « وأبو قزعة : تابعى بصري مشهور ، لكنه كان يرسل عن الصحابة . فهو على الاحتمال » .

يعنى الحافظ : أنه من المحتمل أن يكون « أبو مالك العبدى » هذا صحابياً ، لأن أبا قزعة يروى عن الصحابة ويرسل الرواية عنهم ! وما يمثل هذا تثبت الصحة ، ولا يمثل بثبت وجود الشخص والصفة معاً ! خصوصاً وأنه في الرواية التالية « عن رجل » — لم يزعم أنه من الصحابة ، ولم يقل ما يشير لذلك .

فلا يزال — بعد هذا — الحديث ضعيفاً ، لأنه لم يعرف أن راويه عن رسول الله صحابى .

وقد أشار ابن كثير ٢ : ٣٠٧ إلى هذه الروايات الثلاث عند الطبرى ، ولم ينسبها لغيره .

ولا نعلم أحداً رواها غير الطبرى ، إلا إشارة الحافظ في الإصابة لرواية الثعلبي .

(١) الحديث : ٨٢٨٢ — عبد الأعلى : هو ابن عبد الأعلى ، القرشي السامي ، من بني « سامة ابن لؤى » . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .

والحديث مكرر ما قبله .

« تلمظت الحية » ، إذا أخرجت لسانها كتلمظ الآكل ، وهو تحريك اللسان في الفم ، والتمطق بالشفقين .

(٢) الحديث : ٨٢٨٣ — هكذا ثبت في المخطوطة والمطبوعة : « عن أبي قزعة حجر بن بيان » ،

وهو خطأ من وجهين :

فأولاً « حجر » ، صوابه « حجير » بالتصغير ، وقد وقع هذا الخطأ في الإصابة أيضاً ، في

٨٢٨٤ - حدثني زياد بن عبيد الله المرّي قال ، حدثنا مروان بن معاوية =
 وحدثني عبد الله بن عبد الله الكلّابي قال ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي =
 وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد ،
 واللفظ ليعقوب = جميعاً ، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه ،
 عن جده قال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يأتي رجل مولاة فيسأله
 من فضل مال عنده ، فيمنعه إياه ، إلا دُعِيَ له يوم القيامة شجاعٌ يتلَمَّظُ فضله
 الذي منع . (١)

ترجمة « أبي مالك العبدى » : « عن أبي قزعة سويد بن حجر » . وهو خطأ ناسخ أو طابع ، لاشك في ذلك
 لأن الحافظ ترمي لأبي قزعة في التهذيب وغيره على الصواب « سويد بن حجر » .
 وثانياً : سقط هنا بين الكنية والاسم كلمة « بن » . لأن « حجير بن بيان » - هو والد أبي قزعة ،
 وليس اسمه .

وأبو « حجير بن بيان » : مذكور في الصحابة . مترجم في الاستيعاب ، رقم : ٥٤٢ ، وأسد الغابة
 ١ : ٣٨٧ ، والإصابة ١ : ٣٣٠ - ٣٣١ ، وابن أبي حاتم ٢/١ / ٢٩٠ . وهو عندهم جميعاً
 بالتصغير نصاً .

وسمها الحافظ ابن كثير ، ولم يراجع المصادر ! فاعتر هذه الرواية المغلوطة من وجهين - فذكر في
 هذه الروايات : « عن أبي قزعة » ، واسمه حجر بن بيان ! ! فزاد على الخطأ الذي في أصول الطبري بحذف
 « بن » - فصرح بأن هذا اسم أبي قزعة ! وما كان ذلك في رواية ولا قول قط .

والسيوطي تبع الحافظ ابن كثير ، ثم زاد خطأ على خطأ ، فذكر الحديث ٢ : ١٠٥ ، ونسبه
 لابن أبي شيبة في مسنده ، وابن جرير « عن حجر بن بيان » ! !

(٦) الحديث : ٨٢٨٤ - هذا الحديث رواه الطبري عن ثلاثة شيوخ : زياد بن عبيد الله المرّي ،
 وعبد الله بن عبد الله الكلّابي - وهذان لم أعرفهما ، ولم أجد لواحد منهما ترجمة ولا ذكراً في غير هذا الموضع .
 ثم إن في المطبوعة بدل « عبد الله بن عبد الله الكلّابي » : « محمد بن عبد الله » ! وهو أشد جهالة من ذلك .
 وفي لسان الميزان ٢ : ٤٩٥ ، ترجمة : « زياد بن عبد الله بن خزاعي ، عن مروان بن معاوية .
 قال ابن حبان في الثقات : حدثنا عنه شيوخنا ، ربما أغرب » .

فن المحتمل أن يكون هذا الشيخ هو شيخ الطبري « زياد بن عبيد الله الكلّابي » ، وأن يكون « عبيد الله »
 محرفاً في طبعة اللسان إلى « عبد الله » .

والشيخ الثالث : يعقوب بن إبراهيم ، وهو الدورقي الحافظ ، مضى مراراً ، آخرها : ٣٧٢٦ .
 وأسانيده صحاح ، على الرغم من جهالة شيخى الطبري الأولين ، اكتفاء برواية الحافظ الدورقي .
 ولأن الحديث ثابت عن شيوخ آخرين عن بهز بن حكيم ، كما سنذكر في التخريج ، إن شاء الله .
 وقد بينا فيما مضى رقم : ٨٧٣ صحة إسناد بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

٨٢٨٥ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : ثعبان ينقر رأس أحدهم ، يقول : أنا مالك الذى بخلت به ! (١)
 ٨٢٨٦ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت أبا وائل يحدث : أنه سمع عبد الله قال فى هذه الآية : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : شجاع يلتوى برأس أحدهم .
 ٨٢٨٧ - حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة قال ، حدثنا خلاد بن أسلم قال ، أخبرنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بمثله - إلا أنهما قالوا : قال : شجاع أسود .
 ٨٢٨٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ،

والحديث رواه أحمد فى المسند ، عن عبد الرزاق عن معمر ، وعن يزيد - وهو ابن هرون ، وعن يحيى بن سعيد : ثلاثهم عن بهز بن حكيم ، بهذا الإسناد .

ورواه النسائي ١ : ٣٥٨ ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عن بهز .
 ومن عجب أنه - وهو فى المسند وسنن النسائي - لا ينسبه الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٧ ، إلا لابن جرير وابن مردويه !

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبه لأبي داود ، والترمذي وحسنه ، والبيهقي فى الشعب .

وذكره المنذرى فى الترهيب والترهيب ٢ : ٣٣ ، ونسبه لأبي داود ، والترمذي ، والنسائي .

(١) الحديث : ٨٢٨٥ - عبد الرحمن : هو ابن مهدى . وسفيان : هو الثورى . وأبو إسحق : هو السبيعي .

وهذا الحديث لفظه هنا موقوف على ابن مسعود . وهو فى معناه مرفوع . وهو أيضاً مختصر اللفظ . وقد رواه الطبري هكذا ، مختصراً موقوفاً ، بأسانيد : ٨٢٨٥ - ٨٢٨٨ ، ٨٢٩٢ . ثم رواه أثناء ذلك : ٨٢٨٩ ، مرفوعاً بلفظ أطول .

ورواه أيضاً الحاكم فى المستدرک ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ ، من طريق أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحق ، ومن طريق الثورى ، عن أبي إسحق - موقوفاً ، بنحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وقد تساهل الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٦ فأشار إلى رواية الحاكم هذه ، عقب رواية الحديث المرفوع من مسند أحمد - بصيغة توهم أن رواية الحاكم مثل رواية المسند مرفوعة .

ثم زاد القارئ لبساً ، إذ قال عقب ذلك : « ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود - موقوفاً ! فهذا السياق عقب ذكر رواية الحاكم ، يقع فى وهم الناظر أنها مرفوعة ! ! وليست كذلك .

عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : ينجىء ماله يوم القيامة ثعباناً فينقر رأسه فيقول : أنا مالك الذى بخلت به ! فينطوى على عنقه .

٨٢٨٩ - حدثت عن سفيان بن عيينة قال ، حدثنا جامع بن أبي راشد وعبد الملك ١٢٨/٤ ابن أعين ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله ، إلا مثل له شجاع أقرع يطوقه .^(١) ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » ، الآية .^(٢)

(١) « مثل له » : انتصب له مائلاً ، قائماً .

(٢) الحديث : ٨٢٨٩ - هكذا أهم الطبري شيخه في هذا الإسناد . ولكن الحديث ثابت برواية الثقات عن ابن عيينة ، كما ستذكر في التخريج ، إن شاء الله .
جامع بن أبي راشد الكاهل الصيرفي ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وأخرج له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٤٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٥٣٠/١/١ .
ووقع هنا في نسخ الطبري : « جامع بن شداد » . وهو خطأ ، فليس لجامع بن شداد في هذا الحديث رواية ، فيما أعلم - كما يتبين من التخريج .

ثم إن جامع بن شداد قديم الوفاة ، لم يدركه ابن عيينة ولا روى عنه . لأنه ولد سنة ١٠٧ ، وابن شداد مات سنة ١٠٧ وقيل سنة ١٠٨ . وأما ما وقع في ترجمته في التهذيب ٢ : ٥٦ ، في الأقوال في سنى وفاته ، بين : ١٢٨ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، فإنه غلط ، بعضه من الحافظ المزى في التهذيب الكبير ، وبعضه من نسخ تهذيب التهذيب . وقد ثبتت هذه الأرقام على الصواب بالكتابة بالحروف في الكبير للبخارى ٢٣٩/٢/١ - ٢٤٠ ، والصغير ، ص : ١٣٢ ، وابن سعد ٦ : ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

عبد الملك بن أعين الكوفي : تابعي ثقة . وقد تكلم فيه بأنه شيعي ، ولكن لم يقدمه أحد عن الصدق . وأخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٤٣/٢/٢ . وذكره البخارى في الضعفاء ، ص : ٢٢٢ ، فقال : « عبد الملك بن أعين ، وكان شيعياً . روى عنه ابن عيينة وإسماعيل ابن سميع . يحمّل في الحديث » . فلم يجرحه في صدقه وروايته ، ولذلك أدخله في صحيحه .
والحديث رواه أحمد في المسند : ٣٥٧٧ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن جامع ، وهو ابن أبي راشد ، عن أبي وائل ، به ، نحوه ، مرفوعاً .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٥ ، وابن ماجه : ١٧٨٤ ، كلاهما عن ابن أبي عمر . والنسائي ١ : ٣٣٣ - ٣٣٤ ، عن مجاهد بن موسى - كلاهما عن سفيان بن عيينة ، به . ولكن زاد الترمذى وابن ماجه في روايتهما : أنه عن جامع بن أبي راشد وعبد الملك بن أعين - كرواية الطبري هنا . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٠٦ ، من رواية المسند ، ثم ذكر أنه رواه الترمذى ، والنسائي ، وابن ماجه وذكره السيوطى ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن خزيمة ، وابن المنذر .

٨٢٩٠- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثني أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أمّا «سيطوقون ما بخلوا به » ، فإنه يجعل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع يطوقه ، فيأخذ بعنقه ، فيتبعه حتى يقذفه في النار .

٨٢٩١- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم ، عن أبي وائل قال : هو الرجل الذي يرزقه الله مالاً فيمنع قرابته الحق الذي جعل الله لهم في ماله ، فيجعل حية فيطوقها ، فيقول : مالي و لك ! فيقول : أنا مالك !

٨٢٩٢- حدثنا المنثي قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسروق قال : سألت ابن مسعود عن قوله : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : يطوقون شجاعاً أقرع ينهش رأسه . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، فيجعل في أعناقهم طوقاً من نار .

• ذكر من قال ذلك :

٨٢٩٣- حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : طوقاً من النار .

(١) الحديث : ٨٢٩٢- أبو غسان : هو مالك بن إسماعيل بن درهم الهدي الحافظ . مضت ترجمته في : ٢٩٨٩ .

إسرائيل : هو ابن يونس بن أبي إسحق السبيعي .

حكيم بن جبير الأسدي : ضعيف ، بينا ضعفه في شرح المسند : ٣٦٧٥ . وهو مترجم في التهذيب والكبير للبخاري ١٦/١/٢ ، والصغير ، ص : ١٥٠ ، ١٥٢ ؛ والضعفاء له ص : ١٠ ، والنسائي . ص : ٩ ، وابن أبي حاتم ٢٠١/٢/١-٢٠٢ .

وهذا اللفظ موقوف على ابن مسعود . وضعف إسناده لا يضر ، فقد مضى موثقاً بأسانيد صحاح : ٨٢٨٥-٨٢٨٨ ، ومرفوعاً : ٨٢٨٩ .

٨٢٩٤ — حدثنا ابن المني قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية: « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : طوقاً من نار .

٨٢٩٥ — حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « سيطوقون » ، قال : طوقاً من نار .

٨٢٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : طوقاً من نار . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سيجمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ، ما كتموا من ذلك .
• ذكر من قال ذلك :

٨٢٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، ألم تسمع أنه قال : ﴿ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [سورة النساء : ٣٧ / سورة الحديد : ٢٤] ، (٢) يعني أهل الكتاب . يقول : يكتمون ، ويأمرون الناس بالكتمان .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سيكافئون يوم القيامة أن يأتوا بما بَخِلُوا به في الدنيا من أموالهم .

• ذكر من قال ذلك :

٨٢٩٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : سيكفون أن يأتوا بما بخلوا به ، إلى قوله : « والكتاب المنير » .

(١) في المطبوعة : « طوق » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) وإنما هي آية سورة النساء ، لأن تمامها « ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » .

٨٢٩٩ - حدثنا ابن المني قال . حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « سيطوقون » ، سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدئ قوله : « سيطوقون ما بخلوا به » ، للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد أعلم بما عسى الله تبارك وتعالى بتزيله ، منه عليه السلام .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : أنه الحى الذى لا يموت ، والباقي بعد فناء جميع خلقه .

* * *

فإن قال قائل : فما معنى قوله : « له ميراث السموات والأرض » ، و « الميراث » المعروف ، هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ، والله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده ؟

قيل : إن معنى ذلك ما وصفنا ، من وصفه نفسه بالبقاء ، وإعلام خلقه أنه كتيب عليهم الفناء . وذلك أن ملك المالك إنما يصير ميراثاً بعد وفاته ، فإنما قال جل ثناؤه : « والله ميراث السموات والأرض » ، لإعلاماً بذلك منه عباده أن أملاك جميع

خلقه منتقلة عنهم بموتهم ، وأنه لا أحد إلا وهو فان سواه ، فإنه الذى إذا أهلكت جميع خلقه فزال أملأهم عنهم ، لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره . ٣٩/٤
 وإنما معنى الآية : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، بعد ما يهاكون وتزول عنهم أملأهم ، فى الحين الذى لا يملكون شيئاً ، وصار الله ميراثه وميراث غيره من خلقه ..

ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ، ذو خبرة وعلم ، محيط بذلك كله ، حتى يجازى كلأهم منهم على قدر استحقاقه ، المحسن بالإحسان ، والمسيء على ما يرى تعالى ذكره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 * ذكر الآثار بذلك :

٨٣٠٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس ، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فينحاص ، كان من علمائهم وأخبارهم ، ومعه حبر يقال له أشعير . فقال أبو بكر رضى الله عنه

لفنحاص : ويحك يا فنحاص . اتق الله وأسأيم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله . تجدلونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ! قال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ! إنما لكم عن الربا ويعطيناه ! ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا ! (١) فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والذي نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ! فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه . فجمحه ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك ! فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ، ردّاً عليه ، وتصديقاً لأبى بكر : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلُهُمْ قَوْلَ الْحَرِيقِ ﴾ = وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] . (٢)

٨٣٠١ - حدثنا ابن حديد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

(١) كان فى المخطوطة سقط بين ، فيها : « وما يتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء . ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر » ، واستدركت المطبعة هذا السقط من الدر المنثور فيما أرجح (٢ : ١٠٥) ، فتركته كما هو ، لموافقة لما جاء فى تفسير ابن كثير ٢ : ٣٠٨ ، وإن خالف رواية ابن هشام فى سيرته ، فى بعض ألفاظ .

(٢) الأثران : ٨٣٠٠ ، ٨٣٠١ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٦٩٥ ، بما روى الطبرى من سيرة ابن إسحق .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : دخل أبو بكر = فذكر نحوه ، غير أنه قال ، « وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى » ، ولو كان غنياً ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه. (١)

٨٣٠٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » ، قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد ، لقيه أبو بكر فكلمه فقال له : يا فنحاص ، اتق الله وآمن وصدّق ، وأقرض الله قرضاً حسناً ! فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا ! وما يستقرض إلا الفقير من الغنى ! إن كان ما تقول حقاً ، فإن الله إذاً لفقير ! فأنزل الله عز وجل هذا ، فقال أبو بكر : فلولا هذنة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني مرثد لقتلته .

٨٣٠٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، ١٣٠/٤ عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد قال : صك أبو بكر رجلاً منهم = الذين قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، لم يستقرضنا وهو غني ؟ ! وهم يهود .

٨٣٠٤ - حدثنا المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح قال : « الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » ، لم يستقرضنا وهو غني ؟ قال شبل : بلغني أنه فنحاص اليهودي ، وهو الذي قال : « إن الله ثالث ثلاثة » و « يدُ الله مغلولة » .

٨٣٠٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثني يحيى بن واضح قال ، حدثت عن عطاء ، عن الحسن قال : لما نزلت : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥ / سورة الحديد : ١١] ، قالت اليهود : إن ربكم يستقرض منكم ! فأنزل الله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » .

(١) انظر خبر فنحاص أيضاً في الأثر الآتي رقم : ٨٣١٦ .

٨٣٠٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحسن البصري قال : لما نزلت : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ، قال : عجبت اليهود فقالت : إن الله فقير يستقرض ! فنزلت : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » .

٨٣٠٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » ، ذكر لنا أنها نزلت في حبيّ ابن أخطب ، لما أنزل الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ قال : يستقرضنا ربنا ، إنما يستقرض الفقير الغني !

٨٣٠٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » ، قالت اليهود : إنما يستقرض الفقير من الغني ! ! قال : فأنزل الله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » .

٨٣٠٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » ، قال : هؤلاء يهود . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذا : لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود : « إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه » ، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم ، وقتلهم أنبياءهم بغير حق .

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « سنكتب ما قالوا وقتلهم » .
فقرأ ذلك قراءة الحجاز وعامة قراءة العراق : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ بالنون ،

(١) في المطبوعة : « هؤلاء اليهود » ، وأثبت ما في المخطوطة .

« وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ » بنصب « القتل » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين ﴿ سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بالياء من « سيكتب » وبضمها ، ورفع « القتل » ، على مذهب ما لم يسم فاعله ، اعتباراً بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله : « ونقول ذوقوا » ، يذكر أنها في قراءة عبد الله : ﴿ وَيُقَالُ ﴾ .^(١)

فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التي تُنسب إلى عبد الله ، وخالف الحجة من قراءة الإسلام . وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ « سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » على وجه ما لم يسم فاعله ، أن يقرأ : « ويقال » ، لأن قوله : « ونقول » عطف على قوله : « سنكتب » . فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرأ جميعاً على مذهب ما لم يسم فاعله ، أو على مذهب ما يسمى فاعله . فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله ، والآخر على وجه ما قد سُمي فاعله ، من غير معنى ألباه على ذلك ، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب .^(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ بالنون ﴿ وَقَتْلَهُمْ ﴾ بالنصب ، لقوله : ﴿ وَنَقُولُ ﴾ ولو كانت القراءة في « سيكتب »

(١) هذا كلام الفراء بلا شك ، في معاني القرآن ١ : ٢٤٩ ، ولكن وقع في نسخ الفراء غرم لم ينتبه إليه مصححو المطبوعة ، تمامه ما ذكره الطبري ورواه عنه كعادته . والنص الذي في المطبوعة من معاني القرآن : « وقرئ : سيكتب ما قالوا ، قرأها حزة اعتباراً ، لأنها في مصحف عبد الله » ، وانقطع الكلام ، فظاهر أن فيه سقطاً ، وظاهر أن تمامه ما رواه الطبري من قراءة عبد الله التي اعتبر بها حزة في قراءة « سيكتب » .

(٢) المعروف في كلامهم « ألباه إلى كذا » ، واستعمل الطبري « ألباه عليه » بمعنى حمله عليه ، على إرادة التضمين ، وهو كلام فصيح لا يعاب ، وهو من النوادر التي لم أجدها في كتاب ، وإن كنت أذكر أني قرأتها في بعض كتب الشافعي رحمه الله ، وغاب اليوم عن مكانها .

بالباء وضمها ، لقييل : « ويقال » على ما قد بينا .

• • •

فإن قال قائل : كيف قيل : « وقتلهم الأنبياء بغير حق » ، وقد ذكرت في الآثار التي رويت أن الذين عنوا بقوله : (١) « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير » ، بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من أولئك أحدٌ قتل نبياً من الأنبياء ، لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية ، كانوا راضين بما فعل أولئك من قتل من قتلوا من الأنبياء ، وكانوا منهم وعلى مناهجهم من استحلال ذلك واستجازته . فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على مناهجه وطريقته ، إلى جميعهم ، إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة ، وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم ، على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل . (٢)

١٣١/٤

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١٨١)
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ونقول » للقائلين بأن الله فقير ونحن أغنياء ، القائلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة = « ذوقوا عذاب الحريق » ، يعنى بذلك : عذاب نار محرقة ملتهبة . (٣)

• • •

(١) في المطبوعة : « وقد ذكرت الآثار التي رويت » ، أسقطت « في » ، وهي ثابتة في المخطوطة .
(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ وفهارس المباحث في الجزء الثاني ص ٦١١ ، « إضافة أفعال الأسلاف إلى الأبناء . . . »
(٣) تفسير « الحريق » كما فسره أبو جعفر ، مما لا تكاد تنظر به في كتب اللغة ، بل قالوا :

و « النار » اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة ، وإنما « الحريق » صفة لما يراد أنها محرقة ، كما قيل : « عذاب أليم » يعنى : مؤلم ، و « وجيع » ، يعنى : موجع .

• • •

وأما قوله : « ذلك بما قلعت أيديكم » ، أى : قولنا لهم يوم القيامة ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا ، ^(١) وبأن الله عدل لا يجرؤ فيعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبة ، ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ، ويوفى كل عامل جزاء ما عمل ، فجازى الذين قال لهم [ذلك] يوم القيامة ^(٢) = من اليهود الذين وصف صفتهم ، فأخبر عنهم أنهم قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، وقتلوا الأنبياء بغير حق = بما جازاهم به من عذاب الحريق ، بما اكتسبوا من الآثام ، واجترحوا من السيئات ، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإنذار . فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقتهم عذاب الحريق ظالماً ، ولا واضعاً عقوبته فى غير أهلها . وكذلك هو جل ثناؤه ، غير ظلام أحداً من خلقه ، ولكنه العادل بينهم ، والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه .

• • •

الحريق : اضطرام النار وتلهبها . والحريق أيضاً الذهب . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٠ ، ونصه : « النار اسم جامع ، تكون ناراً وهى حريق وغير حريق ، فإذا التهب ، فهى حريق » .

(١) انظر تفسير « بما قلعت أيديهم » فيما سلف ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٢) الزيادة بين القومين لابد منها لاستقامة الكلام ، ويعنى بقوله : « الذى قال لهم ذلك » ، أى قال لهم : « ذوقوا عذاب الحريق » . وسياق العبارة : « فجازى الذين قال لهم ذلك يوم القيامة . . . بما جازاهم به من عذاب الحريق » .

القول في تأويل قوله ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا آلَا
نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إن
الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول » .

وقوله : « الذين قالوا إن الله » ، في موضع خفض ردّاً على قوله : « الذين قالوا
إن الله فقير » .

ويعنى بقوله : « قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول » ، أوصافنا ، وتقدم
إلينا في كتبه وعلى ألسن أنبيائه (١) = « أن لا نؤمن لرسول » ، يقول : أن لا نصدق رسولا
فيما يقول إنه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك = « حتى يأتينا بقربان تأكله
النار » ، يقول : حتى يجيئنا بقربان : وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة .

وهو مصدر مثل « العدوان » و « الحسran » من قولك : « قربتُ قرباناً » .

ولمّا قال : « تأكله النار » ، لأن أكل النار ما قرب به أحدهم لله في ذلك الزمان ،
كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له ، ودلالة على صدق المقرّب فيما ادعى أنه
حق فيما نازع أو قال ، كما : —

٨٣١٠ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى يأتينا بقربان تأكله النار » ،

(١) انظر تفسير « عهد إليه » فيما سلف ٣ ٣٨ ، وتفسير « العهد » في فهارس اللغة .

كان الرجل يتصدق ، فإذا تُقْبِلَ منه ، أنزلت عليه نارٌ من السماء فأكلته .
 ٨٣١١- حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ،
 قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « بقربان تأكله النار » ، كان الرجل إذا
 تصدق بصدقة فتُقْبِلَتْ منه ، بعث الله ناراً من السماء فنزلت على القربان فأكلته .

* * *

= فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : [قل ، يا محمد ، للقائلين :
 إن الله عهد إلينا] أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار : « [قد جاءكم]
 رسل من قبلى بالبينات » ، ^(١) يعنى : بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة
 قولهم = « وبالذى قلت » ، يعنى : وبالذى ادَّعَيْتُمْ أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه
 والإقرار بنبوته ، من أكل النار قُربانه إذا قُربَ لله دلالة على صدقه ، ^(٢) = « فلم
 قتلتموهم إن كنتم صادقين » ، يقول له : قل لهم : قد جاءكم الرسل الذين كانوا
 من قبلى بالذى زعمتم أنه حجة لهم عليكم ، فقتلتموهم ، فلم قتلتموهم وأنتم مقرون
 بأن الذى جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم = « إن كنتم صادقين » في
 أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له
 على نبوته ؟

* * *

قال أبو جعفر : وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية : أن الذين وصف صفتهم
 من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لن يَعدُوا أن يكونوا ٤

(١) فى المخطوطة : « فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا تؤمن لرسول حتى يأتينا
 بقربان تأكله النار رسل من قبل بالبينات . . . » ، وقد وضع ناسخ المخطوطة أمام السطرين فى الهامش
 (ط ط كذا) ، يعنى أنه خطأ كان فى النسخة التى نقل عنها ، فنقله هكذا كما وجده ، فجاء ناشر
 المطبوعة - أو ناسخ قبله - فأراد أن يصححها ، فزاد صدر الآية : « قل قد جاءكم » بعد قوله : « بقربان
 تأكله النار » ، ولكن يبقى السياق غير حسن ، فزدت ما بين القوسين ، استظهاراً من نهج أبى جعفر فى
 بيانهِ عن معانى آى كتاب الله ، والله الموفق للصواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذ قرب لله » ، والسياق يقتضى « إذا » .

في كذبهم على الله وافتراءهم على ربهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمونه صادقاً حقاً ، وجحودهم نبوته وهم يجدونه مكتوباً عندهم في عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه ، مفروضة طاعته ^(١) - إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عنهم بالحجج التي أيدهم الله بها ، والأدلة التي أبان صدقهم بها ، افتراء على الله ، واستخفافاً بحقوقه .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل . يقول الله تعالى له : لا يحزنك ، يا محمد ، كذب هؤلاء الذين قالوا : « إن الله فقير » ، وقالوا : « إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار » ، وافتراءهم على ربهم اغتراراً بإمهال الله إياهم ، ولا يعظم عليك تكذيبهم إياك ، وادعاءهم الأباطيل من عهود الله إليهم ، فلأنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله ، فقد كذبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العنبر ، والأدلة الباهرة العقل ، والآيات المعجزة الخلق ، وذلك هو البينات . ^(٢)

• • •

وأما « الزبر » فإنه جمع « زبور » ، وهو الكتاب ، وكل كتاب فهو : « زبور » ، ومنه قول امرئ القيس :

(١) في المطبوعة : « لن يفرأ أن يكونوا في كذبهم على الله » ، وفي المخطوطة : « لن يقرأوا » ولا معنى لها ، وصوابها ما أثبت . وسياق العبارة : « لن يعلموا أن يكونوا في كذبهم . . . إلا كمن مضى من أسلافهم » .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٢ : ٣١٨ ، ٣/٣٥٥ ، ٤/٢٤٩ : ٤/٢٥٩ • • •

٣٧٩ ، وغيرها من المواضع في فهارس اللغة .

لَنْ يَنْجُو ظُلُّهُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ؟ كَخَطِّ زُبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَّانِي ^(١)

ويعنى : « الكتاب » ، التوراة والإنجيل . وذلك أن اليهود كذبت عيسى وما جاء به ، وحرقت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدلت عهده إليهم فيه ، وأن النصارى جعلت ما فى الإنجيل من نعمته ، وغيّرت ما أمرهم به فى أمره .

وأما قوله : « المنير » ، فإنه يعنى : الذى يُشِيرُ فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه .

ولمّا هو من « النور » والإضاءة ، يقال : « قد أثار لك هذا الأمر » ، بمعنى : أضاء لك وتبين ، « فهو ينير لإثارة » ، والشئ « منير » ^(٢) وقد :—
٨٣١٢— حدثنى المنثى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الصحاك : « فإن كذبوك فقد كُذِّبَ رسل من قبلك » ، قال : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم .

٨٣١٣— حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » ، قال : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق **(وَالزُّبُرِ)** بغير «باء» ، وهو فى مصاحف أهل الشام : **(وَبِالزُّبُرِ)** بالباء ، مثل الذى فى «سورة فاطر» : [٢٥] .

(١) ديوانه : ١٨٦ ، وهو مطلع قصيدته . قال الشنتمرى فى شرح البيت : « يقول : نظرت إلى هذا الظل فشحجاني ، أى : أحزننى . وقوله : « كخط زبور » ، أى قد درس وخفيت آثاره ، فلا يرى منه إلا مثل الكتاب فى الخفاء والدقة . والزبور : الكتاب . وقوله : « فى عسيب يمان » ، كان أهل اليمن يكتبون فى عسيب النخلة عهودهم وصكا كههم . ويروى : « عسيب يمان » ، على الإضافة ، أراد : فى عسيب رجل يمان .
(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشئ المنير » ، وعبارة بيان اللغة تقتضى ما أثبت .

القول في تأويل قوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : أن مصير هؤلاء المقتربين على الله من اليهود ، المكذبين برسوله ، الذين وصف صفتهم ، وأخبر عن جزاءهم على ربهم = ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ، ومرجع جميعهم ، إليه . لأنه قد حُتِمَ الموت على جميعهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا يحزنك تكذيبُ من كذبتك ، يا محمد ، من هؤلاء اليهود وغيرهم ، واقتراء من افترى علىَّ ، فقد كُذِّبَ قبلك رسلٌ جاؤوا من الآيات والحجج من أرسلوا إليه ، بمثل الذى جئت من أرسلت إليه . فلك فيهم أسوة تتعزى بهم . ومصيرُ من كذبتك وافترى علىَّ وغيرهم ومرجعهم إلىَّ ، فأوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه : « وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ » ، يعنى : أجور أعمالكم ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌ = « فمن زحرج عن النار » ، يقول : فمن نُحِىَ عن النار وأبعد منها (١) = « فقد فاز » ، يقول : فقد نجا وظفر بحاجته .

* * *

يقال منه : « فاز فلان بطلبته ، يفوز فوزاً ومفازاً ومفازة » ، إذا ظفر بها .

* * *

وإنما معنى ذلك : فمن نُحِىَ عن النار فأبعد منها وأدخل الجنة ، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة = « وما الحياة الدنيا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » ، يقول : وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها = « إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » ، يقول : إِلَّا مَتَاعٌ

١٣٣/٤

يتمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ، ولا صحة له عند الاختبار . فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره . يقول تعالى ذكره : ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها ، فلئما أنتم منها في غرور تمتعون ، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون .^(١)

* * *

وقد روى في تأويل ذلك ، ما : —

٨٣١٤ — حدثني به المشي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » ، قال : كزاد الراعى ، تزوده الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق ، أو الشيء يشرب عليه اللبن .

* * *

فكان ابن سابط ذهب في تأويله هذا ، إلى أن معنى الآية : وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل ، لا يُبلِّغ مَنْ تمتعه ، ولا يكفيه لسفره . وهذا التأويل ، وإن كان وجهاً من وجوه التأويل ، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا . لأن « الغرور » إنما هو الخداع في كلام العرب . وإذا كان كذلك ، فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة ، لأن الشيء قد يكون قليلاً وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور . وأما الذي هو في غرور ، فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه في غرور .

* * *

و « الغرور » مصدر من قول القائل : « غرني فلان فهو يغرنى غروراً » بضم « الغين » . وأما إذا فتحت « الغين » من « الغرور » ، فهو صفة للشيطان الغرور ، الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته .

* * *

وقد :

٨٣١٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ، حدثنا

محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موضع سوط في الجنة ، خير من الدنيا وما فيها ، واقرأوا إن شئتم : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » . (١)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ تَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر يعني بقوله : تعالى ذكره : (٢) « تَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ » ، لتختبرن بالمصائب في أموالكم (٣) = « وأنفسكم » ، يعني : وبهلاك الأقرباء والعشائر من

(١) الحديث : ٨٣١٥ - عبدة : هو ابن سليمان الكلابي الكوفي . وعبد الرحيم : هو ابن سليمان المروزي الأشلي .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٩٦٤٩ (ج ٢ ص ٤٣٨ ح ١) ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد ابن عمرو - بهذا الإسناد . وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨٥ ، عن عبد بن حميد وغيره ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٩ ، من طريق شجاع بن الوليد ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ٢ : ٣١١ ، من رواية ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن محمد بن عمرو .

ثم قال ابن كثير : « هذا حديث ثابت في الصحيحين ، من غير هذا الوجه ، بلون هذه الزيادة [يعني ذكر الآية في الحديث] . وقد رواه بهذه الزيادة أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن عمرو » .

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٧ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد . وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ٤ : ٢٧٧ ، من رواية الترمذي - ضمن ألفاظ الحديث بمعناه ، عند أحمد ، والبخاري ، والطبراني في الأوسط « بإسناد رواه رواة الصحيح » ، وابن حبان في صحيحه . (٢) في المطبوعة والمخطوطة « يعني بذلك تعالى ذكره » ، وسياق التفسير هنا يقتضي ما أثبت . (٣) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٢ : ٤٩ / ٣ : ٧ / ٢٢٠ : ٥ / ٢٣٩ : ٧ / ٢٩٧ : ٢٣٥ .

أهل نصرتكم وملتكم^(١) = « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى : من اليهود وقولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، وقولهم : « يد الله مغلولة » ، وما أشبه ذلك من افتراءهم على الله = « ومن الذين أشركوا » ، يعنى النصارى = « أذى كثيراً » ،^(٢) والأذى من اليهود ما ذكرنا ، ومن النصارى قولهم : « المسيح ابن الله » ، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله = « وإن تصبروا وتتقوا » ، يقول : وإن تصبروا لأمر الله الذى أمركم به فيهم وفى غيرهم من طاعته = « وتتقوا » ، يقول : وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم ، فتعملوا فى ذلك بطاعته = « فإن ذلك من عزم الأمور » ، يقول : فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به .

* * *

وقيل : إن ذلك كله نزل فى فنخاص اليهودى ، سيد بنى قيسئسقاع ، كالذى : — ٨٣١٦ — حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عكرمة فى قوله : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم واتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : نزلت هذه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى بكر رضوان الله عليه ، وفى فنخاص اليهودى سيد بنى قيسئسقاع قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق رحمه الله إلى فنخاص يستمدّه ، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبى بكر : « لا تفتانن على بشىء حتى ترجع » .^(٣) فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف ، فأعطاه الكتاب ، فلما قرأه قال : « قد احتاج ربكم أن نمده » ! فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ، ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تفتانن على بشىء حتى ترجع » ،

(١) انظر تفسير « أنفسهم » فيما سلف ٦ : ٥٠١

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٤ : ٣٧٤

(٣) كل من أحدث دونك شيئاً ، وبغى عليه ولم يستشرك ، واستبد به دونك ، فقد فاتك بالشئ واقفات عليك به أوفيه . هو « افتعال » من « الفت » ، وهو السبق إلى الشئ دون انتهاز أو مشورة .

١٣٤/٤ فكف ، ونزلت : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ .^(١) وما بين الآيتين إلى قوله : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم » ، نزلت هذه الآيات في بني قينقاع إلى قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » = قال ابن جريج : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم » ، قال : أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم ، فينظر كيف صبرهم على دينهم . ثم قال : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى اليهود والنصارى = « ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم : « عزيز ابن الله » ، ومن النصارى : « المسيح ابن الله » ، فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب إذ يسمعون إشراكهم ،^(٢) فقال الله : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ، يقول : من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به .

وقال آخرون : بل نزلت في كعب بن الأشرف ، وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتشبه بنساء المسلمين .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣١٧ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري في قوله : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : هو كعب بن الأشرف ، وكان يحرش المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ، ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم . فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار ، فيهم محمد بن مسلمة ، ورجل

(١) انظر أخبار فئخاص اليهودى في الآثار السالفة : ٨٣٠٠ - ٨٣٠٢ .

(٢) في المطبوعة : « ويسمون إشراكهم » بالوار ، وفي المخطوطة ، هذه الوار كأنها (د) ، فأثرت أن أجعلها « إذ » ، لأنها حق المعنى .

يقال له أبو عيس . فأتوه وهو في مجلس قومه بالعَوَالِي ، ^(١) فلما رأهم ذعر منهم ،
فأنكر شأنهم ، وقالوا : جئناك لحاجة ! قال : فليدن إلى بعضهم فليحدثني بحاجته .
فجاءه رجل منهم فقال : جئناك لنبيعك أدراعاً عندنا لنستفق بها . ^(٢) فقال :
والله لئن فعلتم لقد جهدتكم منذ نزل بكم هذا الرجل ! فواعدوه أن يأتوه عشاء حين
هدأ عنهم الناس ، ^(٣) فأتوه فنادوه ، فقالت امرأته : ما طَـرَقَكَ هؤلاء ساعتهم هذه
لشيء مما تحب ! قال : إنهم حدثوني بمحدثهم وشأنهم .

^(٤) قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة : أنه أشرف عليهم فكلّمهم فقال :
أترهّنوني أبناءكم ؟ وأرادوا أن يبيعهم تمرّاً . قال ، فقالوا : إنا نستحي أن تعير أبناءنا
فيقال : « هذا رهينة وسنتي » ، وهذا رهينة وسقين ! ^(٥) فقال : أترهّنوني نساءكم ؟
قالوا : أنت أجهلُ الناس ، ولا نأمنك ! وأى امرأة تمتنع منك بحمالك !
ولكننا نرهّنك سلاحنا ، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم . فقال : اثبتوني بسلاحكم ،
واحتملوا ما شئتم . قالوا : فانزل إلينا نأخذ غايك وتأخذ غايانا . فذهب ينزل ، ^(٦)

(١) « العوالى » ، جمع عالية . « المالبة » : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ،
من قرأها وعماثرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو « السافلة » . وعوالى المدينة ، بينها
وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل ثلاثة ، وذلك أدناها ، وأبعدا ثمانية .

(٢) استنشق بالمال : جملة نفقة يقضى بها حاجته وحاجة عياله .

(٣) هدأ عنهم الناس : سكن عنهم الناس وقلت حركتهم وناموا . وفي المخطوطة : « حين هدأ عنهم
الناس » بطرح الهجزة ، وهو صواب جيد ، جاء في شعر ابن هرمة ، من أبياته الأليمة الموحدة :

لَيْتَ السَّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَأَنْتَا لَا تَرَى مِنْ تَرَى أَحَدًا
إِنَّ السَّبَاعَ لَتَهْدَا عَنْ فَرَائِسِهَا وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدًا
يريد : « تهدا » و « هادئ شرم » .

(٤) هذا بدأ سياق آخر للخبر ، متقطع عما قبله من خبر الزهري ، ولم يتم خبر الزهري ، بل
أتم خبر عكرمة الذي أدخله على سياقه .

(٥) « الوقى » كيل معلوم ، قيل : هو حل بغير ، وقيل : ستون صاعاً بصاع الذي صلى الله
عليه وسلم .

(٦) قوله : « ذهب ينزل » ، أى تحرك لينزل ، و « ذهب » من ألفاظ الاستعانة التى تدخل على الكلام
لتصوير حركة ، أو بيان فعل مثل قولهم : « قد فلان لا يمر به أحد إلا بهبه » ، أو « قد لا يسأله سائل

فتعلقت به امرأته وقالت : أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك . قال : لو وجدني هؤلاء نائماً ما أيقظوني ! قالت : فكلّمهم من فوق البيت . فأبى عليها ، فنزل إليهم يفوح ربحه . قالوا : ما هذه الريح يا فلان ؟ قال : هذا عطر أم فلان ! امرأته . فدنا إلية بعضهم يشم رائحته ، ثم اعتنقه ، ثم قال : اقتلوا عدو الله ! فطعنه أبو عبّس في خاصرته ، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف ، فقتلوه ثم رجعوا . فأصبحت اليهود مذعورين ، فجازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : قتل سيدنا غيلة ! فذكّرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعة ، وما كان يخصّ عليهم ويحرص في قتالهم ويؤذيهم ، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً ، قال : فكان ذلك الكتاب مع عليّ رضوان الله عليه .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : واذكر أيضاً من [أمر] هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم ، يا محمد ، (١) إذا أخذ الله ميثاقهم ليبيننّ للناس أمرك الذى أخذ ميثاقهم على بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وأنتك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه = « فنبدوه وراء

إلا حرمه » ، لا يراد به حقيقة القمود ، بل استمرار ذلك منه واتصاله ، وحاله عند رؤية الناس ، أو طرق السائل . واستعمال « ذهب » بهذا المعنى كثير الورد فى كلامهم ، وإن لم تذكره كتب اللغة . (١) الزيادة بين القوسين مما لا يستقيم الكلام إلا بها أو يشبهها .

ظهورهم «، يقول : فركبوا أمر الله وضيعوه ^(١)، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكنتموا أمرك، وكذبوا بك=«واشتروا به ثمناً قليلاً»، يقول : وابتاعوا بكمائهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموا من أمر نبوتك ، عوضاً منه خسيساً قليلاً من عرض الدنيا ^(٢) = ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال : « فبئس ما يشترون » ^(٣).

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية .
فقال بعضهم : عني بها اليهود خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣١٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » إلى قوله : « عذاب أليم » ، يعني فتحاص وأشييع وأشباهما من الأخبار .

٨٣١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس مثله ^(٤) .

(١) انظر تفسير « نبد » فيما سلف ٢ : ٤٠١ = وتفسير « وراء ظهورهم » فيما سلف ٢ : ٤٠٤ .

(٢) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١ : ٣١٢ - ٣١٥ / ٢ - ٣٤٠ : ٣٤٢ ، ٤٥٥ / ٣ :

٢٣٠ / ٤ : ٢٤٦ : ٦ : ٥٢٧ / ٧ : ٤٢٠ .

وانظر تفسير « الثمن » فيما سلف ١ : ٥٦٥ / ٣ : ٣٢٨ / ٦ : ٥٢٧ بولاق

(٣) انظر بيان معنى « بئس » فيما سلف ٢ : ٣٣٨ - ٣٤٠ / ٣ : ٥٦

(٤) الأثران : ٨٣١٨ ، ٨٣١٩ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف

٨٣٢٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم » ، كان أمرهم أن يتبعوا النبي الأُمِّي الذي يؤمن بالله وكلماته ، وقال : ﴿ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨] . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾ [سورة البقرة : ٤٠] ، عاهدكم على ذلك ، فقال حين بعث محمداً : صدقوه ، وتلقون الذي أحببت عندى .

٨٣٢١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس » الآية ، قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا يكتمونه ، = « فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً » .

٨٣٢٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب » ، يهود ، « ليبيننه للناس » ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، « ولا يكتمونه فنبذوه » .

٨٣٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، قال : وكان فيه أن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده ، وأن محمداً يبعثونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

• • •

وقال آخرون : عنى بذلك كل من أوتي علماً بأمر الدين .
• ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم » الآية ، هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم ، فمن علم شيئاً فليعلمه ، وإياكم وكنمان العلم ، فإن كنمان العلم هلكة ، ولا يتكلمن رجلٌ ما لا علم له به ، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلمين ، كان يقال : « مثلُ علم لا يقال به ، كمثل كنز لا ينفق منه ! ومثل حكمة لا تخرج ، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب » . وكان يقال : « طوبى لعالم ناطق ، وطوبى لمستمع واعٍ » . هذا رجلٌ علم علماً فعاتمه وبذله ودعا إليه ، ورجلٌ سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به .

٨٣٢٥ - حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى قوم في المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال : إن أخاكم كعباً يقرئكم السلام ، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » . فقال له عبد الله : وأنت فأقره السلام وأخبره أنها نزلت وهو يهودي .

٨٣٢٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، بنحوه ، عن عبد الله وكعب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان قال ، حدثني يحيى بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ ، قال : من النبيين على قومهم .

١٣٦/٤

٨٣٢٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد قال ، قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ » ، « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ » ، قال فقال : أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

* * *

وأما قوله : « لتبيننه للناس » ، فإنه كما : -

٨٣٢٩ - حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا محمد بن ذكوان قال ، حدثنا أبو نعمة السعدي قال : كان الحسن يفسر قوله : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لتبيننه للناس ولا تكتُمونه » ، لتكلمن بالحق ، ولتصدقنه بالعمل .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القراءة في قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : « لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ » بالتاء . وهي قراءة عظم قرأة أهل المدينة والكوفة ،^(٢) على وجه المخاطب ، بمعنى : قال الله لهم : لتبيننه للناس ولا تكتُمونه .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ » بالياء جميعاً ، على وجه الخبر عن الغائب ، لأنهم في وقت إخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم ، كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب .

* * *

(١) كانت الآية في المطبوعة : « ليبينه للناس ولا يكتُمونه » بالياء ، في جميع الآثار السالفة ، فجعلتها على قراءة مصحفنا بالتاء في الكلمتين .

(٢) في المطبوعة : « وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة . . . » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة كما سلف عشرات من المرات . وعظم القوم : أكثرهم ومعظمهم .

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان ، صحيحةٌ وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفي المعاني ، فبأيهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك . غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إلى أن أقرأ بها : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُ لِّلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾ ، بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : « فنبذوه » : ^(١) إذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله : « فنبذوه » حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد . ولو كان الأول بمعنى الخطاب ، لكان أن يقال : « فنبذتموه وراء ظهوركم » أولى ، من أن يقال : « فنبذوه وراء ظهورهم » .

* * *

وأما قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، فإنه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به .
وقد بينا المعنى الذي من أجله قيل ذلك كذلك ، فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادته . ^(٢)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا يحيى ابن أيوب البجلي ، عن الشعبي في قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، قال : إنهم قد كانوا يقرأونه ، إنما نبذوا العمل به .

٨٣٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « استدلالاً بقوله فنبذوه » ، أنه إذ كان قد خرج مخرج الخبر : . . . وهو كلام لا يستقيم ، فحذفت : « أنه » ، ويكون السياق : « فإن أحب القراءتين إلى أن أقرأ بها . . . حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد » . وما بينهما فصل ، علل به اختيار قراءته .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٠٤ ، وما سلف ص : ٤٥٩ ، تعليق ١ :

ابن جريج : « فنبذوه وراء ظهورهم » . قال : نبذوا الميثاق .

٨٣٣٢ - حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا

مالك بن مغول : قال ، ثبت عن الشعبي في هذه الآية : « فنبذوه وراء ظهورهم » ،
قال : قذفوه بين أيديهم ، وتركوا العمل به .

* * *

وأما قوله : « واشتروا به ثمناً قليلاً » ، فإن معناه ما قلنا ، من أخذهم ما أخذوا

على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب ، (١) كما : -

٨٣٣٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

أسباط ، عن السدي : « واشتروا به ثمناً قليلاً » ، أخذوا طمعاً ، وكتبوا اسم
محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقوله : « فبئس ما يشترون » ، يقول : فبئس الشراء يشترون في تضاعفهم

الميثاق وتبديلهم الكتاب ، كما : -

٨٣٣٤ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فبئس ما يشترون » ، قال : تبديل اليهود التوراة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : غنى بذلك قومٌ من أهل النفاق كانوا يقدعون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو ، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتدروا إليه ، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا .
 • ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٥ — حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي قالا ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال ، حدثني زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري : أن رجلا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو ، تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله . وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتدروا إليه ، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، الْآيَةَ . (١) »

٨٣٣٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، ﴾ قال : هؤلاء المنافقون ، يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : لو قد خرجت لخرجنا معك ، فإذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلّفوا وكذبوا ، ويفرحون بذلك ، ويرون أنها حيلة احتالوا بها .

• • •

(١) الحديث : ٨٣٣٥ — رواه البخاري من طريق شيخه سعيد بن أبي مريم ، كرواية الطبري (الفتح : ٨ : ١٧٥) . وقال ابن كثير ٢ : ٣١٧ : « رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه »

وقال آخرون : عني بذلك قوم من أحبار اليهود ، كانوا يفرحون بإضلالهم الناس ، ونسبة الناس إليهم إلى العلم .
 • ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « ولم عذاب أليم » ، يعني فحاص وأشيع وأشبههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينتوا للناس من الضلالة = « ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا » ، أن يقول لهم الناس علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوها على هدى ولا خير ، ^(١) ويحبون أن يقول لهم الناس : قد فعلوا . ^(٢)

٨٣٣٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحاق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك = إلا أنه قال : وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى . ^(٣)

• • •

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم من اليهود ، فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحبون أن يمحذوا بأن يقال لهم : أهل صلاة وصيام .

• ذكر من قال ذلك :

(١) سيرة ابن هشام « هدى ولا حق » . وفي المطبوعة : « لم يحملوهم على هدى » غير ما في المخطوطة ، ولكنها الصواب ، ويدل على ذلك الأثر التالي ، فإنه ذكر وجه الخلاف بين الروایتين .

(٢) الأثر : ٨٣٣٧ ، ٨٣٣٨ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تمة الأثر السالف رقم : ٨٣١٨ ، والإستاد متصل إلى ابن عباس ، كما مضى مراراً .

(٣) في المطبوعة : « ابن كريب » ، وهو خطأ ، قد مضى على صحته في مئات من المواضع .

٨٣٣٩- حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا : « قد جمع الله كلمتنا ، ولم يخالف أحد منا أحداً [أن محمداً ليس بنبي] » .^(١) وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أهل الصلاة والصيام » ، وكذبوا ، بل هم أهل كفر وشرك واقتراء على الله ، قال الله : « يحبون أن يحمداوا بما لم يفعلوا » .

٨٣٤٠- حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمداوا بما لم يفعلوا » ، قال : كانت اليهود أمر بعضهم بعضاً ،^(٢) فكتب بعضهم إلى بعض : « أن محمداً ليس بنبي ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم » ، ففعلوا ، وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤١- حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : كنتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤٢- حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي

(١) هذه الجملة بين القوسين ، كان مكانها في المطبوعة : « أنه نبى » ، وفي المخطوطة « أن نبى » ، والذي في المطبوعة يخالف لما تماماً عليه اليهود ، والذي في المخطوطة بين الفساد والحرم ، واستظهرت ما بين القوسين من الأثر الذي رواه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٠٩ ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك ، والذي سيأتى في الأثر التالى ، ونصه : « إن اليهود كتب بعضهم إلى بعض أن محمداً ليس بنبي ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم » . فن هذا استظهرت صواب العبارة التى أثبتتها .
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « قال : قالت اليهود أمر بعضهم بعضاً » ، وهو كلام غير مستقيم ، صحفت « كانت » إلى « قالت » فأثبتها على الصواب إن شاء الله .

قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه ، وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون : « نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ، ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم » ، فأنزل الله فيهم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم = « ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » ، أحبوا أن تحمدهم العرب ، بما يزكون به أنفسهم ، وليسوا كذلك .

٨٣٤٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال سعيد بن جبير : بكتمانهم محمداً = « ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » ، قال : هو قولهم : « نحن على دين إبراهيم عليه السلام » .^(١)

٨٣٤٤ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » ، هم أهل الكتاب ، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك ، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا . فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله ، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله . فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، كفراً بالله وكفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم^(٢) = « ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » ، من الصلاة والصوم ، فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولم عذاب أليم » .

• • •

(١) الأثر : ٨٣٤٣ - انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٢

(٢) في المطبوعة : « كفروا بالله ، وكفروا بمحمد » ، والصواب من المخطوطة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، من تبديلهم كتاب الله ، ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك .
 • ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٥ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال : يهود ، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه ، ولا تملك يهود ذلك . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٦ - حدثني محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية : « ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا » ، قال : اليهود ، يفرحون بما آتى الله إبراهيم عليه السلام .
 ٨٣٤٧ - حدثنا ابن المثني قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة عن أبي المعلى العطار ، عن سعيد بن جبير قال : هم اليهود ، فرحوا بما أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام .

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم من اليهود ، سألم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه ، ففرحوا بكتمانهم ذلك إياه .
 ذكر من قال ذلك :

(١) قوله : « ولا تملك يهود ذلك » كأنه يعنى : ولا تملك يهود النجاة من عذاب الله ، كما أنذرهم في الآية .

٨٣٤٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني ابن أبي مليكة : أن علقمة بن أبي وقاص أخبره : أن مروان قال لرافع : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، ليعذبنا الله أجمعين » ! فقال ابن عباس : ما لكم ولهذا ! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألم عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألم ، وفرحوا بما أتوا من كتبهم إياه . ثم قال : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب » ، الآية .

٨٣٤٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة : أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره : أن مروان بن الحكم قال لبوابه : يا رافع ، اذهب إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، لنعذب جميعاً » ! فقال ابن عباس : ما لكم ولهذا الآية ؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب ! ثم تلا ابن عباس : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس » إلى قوله : « أن يحمدوا بما لم يفعلوا » . قال ابن عباس : سألم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروا أن قد أخبروه بما قد سألم عنه ، فاستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتبهم إياه ما سألم عنه .^(١)

• • •

(١) الأثران : ٨٣٤٨ ، ٨٣٤٩ - أخرجهما البخاري في كتاب التفسير ، الأول من طريق : « إبراهيم بن موسى عن هشام ، أن ابن جريج أخبرهم . . . » والآخر من طريق : « ابن مقاتل ، أخبرنا الحجاج ، عن ابن جريج » ، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير . وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، في هذين الأثرين ، ذكر رافع ، الذي لم يروا له ذكر في كتب الرواة ، وفي اختلافهم على ابن جريج في شيخه مرة « علقمة بن أبي وقاص » ، وأخرى « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » . وانظر أسباب النزول للواحدي : ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال آخرون : بل عني بملك قوم من يهود، أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك .
• ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

ذكر لنا أن أعداء الله اليهود، يهود خير، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فزعموا ١٣٩/٤ أنهم راضون بالذي جاء به ، وأنهم متابعوه ، وهم متمسكون بفضالتهم ، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا ، فأنزل الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحملوا بما لم يفعلوا » ، الآية .

٨٣٥١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة قال : إن أهل خير أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا : « إنا على رأيكم وستكم ، ^(١) وإنا لكم رداء ^(٢) . فأكذبهم الله فقال : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآيتين .

٨٣٥٢ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : إن كعباً يقرأ عليك السلام ويقول : إن هذه الآية لم تنزل فيكم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحملوا بما لم يفعلوا » ، قال : أخبروه أنها نزلت وهو يهودى . ^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآية ، قول من قال : « عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر

(١) في المطبوعة : « على رأيكم وهيتكم » ، والذي في المخطوطة « على رأيكم وسكم » غير منقوطة ، وأرجح أن صواب قراءتها ما أثبت . وأكثر من روى هذا الخبر حذف منه هذه الكلمة . و « السنة » : الطريقة والنهج

(٢) « الرد » : المون والناصر ، يتصره ويشد ظهره .

(٣) الأثر : ٨٣٥٢ - انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٥ ، « وكعب » هو « كعب الأحبار » .

الله جل وعزّ أنه أخذ ميثاقهم ليبين للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتُمونه .^(١) لأن قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، الآية » ، في سياق الخبر عنهم ، وهو شبيه بقصتهم ، مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : لا تحسبن ، يا محمد ، الذين يفرحون بما أتوا من كتابهم الناس - أمرك ، وأنتك لى رسول مرسل بالحق ، وهم يجلدونك مكتوباً عندهم فى كتبهم ، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك ، وبيان أمرك للناس ، وأن لا يكتُمهم ذلك ، وهم مع نقضهم ميثاق الذى أخذت عليهم بذلك ، يفرحون بمعصيتهم إياى فى ذلك ، ومخالفتهم أمرى ، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم ، واتباع لوجيه وتزيلة الذى أنزله على أنبيائه ، وهم من ذلك أبرياء أخلياء ، لتكذيبهم رسوله ، ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم ، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه = « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعدّه لأعدائه فى الدنيا ،^(١) من الحسف والمسخ والرجف والقتل ، وما أشبه ذلك من عقاب الله ، ولا هم يبعد منه ،^(٢) كما : -

٨٣٥٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، قال : بمنجاة من العذاب .

* * *

قال أبو جعفر : « ولم عذاب أليم » ، يقول : ولم عذاباً فى الآخرة أيضاً مؤلماً ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل .^(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « فاز » فيما سلف قريباً ص : ٤٥٢

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٠

(٣) يأشى أن يكون صواب العبارة : « ولم عذاب مؤلماً فى الآخرة أيضاً مؤلماً ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل » .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » . يقول تعالى ذكره ، مكذباً لهم : لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض . فكيف يكون ، أيها المفترون على الله ، من كان ملك ذلك له فقيراً ؟ ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائل ذلك ، ولكل مكذب به ومفتر عليه ، وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ، ولكنه تفضل بحلمه على خلقه = فقال : « والله على كل شيء قدير » ، يعني : من إهلاك قائل ذلك ، وتعجيل عقوبته لهم ، وغير ذلك من الأمور .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبر المصرف الأشياء والمسخر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وييده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا ، فعباً أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقيبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما مختلفان ويعتقبان عليكم ، ^(١) تتصرفون في هذا لمعاشكم ، وتسكنون في

(١) عاقب بين الشيئين : راح بينهما ، لهذا مرة ولذا مرة . واستعمل الطبري « عقب » مشددة القاف ، بنفس المعنى ، كما يقال : « ضاعف وضعف » ، و « عائد وعقد » . و « اعتقب الليل والنهار » جاء هذا بعد هذا ، دواليك .

هذا راحة لأجسادكم = معتبر ومدكر وآيات وعظات . فمن كان منكم ذا لب وعقل ، يعلم أن من نسبني إلى أنني فقير وهو غني ، كاذب مفتر ، ^(١) فإن ذلك كله بيدي أقدابه وأصرّفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السموات والأرض بيده وإليه ؟ ^(٢) أم كيف يكون غنياً من كان رزقه بيد غيره ، إذا شاء رزقه ، وإذا شاء حرّمه ؟ فاعتبروا يا أولى الألباب .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً » من نعت « أولى الألباب » ، و « الذين » في موضع خفض رداً على قوله : « لأولى الألباب » .

• • •

ومعنى الآية : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = يعني بذلك : قياماً في صلاتهم ، وقعوداً في تشهدهم وفي غير صلاتهم ، وعلى جنوبهم نياماً ، كما : — ٨٣٥٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) في المخطوطة : « يعلم أنه أن من نسبني إلى أنني فقير وهو غني ، داذب معي » ، وهو كلام مصحف مضطرب ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « فكيف ينسب فقر إلى من كان . . . » ، آخر « إلى » ، والصواب الجهد تقديمها كما في المخطوطة .

ابن جريج قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً » الآية ، قال : هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة ، وقراءة القرآن .

٨٣٥٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة .

قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ، وهذه حالانك كلها يا ابن آدم ، فاذكره وأنت على جنبك ، يسراً من الله وتخفيفاً .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « وعلى جنوبهم » : فعطف

بـ « على » وهي صفة ، ^(١) على « القيام والقعود » وهما اسمان ؟

قيل : لأن قوله : « وعلى جنوبهم » في معنى الاسم ، ومعناه : ونياماً ، أو :

« مضطجعين على جنوبهم » ، فحسن عطف ذلك على « القيام » و « القعود » لذلك

المعنى ، كما قيل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾

[سورة يونس : ١٢] ، فعطف بقوله : « أو قاعداً أو قائماً » على قوله : « لجنبه » ، لأن

معنى قوله « لجنبه » ، مضطجعاً ، ^(٢) فعطف بـ « القاعد » و « القائم » على

معناه . فكذلك ذلك في قوله : « وعلى جنوبهم » . ^(٣)

* * *

وأما قوله : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » ، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون

بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثل شئ ، ومن هو مالك

كل شئ ورازقه ، وخالق كل شئ ومدبره ، ومن هو على كل شئ قدير ،

وبيده الإغناء والإفقار ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة .

* * *

(١) « الصفة » : حرف الجر ، كما سلف في مواضع كثيرة ، وانظر ١ : ٢٩٩ ، تعليق :

١ ، وفهرس المصطلحات في الأجزاء السالفة .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٧٥

(٣) انظر معاني القرآن للقراء ١ : ٢٥٠

القول في تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » قائلين : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » ، فترك ذكر « قائلين » ، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه

• • •

وقوله : « ما خلقت هذا باطلا » ، يقول : لم تخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ، ولم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة ، وإنما قال « ما خلقت هذا باطلا » ، ولم يقل : « ما خلقت هذه » ، ولا : هؤلاء » ، لأنه أراد : « هذا » ، الخلق الذى فى السموات والأرض . يدل على ذلك قوله : « سبحانك فقنا عذاب النار » ، ورغبتهم إلى ربهم فى أن يقيمهم عذاب الجحيم . ولو كان المعنى بقوله : « ما خلقت هذا باطلا » ، السموات والأرض ، لما كان لقوله عقيب ذلك : « فقنا عذاب النار » ، معنى مفهوم . لأن « السموات والأرض » أدلة على بارئها ، لا على الثواب والعقاب ، وإنما الدليل على الثواب والعقاب ، الأمر والنهى .

وإنما وصف جل ثناؤه : « أولى الألباب » الذين ذكرهم فى هذه الآية : أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا : « يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثاً سبحانك » ، يعنى : تنزيهاً لك من أن تفعل شيئاً عبثاً ، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر ، لجنة أو نار .

ثم فترعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجبرهم من عذاب النار ، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره ، فيكونوا من أهل جهنم .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتدخله فيها ، فقد أخزيتهم . قال : ولا يخفى مؤمن مصيره إلى الجنة ، وإن عذب بالنار بعض العذاب .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٦ — حدثني أبو حفص الجبيري ومحمد بن بشار قالوا ، أخبرنا المؤمل ، أخبرنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس في قوله : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم » ، قال : من تُدخل . (١)

٨٣٥٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن ابن المسيب : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم » ، قال : هي خاصة لمن لا يخرج منها .

٨٣٥٨ — حدثني المنني قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد قال ، حدثنا قبيصة بن مروان ، عن الأشعث الحملي قال ، قلت للحسن : يا أبا سعيد ، أرايت ما تذكر من الشفاعة ، حق هو ؟ قال : نعم ، حق . قال ، قلت : يا أبا سعيد ، أرايت قول الله تعالى : « ربنا إنك من تدخل النار فقد

(١) الأثر : ٨٣٥٦ — « أبو حفص الجبيري » ، لم أجده ، والذي يروى عنه أبو جعفر هو عمرو ابن علي الفلاس ، « أبو حفص الصيرفي » ، وهو في الخطوطة « الحبري » غير منقوطة ، ولا أدري أيقراً « الجبيري » أو « الحبري » ، ولم أجده هذه النسبة في ترجمة « عمرو بن علي الفلاس » ، . وعمرو بن علي الفلاس يروى عن مؤثر بن إسماعيل كما مضى في مواضع كثيرة منها رقم : ١٨٨٥ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٨ ، وغيرها كثير .

أخزيته » و﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾^(١) [سورة المائدة : ٣٧] ؟ قال فقال لى : إنك والله لا تسطو على بشىء ،^(٢) إن النار أهلاً لا يخرجون منها ، كما قال الله . قال قلت : يا أبا سعيد ، فيمن دخلوا ثم خرجوا ؟ قال : كانوا أصابوا ذنوباً فى الدنيا فأخذهم الله بها ، فأدخلهم بها ثم أخرجهم ، بما يعلم فى قلوبهم من الإيمان والتصديق به .^(٣)

٨٣٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : هو من يخلد فيها .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار ، من يخلد فيها وغير يخلد فيها ، فقد أخزى بالعذاب .

« ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٠ — حدثني المنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر ، عن عمرو بن دينار قال : قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فأتته ، إليه أنا وعطاء فقلت : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ؟ قال :

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، أسقط « الواو » بين الآيتين ، والصواب إثباتها كما يدل عليه سياق سؤاله ، وجواب الحسن له .

(٢) فى المطبوعة : « إنك والله لا تستطيع على شىء » ، وهو كلام لا خير فيه ، والصواب ما أثبتته من المخطوطة ، غيره الناشرون إذ لم يفهموه . وقوله : « لا تسطو على بشىء » ، أى : إنك لا تحتج على بحجة تفهون بها وتغلبنى . وأصله من « السطو » ، وهو البطش والقهر . و « فلان يسطو على فلان » ، أى يتناول عليه .

(٣) الأثر : ٨٣٥٨ — « قبصة بن مروان بن المهلب » روى عن والان ، وروى عنه حماد بن زيد . مترجم فى الكبير ١٧٧/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٢٥/٢/٣ . والأشعث الحمل « منسوب إلى جده ، وهو : « الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني الأعشى » ويقال : « الأزدي » ، و « حدان » بطن من الأزدي . روى عن أنس ، والحسن ، وابن سيرين . وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، ويحيى بن سعيد القطان ، مترجم فى التهذيب .

وما أخزاه حين أحرقه بالنار ! وإن دون ذلك لخزياً (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب عندى ، قول جابر : « إن من أدخل النار فقد أخزى بدخوله إياها وإن أخرج منها » . وذلك أن « الخزى » إنما هو هتك ستر الخزى وفضيحته ، (٢) ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه ، فقد فضحه بعقابه إياه ، وذلك هو « الخزى » .

* * *

وأما قوله : « وما للظالمين من أنصار » ، يقول : وما لمن خالف أمر الله فعصاه ، من ذى نصرة له ينصره من الله ، فيدفع عنه عقابه ، أو ينقذه من عذابه .

* * *

(١) الأثر : ٨٣٦٠ - « الحارث بن مسلم الرازى » مضى برقم : ٨٠٩٧ ، و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهلى السقاء » مضى أيضاً برقم : ٨٠٩٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحارث ابن مسلم ، عن يحيى بن عمرو بن دينار » ، وهو خطأ صرف .
وهذا الأثر قد أخرجه الحاكم فى المستدرک ٢ : ٣٠٠ ، ولم يقل فيه شيئاً ، وقال الذهبى فى تعليقه : « قلت : بحر هالك » ، ورواه بأتم مما هنا ، بيد أن السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١١١ ، خرج ، ونسبه للحاكم وابن جرير ، وساق لفظ الأثر بأتم من لفظ أبى جعفر ، ومخالفاً لفظ الحاكم ، ولفظه : « قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فأنهت إليه أنا وعطاء ، فقلت : « وما هم بخارجين من النار » ؟ قال : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الكفار . قلت لجابر : فقلوه : إنك من تدخل النار فقد أخزيت . . . » ، وسائر لفظه مطابق لما فى الطبرى .

وفى المخطوطة : « حين أحره بالنار » ، والصواب ما فى المطبوعة ، موافقاً لفظ الحاكم والسيوطى .
وفى المخطوطة والمطبوعة : « وما إخزاؤه » وهو لا يستقيم ، والصواب ما فى الدر المنثور . وقوله : « ما أخزاه » تعجب . والذى فى الحاكم « قد أخزاه حين أحره بالنار » . فهما روايتان تصحح إحداهما معنى الأخرى .
ويدل على صواب ذلك ترجيح الطبرى لقول جابر فى الفقرة التالية .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ٢ : ٣١٤ ، ٥٢٥ .

القول في تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل « المنادى » الذى ذكره الله تعالى في هذه الآية .

فقال بعضهم : « المنادى » في هذا الموضع ، القرآن .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٦١ - حدثني المنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا مفيان ،

عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : هو الكتاب ، ليس كلهم اتى النبي صلى الله عليه وسلم .^(١)

٨٣٦٢ - حدثني المنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا منصور بن حكيم ،

عن خارجة ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى في قوله : « ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : ليس كل الناس سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنادى القرآن .^(٢)

• • •

وقال آخرون : بل هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) الأثر : ٨٣٦١ - « قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى » مضى بقم : ٤٨٩ ، ٢٧٩٢ ، وهو ثقة معروف ، أخرج له الستة ، وتكلم بعضهم في روايته عن مفيان الثوري : بأنه يخطئ في بعض روايته ، بأنه سمع من الثوري شيئاً .

و « موسى بن عبيدة بن نسيط الربنى » ، ضعيف جداً ، مضى بقم : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ،

٣٢٩١

(٢) الأثر : ٨٣٦٢ - « منصور بن حكيم » ، لم أعرفه ولم أجده ترجمة ، وكذلك « خارجة » لم أعرف من يكون فيمن اسمه « خارجة » ، وأخشى أن يكون فيهما تصحيف أو تحريف .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » : قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٦٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في ١٤٢/٤ قوله : « رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » ، قال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول محمد بن كعب ، وهو أن يكون « المنادي » القرآن . لأن كثيراً ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ، ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عاينه فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن ، وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبراً عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن : ١ ، ٢] .

وينحو ذلك : —

٨٣٦٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » إلى قوله : « وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ » ، سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الإجابة فيها ، وصبروا عليها . ينشكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال ، وعن مؤمن الجن كيف قال . فأما مؤمن الجن فقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمْنًا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ وأما مؤمن الإنس فقال : « إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمْنَا رَبَّنَا فَاعْفُ رُبَّنَا ذُنُوبَنَا » ، الآية .

• • •

وقيل : « إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » ، يعني : ينادي إلى الإيمان ، كما ج ٧ (٣١)

قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، بمعنى : هَدَانَا إِلَى هَذَا ، ^(١) وكما قال الراجز : ^(٢)

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَأَسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَّاتِ الثُّبَّتِ ^(٣)

بمعنى : أَوْحَى إِلَيْهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة : ٥] .

• • •

وقيل : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : إِنَّا سَمِعْنَا مَنَادِيًّا لِلْإِيمَانِ ، يَنَادِي أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ. ^(٤)

• • •

فتأويل الآية إذاً : رَبَّنَا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ = يَقُولُ : إِلَى التَّصَدِيقِ بِكَ ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِكَ ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ وَنَهَانَا عَنْهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ = « قَامْنَا رَبَّنَا » ، يَقُولُ : فَصَدَقْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّنَا = « فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا » ، يَقُولُ : فَاسْتَرِ عَلَيْنَا خَطَايَانَا ، وَلَا تَفْضَحْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، بِعَقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ كَفِّرْهَا عَنَّا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، فَاعْمَحْ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ إِيَّانَا = « وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ » ، يَعْنِي بِذَلِكَ : وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ إِذَا قَبِضْتَنَا إِلَيْكَ ، فِي عِدَادِ الْأَبْرَارِ ، وَاحْشَرْنَا مَحْشَرَهُمْ وَمَعَهُمْ .

• • •

و « الْأَبْرَارِ » جَمْعُ « بَرٍّ » وَهُمْ الَّذِينَ بَرُّوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَخِدْمَتِهِمْ لَهُ ، حَتَّى أَرْضَوْهُ فَرْضِي عَنْهُمْ . ^(٥)

• • •

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٩ .

(٢) هو المعجاج .

(٣) سلف تخريجهما في ٦ : ٤٠٥ ، تعليق : ٣ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١١١ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١١١ .

(٦) وانظر تفسير « البر » في سلف ٢ : ٨ / ٣٣٦ - ٢٣٨ / ٥٥٦ : ٤ / ٢٥٠ : ٦ / ٥٨٧ .

القول في تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤)

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم ، وقد علموا أن الله منجز وعده ، وغيرُ جائز أن يكون منه إخلاف موعده ؟

قيل : اختلف في ذلك أهل البحث . (١)

فقال بعضهم : ذلك قول خرج مخرج المسألة ، ومعناه الخبر . قالوا : وإنما تأويل الكلام : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار » ، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزننا يوم القيامة . قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : « إن توفيتنا مع الأبرار ، فأنجز لنا ما وعدتنا » ، لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد ، وأن ما وعد على السنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ، (٢) ولكنه تفضل بابتدائه ، ثم ينجزه . (٣)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قول من قائله على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله ، (٤) لا أنهم كانوا قد

(١) « أهل البحث » ، أهل النظر من المتكلمين ، وانظر ما سلف ٥ : ٣٨٧ ، تعليق ٢ ، وأيضاً : ٤٠٦ ، تعليق : ١ .

(٢) في المخطوطة : « بمطية » ، وعلى الياء شدة ، وكأن الصواب ما في المطبوعة على الأرجح .

(٣) في المطبوعة : « تفضل بآيائه » ، والصواب ما في المخطوطة ، يعنى أن الله ابتدأه متفضلاً

به من غير سؤال ولا دعاء .

(٤) في المطبوعة : « بل ذلك قول من قائله » على الأفراد ، وصواب السياق الجمع ، كما في المخطوطة .

استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ، ثم سألوهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم ، فيكون ذلك منهم مسألة لربهم أن لا يخلف وعده . قالوا : ولو كان القوم إنما سألوا ربهم أن يوتيهم ما وعد الأبرار ، لكانوا قد زكّوا أنفسهم ، وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه . قالوا . وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين .

• • •

وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله أن يوتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ، وإعلاء كلمة الحق على الباطل ، فيعجل ذلك لهم . قالوا : ومحال أن يكون القوم = مع وصف الله إياهم بما وصفهم به ، كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد ، فيرغبوا إلى الله جل ثناؤه في ذلك ، ولكنهم كانوا وعدوا النصر ، ولم يوقّت لهم في تعجيل ذلك لهم ، لما في تعجيله من سرور الظفر وراحة الجسد .

• • •

قال أبو جعفر : والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره ، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تَبَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلاً ، فإنك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجل [لهم] خزيهم ، ولنا الظفر عليهم .^(١) يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى ، وهو قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَفْضِكُمْ مِنْ

(١) في المطبوعة : « فعجل حرهم » ، وفي المخطوطة ، غير منقوطة ، إلا نقطة على الحاء ، وصواب قراءتها ما أثبت . وزدت « لهم » بين القوسين ، استظهاراً من قوله « ولنا الظفر عليهم » . ولو كان قوله « ولنا » تصحيف « وآتانا » ، لكان جيداً أيضاً ، ولما احتاج الكلام إلى زيادة « لهم » .

بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ۖ
الآيات بعدها . وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم في شيء . وذلك أنه غير
موجود في كلام العرب أن يقال : « افعَل بنا يارب كذا وكذا » ، بمعنى : « لتفعل بنا كذا
وكذا » . ^(١) ولو جاز ذلك ، لحاز أن يقول القائل لآخر ^(٢) : « أقبل إلىّ وكلمني » ،
بمعنى : « أقبل إلىّ لتكلمني » ، وذلك غير موجود في الكلام ولا معروف جوازه .
وكذلك أيضاً غير معروف في الكلام : « آتتنا ما وعدتنا » ، بمعنى : « اجعلنا
من آتيتك ذلك » . وإن كان كل من أعطى شيئاً سنياً ، فقد صيّر نظيراً لمن كان
مثله في المعنى الذي أعطيه . ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك ، وإن كان
قد يؤول معناه إليه . ^(٣)

• • •

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذا : ربنا أعطنا ما وعدتنا على السن رسلك :
أنك تُعَلِّي كلمتك كلمة الحق ، بتأييدنا على من كفر بك وحادّك وعبد غيرك ^(٤) =
وعجل لنا ذلك ، فلما قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك — ولا تخزننا يوم القيامة
فتفضحنا بذنوبنا التي سلفت منا ، ولكن كفرها عنا ، واغفرها لنا ، وقد : —
٨٣٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج
قوله : « ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك » ، قال : يستنجز موعود الله على رُسُلِهِ .

• • •

(١) في المطبوعة : « بمعنى أفعَل بنا لكذا الذي . ولو جاز ذلك ... » ، وهذا خلط ليس له معنى
مفهوم . وفي المخطوطة : « بمعنى : افعَل بنا كذا الذي . ولو جاز ذلك » ، وهذا خلط أشدّ فساداً من
الأول . والصواب الذي لاشك فيه هو ما أثبتته ، لأن هذا رد من أبي جعفر على أصحاب القول الأول الذين
قالوا إنها بمعنى : « لتؤتينا ما وعدتنا » في تفسير « وآتتنا ما وعدتنا » ، ولأنه مثل بعد بقوله : « أقبل إلىّ
وكلمني » ، أنه غير موجود بمعنى « أقبل إلىّ لتكلمني » .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « أن يقول القائل الآخر » وهو خطأ لاشك فيه .

(٣) وهذا رد على أصحاب القول الثاني من الأقوال الثلاثة التي ذكرها قبل . وهم الذين قالوا إن
قوله : « وآتتنا ما وعدتنا » ، على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم من آتاهم ما وعدهم

(٤) في المخطوطة : « بتأييدنا على من كفر بك » ، وأرجح ما جاء في المطبوعة .

القول في تأويل قوله ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ
عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بِنَفْسِكُمْ مِّنْ بَعْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : فأجاب هؤلاء الداعين = بما وصف
من أدعيتهم أنهم دعوا به ^(١) = ربهم : بأنني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً ،
ذكرأ كان العامل أو أنثى .

* * *

وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال الرجال يذكرون ولا
تذكر النساء في الهجرة » ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية .

٨٣٦٧—حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تذكر الرجال
في الهجرة ولا تذكر ؟ فترلت : « أنثى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » ،
الآية . (٢)

(١) في المطبوعة « فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم . . . »
وهو كلام لا يستقيم . وفي المخطوطة : « فأجاب الله هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم . . . »
وهو أيضاً غير مستقيم ، والصواب الراجح ما أثبت . لأن الله عدد أدعيتهم التي دعوا بها قبل في الآيات
السالفة ، فكان صواباً أن يذكرها إجمالاً في بيان تفسير الآية . وغير مستقيم في العربية أن يقال :
« وصف عن فلان كذا » ، فلذلك رجعت قراءتها كما أثبت . والتاسخ كما ترى كثير السهو والغلط .
وسياق الكلام « فأجاب هؤلاء الداعين . . . ربهم » برفع « ربهم » ، وما بينهما فصل في السياق ،
وهو تأويل قوله : « فاستجاب لهم ربهم » .

(٢) الحديث : ٨٣٦٧ — هذا إسناد صحيح . ومؤمل : هو ابن إسماعيل ، وهو ثقة ، كما
ذكرنا في : ٢٠٥٧ .

سفيان — هنا — : هو الثوري ، وإن كان مؤمل يروى أيضاً عن ابن عينة . ولكن بين أنه الثوري في
رواية الحاكم ، كما سذكر في التخريج ، إن شاء الله .

والحديث رواه الطبري أيضاً ، فيها يأتي في تفسير الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب (ج ٢٢ ص
٨ بولاق) ، عن ابن حيد ، عن مؤمل ، بهذا الإسناد . وذكره سيبأ لنزول تلك الآية .

٨٣٦٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت رجلاً من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

٨٣٦٩ - حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة : أنها

والحديث مروي على أنه سبب في نزول هذه الآية وتلك .

فرواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٤١٦ ، من طريق الحسين بن حفص ، عن سفيان بن سعيد [وهو الثوري] ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، يذكر الرجال ولا يذكر النساء ؟ فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الآية ، وأنزل : « أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

والحسين بن حفص الهمداني الإصبهاني : ثقة ، كما ذكرنا في شرح : ٢٤٣٥ .

وقد ذكر ابن كثير رواية الطبري الأخرى ، في سورة الأحزاب ٦ : ٥٣٣ ، غير منسوب .

ورواه أحمد في المسند ٦ : ٣٠١ (حلي) ، سبباً لنزول آية الأحزاب . رواه من وجهين ، جمعهما في إسناده واحد : من رواية عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، ومن رواية عبد الرحمن بن شيبه المكي الحنبلية = كلاهما عن أم سلمة .

ثم أعاده مرة أخرى ، ص : ٣٠٥ من الوجهين ، فرقهما لإسنادين .

ورواه المزني في تهذيب الكمال ، في ترجمة « عبد الرحمن بن شيبه » ، بإسناده إليه .

وذكر الحافظ في تهذيب التهذيب أن النسائي رواه في التفسير من طريق عبد الرحمن . فهو في السنن الكبرى .

ورواه الطبري ، فيما سياتي (ج ٢٢ ص ٨ بولاق) ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أم سلمة - سبباً لنزول آية الأحزاب .

ويحيى بن عبد الرحمن : تابعي ثقة جليل رفيع القدر .

وذكر ابن كثير ٦ : ٥٣٣ أنه رواه النسائي من طريقه . ثم أشار إلى رواية الطبري إياه .

وانظر أيضاً الدر المنثور ٥ : ٢٠٠ .

فالحديث في الموضعين في الطبري ، من طريق مجاهد = مختصر .

وانظر الرايتين التاليتين لهذا .

قالت : يا رسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ؟ فأنزل الله ١٤٤/٤ : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » .^(١)

وقيل : « فاستجاب لهم » : بمعنى : فأجابهم ، كما قال الشاعر^(٢) :
 ودَاعِ دَعَايَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ^(٣)
 بمعنى : فلم يجبه عند ذاك مجيب .

(١) الحديثان : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩ - الرجل من ولد أم سلمة : أبهم هنا ، ولكنه عرف من إسناد آخر .

وكذلك ذكره الترمذي في روايته مبهما .
 فرواه ٤ : ٨٨ ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان - وهو ابن عيينة - بهذا الإسناد .
 وكذلك أبهم سعيد بن منصور : فرواه عن سفيان ، به . فيما نقله عنه ابن كثير في التفسير ٢ : ٣٢٦ .

وبينه الحاكم في المستدرک .

فرواه ٢ : ٣٠٠ ، من طريق يعقوب بن حميد : « حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة بن أبي سلمة : رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة » .
 وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه . سمعت أبا أحمد الحفاظ - وذكر في بحثي في كتاب البخاري : يعقوب بن سفيان ، ويعقوب بن الدراوردي = فقال أبو أحمد : هو يعقوب بن حميد » . والذهبي وافق الحاكم على أنه على شرط البخاري .

ويعقوب بن حميد بن كاسب : مضى توثيقه في : ٤٧٧٩ ، ٤٨٨٠ ، ومضى اعتراض الذهبي على الحاكم في تصحيح حديثه هناك . فالحجب أن يوافقه هنا !

و « سلمة بن أبي سلمة » هذا : هو « سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة » ، نسب إلى جده الأعلى . وبعضهم يذكر نسبه كاملا ، وبعضهم ينسبه لجده ، يقول : « سلمة بن عمر بن أبي سلمة » . وأم سلمة أم المؤمنين : هي أم جده « عمر بن أبي سلمة » .

و « سلمة » هذا : مترجم في تهذيب التهذيب ، ولم يترجم في أصله « تهذيب الكمال » . وله ترجمة في الكبير البخاري ٨١/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١٦٦/١/٢ .

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ١١٢ ، دون التقيد بتأبى معين عن أم سلمة ، وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني .

(٢) كعب بن سعد التميمي .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١ : ٣٢٠ ، تعليق : ٣/١ : ٤٨٣ ، تعليق : ١

وأدخلت «من» في قوله : «من ذكر أو أنثى» على الترجمة والتفسير عن قوله : ^(١) «منكم» ، بمعنى : «لا أضيع عمل عامل منكم» ، من الذكور والإناث . وليست «من» هذه بالتى يجوز إسقاطها وحذفها من الكلام فى الجحد ، ^(٢) لأنها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام إلا به .

وزعم بعض نحويى البصرة أنها دخلت فى هذا الموضع كما تدخل فى قولهم : «قد كان من حديث» ، قال : «و» من «ههنا أحسن» ، لأن النهى قد دخل فى قوله : «لا أضيع» .

وأنكر ذلك بعض نحويى الكوفة وقال : «لا تدخل «من» وتخرج إلا فى موضع الجحد» ^(٣) وقال : قوله : «لا أضيع عمل عامل منكم» ، لم يلزمه الجحد ، لأنك لا تقول : «لا أضرب غلام رجل فى الدار ولا فى البيت» ، فتدخل «ولا» ، ^(٤) لأنه لم يثله الجحد ، ولكن «من» مفسرة . ^(٥)

وأما قوله : «بعضكم من بعض» ، فإنه يعنى : بعضكم = أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = من بعض ، فى النصرة والملة والدين ، ^(٦) وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل ، على حكم أحدكم فى أنى لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى .

(١) «الترجمة» : البذل ، كما سلف فى ٢ : ٣٤٠ ، تعليق : ١ ، ص : ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ - ٤٢٦ . أما «التفسير» ، فكأنه عني به «التبيين» ، ولم يرد التمييز ، وانظر فهرس المصطلحات فى سائر الأجزاء السابقة .

(٢) انظر زيادة «من» فى الجحد فيما سلف ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠ / ٥ : ٥٨٦ .

(٣) انظر ما سلف ٢ : ١٢٧ .

(٤) فى المطبوعة «فيدخل» بالياء ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقطعة ، وهذا صواب قراءتها .

(٥) يعنى بقوله «مفسرة» مينة ، وانظر التعليق السالف رقم ١ .

(٦) فى المطبوعة : «والمسألة والدين» ، والصواب من المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ وَقْتَلُوا وَقَتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْ جَنَّتِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فالذين هاجروا » قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله ، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله والتصديق برسوله (١) = « وأخرجوا من ديارهم » ، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة = « وأودوا في سبيل » ، يعنى : وأودوا في طاعتهم ربهم ، وعبادتهم إياه مخلصين له الدين ، وذلك هو « سبيل الله » التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها (٢) = « وقتلوا » يعنى : وقتلوا في سبيل الله = « وقتلوا » فيها (٣) = « ولا كفرن عنهم سيئاتهم » ، يعنى : لا تحونها عنهم ، ولا تفضلن عليهم بعنوى ورحمى ، ولا تغفرن لهم (٤) = « ولا دخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً » ، يعنى : جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله (٥) = « من عند الله » ، يعنى : من قبل الله لهم (٦) = « والله عنده حسن الثواب » ، يعنى : أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه ،

(١) انظر تفسير « هاجر » فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٣ : ٥٦٣ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ / ٤ : ٣١٨ / ٥ :

٢٣٠ : ٦ / ٢٨٠ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « وقتلوا » يعنى ، وقتلوا في سبيل الله ، وقتلوا فيها « قدم وأخر في سياق الآية ، وفي سياق المعنى ، والصواب ما أثبت ، وإن كانت إحدى القراءات تجيز ما كان في المخطوطة ، وانظر القراءات في الآية بعد .

(٤) انظر تفسير « والتكفير » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢ .

(٥) انظر تفسير « الثواب » فيما سلف ٢ : ٤٥٨ / ٧ : ٢٦٢ ، ٣٠٤ .

(٦) انظر تفسير « عند » فيما سلف ٢ : ٥٠١ .

وذلك ما لا يبلغه وصف واصف ، لأنه مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما : -

٨٣٧٠ - حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب قال ، حدثني عمرو بن الحارث : أن أبا عشانة الماعري حدثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ثلثة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تَتَقَى بهم المكاره ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان ، لم تقص حتى يموت وهي في صلوه ، وأن الله يدعويهم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول : « أين عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وقتلوا ، وأوذوا في سبيلى ، وجاهدوا في سبيلى ؟ ادخلوا الجنة » ، فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتى الملائكة فيسجلون ويقولون : « ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ، ونقدس لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتهم علينا » فيقول الرب جل ثناؤه : « هؤلاء عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وأوذوا في سبيلى . فتدخل الملائكة عليهم من كل باب : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ^(١) . [سورة الرعد : ٢٤]

• • •

(١) الحديث : ٨٣٧٠ - أبو عشانة ، يضم العين المهملة وتشديد الشين المعجمة ، الماعري ، بفتح الميم : هو حنبل بن يونس بن صهيل المصرى . تابعى ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مقرب في التهذيب ، والكبير البخارى ١١٠/١/٢ ، وابن سعد ٢٠١/٢/٧ ، وابن أبي حاتم ٢٧٦/٢/١ والحديث رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٧١ - ٧٢ ، من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب - وهو عبد الله - بهذا الإسناد ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ورواه أيضاً الطبرانى ، من طريق أحمد بن صالح ، عن ابن وهب - فيما نقل عنه ابن كثير ٤ : ١٩٠ . ورواه أحمد في المسند ، بنحوه : ٦٥٧٠ ، من طريق معروف بن سويده الجداوى ، عن أبي عشانة الماعري . ثم رواه - بنحوه أيضاً : ٦٥٧١ ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبي عشانة .

ورواه أبو نعيم في الحلية - مختصراً - من طريق معروف بن سويده ١ : ٢٤٧

وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ١٠ : ٢٥٩ ، من روايت المسند ، وذكر في الأولى أنه رواه أيضاً البراز ، والطبرانى ، « ورجاله ثقات » . وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبرانى ، « ورجال الطبرانى رجال الصحيح ، غير أبي عشانة ، وهو ثقة » .

١٤٥ قال أبو جعفر : واختلفت القراءة في قراءة قوله : « وقاتلوا وقتلوا » .

• • •

فقراء بعضهم : « وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا » بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين .

• • •

وقرأ ذلك آخرون : « وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا » بتشديد « قتلوا » ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون ، بعضاً بعد بعض ، وقتلاً بعد قتل .

• • •

وقرأ ذلك عامة قراءة المدينة وبعض الكوفيين : « وَقَاتَلُوا وَقَتَلُوا » بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا

• • •

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين . « وَقَتِلُوا » بالتخفيف . « وقاتلوا » ، بمعنى : أن بعضهم قُتِل ، وقاتل من بقى منهم .

• • •

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها ، لإحدى هاتين القراءتين ، وهى : « وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا » بالتخفيف ، أو « وَقَتَلُوا » بالتخفيف « وَقَاتَلُوا » . لأنها القراءة المنقولة نقل وراثته ، وما عداها فشاذاً . وبأى هاتين القراءتين التى ذكرت أنى لا أستجيز أن أعدوهما ، قرأ قارىء ، فصيب فى ذلك الصواب من القراءة ، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منها فى قراءة الإسلام ، مع اتفاق معنيهما .

• • •

وذكره السيوطى ٢ : ١١٢ ، ونسبه لابن جرير ، وأبى الشيخ ، والطبرانى ، والحاكم « وصححه » ، والبيهقى فى الشعب .

ثم ذكره مرة أخرى ٤ : ٥٧ - ٥٨ ، ونسبه لأحمد ، والبخارى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، والحاكم « وصححه » . وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان ولم يذكره ابن كثير فى هذا الموضع ، بل ذكره فى ذلك الموضع ، فى تفسير سورة الرعد ، كما أشرنا إليه .

القول في تأويل قوله ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٩٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « لا يغرنك » يا محمد = « تقلب الذين كفروا في البلاد » ، يعنى : تصرفهم في الأرض وضربهم فيها ، (١) كما : - ٨٣٧١ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد » ، يقول : ضربهم في البلاد .

* * *

= ففى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد ، وإمهال الله إياهم ، مع شركهم ، وجحودهم نعمه ، وعبادتهم غيره . وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى به غيره من أتباعه وأصحابه ، كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله = ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة .

٨٣٧٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد » ، والله ما غروا نبي الله ، ولا وكل إليهم شيئاً من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك .

* * *

وأما قوله : « متاع قليل » ، فإنه يعنى : أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها ،

(١) انظر تفسير « التقلب » فيما سلف ٣ : ١٧٢

(٢) أخشى أن يكون سقط من هذه العبارة شيء ، وإن كان الكلام مفهوماً المعنى ، وكان أصل العبارة « كما قد بينا فيما مضى قبل - ولم يكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الشرك والكفر شيئاً من أمر الله ، ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً » .

متعة يمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم ، فتحترمهم منياتهم = « ثم ماوأهم جهنم » ،
بعد مماتهم .

• • •

و « المأوى » : المصير الذى يأوون إليه يوم القيامة ، فيصبرون فيه ^(١)

• • •

ويعنى بقوله : « وبشس المهاد » ، وبشس الفراش والمضجع جهنم . ^(٢)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزْلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّائِزِينَ ﴾ (١٩٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه ^(٣) : « لكن الذين اتقوا ربهم » ، لكن
الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته ، فى العمل بما أمرهم به ، واجتناب ما نهاهم
عنه = « لهم جنات » يعنى : بساتين ، ^(٤) = « تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها » ،
يقول : باقين فيها أبداً ^(٥) = « نزلا من عند الله » ، يعنى : إنزالا من الله إياهم فيها ،
أنزلوها .

• • •

ونصب « نزلا » على التفسير من قوله : « لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » ،

(١) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٢٧٩

(٢) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ٤ : ٢٤٦ / ٦ : ٢٢٩

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ١ : ٣٨٤ / ٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ / ٦ : ٢٦١ ، ٢٦٢ /

٧ : ٢٢٧ .

(٥) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف ٦ : ٢٦١ : ٢٦٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك ،

وفهارس اللفظة .

كما يقال : « لك عند الله جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً » ، وكما يقال : « هولك صدقة » : « هولك هبة » .^(١)

• • •

= وقوله : « من عند الله » ، يعنى : من قبل الله ،^(٢) ومن كرامة الله إياهم ، وعطاياهم .

• • •

وقوله : « وما عند الله خير للأبرار » ، يقول : وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب ، = « خير للأبرار » ، مما يتقلب فيه الذين كفروا ، فإن الذى يتقلبون فيه زائل فان ، وهو قليل من المتاع خسيس ، وما عند الله من كرامته للأبرار —^(٣) وهم أهل طاعته^(٤) — باقى ، غير فان ولا زائل .

• • •

٨٣٧٣ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « وما عند الله خير للأبرار » ، قال : لمن يطيع الله .

٨٣٧٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ،

عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : ما من نفس برّة ١٤٦/٤ ولا فاجرة إلا والموت خير لها . ثم قرأ عبد الله : « وما عند الله خير للأبرار » ، وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ .^(٥)

[سورة آل عمران : ١٧٨]

(١) « التفسير » ، عند الكوفيين ، هو التمييز عند البصريين ، وانظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ ، تعليق : ٣/١ : ٩٠ ، تعليق : ٥/٢ : ٩١ ، تعليق : ٤ وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥١ (٢) انظر تفسير « عند » فيما سلف قريباً ص : ٤٩٠ ، تعليق ٦ ، والمراجع هناك . (٣) فى المطبوعة : « وما عند الله خير من كرامته للأبرار » ، وهو فاسد المعنى ، وكان مثله فى المخطوطة ، إلا أنه ضرب على « غير » بإشارة الحلف ، ولكن الناشر لم يدرك معنى الإشارة فأبقاها . فأفسدت الكلام .

(٤) انظر تفسير « الأبرار » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٥) الحديث : ٨٣٧٤ — معنى برقم : ٨٢٦٧ ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الرحمن —

وهو ابن مهيدي — عن سفيان .

ورواه ابن أبي حاتم ، من طريق أن معاوية ، عن الأعمش كما نقله ابن كثير عنه ٢ : ٣٢٨ .

٨٣٧٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن فرج بن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي الدرداء أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فإن الله يقول : « وما عند الله خير للأبرار » ، ويقول : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ ^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِنَائِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية .

فقال بعضهم : عني بها أصحاب النجاشي ، وفيه أنزلت .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٧٦ - حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا

أبو بكر الهذلي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله : أن

(١) الحديث - : ٨٣٧٥ - فرج بن فضالة : ضعيف ، كما بينا في : ١٦٨٨ .

لقمان : هو ابن عامر الوصابي الحمصي . وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢٥١/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٨٢/٢/٣ - ١٨٣ . ولم يذكر فيه جرحاً .

و « الوصابي » : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملية ، كما ضبطه ابن الأثير في الباب ، والذي في المشبه ، وهم الحافظ ابن حجر ، ف ضبطه في التقريب بتخفيفها .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩ ، عن هذا الموضع من الطبري . ووقع في طبعته « فوج ابن فضالة » بدل « فرج بن فضالة » ؛ وهو خطأ مطبعي نحيف .

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٤ ، عند الآية السابقة : ١٧٨ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أخرجوا فصلوا على أخ لكم » . فصلى بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : « هذا النجاشي أحصمة » . فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلى على عِلْجٍ نصراني لم يره قط ! ^(١) فأنزل الله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » . ^(٢)

٨٣٧٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبي عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه . قالوا : يصلى على رجل ليس بمسلم ! قال : فنزلت : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » . قال قتادة : فقالوا : فإنه كان لا يصلى إلى القبلة ! فأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] .

٨٣٧٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، ذكر

(١) « العِلْج » : الرجل من كفار العجم ، غير العرب ، والجمع « علوج » و « أعلاج »
(٢) الحديث : ٨٣٧٦ - عصام بن رواد بن الجراح : مضت ترجمته وتوثيقه : ٢١٨٣ . وقع هنا في المطبوعة « عصام بن زياد بن رواد بن الجراح » ؛ فزيادة اسم « زياد » في نسه لا أصل لها . وثبت في المخطوطة بحذفها ، على الصواب .

أبو « رواد بن الجراح » : مضت ترجمته وتضمينه : ١٢٦ ، ٢١٨٣ .

أبو بكر الهذلي : سبق بيان ضعفه جداً ، في : ٥٩٧ ، وشرح : ٢٥٢٦ .

١. وهذا الحديث ذكره السيوطي : ٢ : ١١٣ ، ولم ينسبه لغير الطبري .

وذكره ابن كثير : ٢ : ٣٣٠ ، عن الطبري ، ولكن في روايته خلاف في بعض لفظه لما هنا ، ولم يذكر أول إسناده . فلمله نقله عن موضع آخر من الطبري .

وهذا الحديث ضعيف كما ترى ، وسيأتي قول الطبري ، ص : ٤٩٩ س : ١٥ « قيل : ذلك خبر في إسناده نظر » .

والضعف إنما هو في هذا الإسناد لحديث جابر ، أما أصل المعنى ، في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي صلاة الخنازة الغائبة ، فإنه ثابت صحيح لاشك في صحته . رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر ، ومن حديث أبي هريرة . انظر المنتقى : ١٨٢١ - ١٨٢٤ .

لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي ، وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشي وصلى عليه حين بلغه موته ، قال لأصحابه : « صلّوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم » ! فقال أناس من أهل النفاق : « يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه » ؟ فأنزل الله هذه الآية : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » .

٨٣٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، قال : نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم = واسم النجاشي ، أصحمة .

٨٣٨٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، قال عبد الرزاق ، وقال ابن عيينة : اسم النجاشي بالعربية : عطية .

٨٣٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي ، طعن في ذلك المنافقون ، فنزلت هذه الآية : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » ، إلى آخر الآية .

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك عبد الله بن سلام ومن معه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت — يعني هذه الآية — في عبد الله بن سلام ومن معه .

٨٣٨٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني ابن زيد في

قوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، الآية كلها = قال : هؤلاء يهود .

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك مُسَلِّمة أهل الكتاب .
 . ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٤ — حدثني المنفي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ٤/٧ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم » ، من اليهود والنصارى ، وهم مسلمة أهل الكتاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد . وذلك أن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « وإن من أهل الكتاب » أهل الكتاب جميعاً ، فلم يخص منهم النصارى دون اليهود ، ولا اليهود دون النصارى . وإنما أخبر أن من « أهل الكتاب » من يؤمن بالله . وكلا الفريقين = أعني اليهود والنصارى = من أهل الكتاب .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائل في الخبر الذي روي عن جابر وغيره : أنها نزلت في النجاشي وأصحابه ؟

قيل : ذلك خبر في إسناده نظر . ولو كان صحيحاً لا شك فيه ، لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف .^(١) وذلك أن جابراً ومن قال بقوله ، إنما قالوا : « نزلت في النجاشي » ، وقد تنزل الآية في الشيء ، ثم يعم بها كل من كان في معناه . فالآية وإن كانت نزلت في النجاشي ، فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي ، حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم

(١) في المطبوعة : « خلاف » ، والصواب في المخطوطة . وقوله : « بخلاف » ، أي يخالف

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاءهم به من عند الله ، بعد الذى كانوا عليه قيل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين ، التوراة والإنجيل .

فلذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : « وإن من أهل الكتاب » التوراة والإنجيل = « لمن يؤمن بالله » فيقرّ بوحدايته = « وما أنزل إليكم » ، أيها المؤمنون ، يقول : « وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = « وما أنزل إليهم » ، يعنى : « وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب ، وذلك التوراة والإنجيل والزبور » خاشعين لله » ، يعنى : خاضعين لله بالطاعة ، مستكينين له بها متذلّلين ، (١) كما : —

٨٣٨٥ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني ابن زيد فى قوله : « خاشعين لله » ، قال : الخاشع ، المتذلّل لله الخائف .

ونصب قوله : « خاشعين لله » ، على الحال من قوله : « لمن يؤمن بالله » ، وهو حال مما فى « يؤمن » من ذكر « من » . (٢)

= « لا يشترطون بآيات الله ثمناً قليلاً » ، يقول : لا يجرّفون ما أنزل إليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدّلونه ، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه ، لعرض من الدنيا خسيس يُعطونه على ذلك التبديل ، وابتغاء الرياسة على الجاهل ، (٣) ولكن يتقادون للحق ، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه ، ويتنهون عما نهاهم عنه فيها ، ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم .

(١) انظر تفسير « الخشوع » فيما سلف ٢ : ١٦ ، ١٧

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥١

(٣) انظر تفسير « الاشتراء » وتفسير « الثمن » فيما سلف قريباً : ٤٥٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع

القول في تأويل قوله ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩)

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه^(١): «أولئك لهم أجرهم» ، هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم = «لهم أجرهم عند ربهم» ، يعنى : لهم عوض أعمالهم التى عملوها ، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه^(٢) = «عند ربهم» يعنى : مذخور ذلك لهم لديه ، حتى يصيروا إليه فى القيامة ، فيوفى بهم ذلك = «إن الله سريع الحساب» ، وسرعة حسابه تعالى ذكره : أنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها ، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك ، فيقع فى الإحصاء إبطاء ، فلذلك قال : «إن الله سريع الحساب»^(٣).

* * *

القول في تأويل قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : معنى ذلك : «اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم» . ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك :

(١) فى المطبوعة : «يعنى بذلك جل ثناؤه» ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير «الأجر» فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥/٥١٢ : ٥١٩ .

(٣) انظر تفسير «سريع الحساب» فيما سلف ٤ : ٢٠٧/٦ : ٢٧٩ .

عن المبارك بن فضالة، عن الحسن : أنه سمعه يقول في قول الله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يدعوه لشدة ولا رجاء ولا سرًا ولا ضراء ، وأمرهم أن يُصابروا الكفار ، وأن يُرابطوا المشركين .

٨٣٨٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

١٤٨/٤

قوله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، أى : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أهل الضلالة ، ورابطوا في سبيل الله = « واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

٨٣٨٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة في قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، يقول : صابروا المشركين ، ورابطوا في سبيل الله .

٨٣٨٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج : اصبروا على الطاعة ، وصابروا أعداء الله ، ورابطوا في سبيل الله .

٨٣٩٠ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ،

عن الضحاك في قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : اصبروا على ما أمرتم به ، وصابروا العدو ورابطوهم .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : اصبروا على دينكم ، وصابروا وعدى إياكم

على طاعتكم لى ، ورابطوا أعداءكم .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٩١ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني أبو صخر ،

عن محمد بن كعب القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، يقول : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذى وعدتكم ، ورابطوا عدوئى وعلوئكم حتى يترك دينه لدينكم . (١)

• • •

(١) الأثر : ٨٣٩١ - « أبو صخر » هو : حيد بن زياد بن أبي الهارق ، أبو صخر الخراط ،

صاحب البلاء ، سكن مصر . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب .

وقال آخرون : معنى ذلك ، اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ورابطوهم .
 • ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم في قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، قال : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ، ورابطوا على عدوكم .
 ٨٣٩٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا مطرف بن عبد الله المديني قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر ابن الخطاب ، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة ، يجعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله يقول في كتابه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (١)

• • •

(١) الأثر : ٨٣٩٣ - « مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلال ، المديني ، مولى ميمونة أم المؤمنين ، وأمه أخت مالك بن أنس . روى عن خاله مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وعبد الله بن عمر العمري ، وغيرهم . روى عنه البخاري والترمذي ، عن محمد بن أبي الحسن عنه وابن ماجه ، عن الذهل عنه ، والريبع المرادي ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة وآخرون . قال أبو حاتم : « مضطرب الحديث صدوق » . وقال ابن سعد « كان ثقة » ، وبه صمم . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٩٧/١/٤ ، والجرح ٣١٥/١/٤ . وكان في المطبوعة : « المرى » ، وفي المخطوطة مثلها ، وتقرأ « المزني » والصواب « المديني » أو « المديني » في نسبة كما جاء في المراجع ، وابن كثير ٢ : ٣٣٧ . وفي ابن كثير ٢ : ٣٣٧ : « مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة » ، وفي الدر المنثور ٢ : ١١٤ « مهما ينزل بعبد مؤمن من شدة » ، وفي المطبوعة والمخطوطة : « مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة » ، بحذف « من » والصواب إثباتها .

ومن الأخطاء الشائعة أن يقال إن « مهما » لا تدخل على الماضي ، وقد وردت في الآثار والأخبار والأشعار ، من ذلك قول أبي هريرة للفرزدق : « مهما فملت فقتلك الناس فلا تقنط من رحمة الله » (الكامل ١ : ٧٠) وقول الأسود بن يعفر (نوادير أبي زيد : ١٥٩) :

أَلَا هَلْ لِهَذَا الذَّهْرِ مِنْ مُتَمَلِّلٍ سِوَى النَّاسِ، مَهْمَا شَاءَ بِالنَّاسِ يَفْعَلِ

وهذا الأثر رواه الحاكم مطولاً في المستدرک ٢ : ٣٠٠ بإسناده قال :

وقال آخرون ، معنى : « واربطوا » ، أى : رابطوا على الصلوات ، أى :
انتظروها واحدة بعد واحدة .

• ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن
مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ، حدثني داود بن صالح قال ،
قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخى ، هل تدري فى أى شىء نزلت
هذه الآية : « اصبروا وصابروا واربطوا » ؟ قال قلت : لا ! قال : إنه يا ابن أخى لم يكن
فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يُرابطُ فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف
الصلاة . (١)

« أخبرنا أبو العباس السبارى ، حدثنا عبد الله بن على ، حدثنا عبد الله بن
المبارك ، أنبأنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه : أنه بلغه أن أبا عبيدة حُصر بالشام ، وقد تألب عليه القوم ، فكتب
إليه عمر : « سلام الله عليك ، أما بعد ، فإنه ما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة ،
إلا يجعل الله له بعدها فرجاً ، ولن يغلب عُسْرُ يُسْرَيْنِ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فكتب إليه أبو عبيدة : « سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإن الله يقول فى كتابه :
﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ﴾ — إلى آخرها » .

قال : فخرج عمر بكتابه ، فقدم على النبر ، فقرأ على أهل المدينة ثم قال : يا أهل
المدينة ، إنما يعرضُ بكم أبو عبيدة : أن أرغبوا فى الجهاد .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

(١) الأثر : ٨٣٩٤ - مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، مضت ترجمته برقم :
٦٤٥٦ . و « داود بن صالح التمار المدنى » ، روى عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، والقاسم ،
وسالم ، وأبي سلمة . قال أحمد : « لا أعلم به بأساً » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب .

٨٣٩٥ - حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن عبد الله بن سعيد المقبري ، عن جده ، عن شرحبيل ، عن علي قال : قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والحطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط .^(١)

٨٣٩٦ - حدثنا موسى بن سهل الرولى قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا محمد بن مهاجر قال ، حدثني يحيى بن يزيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ،

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » من التابعين ، روى عن خلق من الصحابة والتابعين . كان ثقة فقيها كثير الحديث .

والأثر خرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٢٢ ، وذكر سياق ابن مردويه له (٢ : ٣٢١) من طريق « محمد بن أحمد ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا أبو جحيفة على بن يزيد الكوفي ، أنبأنا ابن أبي كريمة ، عن محمد بن يزيد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوماً فقال : أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية » ، وساق الخبر بغير هذا اللفظ .

ورواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٣٠١ من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن المبارك ، بمثل رواية الطبري ، إلا أنه قال في جواب السؤال : قال : قلت : لا . قال : يا ابن أخي إني سمعت أبا هريرة يقول : لم يكن في زمان النبي . . . » بلفظه .

وكذلك خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١١٣ ، ونسبه لابن المبارك وابن المنذر ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

وفي جميع هذه المواضع : « انتظار الصلاة بعد الصلاة » ، والثابت في المخطوطة « خلف الصلاة » ، وكان الكاتب قد كتب فيها « بعد » ثم جعل الباء والعين خاء ، ومد الدال وعقد عليها فاء ، فالظاهر أنه كتبها كما كان يخفظها ، ثم استدرک ، لأنه رأى في النسخة التي كتب عنها « خلف » .

(١) الحديث : ٨٣٩٥ - أبو السائب : هو سلم بن جنادة . وابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان .

عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري : ضعيف جداً ، روى بالكذب . وقد مضى في : ٧٨٥٥ . شرحبيل : لست أدري من هو ؟ والإستاد ضعيف من أجل عهده بن سعيد ، كما ترى . ولو صح هذا الإستاد لظننت أنه « شرحبيل بن السمط الكندي » ، من كبار التابعين ، تختلف في صحبته . وهو معاصر لملي . ومن المحتمل أن يروى عنه أبو سعيد المقبري ، الذي يروى عن علي مباشرة . والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٢٢ ، عن هذا الموضع . ولم ينسبه لغير الطبري . وأشار إليه السيوطي ٢ : ١١٤ ، بعد حديث جابر ، الآتي بعد هذا ، فقال : « وأخرج ابن جرير عن علي مثله » .

ومعنى الحديث ثابت عن علي ، من وجه آخر صحيح . ولكن ليس فيه قوله : « فذلك الرباط » - ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ : ٣٦ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبخاري ، ورجال رجال الصحيح » . وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ١ : ٩٧ ، وقال : « رواه أبو يعلى والبخاري بإستاد صحيح . والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم » .

عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الذين آمنوا لا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب ؟ » قال : قلنا : بلى ، يا رسول الله ! قال : « إسباغ الوضوء في أماكنها ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » (١) .

٨٣٩٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد بن مخلد قال ، ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ، ويرفع به »

(١) الحديث : ٨٣٩٦ - محمد بن مهاجر بن أبي مسلم ، الأنصاري الشامي : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مترجم في التهذيب . والكبير للبخاري ٢٢٩/١/١ ، وابن أبي حاتم ٩١/١/٤ . يحيى بن يزيد الجزري ، أبو شيبة الرهاوي : قال البخاري في الكبير ٣١٠/٢/٤ : « لم يصح حديثه » وذكره في الضعفاء أيضا ، ص : ٣٧ ، وقال مثل ذلك . وقال ابن أبي حاتم ١٩٨/٢/٤ ، عن أبيه : « ليس به بأس ، أدخله البخاري في كتاب الضعفاء ، يحول من هناك » .

فشل هذا حديثه حسن . ثم هو لم يتفرد برواية هذا الحديث ، كما ستذكر في التخريج ، إن شاء الله . زيد بن أبي أنيسة الجزري الرهاوي : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . قال ابن سعد ١٨٠/٢/٧ : « كان ثقة كثير الحديث ، فقيها راوية للعلم » . أخرج له الجماعة كلهم . شرحبيل - هنا - : هو ابن سعد الخطمي المدني مولى الأنصار . تختلف فيه ، والحق أنه ثقة . إلا أنه اختلط في آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه في شرح المستد : ٢١٠٤ ، وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢٥٢/٢/٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٥ : ٢٢٨ ، وابن أبي حاتم ١/٢ - ٣٣٨ - ٣٣٩ .

وقد بين ابن حبان في صحيحه ، في رواية هذا الحديث ، أنه شرحبيل بن سعد . والحديث رواه ابن حبان في صحيحه (٢ : ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان) ، من طريق أبي عبد الرحيم ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن شرحبيل بن سعد ، عن جابر ، به . وأبو عبد الرحيم : هو خالد بن أبي يزيد الحرافي ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . فروايته متابعة صحيحة ، تؤثق رواية يحيى بن يزيد ، التي هنا ، وتوثيقها . والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٢٢ ، عن رواية الطبري هذه .

وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ١ : ١٦٠ - ١٦١ ، عن رواية ابن حبان في صحيحه ، وأشار إليه أيضاً قبل ذلك ، ص : ١٢٨ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ : ٣٧ ، ونسبه للبخاري ، وذكر أن « في إسناده شرحبيل بن سعد ، وهو ضعيف عند الجمهور » ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وأخرج له في صحيحه هذا الحديث . وذكره السيوطي ٢ : ١١٤ ، ونسبه لابن جرير ، وابن حبان .

الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط .^(١)

٨٣٩٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، ١٤٩/٤

عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .^(٢)

* * *

(١) الحديث : ٨٣٩٧ - خالد بن مخلد : هو القطواني . ومحمد بن جعفر : هو ابن أبي كثير .

وقد مضى مثل هذا الإسناد في حديث آخر : ٢٢٠٦ .

والحديث رواه أحمد في المستد : ٧٢٠٨ ، من طريق شعبة ، عن العلاء ، عن أبيه ، دون كلمة « فذلكم الرباط » .

ورواه أحمد أيضاً : ٧٧١٥ ، مع هذه الكلمة - من طريق مالك عن العلاء .

ثم رواه ثانياً : ٨٠٠٨ ، (ج ٢ ص ٣٠٣ حلى) ، من طريق مالك أيضاً . وفي آخره : « فذلكم الرباط » - ثلاث مرات .

وهو بهذا اللفظ ، في الموطأ ، ص : ١٦١ .

وكذلك رواه النسائي : ١ : ٣٤ ، من طريق مالك .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه (٢ : ٣٢٩ - ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان) ، من طريق مالك .

ونقله ابن كثير : ٢ : ٣٣١ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من حديث مالك ، كرواية الموطأ .

ورواه مسلم : ١ : ٨٦ ، من طريق مالك ، ومن طريق شعبة . وذكر أن رواية مالك - عنده -

« فذلكم الرباط » مرتين .

وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب : ١ : ٩٧ ، ١٢٨ ، ونسبه لمالك ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي .

وذكره السيوطي : ٢ : ١١٤ ، وزاد نسبه للشافعي ، وعبد الرزاق .

وانظر الإسناد التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٨٣٩٨ - القاسم : هو ابن الحسن ، والحسين : هو ابن داود المصيصي ،

ولقبه « سنيذ » .

وهذا الإسناد « القاسم ، عن الحسين » يدور عند الطبري كثيراً ، في التفسير والتاريخ ، فما مضى منه

في التفسير : ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨٨ . وفي التاريخ - مثلاً - ١ : ٢١ ، ٤١ .

أما « سنيذ » فقد ترجعنا له في : ١٤٤ ، ١٦٨٨ .

وأما « القاسم بن الحسن » - شيخ الطبري : فلم أجده ترجمة . ولكن في تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٢ -

٤٣٣ ترجمة « القاسم بن الحسن بن يزيد ، أبو محمد الهذلي الصائغ » ، المتوفى سنة ٢٧٢ . فهذا يصلح

أن يكون هو المراد ، ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه .

وعسى أن نجد ما يدل على حقيقة هذا الشيخ ، في فرصة أخرى ، إن شاء الله .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بتأويل الآية ، قول من قال في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، = « اصبروا » على دينكم وطاعة ربكم . وذلك أن الله لم يخصص من معاني « الصبر » على الدين والطاعة شيئاً ، فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل . فلذلك قلنا إنه عني بقوله : « اصبروا » ، الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى ، صعبها وشديدها ، وسهلها وخفيفها . (١)

= « وصابروا » ، يعني : وصابروا أعداءكم من المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن المعروف من كلام العرب في « المفاعلة » أن تكون من فريقين ، أو اثنين فصاعداً ، ولا تكون من واحد إلا قليلاً في أحرف معدودة . فإذا كان ذلك كذلك ، فإنما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم ، حتى يظفرهم الله بهم ، ويعلى كلمته ، ويخزي أعداءهم ، وأن لا يكون عدوهم أصبر منهم . (٢)

* * *

وكذلك قوله : « ورابطوا » ، معناه : ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك ، في سبيل الله .

* * *

قال أبو جعفر : ورأى أن أصل « الرباط » ، ارتباط الخيل للعدو ، كما

إسماعيل : هو ابن جعفر بن أبي كثير الأنصاري القاري ، وهو ثقة مأمون . مضت الإشارة إليه في شرح : ٦٨٨٤ . وهذا الحديث تكرر لما قبله .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٨٦ ، والترمذي . (رقم : ٥١ بشرحنا) = كلاهما من طريق إسماعيل بن جعفر . ورواه الترمذي أيضاً : ٥٢٠ ، من طريق الدراوردي ، عن العلاء . وقال : « حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح » .

(١) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ٢ : ١١ ، ٣ / ١٢٤ ، ٢١٤ ، ٥ / ٣٤٩ ، ٣٥٢ /

١٨١ : ٧ / ٢٦٤ : ٦

(٢) في المطبوعة : « وإلا يكن ههدهم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

ارتبط عدوهم لهم خيلهم ، ^(١) ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عن وراءه من أرادته من أعدائهم بسوء ، ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر ، كان ذا خيل ق. ارتبطها ، أو ذا رُجُلَة لا مركب له . ^(٢)

* * *

ولأنما قلنا معنى : « واربطوا » ، واربطوا أعداءكم وأعداء دينكم ، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني « الرباط » . ولأنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه ، دون الخفي ، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه = حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل . ^(٣)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « واتقوا الله » ، أيها المؤمنون ، واحذروه أن تخالفوا أمره أو تتقدموا نهيهِ ^(٤) = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لتفلحوا فتبقوا في نعيم الأبد ، وتنجحوا في طلباتكم عنده ، ^(٥) كما : —

(١) في المخطوطة : « كما ارتبط عدوهم لهم حادهم » ، ولعل صواب قراءتها « جياهم » ، ولكنى تركت ما في المطبوعة على حاله ، فهو صواب حسن .

(٢) « الرحلة » (يضم الراء وسكون الجيم) : المشى راجلا غير راكب .

(٣) قوله : « حجة » ، فاعل قوله : « حتى تأتي بخلاف ذلك . . . » . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه . . . » ، والصواب « مما يوجب » كما أثبتنا ، وفي المطبوعة أيضاً : « إلى الخفي من معانيه » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) في المطبوعة : « وتقدموا » بالواو ، والصواب من المخطوطة . وقوله : « تتقدموا نهيهِ » هكذا جاء متعدياً ، وكأنه أراد : أو تسبقوا نهيهِ ، وسبقهم نهيهِ . أن يخاطبوا بالإسراع إلى المحارم بشهواتهم ، قبل أن يردم نهي الله عن إتيانها .

(٥) انظر تفسير « لعل » في سلف ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ومواضع أخرى كثيرة . وانظر تفسير

« الفلاح » في سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٣٦١/٧ : ٩١ .

٨٣٩٩ - حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي : أنه كان يقول في قوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتموني .

* * *

• آخر تفسير سورة آل عمران • (١)

(١) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم كثيرا »

ثم يتلوه ما أثبتناه في أول تفسير سورة النساء .

تَفْسِيرُ

سُورَةِ النِّسَاءِ

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

• • •

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة » ، احذروا ، أيها الناس ، ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم
وفيا نهاكم ، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قبيل لكم به .

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخاق جميع الأنام من شخص واحد ،
مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبْتَدَأُ إنشائه ذلك من النفس الواحدة ، ^(١) ومنبئهم بذلك
على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة = وأن بعضهم من بعض ، وأن حق
بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه ، لاجتماعهم في النسب إلى
أب واحد وأم واحدة = وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض ، وإن بُعد
التلاقى في النسب إلى الأب الجامع بينهم ، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب

(١) في المطبوعة والمخطوطة « وعرف عباده . . . » ، واستظهرت من نهج أبي جعفر في بيانه ،
ومن قوله بعد : « ومنبئهم » ثم قوله : « وعاطفًا » ، على أن الصواب « وعرفًا » ، وهو مقتضى سياق
الكلام بعد ذلك كله .

الأدنى = (١) وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ، ليتناصفوا ولا يتظالموا ، وليبدُل
القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له ، فقال : « الذى
خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى : من آدم ، كما : —

٨٤٠٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا
أسباط ، عن السدى : أمّا « خلقكم من نفس واحدة » ، فمن آدم عليه السلام . (٢)
٨٤٠١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا
سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ،
يعنى آدم صلى الله عليه . (٣)

٨٤٠٢ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ،
عن مجاهد : « خلقكم من نفس واحدة » ، قال : آدم .

* * *

ونظير قوله : « من نفس واحدة » ، والمعنى به رجل ، قول الشاعر .

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتُهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الْكَمَالُ (٤)

فقال : « ولدته أخرى » ، وهو يريد « الرجل » ، فأنث للفظ « الخليفة » . وقال
تعالى ذكره : « من نفس واحدة » لتأنيث « النفس » ، والمعنى : من رجل واحد .
ولو قيل : « من نفس واحد » ، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى ، كان صواباً . (٥)

* * *

(١) قوله : « وعاطفاً » ، عطف على قوله : « معروفاً عباده ومنهم . . . »

(٢) في المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فيه المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) سلف البيت وتخرجه في ٦ : ٣٦٢ .

(٥) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٥٢

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وخلق منها زوجها » ، وخلق من النفس الواحدة زوجها = يعنى بـ « الزوج » ، الثانى لها . ^(١) وهوفيا قال أهل التأويل ، امرأتها حواء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وخلق منها زوجها » ، قال : حواء ، من قصيرى آدم وهونائم ، ^(٢) فاستيقظ فقال : « أنا » = بالنبطية ، امرأة .
٨٤٠٤ - حدثنا المنثى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٠٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وخلق منها زوجها » ، يعنى حواء ، خلقت من آدم ، من ضلّع من أضلاعه .
٨٤٠٦ - حدثني موسى بن هرون قال ، أخبرنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها . ^(٣) فنام نومة ، فاستيقظ ، فإذا عند رأسه امرأة قاعده ، خلقها

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٥١٤ / ٢ : ٤٤٦ ، وأراد بقوله في تفسير « الزوج » الثانى لها ، أن « الزوج » هو « انفراد الذى له قرين » ، فكل واحد من القرينين ، يقال له : « زوج » ، ثم قيل لامرأة الرجل ، وللرجل صاحب المرأة : « زوج » .

(٢) القصرى (بضم القاف وسكون الصاد وفتح الراء) والقصيرى (بضم القاف وفتح الصاد ، على التصغير) : أسفل الأضلاع ، أو هى الضلع التى تل الشاكلة ، بين الجنب والبطن .

(٣) قوله : « وحشاً » ، أى وحده ليس معه غيره .

الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلى^(١) .

٨٤٠٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أتى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن العباس وغيره - ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه ، من شِقِّهِ الأيسر ، ولأم مكانه ،^(٢) وآدم نائم لم يهب من نومه ، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضِلَعِهِ تلك زوجته حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كُشِفَتْ عنه السنة وهب من نومه ، رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون ، والله أعلم - : لحمي ودي وزوجتي ! فسكن إليها .^(٣)

٨٤٠٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وخلق منها زوجها » . جعل من آدم حواء .

وأما قوله : « وبثّ^{*} منهما رجالاً كثيراً ونساء^{*} » ، فإنه يعني : ونشر منهما ، يعني من آدم وحواء = « رجالاً كثيراً ونساء » ، قد رآهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [سورة القارة : ٤] .^(٤)

يقال منه : « بثّ الله الخلق ، وأبثهم^{*} » .^(٥)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) الأثر : ٨٤٠٦ - مضى هذا الأثر مطولاً برقم : ٧١٠ ، وكان في المطبوعة هنا : « لتسكن إلى » باللام في أولها ، وأثبت نص المخطوطة ، وما سلف في الأثر : ٧١٠ .
(٢) لأم الشيء لأمّاً ، ولامه ، فالتأم : أصلحه حتى اجتمع وذهب ما كان فيه من الصدع . وفي روايته في الأثر رقم : ٧١١ : « ولأم مكانه لحماً » .
(٣) الأثر : ٨٤٠٧ - مضى هذا الأثر برقم : ٧١١ ، وتخرجه هناك .
(٤) انظر معاني القرآن للفراء : ١ : ٢٥٢ .
(٥) انظر تفسير « بث » فيما سلف ٣ : ٢٧٥ .

• ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل ، قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدي : « وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » ، وبث ، خلق .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأه عامة قراءة أهل المدينة والبصرة ﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾ بالتشديد ، بمعنى : تساءلون ،
ثم أدغم إحدى « التاءين » في « السين » ، فجعلهما « سيناً » مشددة .

* * *

وقراه بعض قراءة الكوفة : ﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾ ، بالتخفيف ، على مثال « تفاعلون » ،

* * *

وهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان = أعنى التخفيف والتشديد في قوله : ١٥١٧٤
« تساءلون به » = وبأى ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه . لأن معنى ذلك ،
بأى وجهيه قرئ ، غير مختلف .

* * *

وأما تأويله : واتقوا الله ، أيها الناس ، الذي إذا سأل بعضكم بعضاً سأل به ، فقال
السائل للمستول : « أسألك بالله ، وأنشدك بالله ، وأعزم عليك بالله » ، وما أشبه ذلك .
يقول تعالى ذكره : فكما تعظمون ، أيها الناس ، ربكم بألستكم حتى تروا أن من أعطاكم
عهده فأخفركموه ، ^(١) فقد أتى عظيماً . فكذلك فعظموه بطاعتكم إياه فيما أمركم ،

(١) أخفر النمة والمهد : نقضه وغدره وخاس به ، ولم يف بمهده .

واجتنابكم ما نهاكم عنه ، واحذروا عقابه من مخالفتكم لإياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ، كما : -

٨٤١٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به » ، قال يقول : اتقوا الله الذي تعاقلون وتعاهدون به .

٨٤١١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذي تساءلون به » ، يقول : اتقوا الله الذي به تعاقلون وتعاهدون .

٨٤١٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس مثله .

٨٤١٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « تساءلون به » ، قال : تعاطفون به .

• • •

وأما قوله : « والأرحام » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : واتقوا الله الذي إذا سألتكم بينكم قال السائل للمستول : « أسألك به وبالرحم »

• ذكر من قال ذلك :

٨٤١٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله الذي تعاطفون به والأرحام . يقول : الرجل يسأل بالله وبالرحم .

٨٤١٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : هو كقول الرجل : « أسألك بالله ، أسألك بالرحم » ، يعني قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » .

٨٤١٦ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : هو قول الرجل : « أسألك بالرحم » .

٨٤١٨ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن منصور - أو مغيرة - عن إبراهيم في قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : هو قول الرجل : « أسألك بالله والرحم » .

٨٤٢٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرحم » .

* * *

قال محمد : ^(١) وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله : ﴿ وَالْأَرْحَامُ ﴾ بالخفض عطفاً بـ « الأرحام » ، على « الهاء » التى فى قوله : « به » ، كأنه أراد : واتقوا الله الذى تساءلون به وبالأرحام = فعطف بظاهر على مكنى مخفوض . وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب ، لأنها لا تنسق بظاهر على مكنى فى الخفض ، ^(٢)

(١) قوله : « قال محمد » ، يعنى محمد بن جرير الطبرى ، أبا جعفر صاحب التفسير . وهذه أول مرة يكتب فيها الطبرى ، أو أحد تلامذته ، أو بعض ناخى تفسيره « قال محمد » ، دون كنيته قال « أبو جعفر » . وانظر ما سياتى ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٢ .

(٢) قوله : « تنسق » ، أى تعطف . و « النسق » المعطف ، انظر فهارس المصطلحات فى هذه الأجزاء من التفسير ، و « المكنى » التفسير ، انظر فهارس المصطلحات .

إلا في ضرورة شعر ، وذلك لضيق الشعر .^(١) وأما الكلام ، فلا شيء يضطر
التكلم إلى اختيار المكروه من المنطق ، والردى في الإعراب منه . وما جاء في الشعر
من ردّ ظاهر على مكنى في حال الخفض ، قول الشاعر :^(٢)

تَلَقُّ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَقَافٌ^(٣)

فقطف : « الكعب » وهو ظاهر ، على « الماء والألف » في قوله : « بينها »
وهي مكنية .

• • •

وقال آخرون : تأويل ذلك : واتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الأرحام
أن تقطعوها . ١٥٢/٤

(١) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وقد ذكر هذه القراءة بإسنادها
إلى إبراهيم بن يزيد النخعي ، وهي قراءة حمزة وغيره .

(٢) هو مسكين الدارمي .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٣ ، الحيوان ٦ : ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، الإنصاف : ١٩٣ ،
الخرافة ٢ : ٣٣٨ ، العيني (بهاشخ الخرافة) ٤ : ١٦٤ ، وهو من أبيات ذكرها الجاحظ ، وأتمها
العيني ، يمجّد نفسه وقومه ، قال :

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسٌ وَخِنْذِفُ أَنَّنِي
وَقَدْ عَلِمُوا أَن لَنْ يُبْقَى عَدُوُّهُمْ
وَأَنَا أَبَانَا بِكُرِّ آدَمَ ، فَأَعْلَمُوا ،
كَأَنَّ عَلَى خُرْطُومِهِ مُتَهَافِتًا
وَالصَّدَأُ الْمُسْوَدُّ أَطِيبُ عِنْدَنَا
تَلَقُّ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا
وَتَضْحَكُ عِرْفَانُ الدَّرُوعِ جُلُودُنَا
بَشَرِهِمْ مِنْ عَارِمِ النَّاسِ وَاقِفُ
إِذَا قَذَفْتَهُ فِي يَدَيِ الْقَوَافِ
وَحَوَاءَ ، قَرَمٌ ذُو عَثَانِينَ شَارِفُ
مِنَ الْقَطَنِ هَاجَتُهُ الْأَكْفُ النَّوَافِ
مِنَ الْمِسْكِ ، دَافَتُهُ الْأَكْفُ الدَّوَافِ
وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَقَافِ
إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الْاَوْنُ كَاسِفُ

في أبيات آخر ، ورواية الحيوان : « والكعب منا تنائف » ، وفي الطبري ومعاني القرآن والخرافة
« تعلق » بالثوب ، وكلتاها صواب . و « السواري » جمع سارية ، وهي الأسطوانة . و « الغوط » جمع
غاتط ، وهو المظلم من الأرض . و « التنائف » جمع قنفت : وهو الهواء بين شيئين ، وكل شيء بينه
وبين الأرض مهوى بعيد فهو نغف .

• ذكر من قال ذلك :

٨٤٢١- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله ، واتقوا الأرحام لا تقطعوها .

٨٤٢٢- حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اتقوا الله ، وصلوا الأرحام ، فإنه أبى لكم في الدنيا ، وخير لكم في الآخرة .

٨٤٢٣- حدثني علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قول الله : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الله في الأرحام فصلوها .

٨٤٢٤- حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن في قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الذي تساءلون به ، واتقوه في الأرحام .

٨٤٢٥- حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة في قول الله : « الذي تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٦- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرحم » .

٨٤٢٧- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الله ، وصلوا الأرحام .

٨٤٢٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « الذي تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « الذي تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : اتقوا الله في الأرحام فصلوها .

٨٤٣٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : واتقوا الله في الأرحام فصلوها .

٨٤٣١ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق ، عن عبد الرحمن بن أبي حماد - وأخبرنا أبو جعفر الخزاز ، عن جوير ، عن الضحاك : أن ابن عباس كان يقرأ : « والأرحام » ، يقول : اتقوا الله لا تقطعوها .

٨٤٣٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : اتقوا الأرحام .

٨٤٣٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ، أن تقطعوها .

٨٤٣٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واتقوا الله الذي تساءلون به » ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = وقرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [سورة الرعد : ٢١] .

• • •

قال أبو جعفر ، وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصباً بمعنى : واتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = عطفاً بـ «الأرحام» ، في إعرابها بالنصب

على اسم الله تعالى ذكره .

قال : والقراءة التي لاستجيز لقارئ أن يقرأ غيرها في ذلك ، ^(١) النصب : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ، بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لما قد بينا أن العرب لاتعطف بظاهري من الأسماء على مكني في حال الخفض ، إلا في ضرورة شعر ، على ما قد وصفت قبل . ^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيًّا 》 ①

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : إن الله لم يزل عليكم رقيًّا .

* * *

ويعني بقوله : « عليكم » ، على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر ، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب ، فتقول : إذا خاطبت رجلاً واحداً أو جماعة فعلت هي وآخرون غُيِّبَ معهم فعلاً : « فعلتم كذا ، وصنعتم كذا » .

* * *

ويعني بقوله : « رقيًّا » ، حفيظاً ، مُحصياً عليكم أعمالكم ، متفقداً رعايتكم ٥٣/٤ حرمة أرحامكم وصلتكم إياها ، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها ، كما : — ٨٤٣٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن الله كان عليكم رقيًّا » ، حفيظاً . ٨٤٣٥ م — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد في قوله : « إن الله كان عليكم رقيًّا » ، على أعمالكم ، يعلمها ويعرفها .

* * *

ومنه قول أبي دؤاد الإباضي :

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « لا نستجيز القارئ أن يقرأ » بترريف « القارئ » ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف رقيًّا ص : ٥٢٠ ، ٥١٩ .

كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضَّرْبَاءِ أَيْدِيَهُمْ نَوَاهِدٌ^(١)

القول في تأويل قوله ﴿ وَهَاتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى . يقول لهم : وأعطوا ،
يامعشر أوصياء اليتامى : [اليتامى] أموالهم إذا هم بلغوا الحلم ،^(٢) وأونس منهم الرشد^(٣) =

(١) تهذيب الألفاظ : ٤٧٥ ، المعاني الكبير : ١١٤٨ ، مجاز القرآن ١ : ١١٣ ، الميسر
والقداح : ١٣٣ ، وغيرها ، وهو من أبيات جياذ في نعت الثور الأبيض ، لم أجدها مجتمعة ، منها :

وَقَوَائِمٌ خُذْفٌ ، لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمْعٌ زَوَائِدُ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضَّرْبَاءِ أَيْدِيَهُمْ نَوَاهِدُ
لَهَقٌ كَنَارِ الرَّأْسِ بِالسَّلَاطِيَاءِ تُذَكِّيهِمَا الْأَعَابِدُ
وَيُصَيِّخُ أحيانًا كَمَا أَسْتَمَعُ الْمُضِلُّ لَصَوْتِ نَاشِدٍ

يصف قوائم هذا الثور ، « خذف » جمع خذوف ، وهى السريعة السير والعدو ، تخذف الحصى
بقوائمها . أى تقذفه . و « الزمعة » جمع زمعة ، وهى هنة زائدة ناتئة فوق ظلف الشاة والثور ، مدلاة فيها
شعر . ثم وصف هذه الزمعة الناتئة خلف أظلاف الثور ، وشبه إشرافها على الأظلاف بالرقباء المشرفين
على الضرباء ، وقد مدوا أيديهم . وهذا وصف فى غاية البراعة والحسن . و « الرقباء » جمع رقيب ، وهو
أمين أصحاب الميسر ، يحفظ ضربهم بالقداح ويرقبهم . و « الضرباء » جمع ضريب ، وهو الضارب
بالقداح . وزعم ابن قتيبة أن قوله : « أيديهم » أى : أيدي الضرباء ، وأخطأ ، إنما عنى أيدي الرقباء
لا الضرباء . وقوله : « لهق » هو البياض ، يعنى بياض الثور ، فشبه بياضه بياض النار على رأس
راية مشرقة . تذكى لهيبها المبيد . ثم وصف الثور عند الارتياح ، فقال إنه يصيح - أى ينصت مميلا
رأسه ناحية من الفزع - و « المضل » الذى أضاع شيئاً فهو يترقب أن يجده . « والناشد » ، هو الذى
ينشد ضالة ، أى يعرفها ويصفها . فهو يصنى لصوت المنشد المحرف لإصغاء من يرجو أن تكون هى ضالته .
وهذا من جيد الشعر وبارعه .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط . وضمت بين القوسين ، ولكن السياق يقتضى إثباتها ، وكان
الناسخ غره التكرار ، فأسقط إحداها ، فأساء .

(٣) انظر تفسير « آتى » فى فهارس اللغة ، وتفسير « اليتامى » فيما سلف ٢ : ٢٩٢/٣ :

« ولا تبدلوا الخيث بالطيب » ، يقول : « ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالكم بأموالكم الحلال لكم ، كما : - »

٨٤٣٦ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله الله تعالى : « ولا تبدلوا الخيث بالطيب » ، قال : الحلال بالحرام .

٨٤٣٧ - حدثني المنفي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٣٨ - حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولا تبدلوا الخيث بالطيب » ، قال : الحرام مكان الحلال .

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخيث كان بالطيب ، الذي نهوا عنه ، ومعناه .^(١)

فقال بعضهم : كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفع منه ، ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس ، فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه .
• ذكر من قال ذلك :

٨٤٣٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « ولا تبدلوا الخيث بالطيب » ، قال : لا تعط زيفاً وتأخذ جيداً .

٨٤٤٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي = وعن يحيى بن سعيد = عن سعيد بن المسيب = ومعر عن الزهري ، قالوا : يعطى مهزولاً ويأخذ سميناً .

٨٤٤١ - وبه عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك قال : لا تعط قاسداً ، وتأخذ جيداً .

(١) في المطبوعة : « في صفة تبديلهم الخيث بالطيب » ، أسقط لناشر « كان » لأن مريه أنكرت مريه أبي جعفر ! ! وهي الصواب المحض ، فأنبتها .

٨٤٤٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ، ويقول : « شاة بشاة » ! ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ، ويقول : « درهم بدرهم » !!

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذى قدّر لك من الحلال .
 • ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدّر لك .
 ٨٤٤٤ — وبه عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، كالذى : —

٨٤٤٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار ، يأخذة الأكبر = وقراً ﴿ وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنَكِّحُوهُنَّ ﴾ ، قال : إذا لم يكن لهم شىء : ﴿ وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] ، لا يورثونهم .^(١) قال : فنصيبه من الميراث طيب ، وهذا الذى أخذه خبيث .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : تأويل ذلك : ولا تبدلوا أموال أيتامكم — أيها الأوصياء — الحرام عليكم الخبيث لكم ،

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يورثونهم » ، والصواب ما أثبت .

فتأخذوا رفاتهما وخيارهما وجيادها : بالطيب الحلال لكم من أموالكم = [أى : لا تأخذوا] الردىء الخسيس بدلاً منه .^(١)

* * *

وذلك أن «تبدل الشيء بالشيء» في كلام العرب : أخذ شيء مكان آخر غيره ، ٤/٤ . يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذى أخذ .^(٢)

* * *

فإذ كان ذلك معنى «التبدل» و«الاستبدال» ،^(٣) فمعلوم أن الذى قاله ابن زيد = من أن معنى ذلك : هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميتته ووالده ، دون صغارهم ، إلى ماله — قول لا معنى له . لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصغر منهم ، فلم يستبدل مما أخذ شيئاً . فما «التبدل» الذى قال جل ثناؤه : «ولا تبدلوا الخبيث بالطيب» ، ولم يتبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً ؟

* * *

وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك : لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال = فلإنهما أيضاً ، إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود أنه قال : «إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها ، ففساده نظير فساد قول ابن زيد . لأن من استعجل الحرام فأكله ، ثم آتاه الله رزقه الحلال ، فلم يبدل شيئاً مكان شيء . وإن كانا قد أرادا بذلك ،^(٤) أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال ، فيكون أكلهم ذلك

(١) هذا الذى زدته بين القوسين ، استظهر من تأويله الآتى . والجملة بنير هذه الزيادة لا تكاد تستقيم .

ثم انظر تفسير «الحيث» فيما سلفه : ٤٢٤ : ٧ / ٥٥٩ = وتفسير «الطيب» فيما سلف ٣ : ٤٢٤ : ٧ / ٣٦١ : ٦ / ٥٥٥ : ٥ / ٣٠١

(٢) انظر تفسير «تبدل» و«استبدل» فيما سلف ٢ : ١١٢ ، ١٣٠ ، ٤٩٤

(٣) فى المطبوعة : «التبديل» ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : «وإن كانا أرادوا بذلك» بحذف «قد» فى المخطوطة : «وإن كان قال أراد بذلك» وهو فساد من عجلة النسخ ، ولكن صواب قراءتها ما أثبت .

سبباً لحرمَان الطيب منه فذلك وجه معروف ، ومذهب معقول . يحتمله التأويل .
غير أن أشبه [القولين] في ذلك بتأويل الآية ، ما قلنا . ^(١) لأن ذلك هو الأظهر
من معانيه ، لأن الله جل ثناؤه إنما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها ،
فلأن يكون ذلك من جنس حكم أول الآية وآخرها ، [أول] من أن يكون من
غير جنسه . ^(٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا تخلطوا أموالهم - يعنى أموال
اليتامى بأموالكم - فتأكلوها مع أموالكم ، ^(٣) كما : -

٨٤٤٦ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن
مجاهد في قوله : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ » ، يقول : لا تأكلوا أموالكم
وأموالهم ، تخلطوها فتأكلوها جميعاً .

٨٤٤٧ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن
مبارك ، عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى ، كرهوا أن يخالطوهم ،
وجعل وليُّ اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) في المطبوعة : « غير أن الأشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا » ، وهو غير جيد ، وفي
المخطوطة : « غير أن أشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا » ، وبين أن الناسخ عاد فيها ، فأسقط « القولين »
وهو ما أثبت ما بين القوسين .

(٢) في المطبوعة : « فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية ، فأخرجها من أن يكون من
غير جنسه » جمل « وآخرها » ، « فأخرجها » ، فأنزل الكلام منزلة من الفساد لا يخرج منها . وأما المخطوطة
فكان سياقها : « فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية وآخرها من أن يكون من غير جنسه » ، وهو
سهو من الناسخ وجعلته أفسد الجملة ، صواب « فلا يكون » « فلأن يكون » ، والصواب أيضاً زيادة
« أول » التي وضعتها بين القوسين .

(٣) انظر تفسير « أكل الأموال » فيها سلف ٣ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ = وتفسير « إلى » يعنى
« مع » فيها سلف ١ : ٦ / ٢٩٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

فَأَنزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٠] ، قال : فمخالطوهم واتقوا . ^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُبًّا كَبِيرًا ﴾ ②

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] : ^(٢) « إنه كان حوباً كبيراً » ،
إن أكلكم أموال أيتامكم ، حوبٌ كبير .

* * *

و « الهاء » في قوله : « إنه » دالة على اسم الفعل ، أعنى « الأكل » .

* * *

وأما « الحوب » ، فإنه الإثم ، يقال منه : « حاب الرجل يحوب حوباً وحوباً
وحيباً » ، ويقال منه : « قد تحوب الرجل من كذا » ، إذا تأثم منه ، ومنه قول أمية
ابن الأسكر الليثي : ^(٣)

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتِنِذٍ ، لَقَدْ خَطِئَا وَحَابًا ^(٤)

ومنه قيل : « نزلنا بحوبة من الأرض ، وبحيبة من الأرض » ، إذا نزلوا
بموضع سوءٍ منها .

* * *

و « الكبير » العظيم . ^(٥)

* * *

(١) الآثار : ٨٤٤٧ - هذا الاثر لم يروه أبو جعفر في تفسير آية سورة البقرة ٤ : ٣٤٩ -
٣٥٥ ، وهو من الدلائل على اختصاره تفسيره هذا .

(٢) الذى بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام بغيرها .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « بن الأسكن » ، وهو خطأ صرف .

(٤) مضى البيت وتخرجه في ٢ : ١١٠ ، وسيأتى في ١٣ : ٣٧ (بولاق) ، وانظر مجاز القرآن
لأبي عبيدة ١ : ١٣ ، ولم أثبت هناك ، مواضع تكراره في التفسير ، فليقيد هناك ، وروايته هناك :
« لعمر الله قد خطئا وخايا » بالخاء ، وأرجح أن أجود الروایتين ، روايته في هذا الموضع ، بالخاء
المهمله ؛ وإن كانت أكثر الكتب قد أثبتت بالخاء المعجمة ، وأرجح أيضاً أنه تصحيف قديم ، ومعنى
رواية أبي جعفر أشبه بسياق الشعر إن شاء الله .

(٥) انظر تفسير « كبير » فيما سلف ٢ : ٣/١٥ : ٤/١٦٦ : ٣٠٠

فعنى ذلك : إن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم ، إثم عند الله عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٨ - حدثنى محمد بن عمرو وعمر بن على قالا ، حدثنا أبو عاصم ،

عن عيسى ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد فى قول الله : « حوباً كبيراً » ، قال : إثمًا .

٨٤٤٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى ، عن نجيع مجاهد مثله .

٨٤٥٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : إثمًا عظيماً .

٨٤٥١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كان حوباً » ، أما « حوباً » فإثمًا .

٨٤٥٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله « حوباً » ، قال : إثمًا .

٨٤٥٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنه كان حوباً كبيراً » ، يقول : ظلماً كبيراً . ١٥٥/٤

٨٤٥٤ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : ذنباً كبيراً = وهى لأهل الإسلام .

٨٤٥٥ - حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا

قرة بن خالد قال ، سمعت الحسن يقول : « حوباً كبيراً » ، قال : إثمًا والله عظيمًا .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنًا وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وإن خفتم ، يا معشر أولياء اليتامى ، أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه ، وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثلهن ، فلا تنكحوهن ، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلتهن الله لكم وطيبهن ، من واحدة إلى أربع ، وإن خفتم أن تجوروا = إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة = فلا تعدلوا ، فانكحوا منهن واحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .

• ذكر من قال ذلك :

٨٤٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ،

عن عروة ، عن عائشة : « وإن خفتم أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » ، فقالت : يا ابن أخي ، هي اليتيمة تكون في حِجْر وَلِيِّهَا ، فيرغب في مالها وجمالها ، ويريد أن ينكحها بأدنى من سُنَّةِ صَدَاقِهَا ، فها أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء . (١)

٨٤٥٧ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني

يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة

(١) الحديث : ٨٤٥٦ — روى الطبري هذا الحديث — مطولا ومختصرا — بسبعة أسانيد : ٨٤٥٦ —

٨٤٦١ ، ٨٤٧٧ . وهو ثابت صحيح ، في الصحيحين وغيرهما .

وهذا الإسناد : هو من رواية عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري . وسيأتي : ٨٤٦٠ ،

من رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

وقد رواه البخاري في صحيحه اثني عشرة مرة ، مشير إليها ، إن شاء الله .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ١٤١ — ١٤٢ ، بأسانيد ، من أوجه متعددة .

زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، قالت : يا ابن أختي ، هذه اليتيمة ، تكون في حجر وليها تُشاركه في ماله ، فيعجبها ماله وجمالها . فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنها أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنّتهن في الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن = قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، قال يقول : اتركوهن ، فقد أحلت لكم أربعاً .^(١)

٨٤٥٨ - حدثنا الحسن بن الحنيد وأخبرنا سعيد بن مسلمة قالوا . أنبأنا إسماعيل ابن أمية ، عن ابن شهاب ، عن عروة قال : سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : يا أم المؤمنين ، رأيت قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ؟ قالت : يا ابن أختي : هي اليتيمة تكون في حجر وليها ، فيرغب في جمالها وماله ، ويريد أن يتزوجها بأذى من سنة صداق نساها ، فنها عن ذلك : أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ، ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء إن لم يكملوا لهن الصداق .^(٢)

(١) الحديث : ٨٤٥٧ - وهذا من رواية ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري . وسيأتي : ٨٤٥٩ ، من رواية الليث بن سعد ، عن يونس ، عن الزهري ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

ورواه البخاري ٥ : ٩٤ - ٩٥ (فتح) ، من طريق الليث ، عن يونس ، عن الزهري . وقد رواه مسلم ٢ : ٣٩٨ - ٣٩٩ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس - أطول مما هنا . لكن ليس فيه ما ذكر في آخره هنا ، من كلام ربيعة الذي رواه عنه يونس . وليس هذا من صلب الحديث . ورواه البخاري ٩ : ٩١ (فتح) ، من رواية حسان بن إبراهيم ، عن يونس ، عن الزهري - بنحو مما هنا ، مع اختصار قليل . وليس فيه كلمة ربيعة . وقوله : « أعلى سنّتهن في الصداق » - هذا هو الثابت في صحيح مسلم أيضاً . وفي المخطوطة « سيلهن » بدل « سنّتهن » . والظاهر أنه تصحيف من الناسخ .

(٢) الحديث : ٨٤٥٨ - الحسن بن الحنيد بن أبي جعفر البزار البغدادي : ثقة . أخرج عنه ابن خزيمة في صحيحه . وترجمه ابن أبي حاتم ١/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرماً والخطيب ٧ : ٢٩٢ ،

٨٤٥٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال ، حدثني عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثل حديث يونس ، عن ابن وهب .
٨٤٦٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة ، مثل حديث ابن حميد ، عن ابن المبارك (١) .

٨٤٦١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : نزل = تعني قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، الآية = في اليتيمة تكون عند الرجل ، وهي ذات مال ، فلعله ينكحها للمال وهي لا تعجبه ، ثم يضربها ويسىء صحبتها ، فوعظ في ذلك (٢) .

* * *

كلاهما في ترجمة « الحسن » . وترجمه الحافظ المزي في التهذيب الكبير باسم « الحسين » . وتبعه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، تبعاً لترتيب الكتاب ، ولكنه صرح بأنه « بفتح الحاء والسين » ، يعني « الحسن » ، وهو الصواب .

سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان : ضعيف . قال البخاري في الكبير ٤٧٣/١/٢ : « فيه نظر » . وذكر أن عنده « من أكبر » . وقال في الضعفاء ، ص ١٥ : « منكر » . وقال ابن معين : « ليس بشيء » . وقال أبو حاتم : « هو ضعيف الحديث ، منكر الحديث » - ابن أبي حاتم ٦٧/١/٢ . « وقع في المطبوعة هنا : « الحسن بن جنيد وأبو سعيد بن مسلمة » ، وهو خطأ ، كتب « وأبو » بدل « وأنا » اختصار « وأخبرنا » .

إسماعيل بن أمية الأموي : مضت ترجمته في : ٢٦١٥ .

وضعف هذا الإستاذ ، من أجل سعيد بن مسلمة ، لا يمنع صحة الحديث في ذاته من أوجه آخر ، كما مضى ، وكما سيأتي .

(١) الحديثان : ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠ - هما تكرار للحديثين : ٨٤٥٧ ، ٨٤٥٦ . وقد أشرنا إل كل منهما في موضعه .

(٢) الحديث : ٨٤٦١ - القاسم : هو ابن الحسن . و « الحسين » : هو ابن داود الملقب « سنيده » . انظر ما مضى في الإستاذ : ٨٣٩٨ .

حجاج : هو ابن محمد المصيصي الأعور . مضت ترجمته في : ١٦٩١ . وترجم له أخى السيد حميد ، في ج ٦ ص ٥٤٨ ، تعليق : ٣ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل ، جواب قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا » ، قوله : « فأنكحوا » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : النهى عن نكاح ما فوق الأربع ، حذاراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم .^(١) وذلك أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل ، فإذا صار معدماً ، مال على مال يتيمة الذى فى حجره فأنفقه أو تزوج به . فنهوا عن ذلك ، وقيل لهم : إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها = فلا تعدلوا فيها ، من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مؤن نسايتكم ،

والحديث - من هذا الوجه - رواه البخارى ٨ : ١٧٩ (فتح) . من طريق هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، به ، نحوه . ولكن سياقه يوم أنها قُزلت فى شخص معين . فقال الحافظ : « والمعروف عن هشام بن عروة التعميم . وكذلك أخرجه الإسماعيل ، من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج . ولفظه : أنزلت فى الرجل يكون عنده اليتيمة ، إلخ » .

أقول : ورواية حجاج ، هى هذه التى فى الطبرى أيضاً .

ورواه البخارى أيضاً ٨ : ١٩٩ (فتح) ، من طريق أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، على الصواب . وكذلك رواه مسلم ، بنحوه ٢ : ٣٩٩ ، من طريق أبي أسامة ، عن هشام .

ورواه البخارى أيضاً ، بنحوه ٩ : ١١٩ ، من طريق عبدة ، وهو ابن سليمان ، عن هشام ابن عروة .

وسياق : ٨٤٧٧ ، من رواية وكيع ، عن هشام . ونخرجه هناك ، إن شاء الله .

وفمن ذاكرون هنا باقى طرقه فى الصحيحين - عدا رواية وكيع - تنمة لفائدة :

فرواه البخارى ٥ : ٩٤ - ٩٥ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٣٩٩ = كلاهما من طريق صالح ، عن الزهرى ، عن عروة .

ورواه البخارى ٥ : ٢٩٢ (فتح) ، و ٩ : ١٦٩ - ١٧٠ . و ١٢ : ٢٩٨ = من طريق شعيب ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١١٧ ، ١٦٩ - ١٧٠ = من طريق عقيل ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١٦٢ ، من طريق أبي معاوية ، عن هشام بن عروة ، مختصراً .

وابن كثير ذكر حديث عائشة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣ ، من روايتين من روايات البخارى . ولم يزد فى تخريجه شيئاً .

والسوى ذكره بثلاثة ألفاظ ، مطولاً ومختصراً ٢ : ١١٨ . وزاد فيه لعبد بن حيد ، والنساق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(١) فى المطبوعة : « حذاراً على أموال اليتامى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع = وإن خفتم أيضاً من الأربع أن لا تعدلوا في أموالهم ، فاقصروا على الواحدة ، أو على ما ملكت أيما نكم .
* ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال ، سمعت عكرمة يقول في هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، قال : كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ، ويكون عنده الأيتام ، فيذهب ماله ، فيميل على مال الأيتام ، قال : فنزلت هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

٨٤٦٣ — حدثنا هناد بن السرى قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيما نكم » ، قال : كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والست والعشر ، فيقول الرجل : « ما يعنى أن أتزوج كما تزوج فلان » ؟ فيأخذ مال يتيمة فيتزوج به ، فمها أن يتزوجوا فوق الأربع .

٨٤٦٤ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى .

٨٤٦٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، فإن الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى ، فهمي الله عن ذلك .
* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن القوم كانوا يتحويون في أموال اليتامى أن لا يعدلوا فيها ، ولا يتحويون في النساء أن لا يعدلوا فيهن ، فقبل لهم : كما خفتم أن

لا تعدلوا في اليتامى ، فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ، ولا تنكحوا
منهن إلا من واحدة إلى الأربع ، ولا تزيدوا على ذلك . وإن خفتم أن لا تعدلوا
أيضاً في الزيادة عن الواحدة ، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة
أو ما ملكت أيمانكم .

• ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ،
عن سعيد بن جبير قال : كان الناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء أو
يُنْهَوْا عنه ، قال : فذكروا اليتامى ، فترلت : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما
ملكت أيمانكم » ، قال : فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى ، فكذلك فخافوا
أن لا تقسطوا في النساء .

٨٤٦٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا
أسباط ، عن السدي : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، إلى « أيمانكم » ،
كانوا يشددون في اليتامى ، ولا يشددون في النساء ، ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل
بينهن ، فقال الله تبارك وتعالى : كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى ، فخافوا في
النساء ، فانكحوا واحدة إلى الأربع . فإن خفتم أن لا تعدلوا ، فواحدة أو ما ملكت
أيمانكم .

٨٤٦٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا
سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء » حتى بلغ « أدنى ألا تَعُولُوا » ، يقول : كما خفتم الجور في اليتامى وهمكم
ذلك ، فكذلك فخافوا في جمع النساء ، ^(١) وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة

(١) في المخطوطة : « جميع النساء » ، والصواب ما في المطبوعة .

فما دون ذلك ، فأحل الله جل ثناؤه أربعاً ، ثم صيّرهن إلى أربع قوله : (١) « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، يقول ، إن خفت أن لا تعدل في أربع فثلاث ، وإلا فثنتين ، وإلا فواحدة . وإن خفت أن لا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ما أحل لكم من النساء = « مثنى وثلاث ورباع » ، فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى : أن لا تقسطوا فيهن .

٨٤٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المهال قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : جاء الإسلام والناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء فيتبعوه ، أو ينهوا عن شيء فيجتنبوه ، حتى سألوا عن اليتامى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

٨٤٧١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه : وكانوا يسألونه عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، قال : فكما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى ، فخافوا أن لا تقسطوا وتعديروا في النساء .

٨٤٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » . قال : كانوا في الجاهلية ينكحون عشرين من النساء الأيامى ، وكانوا

(١) في المطبوعة : « ثم الذي صيّرهن إلى أربع » ، زاد « الذي » ، وما في المخطوطة صواب جيد .

يعظمون شأن اليتيم ، ففقدوا من دينهم شأن اليتيم ، وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية ، فقال : « وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية . (١)

٨٤٧٣ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، كانوا في جاهليتهم لا يرزأون من مال اليتيم شيئاً ، وهم ينكحون عشرين من النساء ، وينكحون نساء آبائهم ، ففقدوا من دينهم شأن النساء ، فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء ، فقال في اليتامى : ﴿ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ إلى ﴿ إِنَّهُ كَانَ جُوبًا كَبِيرًا ﴾ ، ووعظهم في شأن النساء فقال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » الآية ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء : ٢٢] .

٨٤٧٤ - حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » إلى « ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفتم الجور في اليتامى وغممكم ذلك ، فكذلك فخافوا في جمع النساء ، (٢) قال :

(١) الحديث : ٨٤٧٢ - عبد الله بن صالح ، كاتب الليث بن سعد : مضت ترجمته وتوثيقه في : ١٨٦ .

معاوية بن صالح الحضرمي : سبق توثيقه في : ١٨٦ . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير البخاري ٣٣٥/١/٤ ، والصغير ، ص : ١٩٣ ، وابن سعد ٢٠٧/٢/٧ ، وابن أبي حاتم ٣٨٢/١/٤ - ٣٨٣ . وتاريخ قضاة قرطبة ، ص : ٣٠ - ٤٠ ، وقضاة الأندلس للنباهي ، ص : ٤٣ .
عل بن أبي طلحة : قد بينا في : ١٨٣٣ أنه لم يسمع من ابن عباس . فيكون هذا الإسناد منقطعاً ، ضعيف الإسناد لانقطاعه .

والحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ١٥٠ ، من طريق عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن صالح ، بهذا الإسناد .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٧٩ - ١٨٠ في شرح حديث عائشة ؛ قال : « وتأويل عائشة هذا ؛ جاء عن ابن عباس مثله . أخرجه الطبري » .

وذكره السيوطي ٢ : ١١٨ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، فقط .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة هنا وفي جميع النساء ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف

ص : ٥٣٦ ، تعليق : ١ .

وكان الرجل يتزوج العشر في الجاهلية فما دون ذلك ، وأحل الله أربعاً ، وصبرهم إلى أربع ، يقول : « فإن ختم ألا تعدلوا فواحدة » ، وإن خفت أن لا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .

وقال آخرون : معنى ذلك : فكما ختم في اليتامى ، فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزئنوا بهن ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء .
 . ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٥ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإن ختم ألا تقسطوا في اليتامى » ، يقول : إن تحرّجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم إيماناً ونصيقةً ، فكذلك فتحرّجوا من الزنا ، وانكحوا النساء نكاحاً طيباً = « مثني وثلاث ورباع » ، فإن ختم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

١٥٨/٤

٨٤٧٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإن ختم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أتم ولاتهن ، فلا تنكحوهن ، وانكحوا أتم ما حل لكم منهن .
 . ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٧ - حدثنا سفیان بن وکیع قال ، حدثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « وإن ختم ألا تقسطوا في اليتامى » ، قال : نزلت في اليتيمة تكون عند الرجل ، هو وليها ليس لها ولي غيره ، وليس أحد يتنازع فيها ، ولا ينكحها لئلا ، فيضربها ويسىء صحبتها .^(١)

(١) الحديث : ٨٤٧٧ - هذا إسناد ضعيف ، لقصف سفیان بن وکیع ، وقد بينا ضعفه مراراً ، وأوطأ في : ١٤٢ ، ١٤٣ .
 ولكن الحديث في ذاته صحيح ، كما مضى في : ٨٤٥٦ - ٨٤٦١ ، وفي الروايات التي خرجناها من الصحيحين .

٨٤٧٨ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن في هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم » أى : ما حلّ لكم من يتاماكم من قراباتكم = « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية ، قول من قال : تأويلها : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ، فلكذلك فخافوا في النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن ، من واحدة إلى الأربع . فإن خفتم الجور في الواحدة أيضاً ، فلا تنكحوها ، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم ، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن » .

ولما قلنا إن ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله جل ثناؤه افتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الأموال ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَجِدُوا لَهَا رِيبًا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝ ﴾ ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله في ذلك فخرجوا فيه ، فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرّج في أمر النساء ، مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى . وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن ، (١) كما عرفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى ، فقال : انكحوا إن أمتم الجور في النساء على أنفسكم ، ما أبحت لكم منهن وحلتها ، مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم في أمر الواحدة ، بأن لا تعدلوا على إناصها ، فلا تنكحوها ،

ثم هو ثابت صحيح من رواية وكيع ، من غير رواية ابنه سفيان عنه .

فرواه البخارى ٩ : ١٦٠ (فتح) ، بأطول مما هنا = عن يحيى ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

ويحيى — شيخ البخارى في هذا الإسناد — قال الحافظ في الفتح : « هو ابن موسى ، أو ابن جعفر . كما بيته في المقدمة » .

والذي في مقدمة الفتح ، ص : ٢٣٦ ، أن ابن السكن نسب « يحيى بن موسى » .
(١) لعل الأجود أن يقول : « وأعلمهم كيف التخلص لهم » ، كالتى قلنا .

ولكن تسروا من الممالك ، فإنكم أخرى أن لا تجوروا عليهن ، لأنهن أملاككم وأموالكم ، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر ، فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور .

فى الكلام - إذ كان المعنى ما قلنا - متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره . وذلك أن معنى الكلام : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم ، فلا تتزوجوا منهن إلا ما أمتهم معه الجور مثنى وثلاث ورباع . وإن خفتم أيضاً فى ذلك فواحدة . وإن خفتم فى الواحدة ، فما ملكت أيمانكم = فترك ذكر قوله : « فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء » ، بدلالة ما ظهر من قوله تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

* * *

فإن قال قائل ، فأين جواب قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ؟ قيل : قوله « فانكحوا ما طاب لكم » . غير أن المعنى الذى يدل على أن المراد بذلك ما قلنا قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى « الإقساط » فى كلام العرب : العدل والإنصاف = وأن « القسط » : الجور والحيف ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .^(١)

* * *

وأما « اليتامى » ، فإنها جمع لذكران الأيتام وإناتهم فى هذا الموضع .^(٢)

* * *

(١) انظر ما سلف ٦ : ٧٧ ، ٢٧٠

(٢) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف قريئاً ص : ٥٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، فإنه يعنى : فأنكحوا ما حلَّ لكم منهن ، دون ما حُرِّم عليكم منهن ، كما : —

٨٤٧٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ما حلَّ لكم .

٨٤٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ما حلَّ لكم . ١٥٩/٤

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل : « فأنكحوا من طاب لكم » ؟ وإنما يقال : « ما » فى غير الناس .
قيل : معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت إليه ، وإنما معناه : فأنكحوا نكاحاً طيباً ، كما : —

٨٤٨١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، فأنكحوا النساء نكاحاً طيباً .
٨٤٨١ م — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

فالمعنى بقوله : « ما طاب لكم » ، الفعل ، دون أعيان النساء وأشخاصهن ،
فلذلك قيل « ما » ولم يقل « من » ، كما يقال : « خذ من رقيقى ما أردت » ، إذا عنيت : خذ منهم إرادتك . ولو أردت : خذ الذى تريد منهم ، لقلت : « خذ من رقيقى من أردت منهم » .^(١) وكذلك قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » ، بمعنى : أو ملك أيمانكم .

وإنما معنى قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ،
فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع ، كما قيل : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [سورة النور : ٤] .

وأما قوله : « مثنى وثلاث ورباع » ، فإنما ترك إجرائه ، لأنهن معدولات
عن « اثنين » ، و « ثلاث » و « أربع » ، كما عدك « عمر » عن « عامر » ،
و « زُقر » عن « زافر » فترك إجرائه . وكذلك « أحاد » و « ثناء » و « موحد »
و « مثنى » و « مثثل » و « مربع » ، لا يجرى ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن
وجوهه . وما يدل على أن ذلك كذلك ، وأن الذكر والأنثى فيه سواء ، ما قيل في
هذه السورة و «سورة فاطر» ، [١] : « مثنى وثلاث ورباع » يراد به « الجناح » ،
و « الجناح » ذكر = وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه « الثلاثة » و « الثلاث »
وأن « الألف واللام » لا تدخله = فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة ،
ولو كان نكرة لدخله « الألف واللام » ، وأضيف كما يضاف « الثلاثة » و « الأربعة » . (١)
وبما بين في ذلك قول نعيم بن أبي بن مقبل :

تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ (٢)

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) من قصيدة له طويلة نقلها قديماً . ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٢٥٥ ، ٢٤٥ . والحيوان ٧ : ٢٣٣ . واللسان (نمر) (فرد) (سق) (ثنى) ، « يغيرها » وسيأتي في التفسير ٧ : ١٨٤ (بولاق) . يصف
فرسه ، وبعد البيت .

فَرِيَسًا، وَمَعْشِيًا عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ خِيُوطَةُ مَارِي لَوَاهُنَّ فَاتِلُهُ

ويروى البيت : « النمرات الخضر » ، و « أحاد ومثنى » و « قراد ومثنى » . والنمرات جمع نمرة
(يغم النون وفتح العين والراء) : وهو ذباب ضخم ، أزرق العين « أخضر » ، له إبرة في طرف ذنبه
يلسع بها ذوات الحافرة فيؤذيها ، وربما دخل أنف الممار فيركب رأسه « فلا يرويه شيء » .
و « اللبان » : الصدر من ذئب الحافر : و « أصعقتها » : قتلها . و « صواهل » جمع صاهلة ، وهو
صدر عل « فاعلة » ، بمعنى « الصبيل » ، كما يقال : « رواغى الإبل » ، أي وقاعها . وقوله في البيت

فرد «أحاد ومثنى» ، على «النمرات» وهى معرفة . وقد جعلها العرب نكرة فتجربها ، كما قال الشاعر :^(١)

وَإِنَّ الْفُلَامَ الْمُسْتَهَامَ بِذِكْرِهِ قَتَلْنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ^(٢)
بِأَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وَآخَرَ خَامِسٍ وَسَادٍ مَعَ الْإِظْلَامِ فِي رُمُحٍ مَعْبَدٍ

ومما يبين أن «ثناء» و«أحاد» غير جارية ، قول الشاعر :^(٣)

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُمَاءً وَمَوْحِدًا وَتَرَكْتُ مَرْءَةً مِثْلَ أُنْثَى الْمَذِيرِ^(٤)

الثانى : «فريساً» ، أى قتيلًا ، قد افترسه ودقه وأهلكه ، و«أحيولة» جمع غيط ، كالفحولة والبعولة ، جمع فحل وبعول . «والمارى» : الثوب الخلق . يصب الذباب المغشى عليه ، كأنه من لينة فى تهالكة ، خيوط لواه لاو من ثوب خلق .

(١) لم أعرف قائلهما .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، وقد كان البيت فى المطبوعة والمخطوطة :

قَتَلْنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ بِأَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وَآخَرَ خَامِسٍ

وهو كما ترى ملغى من البيتين اللذين أثبتهما من معانى القرآن ، والذى قاله الطبرى هنا ، هو نص مقالة الفراء فى معنى القرآن . وقوله : «وساد» أى : سادس ، يقولون : «جاء سادساً وسادياً وساداً» .

(٣) هو صخر بن عمرو السلمى ، أخو الحنساء .

(٤) مجاز القرآن ١ : ١١٥ ، والأغانى ١٣ : ١٣٩ ، والمختص ٧ : ١٢٤ ، وشرح أدب الكاتب للجوالق ٣٩٤ ، والبطليرسى : ٤٦٠ ، والخزاعة ٤ : ٤٧٤ . وسياق فى التفسير ٢٢ : ٧٦ (بولاق) وغيرها ، إلا أن ابن قتيبة فى أدب الكاتب رواه «كأس الدابر» ونابيه نادر التفسير فى هذا الموضع فكتب «كأس الدابر» ، ولكنه فى المخطوطة ، وفى الموضع الآخر من التفسير ، قد جاء على الصواب . وهما بيتان قالهما فى قتل دريد بن حرمك المرى ، فى خبر مذکور ، وبمعه :

وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى دُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجْلَاءَ تَزْغِلُ ، مِثْلَ عَطَا الْمَنْحَرِ

والطعنة النجلاء : الواسعة . و«أزغلت» الطعنة بالدم : دفعت زغلة زغلة ، أى دفعة دفعة . وعط الثوب عطاً : شقه . والمنحر : هو نسر البعير ، أى أعلى صدره ، حيث ينحر ، أى : يطن فى صدره ، فيتنفجر منه الدم .

وأما رواية «كأس الدابر» فقد ذكر الجوالق أبياتاً ليزيد بن عمرو تصحى الكلابى هى :

وقول الشاعر : (١)

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُتْلَا قِيَتِي الْمَنَابَا أَحَادَ أَحَادَ فِي شَهْرِ حَلَالٍ (٢)

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز « الرباع » و « المربع » عن جهته . لم يسمع منها « خامس » ولا « الخممس » ، ولا « السباع » ولا « المسبع » ، وكذلك ما فوق « الرباع » إلا في بيت للكيت . (٣) فإنه يروى له في « العشرة » ، « عشار » وهو قوله :

فَلَمْ يَسْتَرِثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالًا عُشَارًا (٤)

أَعْقَرْتُهُمْ جَمَلِي بِرَحْلِي فَأَمَّا	وَرَمَيْتُمْ جَارِي بَسْمِهِ نَاقِرٍ
فَإِذَا رَكِبْتُمْ فَالْتَبَسُوا أَذْرَاءَكُمْ	إِنَّ الرَّمَا حَ بَصِيرَةً بِالْحَاسِرِ
إِذَا تَطْلِمُونَ وَتَا كُلُّونَ صَدِيقَكُمْ	فَالظُّلْمُ تَارِكُكُمْ بِجَاثٍ عَائِرِ
إِنِّي سَأَقْتُلُكُمْ ثَنَاءً وَمَوْحَدًا	وَتَرَكْتُ نَاصِرَكُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

(١) هو عمرو ذى الكلب ، أخو بني كاهل ، وكان جاراً لذييل . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن لصخر الغي الهذلي ، وهو خطأ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ١١٧ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١١٥ ، والمعاني الكبير : ٢٨٤٠ المخصص ١٧ : ١٢٤ ، الأغاني ١٣ : ١٣٩ . ورواية الديوان « في الشهر الحلال » ، وأخطأ صاحب الأغاني فنسب البيت لصخر بن عمرو ، ورواه « في الشهر الحرام » . قوله : « منت لك » ، أى : قدرت لك . منك أن تلقاني في شهر حلال ، خلوتين ، وحدي ووحدي ، فأصرعك لا محالة . وذلك أنه كان قد لقيه قبل ذلك في شهر حرام ، فلم يستطع أن يرفع إليه سلاحاً . ويقول بعده :

وَمَا لَبِثُ الْقِتَالِ إِذَا التَّقِينَا سِوَى لَفْتِ الْيَمِينِ عَلَى الشَّامِلِ

أى : لا يلبث القتال بيني وبينك إلا بمقدار ما ترد يمين إلى شمال .

(٣) في المطبوعة : « في بيت الكيت » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١١٦ ، والأغاني ٣ : ١٣٩ ، واللسان (عشر) ، والمخصص

١٧ : ١٢٥ ، والجواليق ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، والبطليني ٤٦٧ ، والخزانة ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، من قصيدة للكيت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك ، وقبله :

رَجَوْتُكَ وَلَمْ تَتَكَمَّلْ سِنُوكَ عَشْرًا ، وَلَا نَبَتْ فِيكَ أَتْفَارًا

يريد : «عشراً ، عشراً» ، يقال : إنه لم يسمع غير ذلك . (١)

* * *

= وأما قوله : « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، فإن نصب « واحدة » ، بمعنى :
فإن خفتم أن لا تعدلوا = فيما يلزمكم من العدل فيما زاد على الواحدة من النساء عندكم
بنكاح ، (٢) فيما أوجبه الله لمن عليكم = فانكحوا واحدة منهن .

ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع ، كان جائزاً ، بمعنى : فواحدة كافية ،
أو : فواحدة مجزئة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ (٣)
[سورة البقرة : ٢٨٢] .

* * *

وإن قال لنا قائل : قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر ، نكاح
أربع ، فكيف قيل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ،
وذلك في العدد تسع ؟ (٤)

قيل : إن تأويل ذلك : فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، إما مثنى إن أمتم
الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم = وإما ثلاث ، إن لم تخافوا ذلك = وإما
أربع ، إن أمتم ذلك فيهن .
يدل على صحة ذلك قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، لأن المعنى :

لِأَذَى خَسَا أَوْ زَكََّا مِنْ سَنِيكَ إِلَى أَرْبَعٍ ، فَبَقَوْكَ أَنْتَظَارًا

وقوله : « ولا نبت فيك اتقارا » أى : لم تخلف منك بعد سن ، فنتبت أستانك : اتغر الصبي : سقطت
أسنانه وأخلف غيرها . وقوله : « خسا أو زكا » ، أى فرداً ، وزوجاً . قوله : « فبقوك » من قولهم :
« بقيت فلاناً بقياً » انتظرت ورصدته . و « استرأته » : استبطأه . يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو ستين
من مولدك ، فرجوا أن تكون سيداً مطاعاً رفيع الذكر ، فلم تكذب تبلغ العشر حتى جازت خصالك خصال
السادة من الرجال . وأما قول أبي جعفر « يريد : عشراً عشراً » ، فكأنه يعنى كثرة الحصول التي فاق بها الرجال .

(١) انظر هذا الفصل كله في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، وبجاء القرآن لأبي عبيدة

١ : ١١٤ - ١١٦ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة . . . » ، وهو لا يستقيم ،
صوابه « فيما زاد » كما أثبتنا .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ .

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ ، لأبي جعفر النحاس : ٩٢

فلان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة . ثم قال : وإن خفتم أن لاتعدلوا أيضاً في الواحدة ، فما ملكت أيمانكم .

* * *

فلان قال قائل : فلان أمر الله ونبيه على الإيجاب والإلزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام ، وقد قال تعالى ذكره : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، وذلك أمر ، فهل من دليل على أنه من الأمر الذي هو على غير وجه الإلزام والإيجاب ؟

قيل : نعم ، والدليل على ذلك ، قوله : « فلان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . فكان معلوماً بذلك أن قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، وإن كان مخرجه مخرج الأمر ، فإنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء ، لا بمعنى الأمر بالنكاح ، فإن المعنى به : وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى ، فتخرجتم فيهن ، فكذلك فتخرجوا في النساء ، فلا تنكحوا إلا ما أمنتكم الجور فيه منهن ، ما أحلته لكم من الواحدة إلى الأربع .

وقد بينا في غير هذا الموضع أن العرب تُخرج الكلام بلفظ الأمر ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف : ٢٩] ، وكما قال : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٥ / سورة الروم : ٣٤] ، فخرج ذلك مخرج الأمر ، والمقصود به التهديد والوعيد والزجر والنهي ، ^(١) فكذلك قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، بمعنى النهي : فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء .

* * *

وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٨٢ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفت أن لا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي : « أو ما ملكت أيمانكم » ، السرارى .

٨٤٨٤ - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، فإن خفت أن لا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٥ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جوير، عن الضحاك، قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا » ، قال : في المجاعة والحب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَلِكْ أَذْنَىٰ أَلَّا تَمُولُوا ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره (١) : وإن خفتم أن لا تعدلوا في مثني أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة ، أو خفتم أن لا تعدلوا في الواحدة فتسرتم ملك أيمانكم ، فهو « أدنى » يعنى : أقرب ، (٢) = « ألا تعولوا » ، يقول : أن لا تجورا ولا تميلوا .

* * *

يقال منه : « عال الرجل فهو يعول عَوْلًا وَعِيَالًا » ، إذا مال وجار . ومنه : « عَوَّلَ الفرائض » ، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بقوله تعالى ذكره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « أدنى » فيما سلف ٦ : ٧٨ .

وأما من الحاجة، فلإنما يقال : « عال الرجل عيَّلة » ، وذلك إذا احتاج ، كما قال الشاعر :^(١)

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ^(٢)

بمعنى : يفتقر.

* * *
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك :

٨٤٨٦ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : العول الميل في النساء .

٨٤٨٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثني حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : لا تميلوا .

٨٤٨٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، أن لا تميلوا .
٨٤٨٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٩٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل

(١) هو أحيحة بن الجلاح " .

(٢) جهرة أشعار العرب : ١٢٥ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٢٥٥ ، الجمهرة لابن دريد : ٢ : ١٩٣ ، وتاريخ ابن الأثير : ١ : ٢٧٨ ، اللسان (عيل) ، وسيأق في التفسير : ١٠ : ٣٠ / ٧٥ : ١٤٩ (يولاق) ، من قصيدته التي قالها في حرب بين قومه من الأوس وبنى النجار من الخزرج ، قتل فيها أخوه ، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد التجارية ، فحذرت قومها مجيء أحيحة وقومه من الأوس ، فضر بها حتى كسر يدها وطلقها . وبعد البيت آخر قرين له :

وَمَا تَدْرِي ، إِذَا أَجْمَعْتَ أُمْرًا ، بِأَيِّ الْأَرْضِ يَذْرُكُكَ الْمَقِيلُ

وكان في المخطوطة : « لما يدري الفقير » ، وهو خطأ من الناسخ ، وكان صوابها « فما يدري » .

قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة : « ألا تعولوا »
 قال : أن لا تميلوا = ثم قال : أما سمعت إلى قول أبي طالب :
 « بِمِيزَانٍ قِسْطٍ وَزَنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ »^(١) .

٨٤٩١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد بن زيد ،
 عن الزبير ، عن حريث ، عن عكرمة في هذه الآية : « ألا تعولوا » ، قال :
 أن لا تميلوا = قال : وأنشد بيتاً من شعر زعم أن أبا طالب قاله :
 « بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يَخْسُ شَعِيرَةً وَوَارِنْ صِدْقٍ وَزَنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ »^(١)

• • •

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية :
 « بِمِيزَانٍ صِدْقٍ لَا يَغْلُ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ »^(١)

• • •

٨٤٩٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن
 إبراهيم في قوله : « ألا تعولوا » ، قال : أن لا تميلوا .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٦ ، وغيرها كثير . من القصيدة التي زعموا أن أبا طالب قالها
 وواجه بها قريشاً في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيها إنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه . يقول قبل البيت :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوَفَلًا عُقُوبَةً شَرَّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ

ويروى البيت بهذه الرواية التي ذكرها أبو جعفر ، ويروى أيضاً : « لا يَخْسُ شَعِيرَةً » من حص الشعر
 إذا أذهب ، و « شَعِيرَةً » في هذه الرواية تصغير « شعرة » ، وأما في سائر الروايات فهي « شعيرة »
 يفتح الشين ، وكسر العين ، وهي واحدة « الشعير » ، وهو الحب المعروف ، وهو أقل موازين الذهب
 والفضة ، وهو حبة من شعير متوسطة لم تقشر ، وقد قطع من طرفها ما امتد ، ويسمونه أيضاً « حبة » ،
 وانظر ما سلف ٤ : ٥٨٢ ، تعليق : ٢ ، في تفسير « الحبة » ، وهذا معنى لم تقيده كتب اللغة ،
 فقيده هناك . وقوله : « لا تخس شعيرة » ، أي لا تنقص مقدار شعيرة . وقوله : « تغل » من قولهم :
 « غل يغل غلولا » ، إذا خان أو سرق .

٨٤٩٣- حدثني المنثي قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله .

٨٤٩٤- حدثني المنثي قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحق الكوفي قال : كتب عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه : « إنني لست بميزان لا أعول » .

٨٤٩٥- حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن علي قال ، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي مالك في قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، قال : لا تميلوا .^(١)

٨٤٩٦- حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، أدنى أن لا تميلوا .

٨٤٩٧- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .

٨٤٩٨- حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : أن لا تميلوا .

٨٤٩٩- حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : تميلوا .

٨٥٠٠- حدثني المنثي قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، يعني : أن لا تميلوا .

٨٥٠١- حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : ذلك أدنى أن لا تميلوا .

(١) الأثر : ٨٤٩٥- في المطبوعة : « عباد بن علي » ، وكان كاتب المخطوطة قد كتب « عباد » ثم جعل الدال ميما ، ولم ينقطع الكلمة ، فاشتبه الأمر على الناشر ، والصواب « عثمان » وهو « عثمان بن علي العامري » شيخ أبي كريب ، وقد مضى مئات من المرات ، ونسبت ترجمته في رقم : ٣٣٧ .

- ٨٥٠٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : أن لا تجوروا .
- ٨٥٠٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون ، وعارم أبو النعمان قالا ، حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك مثله .
- ٨٥٠٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن يونس ، عن أبي إسحق ، عن مجاهد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .^(١)
- ٨٥٠٥ - حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، ذلك أقل لنفقتك ، الواحدة أقل من ثنتين = وثلاث وأربع ، وجاريته أهن نفقة من حرة = « أن لا تعولوا » ، أهن عليك في العيال .^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : وأعطوا النساء مهرهن عطية واجبة ،^(٣) وفريضة لازمة .

* * *

يقال منه : « نَحَلَ فلان فلاناً كذا فهو يَنْحِلُهُ نِحْلَةً وَنَحْلًا » ،^(٤) كما : —

٨٥٠٦ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

(١) الأثر : ٨٥٠٤ - في المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق » ، عن مجاهد ، وهو خطأ ظاهر ، والصواب « عن أبي إسحق » ، وهو أبو إسحق السبيعي ، وقد مضت روايته عن مجاهد في هذا التفسير مئات من المرات .

(٢) في المخطوطة : « أهن عليك في القتال » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) في المخطوطة : « عليه واجبة » ، ووضع على « عليه » حرف « ط » ، دلالة على الخطأ . والصواب ما كان في المطبوعة .

(٤) « نحلة » (بكسر النون وسكون الهاء) مصدر مثل « حكمة » . و « نَحْلًا » (بضم النون وسكون الهاء) مصدر أيضاً مثل « حكم » (بضم الهاء) .

سعيد ، عن قتادة قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يقول : فريضة .

٨٥٠٧- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال : أخبرني معاوية بن ١/٤

صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يعني : « النحلة » ، المهر .

٨٥٠٨- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : فريضة مسماة .

٨٥٠٩- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول

في قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : « النحلة » في كلام العرب ، الواجب = يقول : لا ينكحها إلا بشيء واجب لها ، صدقة يسميها لها واجبة ، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بصداق واجب ، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق .

* * *

وقال آخرون : بل عني بقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، أولياء

النساء ، وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن .

• ذكر من قال ذلك :

٨٥١٠- حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ،

عن سيار ، عن أبي صالح قال : كان الرجل إذا زوج أبنته أخذ صداقها دونها ،^(١) فهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ، ونزلت : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك من أولياء النساء ، بأن يعطى الرجل أخته لرجل ،

على أن يعطيه الآخر أخته ، على أن لا كثير مهر بينهما ، فهاهم عن ذلك .^(٢)

(١) في المطبوعة : « إذا زوج أمة » بالتاء في آخره ، وهو خطأ . يقال : « امرأة أيم » ، ورجل

أيم : « . وهي من النساء التي لا زوج لها ، بكرأ كانت أو ثيباً - ومن الرجال ، التي لا امرأة له .

(٢) وذلك هو « الشغار » شغار المتناكحين بغير مهر ، إلا بضع وليته أو أيمه . وكان ذلك

من فكاك الجارية ، فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥١١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمي أن أناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته ، ويأخذ أخت الرجل ، ولا يأخذون كثير مهر ، فقال الله تبارك وتعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك ، التأويل الذي قلناه . وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ، ونهاهم عن ظلمهن والجرور عليهن ، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن . ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صُرف عنهم إلى غيرهم . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذين قيل لهم : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، هم الذين قيل لهم : « وآتوا النساء صدقاتهن » = وأن معناه : وآتوا من نكحتهم من النساء صدقاتهن نحلة ، لأنه قال في أول [الآية] : (١) « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل : « فأنكحوا » ، فيكون قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن » ، مصروفاً إلى أنه معنى به أولياء النساء دون أزواجهن .

وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق ، أن يؤتوهن صدقاتهن ، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق .

* * *

(١) في المخطوطة ، أسقط ذكر « الآية » التي وضعها بين القوسين ، وفي المطبوعة جعلها « في الأول » ، والسياق يقتضيه الإفادة كما أثبتنا .

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (٤)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن وهب لكم ، أيها الرجال ، نساؤكم شيئاً من صدقاتهن ، طيبة بذلك أنفسهن ، فكلوه هنيئاً مريئاً ، كما : —

٨٥١٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عمارة ، عن عكرمة : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : المهر .
٨٥١٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثني حَرَمِيُّ بن عمارة قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة ، [عن عمارة] في قوله الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : الصدقات .^(١)

٨٥١٤ — حدثني المثنى قال ، حدثني الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : الأزواج .
٨٥١٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبيدة قال ، قال لي إبراهيم : أكلت من الهنيء المرىء ! قلت : ما ذاك ؟ قال : امرأتك أعطتك من صداقها .

٨٥١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه ، من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره ، فقال له علقمة : ادْنُ فكل من الهنيء المرىء .

(١) الأثر : ٨٥١٣ — « حرى بن عمارة بن أبي حفصة العتكي » . أبو روح ، روى عن شعبة . قال أحمد : « صدوق ، كانت فيه غفلة » ، مترجم في التهذيب . و « عمارة » الراوى عن عكرمة ، هو أبو « حرى بن عمارة » هذا ، وهو « عمارة بن أبي حفصة العتكي » . ثقة . مترجم في التهذيب . أما قوله « عكرمة » ، عن عمارة » فلم أعرف فيمن روى عنه عكرمة من يسمى « عمارة » وظنى أنه خطأ من الناسخ ، إما أن يكون كرر « عمارة » ، أو يكون صوابه « عن ابن عباس » ، فها وكسب « عن عمارة » . ولذلك وضعها بين قوسين .

٨٥١٧- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : إذا كان غير إضرار ولا خديعة ، فهو هنيئاً مريئاً ، كما قال الله جل ثناؤه .

٨٥١٨- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : الصداق ، « فكلوه هنيئاً مريئاً » .

٨٥١٩- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » بعد أن توجبوه لمن وتُحلّوه ، = « فكلوه هنيئاً مريئاً » . (١)

٨٥٢٠- حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال : زعم حضرمي أن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته ، (٢) فقال الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

٨٥٢١- حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : ما طابت به نفساً في غير كرهه أو هوان ، (٣) فقد أحلّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئاً مريئاً .

* * *

وقال آخرون : بل عني بهذا القول أولياء النساء ، فقيل لهم : إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن ، بصدقاتهن نفساً ، فكلوه هنيئاً مريئاً .
* ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٢- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا سيار ، عن أبي صالح في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : كان الرجل

(١) في المطبوعة : « سمعت ابن زيد يقول في قوله : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، وهو كلام غير تام ، لم يذكر إلا نص الآية ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإن كان سقط من النسخ « فكلوه » ، فأثبتها .

(٢) في المطبوعة : « أن يرجع أحدهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « في غير ذكره أو هوان » ، والصواب ما في المطبوعة .

إذا زوج ابنته ، عمد إلى صداقها فأخذه ، قال : فترلت هذه الآية في الأولياء :
« فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

* * *

قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك بالصواب ، التأويل الذي قلنا = وأن
الآية مخاطب بها الأزواج . لأن افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم ، وقوله : « فإن طبن
لكم عن شيء منه نفساً » في سياقه .

* * *

وإن قال قائل : فكيف قيل : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، وقد
علمت أن معنى الكلام : فإن طابت لكم أنفسهن بشيء ؟ وكيف وُحِّدَتْ
« النفس » ، والمعنى للجميع ؟ وذلك أنه تعالى ذكره قال : « وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة » .

قيل : أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس ، فإن ذلك المستفيض في
كلام العرب . من كلامها المعروف : « ضيقت بهذا الأمر ذراعاً وذراعاً » = « وقررت
بهذا الأمر عيناً » ، والمعنى ! ضاق به ذرعى ، وقرت به عيني ، كما قال الشاعر :^(١)
إِذَا التَّيَّازُ ذُو الْعَصَلَاتِ قُلْنَا : « إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ » ! ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا^(٢)

(١) هو القطامي .

(٢) ديوانه : ٤٤ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٦ ، واللسان (تيز) ، ثم ج ٢٠ : ٣١٩ ،
وقد استشهدت به فيما سلف ١ : ٤٤٦ ، تعليق ٦ ، فانظره ، من قصيدته التي مجد فيها زفر بن الحارث ،
وهذا البيت في صفة ناقته التي أحسن القيام عليها حتى اشتدت وسمت وامتلت نشاطاً ، وقبله :

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمْنٌ عَلَيْهَا كَمَا بَطَّنَتْ بِالْمَدَنِ السَّيَّاعَا
أَمَرْتُ بِهَا الرِّجَالَ لِأَخْذُوهَا وَنَحْنُ نَنْظُنُّ أَنْ لَنْ نُسْتَطَاعَا

« السَّيَّاعُ » الطين ، و « الفدن » القصر . وقلب الكلام ، وأصله : كما بطنت الفدن بالسَّيَّاع ، فصار
أملس . يصف سمناً حتى امتلأت واشتدت كأنها قصر مشيد . و « التَّيَّاز » : الكثير اللحم الغليظ الشديد .
وقوله : « إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ » ، أى خذها . يقول له : خذها واضبطها ، ولكنه لم يقل عليها ، وضاق بها ذراعاً .
وقد رد ابن برى تفسير « إِلَيْكَ إِلَيْكَ » بمعنى : خذها لتركبها وتروضها ، وقال : « هذا فيه إشكال ،
لأن سيوبه وجميع البصريين ذهبوا إلى أن « إِلَيْكَ » بمعنى : تنح ، وأنها غير متعدية إلى مفعول ، وعلى
ما فسروه في البيت ، يقتضى أنها متعدية ، لأنهم جعلوها بمعنى : خذها . ورواه أبو عمرو الشيباني :

فمثل صفة « الذراع » إلى « رب الذراع » ، ثم أخرج « الذراع » مفسرة لموقع الفعل .

وكذلك وحده « النفس » في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، إذ كانت « النفس » مفسرة لموقع الخبر .^(١)

وأما توحيد « النفس » من النفوس ، لأنه إنما أراد « الهوى » ، و « الهوى » يكون جماعاً ، كما قال الشاعر :^(٢)

بها جَيْفُ الْحَسْرَى ، فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ^(٣)

وكما قال الآخر :^(٤)

فِي حَلَقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا^(٥)

• • •

« لديك لديك » ، عوضاً من « إليك إليك » . قال : وهذا أشبه بكلام العرب وقول النحويين ، لأن « لديك » بمعنى « عندك » و « عندك » في الإغراء تكون متعدية .

وعندي أن شرح الشراح في « إليك » صواب جيد ، وقد استدرك ابن بري اجتاده ، ولم يصب فيما استدرك .

(١) « التفسير ، والمفسر » : التمييز والمميز ، اصطلاح الكوفيين ، انظر ما سلف في فهرس المصطلحات . وانظر مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٥٦ .
(٢) هو علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) .

(٣) ديوانه : ٢٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٧ ، وسيبويه ١ : ١٠٧ وسياق في التفسير ١٧ : ١٠ (بولاق) ، من قصيدته في الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني ، حين أسر أخاه شأساً ، فرحل إليه علقمة يطلب فكه . وقوله : « بها جيف الحسرى » ، الضمير عائدة إلى « الملوب » في البيت السابق ، وهي آثار الطريق في متان الأرض ، و « الحسرى » المعيبة ، وتركها أصحابها فتموت ، و « الصليب » : الدوك الذي يسيل من جلودها إذا مضى عل موتها زمن ، وهي تحت الشمس وقدتها . يقول : ماتت وتقدم بها المهد ، فايضت عظامها ، وتغافى جلدها فلم يبق منه عل أرض الطريق سوى آثار الدوك الذي سال من جلودها . والسياق : وأما جلدها ، فلا جلد ، إنما هو الصليب وحده .

والشاهد في البيت « جلدها » وقد أراد « جلودها » .

(٤) هو المسيب بن زيد مناة الغنوي .

(٥) سيبويه ١ : ١٠٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٨ ، والسان (شجا) ، وقبلة :

• لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا •

وقال بعض نحوي الكوفة: جازئ في « النفس » في هذا الموضع الجمع والتوحيد، « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً »، و « أنفساً »، و « ضقت به ذراعاً » و « ذرعاً » و « أذرعاً » ، لأنه منسوب إليك وإلى من تخبر عنه، فاكثني بالواحد عن الجمع لذلك ، ولم يذهب الوم إلى أنه ليس بمعنى جمع ، لأن قبله جمعاً .

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن « النفس » وقع موقع الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد، مؤدبةً معناه إذا ذكر بلفظ الواحد، وأنه بمعنى الجمع عن الجميع .

* * *

وأما قوله : « هنيئاً » ، فإنه مأخوذ من : « هئأت البعير بالقطيران » ، إذا جرب فعولج به ، كما قال الشاعر : ^(١)

مُتَبَدِّلًا تَبَدُّوْا مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقْبِ ^(٢)

١٦٤/٤

* * *

يذكر قوماً سبوا من قومه ، فجاء قومه فقتلوا منهم ، فقال لهم : لا تنكروا قتلنا لكم ، وقد وقع علينا اتساع ، فإن نكن قتلنا منكم حتى صار القتل في حلوقكم كالعظم اعترض في مجراها ، فني حلوقنا نحن أيضاً شجا قد اعترض ، هو سبأؤكم من سيئتنا . يقول : هذه بهذه .
والشاهد قوله : « في حلوقكم » ، وقد أراد « حلوقكم » .

(١) هو دريد بن الصمة .

(٢) الشعر والشعراء ٣٠٢ ، والأغاني ١٠ : ٢٢ ، واللسان (نقب) ، وغيرها ، من أبياته التي قالها حين مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وهي تهنأ ببيراً لها ، وقد تبذلت حتى فرغت منه ، ثم فضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودريد يراها وهي لا تشعر به ، فأعجبته ، فأنصرف إلى رحله يقول :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وَأَرْبَعُوا صَحْبِي وَفَقُوا ، فَإِنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَسَ ، قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلُّ مِنْ الْحُبِّ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنِقِ جُرْبِ
مُتَبَدِّلًا
مُتَحَسِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ نَضَحَ الْعَبِيرِ بَرِيْطَةَ الْقَصْبِ

فكان معنى قوله : « فكلوه هنيئاً مريئاً » ، فكلوه دواء شافياً .

يقال منه : « هنأتى الطعام ومرأتى » ، أى صار لى دواء وعلاجاً شافياً ، « وهنيتى ومريتى » بالكسر ، وهى قليلة . والذين يقولون هذا القول ، يقولون : « هينأتى ويمرأتى » ، والذين يقولون : « هنأتى » يقولون : « بهنيتى ويمريتى » . فإذا أفردوا قالوا : « قد أمرأتى هذا الطعام إمراء » . ويقال : « هنأت القوم » إذا عثتهم ، سمع من العرب من يقول : « إنما سميت هائناً لهنأ » ، بمعنى : لتعول وتكفى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾^(١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « السفهاء » الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم^(٢) . فقال بعضهم : هم النساء والصبيان . ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ،

فَسَلِمِهِمُ عَنِّي خُنَاسٌ ، إِذَا عَصَى الْجَمِيعَ الْخَطْبُ : مَا خَطْبِي ؟

ثم خطبها إلى أبيها فردته ، فهجاها ، وزعم أنها ردت له لأنه شيخ كبير ، فقيل للنساء : ألا تجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه . و « النقب » : (بضم النون وسكون القاف) و « النقب » (بضم ففتح) جمع نقبة : أول الحرب حين يبدو .

(١) كان فى المطبوعة والمخطوطة سياق الآية إلى « قياماً » . ولكن تفسير أبى جعفر شمل بقية الآية « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، كما سأتى فى ص : ٥٧١ ، فأتممتها .

(٢) انظر تفسير « السفه » و « السفهاء » فى سلف ٢٩٣ / ١ - ٢٩٥ / ٣ : ٩٠ ، ١٢٩ / ٦

حدثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن سعيد بن جبير قال : اليتامى والنساء .
 ٨٥٢٤ — حدثنا المنثي قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن
 يونس ، عن الحسن بن قولة : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعطوا الصغار
 والنساء .

٨٥٢٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا يزيد بن
 زريع ، عن يونس ، عن الحسن قال : المرأة والصبي .
 ٨٥٢٦ — حدثني المنثي قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ،
 عن شريك ، عن أبي حمزة ، عن الحسن قال : النساء والصغار ، والنساء أسفه
 السفهاء .

٨٥٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 معمر ، عن الحسن بن قولة : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء »
 ابنتك السفية ، وامراتك السفية . وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « اتقوا الله في الضعيفين ، اليتيم والمرأة » .

٨٥٢٨ — حدثنا المنثي قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا حميد ، عن عبد الرحمن
 الرؤاسي ، عن السدي = قال : يردّه إلى عبد الله = قال : النساء والصبيان .
 ٨٥٢٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا
 أسباط ، عن السدي : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أما « السفهاء » ، فالولد
 والمرأة .

٨٥٣٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا
 عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يعني بذلك :
 ولد الرجل وامراته ، وهى أسفه السفهاء .

٨٥٣١ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جوير ،
 عن الضحاك بن قولة : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء » الولد ،
 ج ٧ (٢٦)

والنساء أسفه السفهاء ، فيكونوا عليكم أرباباً .

٨٥٣٢ - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا

سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : أولادكم ونساؤكم .

٨٥٣٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة ،

عن الضحاك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٤ - حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ،

عن حميد الأعرج ، عن مجاهد : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والولدان .

٨٥٣٥ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن أبي غنينة ،

عن الحكم : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والولدان .^(١)

٨٥٣٦ - حدثنا بشر بن معاذ : قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، أمر الله بهذا المال أن يخزن فتحسن خيزانه ، ولا يملكه المرأة السفية والغلامُ السفية .

٨٥٣٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن

إسماعيل ، عن أبي مالك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن

علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : امرأتك

(١) الأثر : ٨٥٣٥ - « أبو نعيم » ، هو « الفضل بن دكين » . مضت ترجمته برقم : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥ . و « ابن أبي غنية » (بفتح الغين وكسر النون وياء مشددة مفتوحة) هو : « عبد الملك بن حميد بن أبي غنية ، الخزاعي » ، روى عن أبيه ، وأبي إسحق السبيعي ، وأبي إسحق الشيباني ، والحكم بن عتيبة . وروى عنه الثوري ، وهو من أقرانه ، ووكيع ، ويعقوب بن أبي زائدة ، وعمارة بن بشر ، وأبو نعيم وآخرون . وهو ثقة . وكان في المطبوعة : « ابن أبي غنية » ، أما في المخطوطة ، فإن الناسخ لم يحسن كتابة ما كتب فصارت كأنها « ابن أبي غنية » ، والصواب ما أثبت .

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندي » ، مضى مراراً ، في رقم : ٣٢٩٧ .

وبنيك = وقال : « السفهاء » ، ولدان ، والنساء أسفه السفهاء .

* * *

١٥/٤

وقال آخرون : بل « السفهاء » ، الصبيان خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٣٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هم اليتامى .

٨٥٤٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « السفهاء » ، اليتامى .

٨٥٤١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن في قوله : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تنحلوا الصغار .

* * *

وقال آخرون : بل غنى بذلك : السفهاء من ولد الرجل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٢ - حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي مالك قوله : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط ولدك السفية مالك فيفسده ، الذى هو قوامك بعد الله تعالى .

٨٥٤٣ - حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تسلط السفية من ولدك = فكان ابن عباس يقول : نزل ذلك في السفهاء ، وليس اليتامى من ذلك في شيء .^(١)

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وليسوا اليتامى » ، وهى لغة رديئة ، أخشى أن يكون ذلك من سهو الناسخ .

٨٥٤٤ — حدثنا محمد بن المنثي قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري أنه قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلّقها ، ورجل أعطى ماله سقياً وقد قال الله : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه .^(١)

٨٥٤٥ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » الآية ، قال : لا تعط السقية من ولدك رأساً ولا حائطاً ، ولا شيئاً هو لك قيماً من مالك .

• • •

وقال آخرون : بل « السفهاء » في هذا الموضع ، النساء خاصة دون غيره .
• ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أن رجلاً عمد فدفن ماله إلى امرأته ، فوضعت في غير الحق ، فقال الله تبارك وتعالى : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » .

٨٥٤٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء .

٨٥٤٨ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا سفيان ، عن الثوري ، عن حميد ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله : « ولا توتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هن النساء .

(١) الأثر : ٨٥٤٤ — أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٠٣ من طريق أبي المنثي معاذ بن معاذ العنبري . عن أبيه ، عن شعبة ، مرفوعاً ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى ، وإنما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الإسناد : « ثلاثة يؤثرون أجورهم » . وقد اتفقا جميعاً على إخرجه » وقال النعمي : « ولم يخرجاه » ، لأن الجمهور روه عن شعبة موقوفاً ، ورفع معاذ بن معاذ عنه .

٨٥٤٩- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى : « ولا تَتَوَاتَرُوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، قال : نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم ، وهن سفهاء مَنْ كُنَّ ، أزواجاً أو أمهاتٍ أو بنات .

٨٥٥٠- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٥١- حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : المرأة .

٨٥٥٢- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال أخبرنا جوير ، عن الضحاك قال : النساء مِنْ أَسْفَه السفهاء .

٨٥٥٣- حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي عوانة ، عن عاصم ، عن مورق قال : مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة ، فقال لها ابن عمر : « ولا تَتَوَاتَرُوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » .

* * *

وقال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ، أن الله جل ثناؤه عم بقوله : « ولا تَتَوَاتَرُوا السفهاء أموالكم » ، فلم يخصص سفيهاً دون سفيه . فغير جائز لأحد أن يؤثى سفيهاً ماله ، صبيهاً صغيراً كان أو رجلاً كبيراً ، ذكرراً كان أو أنثى .

و«السفيه» الذي لا يجوز لوليه أن يؤثيه ماله ، هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه ١٦٦/٤ ماله وفساده وإفساده وسوء تدبيره ذلك .

ولأنما قلنا قلنا ، من أن المعنى بقوله : « ولا تَتَوَاتَرُوا السفهاء » هو من وصفنا دون غيره ، لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي تلوها : « وابْتَئِلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » ، فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا

بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد ، وقد يدخل في «اليتامى» الذكور والإناث ، فلم يخص بالأمر بدفع مالههم من الأموال ، الذكور دون الإناث ، ولا الإناث دون الذكور .

وإذ كان ذلك كذلك ، فعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم ، إليهم ، وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم ، غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم ، وحظر على المسلمين مدايتهم ومعاملتهم .

فإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن « السفهاء » الذين سمى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم ، هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يؤل عليهم أموالهم ، وهم من وصفنا صفتهم قبل ، وأن من عدا ذلك فغير سفيه ، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده .

• • •

وأما قول من قال : « غنى بالسفهاء النساء خاصة » ، فإنه جعل اللغة على غير وجهها . وذلك أن العرب لا تكاد تجمع « فعلا » على « فعلاء » إلا في جمع الذكور ، أو الذكور والإناث . وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم ، جمعوه على : « فعائل » و « فعيلات » ، مثل : « غرية » ، تجمع « غرائب » و « غريبات » ، فأما « الغرباء » ، فجمع « غريب » . (١)

• • •

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزؤوهم فيها واكسوهم » ،

فقال بعضهم : غنى بذلك : لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان = على

(١) هذه الحجة من حسن النظر في العربية ومعاني أبياتها . والله استكروه أبو جعفر من جعل اللغة على غير وجهها ، وتحميل العربية مالا سبيل إليه في بنائها وتركيبها ، وتأويل كتاب الله خاصة بالانزعاج الشديد والجرأة على اللغة ، كأنه قد أصبح في زماننا هذا ، هو القاعدة التي يركب فسادها كل مبتدع في الدين برأيه ، وكل متورك في طلب الصوت في الناس بما يقول في دين ربه الذي اتقن عليه من أنزل إليهم كتابه ، ليعلمهم ويهديهم ، فخالفوا طريق العلم ، وجاروا عن سنن الهداية .

ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل = أيها الرشاء ، أموالكم التي تملكونها ، فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ، ولكن ارزقوهم أنتم منها إن كانوا ممن تلزمكم نفقته ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولاً معروفاً .

وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك ، منهم : أبو موسى الأشعري ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وحضري ، وسندكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل .

٨٥٥٤ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها » ، يقول : لا تعط امرأتك ولدك مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك ، وأطعمهم من مالك واكسهم .

٨٥٥٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، يقول : لا تسلط السفية من ولدك على مالك ، وأمره أن يرزقه منه ويكسوه .

٨٥٥٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط السفية من مالك شيئاً هو لك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا تؤتوا السفهاء أموالهم » ، ولكنه أضيف إلى الولاية ، لأنهم قوامها ومدبروها .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ،

[هو مال اليتيم يكون عندك، يقول: لا تؤتة إياه، وأنفق عليه حتى يبلغ . وإنما أضاف إلى الأولياء فقال : « أموالكم » ، لأنهم قوامها ومديرها] .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد يدخل في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أموال المهنيين عن أن يؤتوهم ذلك ، وأموال « السفهاء » . لأن قوله : « أموالكم » غير مخصوص منها بعض الأموال دون بعض . ولا تمنع العرب أن تخاطب قوماً خطاباً ، فيخرج الكلام بعضه خبر عنهم ، وبعضه عن غيب ، وذلك نحو أن يقولوا : « أدلتكم يا فلان أموالكم بالباطل » ، فيخاطب الواحد خطاب الجمع ، بمعنى : أنك وأصحابك أو قومك أدلتكم أموالكم . فكذلك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء » ، معناه : لا تؤتوا ، أيها الناس ، سفهاءكم أموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم ، فيضيعوها . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عم بالهي عن إيتاء السفهاء الأموال كلها ، ولم يخص منها شيئاً دون شيء ، كان بيننا بذلك أن معنى قوله : « التي جعل الله لكم قياماً » ، إنما هو التي جعل الله لكم ولم قياماً ، ولكن السفهاء دخل ذكرهم في ذكر المخاطبين بقوله : « لكم » .

* * *

وأما قوله : « التي جعل الله لكم قياماً » ، فإن « قياماً » و « قيسماً » و « قواماً » في

(١) الأثر : ٨٥٥٧ - هذا الذي بين القوسين زيادة ليست في المطبوعة ولا المخطوطة ، زدتها من تفسير البغوي (هوامش ابن كثير) ٢ : ٣٤٩ . وهي أشبه بنص الطبري في ترجمة هذا القول . وقد نسب البغوي هذا القول الذي نقلته ، ورجحت أنها سقطت من ناسخ تفسير الطبري = إلى سعيد بن جبير وعكرمة . والظاهر أن السيوطي أيضاً وقف على نسخة من تفسير الطبري فيها هذا السقط ، فأغفل مقالة سعيد بن جبير التي نقلها البغوي ، ونقل عن ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ما نصه :

« عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السَّفَهَاءَ ﴾ ، قال : اليتامى — ﴿ أَمْوَالِكُمْ ﴾ ، قال : أموالهم ، بمنزلة قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

وبين أن نص البغوي ، أقرب إلى ما ذكر أبو جعفر ، من نص السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٢٠ . فلذلك أنيته . وأربو أن لا يكون سقط من كلام أبي جعفر إلا شيء .

معنى واحد . وإنما « القيام » أصله « القوام » ، غير أن « القاف » التي قبل « الواو » لما كانت مكسورة ، جعلت « الواو » « ياء » لكسرة ما قبلها ، كما يقال : « صُمْتُ صِياماً ، وَصَلْتُ صِيالاً » ، ^(١) ويقال منه : « فلان قوام أهل بيته » و « قيام أهل بيته » .

* * *

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأ بعضهم : ﴿الَّتِي جَمَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ بكسر « القاف » وفتح « الياء » بغير « ألف » .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿قِيَامًا﴾ بألف

* * *

قال محمد : ^(٢) والقراءة التي نختارها : ﴿قِيَامًا﴾ بالألف ، لأنها القراءة المعروفة في قراءة أمصار الإسلام ، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد . وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ، لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ وافقت في المعاني ، فأعجبنا إلينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام .

* * *

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله : « قِيَامًا » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٨ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي مالك : « أموالكم التي جعل الله لكم قِيَامًا » ، التي هي قوامك بعد الله . ^(٣)

٨٥٥٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أموالكم التي جعل الله لكم قِيَامًا » ، فإن المال هو

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « حلت حياء » بالحاء ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) هذه هي المرة الثانية التي كتب فيها « قال محمد » — يعنى محمد بن جرير الطبرى أبا جعفر — مكان : « قال أبو جعفر » ، وانظر ٥١٩ تعليق : ١ ، فيما سلف قريباً .

(٣) الأثر : ٨٥٥٨ — هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٢ .

قيام الناس ، قِيَامَ معاشيهم . يقول : كن أنت قيم أهلِكَ ، فلا تعطِ امرأتَكَ [وولَدَكَ] مالَكَ ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك . (١)

٨٥٦٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تَتَوَلَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا » ، يقول الله سبحانه : لا تعتمد إلى مالك وما خَوَّلَكَ الله وجعله لك معيشة ، فتعطيه امرأتك أو بَنِيكَ ، ثم تنظر إلى ما في أيديهم . ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم . قال : وقوله « قِيَامًا » ، بمعنى : قوامكم في معاشكم .

٨٥٦١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن قوله : « قِيَامًا » ، قال : قيام عيشك .

٨٥٦٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شروذ ، عن مجاهد : أنه قرأ : « التي جعل الله لكم قِيَامًا » ، بالألف ، يقول : قيام عيشك . (٢)
٨٥٦٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

(١) الأثر : ٨٥٥٩ - هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٥٤ ، والزيادة بين القوسين منه وبغيرها لا تستقيم الضمائر . وفي المخطوطة والمطبوعة : « كنت أنت » والصواب « كن أنت » كما أثبتنا .
(٢) الأثر : ٨٥٦٢ - « إسحق » في هذا الأثر ، هو « إسحق بن الصيف » ، ويقال : « إسحق ابن إبراهيم بن الصيف ، الباهل » ، ثقة . مترجم في التهذيب . وأما « بكر بن شروذ » فقد ترجم له البخاري في الكبير ٩٠/١/٢ ، وقال : « صنعاني » قال ابن معين : رأيت ، ليس بثقة . أما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٣٨/١/١ ، فقد ترجم له باسم : « بكر بن عبد الله بن شروس » ويقال : ابن شروذ ، « صنعاني » ، قال : « روى عن معمر . روى عنه إسحق بن إبراهيم بن الصيف . سمعت أبي يقول : هو ضعيف الحديث » . أما الحافظ ابن حجر ، فقد ترجم له في لسان الميزان ٢ : ٥٢ - ٥٤ ، وروى عن ابن معين أنه قال : « كذاب ، ليس بشيء » ، واستوفى الكلام فيه . وأما « مجاهد » فهو « مجاهد ابن جبر التميمي الإمام المشهور . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن ابن مجاهد » ، وزيادة « ابن » خطأ لاشك فيه . كان الناسخ ظنه « ابن مجاهد » القاري ، شيخ الصنعة ، أول من سبغ القراءات السبعة ، وهو متأخر الميلاد . ولد سنة ٢٤٥ ، وهو « أبو بكر بن مجاهد » = « أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي » .

« أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، قال : لانتعط السفهيه من ولدك شيئاً ، هو لك قيم من مالك .^(١)

* * *

وأما قوله : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله . فأما الذين قالوا : إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، [أموال] أولياء السفهاء ، لا أموال السفهاء^(٢) = فإنهم قالوا : « معنى ذلك : وارزقوا ، أيها الناس ، سفهاءكم من نساءكم وأولادكم ، من أموالكم طعمهم ، وما لا بد لهم منه من مؤنهم وكسوتهم » .

وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى ، وسنذكر من لم يذكر من قائله .

٨٥٦٤ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أمروا أن يرزقوا سفهاءهم — من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم — من أموالهم .

٨٥٦٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج عن ١٦٨/٤ ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « وارزقوهم » ، قال ، يقول : أنفقوا عليهم . ٨٥٦٧ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، يقول : أطعمهم من مالك واكسهم .

* * *

وأما الذين قالوا : « إنما عنى بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم » ، فإنهم قالوا : « معنى قوله : « وارزقوهم فيها

(١) الأثر : ٨٥٦٣ — انظر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٥ ، اختلف لفظاهما مع اتفاق إسنادهما

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، استظهرتها من السياق ، وأثبتها لليان . وكان ذلك هو الصواب .

واكسوهم» ، وارتزقوا ، أيها الولاة ولاة أموال السفهاء ، سفهاءكم من أموالكم ، طعامهم وما لا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم . وقد مضى ذكر ذلك . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذي نراه صواباً في قوله : « ولا تَتَوَاتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم » من التأويل ، فقد ذكرناه ، ودللتنا على صحة ما قلنا في ذلك بما أغنى عن إعادته .

* * *

فتأويل قوله : « وارتزقوهم فيها واكسوهم » ، على التأويل الذي قلنا في قوله : « ولا تَتَوَاتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم » = وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم في أموالكم ، ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها = وعلى سفهائكم منهم ، ممن لا تجب عليكم نفقته ، ومن غيرهم الذين تَكُونُ أُنْتُمْ أمورهم ، من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم . (٢) لأن ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة ، لا خلاف بينهم في ذلك ، مع دلالة ظاهر التثريب على ما قلنا في ذلك .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ٥

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : عِذُّهُمْ عِذَّةً جَمِيلَةً مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ . ذكر من قال ذلك :

٨٥٦٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

(١) انظر الأثر رقم : ٨٥٥٧ .

(٢) انظر تفسير « الرزق » فيما سلف : ٤ : ٥ / ٢٧٤ : ٤ : ٦ / ٤٤ : ٣١١ - وتفسير « الكسوة »

فيما سلف : ٥ : ٤٤ ، ٤٨٠

عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، قال : أمروا أن يقولوا لهم قولاً معروفاً في البر والصلة = يعني النساء ، وهن السفهاء عنده .

٨٥٦٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج : عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، قال : عِدَّةٌ تَعِدُّهُمْ ^(١) .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادعوا لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٧٠ - حدثني يونس قال . أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

« وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، إن كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه ، فقل لهم قولاً معروفاً ، قل لهم : « عافانا الله وإياك » ، « بارك الله فيك » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصحة ، ما قاله ابن جريج .

وهو أن معنى قوله : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، أى : قولوا ، يا معشر ولادة السفهاء ، قولاً معروفاً للسفهاء : « إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم » ، وخليتنا بينكم وبينها ، فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم » ، وما أشبه ذلك من القول الذى فيه حث على طاعة الله ، ونهى عن معصيته ^(٢) .

* * *

(١) في المطبوعة : « تعلمهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٤ / ٣٧١ : ٥ / ٥٤٧ : ٧ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣

١٣٧ / ٧ : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ = وتفسير « قول معروف » فيما سلف ٥ : ٢٠٠

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وابتلوا اليتامى » ، واختبروا عقول يتاماكم فى أفهامهم ، وصلاحهم فى أديانهم ، وإصلاحهم أموالهم ، كما : —
 ٨٥٧١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قالوا يقول : اختبروا اليتامى .
 ٨٥٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « ابتلوا اليتامى » ، فجربوا عقولهم .
 ٨٥٧٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : عقولهم .
 ٨٥٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : اختبروهم . ١٦٩/٤

٨٥٧٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : اختبروه فى رأيه وفى عقله كيف هو . إذا عُرِفَ أنه قد أُتِيسَ منه رُشد ، دفع ليه ماله . قال : وذلك بعد الاحتلام .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « الابتلاء » الاختبار ، بما فيه الكفاية عن إعادته .^(١)

* * *

وأما قوله : « إذا بلغوا النكاح » ، فإنه يعنى : إذا بلغوا الحلم : كما : —
 ٨٥٧٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن

(١) انظر تفسير «الابتلاء» فيما سلف ٢/٤٩ : ٣/٢٢٠ ، ٥/٣٢٩ : ٧/٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٤٥٤

ابن أبي نجيج ، عن مجاهد في قوله : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، حتى إذا احتلموا .
 ٨٥٧٧ - حدثني علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ،
 حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « حتى إذا بلغوا
 النكاح » ، قال : عند الحلم .
 ٨٥٧٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :
 « حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : الحلم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ أَنْسَمُ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فَإِنْ أَنْسَمُ مِنْهُمْ رُشْدًا » ، فإن وجدتم منهم
 وعرقم ، كما : -

٨٥٧٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن
 صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فَإِنْ أَنْسَمُ مِنْهُمْ رُشْدًا » ، قال : عرقم منهم .

يقال : « أَنْسَمْتُ مِنْ فُلَانٍ خَيْرًا - وَبِرًّا » ^(١) بـمد الألف = « إِنْسَأ » ، و « أَنْسَمْتُ
 بِهِ أَنْسُ أَنْسًا » ، بقصر ألفها ، إذا أَلْفَه .

* * *

وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله : ﴿ فَإِنْ أَحْسَمُ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ ^(٢) ، بمعنى :
 أحسستم ، أى : وجدتم .

* * *

(١) في المطبوعة : « أَنْسَمْتُ مِنْ فُلَانٍ خَيْرًا وَبِرًّا » ، لم يحسن قراءة « وَبِرًّا » في
 المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٢) في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ : « فَإِنْ أَحْسَمُ » بين واحدة ساكنة ، وفي بعض نسخه
 كما في تفسير الطبري ، أما في المخطوطة فقد كتب في الموضعين : « أَحْسَمُ » - بسينين ، وهو خطأ ،
 والصواب ما في المطبوعة ، وما في معاني القرآن للفراء .

واختلف أهل التأويل في معنى : « الرشد » الذي ذكره الله في هذه الآية .^(١)
فقال بعضهم : معنى « الرشد » في هذا الموضع ، العقل والصلاح في الدين .
« ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا
أسباط ، عن السدي : « فإن آنستم منهم رشداً » ، عقولا وصلاحاً .
٨٥٨١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
قتادة : « فإن آنستم منهم رشداً » ، يقول : صلاحاً في عقله ودينه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : صلاحاً في دينهم ، وإصلاحاً لأموالهم .
« ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن مبارك ، عن الحسن
قال : رشداً في الدين ، وصلاحاً ، وحفظاً للمال .
٨٥٨٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ،
عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن آنستم منهم رشداً » ، في حالهم ،
والإصلاح في أموالهم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك العقل ، خاصة .
« ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،
عن منصور ، عن مجاهد قال : لا ندفع إلى اليتيم ماله وإن أخذ بلحيته ،^(٢) وإن
كان شيخاً ، حتى يؤنس منه رشده ، العقل .

(١) أنظر تفسير « الرشد » فيما سلف ٣ : ٤٨٢ / ٥ : ٤١٦

(٢) قوله : « أخذ بلحيته » يعني : الشيب أخذ بلحيته ، وانظر الأثر التالي : ٨٥٨٦ .

٨٥٨٥ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: «آنتم منهم رشداً»، قال: العقل.

٨٥٨٦ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو شبرمة، عن الشعبي قال: سمعته يقول: إن الرجل ليأخذُ بلحيته وما بلغ رُشدَه. (١)

* * *

وقال آخرون: بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه.

• ذكر من قال ذلك:

٨٥٨٧ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: «فإن آنتم منهم رشداً»، قال: صلاحاً وعلماً بما يصلحه.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندى بمعنى «الرشد» فى هذا الموضع، العقل وإصلاح المال (٢) = لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحجر عليه فى ماله، وحوّز ما فى يده عنه، وإن كان فاجراً فى دينه. وإذا كان ذلك إجماعاً من الجميع، فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال فى يدى وصى أبيه، أو فى يد حاكم قد ولى ماله لطفولته = واجب عليه تسليم ماله إليه، إذا كان عاقلاً، بالغاً، مصلحاً لماله = غير مفسد، لأن المعنى الذى به يستحق أن يولّى على ماله الذى هو فى يده، هو المعنى الذى به يستحق أن يمنع يده من ماله الذى هو فى يد ولى (٣)، فإنه لا فرق بين ذلك.

١٧٠/٤

وفى إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله وإصلاح

(١) الأثر: ٨٥٨٦ - «أبو شبرمة» كنية «ابن شبرمة»، وهو القاضي الفقيه الملقب «عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي». وكان عفيفاً حازماً عاقلاً فقيهاً، يشبه النساك، ثقة فى الحديث، شاعراً، حسن الخلق، جواداً. هكذا وصفوه رحمه الله.

(٢) انظر التعليل السالف ص: ٥٧٦، تعليق: ١، فى مراجع تفسير «الرشد»

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة: «فى يده ولى»، والصواب حذف هذه الهاء، فإنه مفسدة للكلام ولو قرئت: «فى يد وليه» لكانت جيدة.

ما في يده ، الدليل الواضح على أنه غير جائز منعه يده مما هو له في مثل ذلك الحال ، وإن كان قبل ذلك في يد غيره ، لا فرق بينهما . ومن فرق بين ذلك ، عكس عليه القول في ذلك ، وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير ، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

فإذ كان ما وصفنا من الجميع إجماعاً ، ^(١) فبيّن أن « الرشد » الذي به يستحق اليتيم ، إذا بلغ فأونس منه ، دَفَعَ ماله إليه ، ما قلنا من صحة عقله وإصلاح ماله .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَأَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره ولاية أموال اليتامى . يقول الله لهم : فإذا بلغ أيتامكم الحلم ، فأنستم منهم عقلاً وإصلاحاً لأموالهم ، فادفعوا إليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم .

• • •

وأما قوله : « فلا تأكلوها إسرافاً » ، يعني : بغير ما أباحه الله لك ، ^(٢) كما : — ٨٥٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، يقول : لا تسرف فيها .

٨٥٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، ^(٣) حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

(١) في المطبوعة : « فإن كان ما وصفنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « أباحه الله لكم » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة . وانظر تفسير « أكل المال » فيما سلف ٣ : ٥٤٨ - ٥٥١ / ٧ : ٥٢٨ .

(٣) الأثر : ٨٥٨٩ — محمد بن الحسين بن موسى بن أبي حنين الكوفي ، « مضت ترجمته برقم : ٧١٢٠ » ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « محمد بن الحسن » ، وهو خطأ ، فهذا إسناد دائر في التفسير .

أسباط ، عن السدى : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، قال : يسرف في الأكل .

* * *

وأصل « الإسراف » : تجاوز الحد المباح إلى ما لم يُبَسَّحْ . وربما كان ذلك في الإفراط ، وربما كان في التقصير . غير أنه إذا كان في الإفراط ، فاللغة المستعملة فيه أن يقال : « أسرف يُسرف إسرافاً » = وإذا كان كذلك في التقصير ، فالكلام منه : « سَرِفٌ يَسْرِفُ سَرَفاً » ، يقال : « مررت بكم فسرفتكم » ، يراد منه : فسهوت عنكم وأخطأتكم ، كما قال الشاعر : (١)

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفٌ (٢)

يعنى بقوله : « ولا سرف » ، لا خطأ فيه ، يراد به : أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها .

* * *

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه : ٣٨٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٥٩ ، والاشتقاق : ٢٤١ ، واللسان (هند سرف) ، وغيرها ، وسيأتي في التفسير ٨ : ٣٠ / ٤٦ : ١٥٩ (بولاق) ، من قصيدته التي مدح بها يزيد بن عبد الملك ، وهجا آل المهلب ، يقول ليزيد ، قبله :

أَرْجُو الْفَوَاضِلَ . إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ
يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَى نَفْسِي التَّلَفُ
مَا مِنْ جَفَانًا إِذَا حَاجَاتُنَا نَزَلَتْ
كَمَنْ لَنَا عِنْدَهُ التَّكْرِيمُ وَاللَّطَفُ
كَمْ قَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ ضَيْفًا ، فَتَلَحُّفِي
فَضْلَ اللَّحَافِ ، وَنِعْمَ الْفَضْلُ يُلْتَحَفُ

وقوله : « هنيذة » اسم لكل مئة من الإبل ، لا تصرف ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تجمع ، ولا واحد لها من جنسها . و « هند » مثلها في المعنى ، وبه سميت المرأة فيما أرجح ، تساق في مهرها مئة من الإبل ، من كرامتها وعزها وريفة الأزواج فيها لشرفها . وقوله : « ثمانية » أى ثمانية من العبيد يقومون بأمرها .

القول في تأويل قوله ﴿وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: «وبداراً»، ومبادرة.

وهو مصدر من قول القائل: «بادرت هذا الأمر مبادرة وبیداراً».

ولانما يعني بذلك جل ثناؤه ولاية أموال اليتامى. يقول لهم: لا تأكلوا أموالهم إسرافاً - يعني ما أباح الله لكم أكله - ولا مبادرة منكم بلوغهم وإيناس الرشد منهم، حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم، كما: -

٨٥٩٠ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «إسرافاً وبداراً»، يعني: أكل مال اليتيم مبادراً أن يبلغ، فيحول بينه وبين ماله.

٨٥٩١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن: «ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً»، يقول: لا تسرف فيها ولا تبادره. (١)
٨٥٩٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «وبداراً»، تبادراً أن يكبروا فيأخذوا أموالهم.

٨٥٩٣ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «إسرافاً وبداراً»، قال: هذه لول اليتيم يأكله، جعلوا له أن يأكل معه، إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه، فيذهب يؤخره، يقول: «لا أدفع إليه ماله»، وجعلت تأكله تشهى أكله، لأنك إذا لم تدفعه إليه لك فيه نصيب، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب. (٢)

* * *

(١) في المطبوعة: «ولا تبادر» بغير هاء في آخره، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) كانت هذه الجملة في المخطوطة هكذا فاسدة الكتابة غير منقوطة: «هذه لول اليتيم يأكله جعلوا»

وموضع « أن » في قوله : « أن يكبروا » ، نصبٌ بـ « المبادرة » ، لأن معنى الكلام : لا تأكلوها مبادرة كبرهم .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ومن كان غنياً » ، من ولاة أموال اليتامى / ٤
على أموالهم ، فليستعفف بماله عن أكلها — بغير الإسراف والبدار أن يكبروا — بما أباح الله له أكلها به ، كما : —

٨٥٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش = وابن أبي ليلى ، عن الحكم = عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف » ، قال : بغناه من ماله ،^(٢) حتى يستغنى عن مال اليتيم .

٨٥٩٥ — وبه قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف » ، بغناه .

٨٥٩٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف »

له أن يأكل معه إذا لم يجد سبباً يضع معه يده ، فذهب نوحه يقول لا أدفع إليه ماله وجعلت تأكله لسمي أكله ، لأنك لم تدفعه إليه . . . » ، وهى فاسدة . أما المطبوعة فقد صححها وكتب : « هذه لول اليتيم خاصة وجعل له » ، وأسأه فيما قرأ وفيما كتب . ثم كتب « فيذهب بوجهه » مكان « يؤخره » ، وقد أسأه . ثم زاد « إن » في قوله : « لأنك لم تدفعه إليه » فجعلها « لأنك إن لم تدفعه إليه » ، وقد أصاب ، ولكني آثرت « إذا » .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « لغناه عن ماله » ، والصواب بالباء .

ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، قال : من مال نفسه ، ومن كان فقيراً منهم ، إليها محتاجاً ، فليأكل بالمعروف .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في « المعروف » الذي أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها .^(١) فقال بعضهم : ذلك هو القرضُ يستقرضه من ماله ، ثم يقضيه .
• ذكر من قال ذلك :

٨٥٩٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنني أنزلت مال الله تعالى مني بمترلة مال اليتيم ، إن استغيت استغفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أسرت قضيت .^(٢)

٨٥٩٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن زهير ، عن العلاء ابن المسيب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : وهو القرض .

٨٥٩٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني أنه قال في هذه الآية : « ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : الذي يتفق من مال اليتيم ، يكون عليه قرضاً .

٨٦٠٠ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال ، سألت عبيدة عن قوله : « ومن

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف من : ٥٧٣ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ٨٥٩٧ - « حارثة بن مضرب الكوفي » ، روى عن عمر ، وعط ، وروى عنه أبو إسحق السبيعي . مترجم في التهذيب ، والكبير ٨٧ / ١ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٢٥٥ / ٢ / ١ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « حارثة بن مصرف » ، وهو خطأ وتصحيف .

كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إنما هو قرض ، ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟ قال : فظننت أنه قالها برأيه .

٨٦٠١- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، وهو عليه قرض .

٨٦٠٢- حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن سلمة بن علقمة ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : المعروف القرض ، ألا ترى إلى قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟^(١)

٨٦٠٣- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة = مثل حديث هشام .^(٢)

٨٦٠٤- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يعني القرض .

٨٦٠٥- حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يقول : إن كان غنياً ، فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيئاً ، وإن كان فقيراً ، فليستقرض منه ، فإذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه ، فذلك أكله بالمعروف .

(١) الأثر : ٨٦٠٢ - « سلمة بن علقمة التميمي » ، روى عن محمد بن سيرين . ثقة . مترجم في التهذيب . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « سلمة عن علقمة » ، وهو خطأ ، وانظر الأستاذ السالف رقم : ٨٦٠٠ ، جاء على الصواب .

(٢) يعني رقم : ٨٦٠١ .

٨٦٠٦- حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي

يذكر ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير قال : يأكل قرضاً بالمعروف .^(١)

٨٦٠٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ،

عن سعيد بن جبير قال : هو القرض ، ما أصاب منه من شيء قضاءه إذا أيسر =
يعنى قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » . ١٧٢/٤

٨٦٠٨- حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن عليه ، عن هشام الدستوائي قال ،

حدثنا حماد قال ، سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل
بالمعروف » ، قال : إن أخذ من ماله قدر قوته قرضاً ، فإن أيسر بعد قضاءه ، وإن
حضره الموت ولم يوسر ، تحلله من اليتيم . وإن كان صغيراً تحلله من وليه .^(٢)

٨٦٠٩- حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا

شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : فليأكل قرضاً .^(٣)

٨٦١٠- حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ،
قال : هو القرض .

٨٦١١- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ،

عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً
فليأكل بالمعروف » ، قال : لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ،
فإن أكل منه شيئاً قضاءه .

(١) الأثر: ٨٦٠٦- « ابن إدريس » هو « عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي »

شيخ أبي كريب ، مضى مراراً . وكان في المطبوعة والمخطوطة « أبو إدريس » ، وهو خطأ . و « أبوه » هو
« إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي » ، روى عن أبيه ، وأبي إسحق السبيعي ، وسماك بن حرب وغيرهم .
ترجم في التهذيب . وكان في المخطوطة « سمعت أبي بكر » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المخطوطة : « حله من وليه » ، ولعلها « حله منه وليه » ، والذى في المطبوعة موافق للسياق .

(٣) في المخطوطة : « فلا يأكل قرضاً » ، وهو خطأ ، والصواب ما في المطبوعة .

٨٦١٢— حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا
شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « فليأكل بالمعروف » ،
قال : قرضاً .

٨٦١٣— حدثنا ابن المنني قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،
عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد مثله .

٨٦١٤— حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،
عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « فليأكل بالمعروف » ، قال : سألنا من
مال يتيمة .

٨٦١٥— حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
الثوري ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد = وعن حماد ، عن سعيد بن جبير =
« فليأكل بالمعروف » ، قالوا : هو القرض = قال الثوري : وقاله الحكم أيضاً ،
ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟

٨٦١٦— حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حجاج ، عن
مجاهد قال : هو القرض ، ما أصاب منه من شيء قضاءه إذا أيسر = يعني : « ومن
كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦١٧— حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ،
عن أبي العالية : « فليأكل بالمعروف » ، قال : القرض ، ألا ترى إلى قوله : « فإذا
دفعتم إليهم أموالهم » ؟

٨٦١٨— حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ،
عن أبي وائل قال : قرضاً .

٨٦١٩— حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ،
عن سعيد بن جبير قال : إذا احتاج الولي أو افتقر فلم يجد شيئاً ، أكل من مال

اليتيم وكتبه ، فإن أيسر قضاء ، وإن لم يوسر حتى تحضره الوفاة ، دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل .

٨٦٢٠ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن عليه قال ، أخبرنا ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، من مال اليتيم ، بغير إسراف ، ولا قضاء عليه فيما أكل منه .

* * *

واختلف قائلو هذا القول في معنى : « أكل ذلك بالمعروف » .

فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه .
* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢١ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي قال ، أخبرني من سمع ابن عباس يقول : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : بأطراف أصابعه .

٨٦٢٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن سمع ابن عباس يقول ، فذكر مثله .^(١)

٨٦٢٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يقول : « فمن كان غنياً » ، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم ، فليستعفف عن أكله^(٢) = « ومن كان فقيراً » ، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم ، فليأكل معه بأصابعه ، لا يسرف في الأكل ، ولا يلبس .

(١) الأثر : ٨٦٢٢ - « عبيد الله الأشجعي » هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي » . قال ابن معين : « ما كان بالكوفة أعلم بسفيان الثوري من الأشجعي » . وهو ثقة مأمون . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « عبيد الله الأشجعي » ، وهو خطأ .
(٢) في المطبوعة : « فليستعفف عن ماله » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

٣/٤

٨٦٢٤- حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا حرمي بن عمار قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة في مال اليتيم : يدك مع أيديهم ، ولا تتخذ منه قلنسوة .
 ٨٦٢٥- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء وعكرمة قالا ، تضع يدك مع يده .

* * *

وقال آخرون : بل «المعروف» في ذلك : أن يأكل ما يسدُّ جوعه ، ويلبس ما وارى العورة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢٦- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن المعروف ليس بلبس الكتان ولا الحلل ، ولكن ما سدَّ الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٧- حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : ليس المعروف بلبس الكتان والحلل ، ولكن المعروف ما سدَّ الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٨- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن مغيرة ، عن إبراهيم نحوه .

٨٦٢٩- حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو معبد قال : سئل مكحول عن ولى اليتيم ، ما أكله بالمعروف إذا كان فقيراً ؟ قال : يده مع يده . قيل له : فالكسوة ؟ قال : يلبس من ثيابه ، فأما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا .

٨٦٣٠- حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « فليأكل بالمعروف » ، قال : ما سدَّ الجوع ووارى

العورة . أما إنه ليس لبُوس الكتان والحلل .^(١)

* * *

وقال آخرون : بلى ذلك « المعروف » ، أكل تمره ، وشرب رِسل ماشيته ،^(٢) بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة ، فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض .
* ذكر من قال ذلك :

٨٦٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أموال أيتام ؟ وهو يستأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس : أأنت تبغى ضالتها ؟^(٣) قال : بلى ! قال : أأنت تهتأ جرباًها ؟^(٤) قال : بلى ! قال : أأنت تملطُ حياضها ؟^(٥) قال : بلى ! قال : أأنت تفسرط عليها يوم وردها ؟^(٦) قال : بلى ! قال : فأصب من رسلها = يعنى : من لبنها .

٨٦٣٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتاماً ، وإن لهم إبلا ولي إبل ، وأنا أمنح في إبلي

(١) الأثر : ٨٦٣٠ — « الأشجى » ، هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجى » ، مضى قريباً في التعليل على الأثر رقم : ٨٦٢٢ .

(٢) « الرسل » (بكسر الراء وسكون السين) : اللبن .

(٣) « بنى الضالة بناءً وبغيةً وبناية » (كلها بضم الباء) : نشدها وطلبها .

(٤) هنا البعير الأجرب يهتؤ ، إذا طلاه بالهتاء (بكسر الهاء) ، وهو القطران ، يعالج به من الحرب .

(٥) « لط الحوض يلطه لطلاً » : ألصقه بالعطين حتى يسد خلله ، قال ابن الأثير : « كذا جاء في الموطأ » انظر الموطأ : ٩٣٤ ، ويشير به إلى الرواية الأخرى « تلوط » ، كما ستأتي في الأثر التالي . وكان في المطبوعة هنا « تليط » . ، وهي صواب أيضاً ، جاء في رواية حديث أشراف الساعة : « ولتقومن وهو يلط حوضه » ، أى يطينه أيضاً . ولكنها لم تجيء في المخطوطة ولا في مكان غيره أعرفه .

(٦) « نرط يفرط نرطاً » : إذ سبق الواردة الإبل إلى الماء ، فهياً لها الأرسان والدلاء ، وسلا الحياض واستقى لهم . و « يوم الورد » بكسر الراء ، وهو يوهها الذي ترد فيه الماء . وكان في المطبوعة : « يوم ورودها » ، وهي صحيحة المعنى ، والذي في المخطوطة هو محض الصواب .

وأفقر ، ^(١) فإذا يحلّ لى من ألبانها ؟ قال : إن كنت تبغى ضالتها ، وتنهأ جرباها ، وتلوط حوضها ، ^(٢) وتسقى عليها ، ^(٣) فاشرب غير مُضَرٍّ بنسل ، ^(٤) ولا ناهكٍ في الحلب . ^(٥)

٨٦٣٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن أبي العالية في هذه الآية : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : من فضل الرّسل والتمرة . ^(٦)

٨٦٣٤ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي العالية في ولى مال اليتيم قال : يأكل من رسل الماشية ومن التمرة ، لقيامه عليه ، ولا يأكل من المال . وقال : ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم ؟ »
٨٦٣٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال سمعت داود ، عن رُفيع أبي العالية قال : رُحِّصْ لولى اليتيم أن يصيب من الرّسل ويأكل من التمرة ، وأما الذهب والفضة فلا بد أن تردّ . ثم قرأ : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ،

(١) « منح الشاة والناقة يمنحها منحاً » : أعارها من لا ناقة له ، يأخذ من لبنها ويرعى عليها . ثم يردها عليه . و « أفقرت فلاناً بغيراً » إذا أعرته بغيراً يركب ظهره في سفره ثم يرده إليه ، وهو من « فقار » الظهر ، أى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب .

(٢) « لاطه الحوض يلوطه لوطاً » : طلاه بالطين ولمسه . انظر التعليق السالف ص : ٥٨٨ ، رقم : ٥

(٣) في المخطوطة : « وتسمى عليها » وهو خطأ ، ورواية الموطأ : « وتسقيها يوم وردها » .

(٤) « نهكت الناقة حلباً أنهكها » ، إذا بالفت في حلبها ونقصها ، فلم يبق في ضرعها لبن .

و « الحلب » (بفتح الحاء واللام) و « الحلب » (بسكون اللام) و « الحلاب » مصدر « حلب الشاة والإبل والبقر يحلبها » : إذا استخرج ما في ضرعها من اللبن .

(٥) الأثران : ٨٦٣١ ، ٨٦٣٢ - رواه مالك في الموطأ من طريق « يحيى بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد » كرواية الأثر الثاني هنا ، مع اختلاف في بعض اللفظ ، وأبو جعفر النحاس في التامع والمنسوخ : ٩٣ ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٢٢ ، إلى مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والنحاس في ناسخه .

(٦) في المطبوعة : « والتمرة » بالثاء المثناة ، وأثبت ما في المخطوطة هنا ، وستأق بالثلاث في المخطوطة في الآثار التالية ، ولكن صوابها « بالثاء » ، وانظر حجتنا في ذلك في الأثر رقم : ٨٦٣٦ .

ألا ترى أنه قال : « لا بد من أن يدفع » ؟ (١)

٨٦٣٦ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه قال : إنما كانت أموالهم إذ ذاك النخل والماشية ، (٢) فرخص لهم إذا كان أحدهم محتاجاً أن يصيب من الرسل .

٨٦٣٧ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا كان فقيراً أكل من التمر ، (٣) وشرب من اللبن ، وأصاب من الرسل .

٨٦٣٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ذكر لنا أن عمّ ثابت بن رفاعه = وثابت يومئذ يتيم في حجره = من الأنصار ، أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، إن ابن أخي يتيم في حجرى ، فما يحل لى من ماله ؟ قال : أن تأكل بالمعروف ، من غير أن تقي مالك بماله ، ولا تتخذ من ماله وفراً . (٤) وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل ، (٥) فيقوم عليه على صلاحه وسقيه ، فيصيب من ثمرته ، (٦) أو تكون له الماشية ، فيقوم عليه على صلاحها ، أو يلى علاجها

١٧٤/٤

(١) الأثر - ٨٦٣٥ - « رفيع بن مهران الرياحى » ، « أبو العالية » مضى برقم : ٤٤ ، ١٨٤ ومواضع غيرها ، وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « رفيع عن أبي العالية » بزيادة « عن » وهو خطأ محض . (٢) في المطبوعة : « أدخل النخل والماشية » ، وفي المخطوطة : « ادخال » ، ولم أجد لشيء من ذلك معنى ، مع ثقلها على أكثر وجوه التصحيح ، ثم هديت إلى أن أرجح أن يكون صوابها ما أثبت ، وكأن الناسخ رأى « ذال » : « ذاك » متصلة بألفها فظنها « حاء » ، فكتب « الكاف » المتطرفة « لأم » والذي أثبتته هو حاق السياق إن شاء الله .

(٣) في المطبوعة : « من التمر » بالثاء المثناة ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٨٩ ، رقم : ٦ .

(٤) « وفر ماله وفراً » - حاطه حتى يكثُر ويصير وافراً ، يعنى : أن يتأثّل مالا لنفسه ويجمعه من مال يتيمة .

(٥) « الحائط » البستان من النخل ، إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار ، فإذا لم يحيط فهو « ضاحية » .

(٦) في المطبوعة : « ثمرته » ، والصواب من المخطوطة ، وانظر ص ٥٨٩ تعليق ٦ : والتعليق السالف ٣ .

ومؤوتها، فيصيب من جزأها وعوارضها ويرسلها. ^(١) فأما رقاب المال وأصول المال، ^(٢) فليس له أن يستهلكه. ^(٣)

٨٦٣٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يعني ركوب الدابة ونخلة الخادم . فإن أخذ من ماله قرصاً في غنى ، فعليه أن يؤديه ، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً .

* * *

وقال آخرون منهم : له أن يأكل من جميع المال ، إذا كان يلى ذلك ، وإن أتى على المال ، ولا قضاء عليه .
* ذكر من قال ذلك :

٨٦٤٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسماعيل بن صبيح ، عن أبي أويس ، عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعاً ، عن القاسم بن محمد قال : سئل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عما يصلح لوليّ اليتيم قال : إن كان غنياً فليستعفف ، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف. ^(٤)

(١) الجزاز والجزازة (بضم الجيم) والجزز (بفتحين) والجزرة (بكسر الجيم وتشديد الزاى) ، وجمعها جزز (بكسر ففتح) : هو ما يجزه من صوف الشاة وغيرها . ورواية اللسان والفائق للزمخشري « جززها » جمع « جزء » . « والموارض » جمع عارضة ، وهى الشاة أو البعير تصيبه آفة أو كسر أو داء فيذبحونها ، ومن هجائهم : « بنو فلان لا يأكلون إلا الموارض » ، أى : لا ينحرون الإبل إلا من داء يصيبها . « والرسل » اللبن .

(٢) « رقاب المال » يعنى من الأنعام ، و « أصول المال » يعنى من النخيل .

(٣) الأثر : ٨٦٣٨ - ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ، في ترجمة « ثابت بن رفاعه » ، ولم ينسبه لابن جرير ، ونسبه لابن مندة ، وابن قتيون ، من طريق عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، وقال : « هذا مرسل ، رجاله ثقات » .

(٤) الأثر : ٨٦٤٠ - إسماعيل بن صبيح الشكري « مضى برقم : ٢٩٩٦ . و « أبو أويس » هو : « عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي » ، ابن عم مالك وصهره على أخته ، قال ابن معين : « صلوق ، وليس بحجة » . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وليس بالقوى » . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « عن أبي إدريس » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

٨٦٤١- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عمر بن الخطاب كان يقول : يحمل لولي الأمر ما يحمل لولي اليتيم : « من كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦٤٢- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الفضل ابن عطية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا احتاج فليأكل بالمعروف ، فإن أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه .

٨٦٤٣- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن يزيد التحوي ، عن عكرمة والحسن البصري قالوا : ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال : « ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ومعروف ذلك : أن يتق الله في يتيمة .

٨٦٤٤- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : أنه كان لا يرى قضاءً على ولي اليتيم إذا أكل وهو محتاج .

٨٦٤٥- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم : « فليأكل بالمعروف » ، في الوصي ، قال : لا قضاء عليه .

٨٦٤٦- حدثنا ابن المنني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا عمل فيه ولي اليتيم أكل بالمعروف .

٨٦٤٧- حدثنا بشر بن محمد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إذا احتاج أكل بالمعروف من المال ، طُعمَةً من الله له .^(١)

(١) « طُعمَة » (بضم فسكون) : رزق ومأكلة ، يقال : « جعل السلطان فاحية كذا طعمة لفلان » أي : مأكلة يأكل منها كما يأكل من كعبه .

٨٦٤٨- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن البصرى قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن في حجرى يتيماً ، أفأضربه ؟ قال : فيما كنت ضارباً منه ولدك ؟ قال : أفأصيب من ماله ؟ قال : بالمعروف ، غير متأثلاً مالا ، ولا واقٍ مالك بماله . (١)

٨٦٤٩- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

الثورى ، عن ابن أبي نجيج ، عن الزبير بن موسى ، عن الحسن البصرى ، مثله (٢)

٨٦٥٠- حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن

ابن أبي نجيج ، عن عطاء أنه قال : يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم ، كقَدَر خدمته وقَدَر عمله . ١٧٥/٤

٨٦٥١- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : والى اليتيم ، إذا كان محتاجاً ، يأكل بالمعروف ، لقيامه بماله .

٨٦٥٢- حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، وسأله

عن قول الله تبارك وتعالى : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إن استغنى كف ، وإن كان فقيراً أكل بالمعروف . قال : أكل بيده معهم ، لقيامه على أموالهم ، وحفظه إياها ، يأكل مما يأكلون منه . وإن استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيئاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأحوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : « المعروف »

(١) « تأثلاً مالا » : اتخذ أصل مال يجمعه ويثبت به ويخزنه .

(٢) الأثر : ٨٦٤٩- « الزبير بن موسى بن ميناء المكي » ، روى عن جابر ، وسعيد بن جبير ، وعمرو بن دينار ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهم . روى عنه ابن جريج ، والثورى ، وابن أبي نجيج . مترجم في التهذيب . وأغشى أن يكون : « أخبرنا الثورى وابن أبي نجيج » .

الذى عنه الله تبارك وتعالى في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على وجه الاستقراض منه = فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله .^(١)

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمة إلا القيام بمصلحته . فلما كان إجماعاً منهم أنه غير مالكة ،^(٢) وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيماً كان ربُّ المال أو مدركاً رشيداً = وكان عليه إن تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ، ضمانه لمن استهلكه عليه ، بإجماع من الجميع = وكان والى اليتيم سبيله سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمة =^(٣) كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه ، سبيله سبيل غيره ، وإن فارقه في أن له الاستقراض منه عند الحاجة إليه ، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه ، إذا كان قسماً بما فيه مصلحته .

ولا معنى لقول من قال : « إنما عني بالمعروف في هذا الموضع ، أكل والى اليتيم من مال اليتيم ، لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه » . لأن لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره ، إذا كان اليتيم محتاجاً إلى ذلك ، بأجرة معلومة ، كما يستأجر له غيره من الأجراء ، وكما يشتري له من يعينه ،^(٤) غنياً كان الوالى أو فقيراً .

وإذا كان ذلك كذلك = وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، على أن أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة = وكانت الحال التي للولاية

(١) في المخطوطة « له أكلها » ، وهو من سهو الناسخ .

(٢) في المخطوطة : « إجماعاً منه » ، وهو أيضاً من سهو الناسخ .

(٣) السياق : « فلما كان إجماعاً منهم . . . كان كذلك حكمه . . . » وما بينهما عطف وفضل

(٤) في المطبوعة : « وكما يشتري له من نصيبه » ، ولا معنى لذلك ، وهي في المخطوطة غير بيّنة ، واجتهدت قراءتها كما أنبتها ، أى يشتري له رقيقاً يعينه .

أن يُؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء ، غير مخصوص بها حال غِنَى ولا حال فقر = (١) كان معلوماً أن المعنى الذى أبيع لهم من أموال أيتامهم فى كل أحوالهم ، غير المعنى الذى أبيع لهم ذلك فيه فى حال دون حال .
ومن أبى ما قلنا ، ممن زعم أن لولى اليتيم أكل مال يتيمة عند حاجته إليه على غير وجه القرض ، استدلالاً بهذه الآية = قيل له : أجمع على أن الذى قلت تأويل قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ؟

فإن قال : لا !

قيل له : فما برهانك على أن ذلك تأويله ، وقد علمت أنه غير مالك مال يتيمة ؟
فإن قال : لأن الله أذن له بأكله !

قيل له : أذن له بأكله مطلقاً أم بشرط ؟ (٢)

فإن قال : بشرط ، وهو أن يأكله بالمعروف .

قيل له : وما ذلك « المعروف » ؟ وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين

ومن بعدهم من المخالفين أن ذلك هو أكله قرصاً وسلخاً ؟

ويقال لهم أيضاً مع ذلك : أرايت المولى عليهم فى أموالهم من المجانين والمعاتيه ، ألولة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها ، كما قلتم ذلك فى أموال اليتامى فأبجتموها لهم ؟

فإن قالوا : ذلك لهم = خرجوا من قول جميع الحجة .

وإن قالوا : ليس ذلك لهم .

قيل لهم : فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى ، وحكم ولايتهم واحد : فى أنهم ١٧٦/٤

ولاية أموال غيرهم ؟

(١) السياق : « وإذا كان ذلك كذلك . . . كان معلوماً . . . » ، وما بينهما عطف وفصل .

(٢) فى المخطوطة : « أذن له بأكله مطلقاً بشرط بشرط » ، وهو سهو ناسخ ، والصواب

ما فى المطبوعة .

فلن يقولوا في أحدهما شيئاً إلا ألزموا في الآخر مثله . (١)
ويُسألون كذلك عن المحجور عليه : هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه ؟ نحو سؤلناهم عن أموال المجانين والمعاتية .

• • •

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا دفعتم ، يا معشر ولاية أموال اليتامى ، إلى اليتامى أموالهم = « فأشهدوا عليهم » ، يقول : فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم ، ودفعكموه إليهم ، كما : —
٨٦٥٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ، يقول : إذا دفع إلى اليتيم ماله ، فليدفعه إليه بالشهود ، كما أمره الله تعالى .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ①

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمة إليه ، كما : —

٨٦٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وكفى بالله حسيباً » ، يقول : شهيداً .

• • •

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فلن يقولوا في أحدهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

يقال منه : « قد أحسبني الذي عندي » ، يراد به : كفاً . وسمع من العرب : « لأُحْسِبَنَّكم من الأسودين » = يعني به : من الماء والتمر ^(١) = « وأُحْسِب » من الرجال : المرتفع الحسب ، « وأُحْسِب » ، المكفَى ^(٢) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه ، وللإناث منهم حصة منه ، من قليل ما خلف بعده وكثيره ، حصة مفروضة ، ^(٣) واجبة معلومة مؤقتة . ^(٤)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يُورثون الذكور

دون الإناث ، كما : —

٨٦٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة قال : كانوا لا يورثون النساء ، فنزلت : « وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

(١) قيل في شرح هذه الكلمة : « أى : لأوسمن عليكم » ، وهو بمعنى الكفاية .

(٢) وانظر تفسير « حبه » فيما سلف ٤ : ٧/٢٤٤ : ٤٠٥ .

(٣) انظر تفسير « الفرض » فيما سلف ٤ : ٥/١٢١ : ١٢٠ .

(٤) مؤقتة : مقدرة محددة ، وأصلها من « الوقت » ثم اتسع في استعمالها في كل محدد ، وسنه حديث على رضي الله عنه . « فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوقت فيها شيئاً » ، أى : لم يفرض في شرب الخمر مقداراً معيناً من الجلد . وسنه أخذ النحويون قولهم في العلم الشخصى الذى يعين صباه تعييناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » هو : « معرفة مؤقتة » ، وانظر شرح ذلك في ١ : ١٨١ ، تعليق : ١ .

٨٦٥٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت في أم كحلة وابنة كَحَلَّة ، وثعلبة وأوس بن سويد ، وهم من الأنصار . كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله ، توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورث ! فقال عم ولدها : يا رسول الله ، لا تركب فرساً ، ولا تحمل كلاً ، ولا تنكي علواً ، يكسب عليها ولا تكسب ! فترلت : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً » . (١)

(١) الأثر : ٨٦٥٦ - أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة « أم كحة » ، والسيوطي في الدر المنثور : ٢ : ١٢٢ ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . أما الحافظ فذكر رواية الطبري وقال فيها : « نزلت في أم كحة ، وبنت أم كحة ، وثعلبة ، وأوس بن ثابت » فخالف نص الطبري في هذا الموضع ، في « أم كحة » ، و « أوس بن ثابت » كما ترى . وكانت في المطبوعة : « أم كحة » وبنت كحة بلحاء المهمله ، والصواب بضم الكاف وتشديد الجيم المفتوحة ، كما ضبطها الحافظ في الإصابة . وأما السيوطي فقال : « نزلت في أم كلثوم وابنة أم كحلة ، أو أم كحة » ، بلحاء المهمله أيضاً وهو خطأ . وأما « أم كحلة » كما جاء في المخطوطة ، وكما أثبتنا ، فقد قال الحافظ في الإصابة أيضاً : « وأما المرأة ، فلم يختلف في أنها أم كحة - بضم الكاف وتشديد الجيم - إلا ما حكى أبو موسى عن المستفري أنه قال فيها : أم كحلة - يسكون المهمله بعدها لام ، وإلا ما تقدم من أنها بنت كحة ، كما في روائي ابن جريج ، فيحتمل أن تكون كنيهاً وافقت اسم أبيها ، فيستفاد من رواية ابن جريج أنها أم كلثوم » . وهذا كأنه ينفي أن تكون رواية الطبري : « أم كحلة » ، ولكن المخطوطة أثبتت ذلك واضحاً في الموضعين ، فلم أجد سبيلاً إلى إغفالها أو تغييرها مع هذه الرواية التي رواها الحافظ عن المستفري ، وثبتها أيضاً في نص السيوطي ، فيما نقله عن الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

وسأق ذكر أم كحة في الأثر رقم : ٨٧٢٥ وأنها امرأة عبيد الرحمن أخو حسان بن ثابت ، فانظر التعليل على الأثر هناك .

وأما « أوس بن سويد » فكما رأيت ، ذكره الحافظ متسويماً إلى ابن جرير « أوس بن ثابت » ، ولكن الثابت في أصول التفسير وما نقل عنه ، « أوس بن سويد » . وقد ترجم الحافظ لأوس بن ثابت الأنصاري وأوس بن سويد ، ولثعلبة بن ثابت الأنصاري ، وثعلبة بن سويد ، وذكر الاختلاف في اسميهما في هذه القصة نفسها . وقد تركت نص الطبري كما هو ، واكتفيت بإثبات الاختلاف الذي ذكر الحافظ ابن حجر ، ومن شاء فليستوفه من هناك ، ومن مظاهره الأخرى .

• • •

وقوله : « لا تحمل كلاً » : أي لا تلي أمر العيال والسمي عليهم . « والكل » : العيال ، يحتاجون إلى من يحملهم ويرزقهم ، كاليتيم وغيره .

وقوله : « ولا تنكي علواً » ، يقال منه : « فكيت العدو أنكى » (بكسر الكاف) نكابة ، إذا أصاب

٨٦٥٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » ، قال : كان النساء لا يورثن في الجاهلية من الآباء ، ^(١) وكان الكبير يرث ، ولا يرث الصغير وإن كان ذكراً ، فقال الله تبارك وتعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » إلى قوله : « نصيباً مفروضاً » .

قال أبو جعفر : ونصب قوله : « نصيباً مفروضاً » ، وهو نعت للنكرة ، لخروجه مخرج المصدر ، كقول القائل : « لك على حق واجباً » . ولو كان مكان قوله : « نصيباً مفروضاً » اسم صحيح ، لم يجر نصبه . لا يقال : « لك عندى حق درهماً » . فقوله : « نصيباً مفروضاً » ، كقوله : نصيباً فريضة وفرضاً ، كما يقال : « عندى درهم هبة مقبوضة » . ^(٢)

• • •

تم الجزء السابع من تفسير الطبرى

وبليه الجزء الثامن ، وأوله

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

منهم ، فقتل وأكثر الجراح . ويقال فيه أيضاً : « ونكأت العذر بالهمز ، بمعنى . وكان فى المطبوعة ؛ ولا تنكأ بالهمز ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما صواب جيداً .

(١) فى المطبوعة : « لا يرثن » غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبتته .

(٢) انظر معنى القرآن لفراء ١ : ٢٥٧ ، فهو كنص عبارته .

الفهَارِسُ

فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير

الصفحة	السورة / الآية آيات سورة النساء	الصفحة	السورة / الآية آيات سورة البقرة
٥٣٨	٢٢	١٣٥	١٧
٢٦١	٢٤	٣٤٠	٢٦
٤٣٩	٣٧	٤٦٠	٤٠
٢٣٨	١٠٤	٥٢٩	٢٢٠
٢٦١	١٢٢	٤٤٤، ٤٤٣	٢٤٥
٥٢٦	١٢٧	٥٤٦	٢٨٢
٣٤٠	١٥٥		
٨	١٦٠		• • •
	• • •		آيات سورة آل عمران
	آيات سورة المائدة	١١٢	٥٥
٣٤٠	١٣	٥٠	٨٥
٣٣٥	٣٤	٦٢	١٠٣
٤٧٨	٣٧	١١٨، ٢١	١١٠
	• • •	٧١	١١٢
	آيات سورة الأنعام	٢٩٧	١٢٨
٢٧٤	٢٣	١٩٣	١٦٩
٣٥٤	٣٣	٤٩٦، ٤٩٥	١٧٨
١٤٧	١٥٧	٤٣٢	١٨٤
	• • •	٤٤٢	١٨٦
		٤٣٠	١٨٨
		٤٢٣	١٩٨
			• • •

الصفحة	السورة / الآية
	آيات سورة الرعد
٥٢٢	٢١
٤٩١	٢٤
	• • •
	آية سورة النحل
٥٤٧	٥٥
	• • •
	آية سورة الإسراء
٢٦٠، ٢٥٩	٨٢
	• • •
	آيات سورة الكهف
٤١٧	٢
٢٤٢	١٢
٥٤٧	٢٩
٢٦١	٨٢
	• • •
	آيات سورة مريم
٣١٦	٢٥
٤٢١	٤٦
٣٣٥	٦٠
١١٥	٦٢
	• • •
	آية سورة طه
٣٠٤	٧١
	• • •
	آيات سورة الأنبياء
٢٥٩	٣٤
٢٩٢	٩٧، ٩٦
	• • •

الصفحة	السورة / الآية
	آيات سورة الأعراف
٤٨٢	٤٣
١٤٧	٧٣
١٤٧	٨٥
١٠٦	٨٦
٤٦٠	١٥٨
١١٣	١٦٨
٩٥	١٧٢
	• • •
	آيات سورة الأنفال
١٨٤، ١٨١	٩
١٠٦	٢٦
	• • •
	آية سورة التوبة
٣٤١	١٢٨
	• • •
	آيات سورة يونس
٢٦١	٤
٤٧٥	١٢
	• • •
	آيات سورة هود
١٤٧	٦٧
١٤٧	٩٤
	• • •
	آية سورة يوسف
٢١٤	٨٤
	• • •

الصفحة	السورة / الآية
٤٥١	آيات سورة فاطر ٢٥
١١٠	٣٦

	آيات سورة الصافات
٢٦٠، ٢٥٩	١٦
٢٩٢	١٠٤، ١٠٣

	آيات سورة الشورى
٢١٧، ٢١٦	٣٧
٣٤٥	٣٨

	آيات سورة الدخان
٢٦١	٦
١٠٣، ١٠٢	٣٢
٣١٦	٤٥-٤٣

	آية سورة محمد
٤٢٢	١٨

	آية سورة الذاريات
٣٢١	٤٧

	آية سورة الواقعة
٢٦٠، ٢٥٩	٤٧

الصفحة	السورة / الآية
٣٣٥	آية سورة الحج ٢٥

	آية سورة المؤمنون
٣٤٠	٤٠

	آيات سورة النور
٥٤٣	٤
٢١٧	٢٢

	آية سورة النمل
٢٦١	٨٨

	آية سورة القصص
٢٦١	٤٦

	آيات سورة العنكبوت
٢٤٢	٣
٢٧٤	٢٤

	آيات سورة الروم
٢٧٤	١٠
٥٤٧	٣٤

	آيات سورة لقمان
٢٦١	٩
٢٠٨	٢٨

الصفحة	السورة / الآية	الصفحة	السورة / الآية
٢٥٩	آية سورة الزمل ١٧	٤٣٠	آيات سورة الحديد ١٠
• • •		٤٤٤، ٤٤٣	١١
٣١٦	آية سورة القيامة ٣٧	٤٣٩	٢٤
• • •		• • •	
١١٠	آية سورة المراسلات ٣٦	٣٣٨	آية سورة الحشر ١٢
• • •		• • •	
٤٨٢	آية سورة الزلزلة ٥	٦٩، ٦٨	آية سورة التغابن ١٦
• • •		• • •	
٥١٦	آية سورة القارعة ٤	٤٨١	آيات سورة الجن ٢٠، ١
		• • •	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل
الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(رب) ربى ، ربيون : ٢٦٤ -	(بوا) باء ، يبو : ٣٦٦ ، ١١٦
٢٦٩	بوا يبوئ : ١٥٩ - ١٦٤
(رعب) الرعب : ٢٧٩	(درا) درا يدرأ : ٣٨٢
(رعب) رقيب : ٥٢٣	(سوا) سيئة : ١٥٥ ، ٤٩٠
(صعب) أصحاب النار : ١٣٣ ،	(مرا) مرىء : ٥٦٠
١٣٤	(هنا) هنىء : ٥٥٩
(ضرب) ضرب فى الأرض : ٣٣٠ ،	***
٣٣٢ ، ٣٣١	(ثوب) أثاب : ٣٠٤ ، ٣٠٣
ضربت عايهم الذلة :	ثواب : ٢٦٢ ، ٢٧٥ ،
١١٦ ، ١١٠	٤٩٠
(طيب) طيب : ٥٢٤ ، ٥٢٥ ،	(جنب) على جنوبهم : ٤٧٥
٥٢٦	(جوب) استجاب : ٤٨٦ ، ٣٩٩ ،
طاب لكم : ٥٤٢	٤٨٨
طاب له عنه : ٥٥٥	(حسب) حسب يحسب : ٢٤٦ ،
(عقب) انقلب على عقبيه : ٢٥١	٣٨٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ،
رده على عقبه : ٢٧٦	٤٦٥ ، ٤٧٢
عاقبة : ٢٢٨	حسيب : ٥٩٦ ، ٥٩٧
(غرب) غريب ، غرباء ، غريبة	أحسبه : ٥٩٧
غرائب ، غريبات : ٥٦٦	المحسب : ٥٩٧
(غضب) غضب الله : ١١٦	حَسَب : ٤٠٥
(قرب) قربان : ٤٤٨	سريع الحساب : ٥٠١
(قلب) انقلب على عقبيه : ٢٥١	(حلب) احلبى : ٥٣
انقلب : ٢٧٦ ، ٤١٤	(حوب) الحوب : ٥٢٩ ، ٥٣٠
تقلب فى البلاد : ٤٩٣	حبة من الأرض : ٥٢٩
	حاب يحوب : ٥٢٩

- (فلق) أفلح ، مفلح : ٩١ ،
٥٠٩ ، ٢٠٥
- (قروح) قروح : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٣٩٩
* * *
- (خلد) خالد : ٩٦ ، ١٣٤ ،
٤٩٤ ، ٢٢٧
- (ردد) رده على عقبه : ٢٧٦
- (رشد) الرشد : ٥٧٦ — ٥٧٨
- (شهد) شهيد ، شهداء : ٤٥ ،
٢٤٣
- (صلد) صلد : ٥٣
- (صعد) أصعد ، صعد ، إصعاد ،
صعود : ٣٠٠ ، ٣٠١
- (عند) من عند الله : ٤٩٠ ،
٤٩٥
- عند ربهم : ٥٠١
- (عهد) عهد إليه : ٤٤٨
- (قعد) مقعد ، مقاعد : ١٦٤
- (كيد) كيد : ١٥٦
- (مدد) المدد ، الإمداد : : ١٨١
- (مهد) المهاد : ٤٩٤
- (ودد) ودّ : ١٤٠
- (نبذ) نبذ : ٤٥٩
- نبذه وراء ظهره : ٤٦٣
* * *
- (أجر) أجر ، أجور : ٢٢٧ ،
٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٢٨ ،
٤٥٢ ، ٥٠١
- (آخر) اليوم الآخر : ١٣٠
- (بلر) بلدر ، مبادرة : ٥٨٠
- (كتب) الكتاب : ١٤٨ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٣٦٩ ، ٤٥١
- كتب عليه : ٣٢٤
- (كسب) كسب : ٣٢٧ ، ٣٦٤
- (لبب) الألباب : ٤٧٣ ، ٤٧٤
- لييب ، ألبه : ١٧١
- (نصب) نصيب : ٥٩٧
* * *
- (ثبت) ثبت أقدامنا : ٢٧٢
- (عنت) : ١٤٠ — ١٤٤
- (كبت) كبت يكبت : ١٩٣
* * *
- (بث) بث : ٥١٦
- (ثلث) ثلاث : ٥٤٣
- (حرث) حرث : ١٣٤
- (خبث) الخبيث : ٤٢٤ ، ٥٢٥ ،
٥٢٦
- (ورث) ميراث : ٤٤٠
* * *
- (حجج) حج البيت : ٣٧ ، ٤٥ ،
٤٦
- (درج) درجة ، درجات : ٣٦٧ ،
٣٦٨
- (زوج) الزوج : ٥١٥
- (عوج) عوج : ٥٣ ، ٥٤
- عَوَج : ٥٤
* * *
- (زحزح) زحزح : ٤٥٢
- (سبح) سبحانك : ٤٧٦
- (صلح) صالح : ١٣٠

- (فكر) يتفكر : ٤٧٥
 (فور) من فوره : ١٨١ - ١٨٤
 (قدر) قدِير : ٣٧٢ ، ٤٧٣
 (كبر) كبير : ٥٢٩
 (كفر) كفر : ٤٧ ، ٥٢ ،
 ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
 كفره الشيء : ١٣١ ،
 ١٣٢
 كفر عنه : ٤٩٠
 (نصر) أنصار : ٤٧٩
 (نكر) المنكر : ٩١ ، ١٠٥ ،
 ١٣٠
 (نور) نور ، أنار ينير : ٤٥١
 منير : ٤٥١
 (هجر) هاجر : ٤٩٠
 (وذر) يذر : ٤٢٤
 * * *
 (برز) برز : ٣٢٤
 (عزز) عزز ، أعزّز : ١٧١ ،
 ١٩١
 (فوز) فاز يفوز : ٤٥٢
 مفازة : ٤٧٢
 * * *
 (أنس) آنس : ٥٧٥
 (حسن) حسن يحسن : ٢٨٧ ،
 ٢٨٨
 أحسنت ، أحسيت :
 ٥٧٥
 (بأس) بشس : ٢٧٩ ، ٣٦٦ ،
 ٤٥٩
 (مسس) مسس : ١٥٥ ، ٢٣٨ ، ٤١٤
 ج (٢٩) ٧
- (برر) برّ ، أبرار : ٤٨٢ ، ٤٩٢
 (بشر) استبشر : ٣٩٥ ، ٣٩٨
 بشري : ١٩٠
 (بصر) بصير : ٣٣٦
 (حسر) حسرة : ٣٣١ ، ٣٣٥
 (حشر) يحشر : ٣٣٩
 (خير) خبير : ٤٤١
 (خسر) خسران : ٤٤٨
 خاسر : ٢٧٦
 (خير) الخير : ٩٠
 (دبر) الأدبار : ١٠٩
 (زبر) زبور ، زبر : ٤٥٠
 (سرر) السراء : ٢١٣ ، ٢١٤
 (شور) شاور : ٣٤٤
 (صبر) الصبر : ١٨١ ،
 اصبروا : ٥٠١ - ٥٠٨
 صابروا : ٥٠١ - ٥٠٨
 (صرر) صرّ : ١٣٦ ، ١٣٧
 أصرّ : ٢١٩ ، ٢٢٣ -
 ٢٢٦
 (صير) المصير : ٣٦٦
 (ضرر) الضراء : ٢١٤
 ضرّ يضرّ : ٢٥٢
 (غرر) الغرور : ٤٥٣
 الغرور : ٤٥٣
 غره يغره : ٤٩٣
 (غفر) غفور : ٢٠٣ ، ٣٢٧
 مغفرة : ٢٠٧ ، ٢٢٧ ،
 ٣٣٧
 استغفر : ٢١٩ ، ٣٤٣
 اغفر : ٤٨٢

(دفع) دفع يدفع : ٣٨٠ ، ٥٧٨ ، ٥٩٦

(ربيع) ربيع : ٥٤٣

(رجع) ترجع الأمور : ١٠٠

(سرع) سارع : ١٣٠ ، ٢٠٧ ، ٤١٨

سريع الحساب : ٥٠١

(سمع) سمع : ١٦٥

(متع) متاع : ٤٥٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤

(نزاع) تنازع : ٢٨٩

(وجع) وجع : ٤٤٧

(ثقف) ثقف : ١١٠

(سرف) الإسراف : ٢٧٢ ، ٥٧٩ ، السرف : ٥٧٩

(خلف) اختلاف : ٤٧٣

(خوف) خوف يخوف : ٤١٦

(طرف) الطرف : ١٩٢

(عرف) المعروف : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢

٥٨٢ - ٥٩٦

(عفف) استعفف : ٥٨١

(حرق) حريق : ٤٤٧

(ذوق) ذاق يذوق : ٩٦ ، ٤٤٦

ذائقة الموت : ٤٥٢

(رزق) رزق : ٥٧٢

(صدق) صادقون : ١٦

الصدقات : ٥٥٢

(طوق) يطوق : ٤٣٣ - ٤٤٠

(نفس) نفاس : ٣١٩

(نفس) نفس : ٥١٣ ، ٥١٤

نفساً : ٥٧٧ ، ٥٧٨

في أنفسكم : ٥٥٥ ، ٥٥٤

من أنفسهم : ٣٦٩

(فحش) الفاحشة : ٢١٧ ، ٢١٨

(محض) محض يمحض : ٢٤٤ ، ٣٦٥

(بعض) بعضكم من بعض : ٤٨٩

(بغض) البغضاء : ١٤٦

(فروض) مفروض : ٥٩٧

(ففضض) الففضض : ٣٤٢

(حوط) حوط : ١٥٨

(ربط) رابطو : ٥٠٨ ، ٥٠٩

(منقط) منقط : ٣٦٩

(سوط) الصراط : ٦٣

(سلط) سلطان : ٢٧٩

(قسط) أقسط يقسط : ٥٤١

(حفظ) حظ : ٤١٩

(غلط) غلط القلب : ٣٤١

(غيظ) الغيظ : ٢١٥

(ففظظ) الفظ : ٣٤١

(وعظ) موعظة : ٢٣٣

(جمع) جمع له : ٤٠٥

(خشم) خاشع : ٥٠٠

- (فرق) فريق : ٥٩
 (فسق) الفاسق : ١٠٧
 (محق) محق يمحق : ٢٤٥
 (نفق) أنفق : ١٣٤ ، ٢١٣
 (وثق) ميثاق : ٤٥٨
 * * *
- (بكك) بكّة : ١٩ — ٢٥
 بكّ فلاناً : ٢٣
 (مكك) مكة : ٢٥
 * * *
- (أجل) مؤجل : ٢٦٠
 (أكل) أكل الربا : ٢٠٤
 أكل الأموال : ٥٢٨ ، ٥٧٨
 (باطل) باطل : ٤٧٦
 (بخل) البخل ، بخل يبخل : ٤٣٢
 (بدل) تبدل ، استبدل : ٥٢٧
 (جهل) الجاهلية : ٣٢١
 (حبيل) حبيل : ٧٠ — ٧٣ ، ١١١ — ١١٤
 (حلل) حلّ : ٧
 (خبل) الخبل ، الخبال : ١٤٠
 (خذل) خذل يخذل : ٣٤٧
 (دول) داول : ٢٣٩
 أدال يديل : ٢٣٩
 (ذلل) ذليل ، أذلة : ١٦٩ ، ١٧١
 (زلل) استزله : ٣٢٧
- (سأل) تسأل به : ٥١٧
 (سبل) سبيل الله : ٥٣ ، ٣٣٧ ، ٣٨٤ ، ٤٩٠
 (ضال) ضلال : ٣٦٩
 (عول) عال يعول : ٥٤٨ ، ٥٤٩ — ٥٥٢
 (غلل) غلّ يغلّ : ٣٦٤ — ٣٤٨
 أغلّ يغلّ : ٣٥٢
 (فشل) فشل يفشل : ١٦٨ ، ٢٨٩
 (فضل) فضل : ٢٩٩ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٩
 (نحل) نَحْلَة : ٥٥٢
 (نزل) نَزَلَ : ٤٩٤
 (نمل) الأنامل : ١٥٣
 (وكل) توكل متوكل : ١٦٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
 الوكيل : ٤٠٥
 * * *
- (ألم) أليم : ٤٢٠ ، ٤٤٧ ، ٤٧٢
 (أعم) أمة : ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٩
 (حكّم) حكيم : ١٩١
 الحَكْمَة : ٣٦٩
 (حلم) حلم : ٣٢٧
 (رحم) رحيم : ٢٠٣
 رحمه يرحمه : ٢٠٦
 (سوم) مسومون : ١٨٤ — ١٩٠
 السِّمَاء ، السِّمِيَاء : ١٨٩ ، ١٩٠

- (ظلم) الظالم : ١٦ ، ١٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٧٩
ظلم نفسه : ٢١٨
ظلموا أنفسهم : ١٣٤
يظلم : ٣٦٤
(عزم) عزم الأمور : ٤٥٦
(عصم) اعتصم : ٦١ - ٦٣ ، ٧٠
عصام ، عَصْم : ٦٢
(علم) علم يعلم : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٣٧٧
عليم : ١٦٥ ، ٣٢٥
(غعم) غم : ٣٠٥
(قدم) قدمت أيديكم : ٤٤٧
(قوم) قائمة : ١٢٢ - ١٢٤
قيام : ٥٦٨ - ٥٧١
مقام إبراهيم : ٢٨
(كتم) يكتم : ٣٨١
(كظم) كظم الغيظ : ٢١٤
الكظائم : ٢١٤
(نعم) نعمة : ٤١٤
(همم) أهمله نفسه : ٣٢٠
(يتم) يتم يتامى : ٥٢٤ ، ٥٤١
* * *
- (أذن) إذن : ٢٦٠ ، ٢٨٨ ، ٣٧٧
(أمن) آمن : ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ٤٨٢
أمنة : ٣١٥
(بطن) بطانة : ١٣٨
- (بين) بيان : ٢٣١ ، ٢٣٢
البيئات : ٤٥٠
مبين : ٣٦٩ ، ٣٧٠
(ثمن) ثمن : ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠
(جنن) جنة ، جنات : ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤
(حسن) حسنة : ١٥٥
الحسن : ٢١٥ ، ٢٧٦
(دون) من دون : ١٣٨
(سكن) المسكنة : ١١٦
(سنن) سنة سنن : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
(كون) استكان : ٢٦٩
(لين) لان له : ٣٤١
(منن) من : ٣٦٩
(وهن) وهن ، بين : ٢٣٤ ، ٢٦٩
* * *
- (سفه) السفهاء : ٥٦٠ - ٥٦٨
سفيه وسفهاء : ٥٦٦
(فوه) من أفواههم : ١٤٥ ، ١٤٧
* * *
- (أنى) أنى : ٥٢٤ ، ٥٥٢
(أذى) أذى : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٤٥٥
(ألى) ألا يالو : ١٣٩
(أنى) أنى ، آناء : ١٢٥ ، ١٢٦
(أوى) مأوى : ٢٧٩ ، ٣٦٦ ، ٤٩٤

(عفا) عفا يغفو ، فهو عاف :

٢١٥ ، ٢٩٨ ، ٣٢٧ ،

٣٤٣

(غزا) غاز ، غزى : ٣٣١ ،

٣٣٢

(فري) افترى : ١٦

(كسا) كساه : ٥٧٢

(لوى) لوى على الشيء : ٣٠٢

(ملا) أملى يملئ : ٤٢١

الملا ، الملوان : ٤٢١

(ندى) مناد ، ينادى : ٤٨١ ،

٤٨٢

(هدى) هدى : ٦٣ ، ٢٣٣

اهتدى : ٨٩

(وفى) وفى يوفى : ٤٥٢ ، ٣٦٤

توفاه الله : ٤٨٢

(وفى) تقاة : ٦٤

اتقى ، التقوى : ١٥٦ ،

١٨١ ، ٢٠٥ ، ٥١٣

قنا عذاب النار : ٤٧٦

(ولى) ولى ، ١٠٩ ، ١٦٥

أولياء : ٤١٦

تولى ، ٣٢٦

مولى : ٢٧٧ ، ٢٧٨

(أبى) آيات بينات : ٢٦-٢٨

آيات : ٥٢ ، ٦١ ،

١٢٥ ، ١٤٨

(بغى) يبغى : ٥٣

ابغى كذا : ٥٣

(بلا) بلاه يبلوه : ٤٥٤

ابتلى ، الابتلاء : ٢٩٧ ،

٣٢٤ ، ٥٧٤

(تلا) تلا يتلو : ١٢٥ ، ٣٦٩

(ثنى) ثنى : ٥٤٣

(ثوى) ثوى : ٢٧٩

(جبي) اجتبى : ٤٢٧

(جزى) الجزاء : ٢٢٧

جزى يجزى : ٢٥٢ ، ٢٦٣

(خزى) أخزاه الله : ٤٧٧ ، ٤٧٨

٤٧٩ ، ٤٨٥

(خلا) خلا يخلو : ٢٢٨ ، ٢٥١

(رضى) رضوان : ٣٦٥ ، ٤١٤

(زكى) زكى يزكى : ٣٦٩

(سوى) سواء : ١١٨

(شرى) اشترى : ٤١٩ ، ٤٢٠ ،

٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠

(شفا) شفا : ٨٥ ، ٨٦

(عدا) عدوان : ٤٤٨

اعدى : ١١٧

أعلام المترجمين في التعليق

الأرقام في هذا الفهرست هي أرقام الآثار ، لا الصفحات

الإباضية : ٧٧٠١

إبراهيم التيمي (إبراهيم بن يزيد
ابن شريك)

إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة
الأسهل (ابن أبي حبيبة) :

٧٤٦٢

إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمى
التبان : ٧٤٦٢

إبراهيم بن عبد الله (شيخ الطبرى) :
٧٩١١

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن
إبراهيم بن عثمان العيسى : (أبو
شيبه بن أبي بكر بن أبي شيبه) :

٧٩١١

إبراهيم بن عبد الله بن مسلم : ٧٥٢٠
إبراهيم بن يزيد الخوزى : ٧٤٨٤
إبراهيم بن يزيد بن شريك (إبراهيم
التيمي) : ٧٤٣٤

أحمد بن بشير الكوفى : ٧٨١٩

أحمد بن الحسن بن جنيديب الترمذى :
٧٤٨٩

أحمد بن المغيرة الحمصى (أبو حميد)
(شيخ الطبرى) : ٨١٦٤

أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
التيمي (أبو بكر بن مجاهد)

(ابن مجاهد) : ٨٥٦٢

أحمد بن يحيى الصوفى : ٧٧٩٠

أحمد بن يوسف التغلبى : ٧٦٦٤

أبو إدام (سليمان بن زيد المحاربى)
ابن لإدريس (عبد الله بن لإدريس
بن يزيد)

إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن
الأودى : ٨٦٠٦

الأزهر بن راشد البصرى : ٧٦٨٥

الأزهر بن راشد الكاهلى : ٧٦٨٥

أبو إسحق السبيعى : ٧٤٨٧ ، ٧٥٤٤
٨٥٠٤ ، ٨٢٨٥

إسحق بن إبراهيم بن الضيف الباهلى
(إسحق بن الضيف) : ٨٥٦٢

إسحق بن الضيف (إسحق بن إبراهيم
بن الضيف الباهلى) : ٨٥٦٢

إسحق بن أبي طلحة (إسحق بن عبد الله
بن أبي طلحة)

إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
(إسحق بن أبي طلحة) : ٨٢٢٤

إسرائيل (إسرائيل بن يونس بن أبي
إسحق)

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق
السبيعى : ٨٢٩٢

ابن أسماء (أسماء بن الحكم الفزارى)
أسماء بن الحكم الفزارى (ابن أسماء) :

٧٨٥٣

بحر بن كنيز الباهلي (بحر السقاء) :

٨٠٩٧

أبو بكر الهذلي : ٨٣٧٦

بكر بن شروذ (بكر بن عبد الله

بن شروس) : ٨٥٦٢

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام الخزوي : ٧٨٢٠

بكر بن عبد الله بن شروس (بكر

ابن شروذ) : ٨٥٦٢

أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي :

٨٠٩٨

أبو بكر بن مجاهد (ابن مجاهد)

(أحمد بن موسى بن العباس

ابن مجاهد)

بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة :

٨٢٨٤

* * *

التنوخى (رسول هرقل) : ٧٨٣١

* * *

ابن أبي ثابت (عبد العزيز بن عمران

ابن عبد العزيز)

ثابت بن رفاعه : ٨٦٣٨

ثابت بن قطبة التميمي المدني : ٧٥٧٩

ثعلبة بن ثابت الأنصاري : ٨٦٥٦

ثعلبة بن سويد الأنصاري : ٨٦٥٦

* * *

جابر بن عبد الله الأنصاري : ٨٢١٤

جامع بن أبي راشد : ٨٢٨٩

جامع بن شداد : ٨٢٨٩

أبو جزى (نصر بن طريف)

جعفر بن برقان الكلبي : ٧٨٣٦

إسماعيل بن أمية الأموي : ٨٤٥٨

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير

الأنصاري : ٨٣٩٨

إسماعيل بن حفص بن عمرو الأبلبي :

٧٥٨١ ، ٨١٩٨ م

إسماعيل بن صبيح الشكري : ٨٦٤٠

إسماعيل بن عياش الحمصي (ابن

عياش) : ٨١٦٤

الأسود بن قيس العبدى : ٧٤٤٠

الأسود بن يزيد النخعي : ٨٢٦٧

أبو أسيد (جد الزبير بن المنذر) :

٧٧٧٧

الأشعث الحملي (الأشعث بن

عبد الله بن جابر)

الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني

الاعمى (الأشعث الحملي) :

٨٣٥٨

الأغر بن الصباح التميمي المنقري :

٧٥٣٥

أوس بن ثابت الأنصاري : ٨٦٥٦

أوس بن سويد الأنصاري : ٨٦٥٦

أوس بن عبد الله الربيعي (أبو الحوزاء) :

٧٧٠١

أبو أويس (عبد الله بن عبد الله بن

أويس بن مالك بن أبي عامر

الأصبحي)

إياس بن دغفل الحارثي (أبو دغفل) :

٨١٣٠ .

* * *

بحر السقاء (بحر بن كنيز الباهلي

السقاء)

أبو جناب الكلبي (يحيى بن أبي
حية) : ٧٤٧٦
أبو الجوزاء (أوس بن عبد الله
الرابع)

* * *

الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني :
٧٤٨٧
الحارث بن مسلم الرازي المقرئ :
٨٠٩٧ ، ٨٣٦٠

حارثة بن مضرب الكوفي : ٨٥٩٧
أبو حازم (سلمان الأشجعي الكوفي)
حبيب المعلم (حبيب بن أبي بقية)
حبيب بن أبي بقية (ابن أبي قريية)
(حبيب المعلم) : ٧٥٢٠
حبيب بن أبي قريية (ابن أبي بقية)
(حبيب المعلم)
ابن أبي حبيبة (إبراهيم بن إسماعيل
ابن أبي حبيبة)
حجاج بن محمد المصيصي الأعور :
٨٤٦١

جحير بن بيان الباهلي : ٨٢٨٣
أبو حذيفة النهدي (موسى بن
مسعود)

حرام بن ملحان الأنصاري (ابن
ملحان) (أبو ملحان) : ٨٢٢٤
حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي
(أبو روح) : ٨٥١٣

الحسن بن الحنيد بن أبي جعفر
البرار : ٨٤٥٨
الحسن بن حي (الحسن بن صالح

ابن صالح بن حي)
الحسن بن صالح بن صالح بن حي
(حيان) (الحسن بن حي) :
٧٥٩٤

حسن بن عطية بن نجيع القرشي :
٧٥٣٥

الحسن بن قرعة بن عبيد الهاشمي
(شيخ الطبري) : ٨٢٨١
الحسن بن أبي يحيى المقلمسي (شيخ
الطبري) : ٨٢٠٧

الحسن بن يزيد العجلي : ٧٦٤٨ ،
٧٦٦٠

حسين الجعفي (حسين بن علي بن
الوليد)

الحسين بن الحنيد بن أبي جعفر
البرار : ٨٤٥٨

الحسين بن حفص الهمداني : ٨٣٦٧
الحسين بن داود المصيصي (سنيد) :
٨٣٩٨ ، ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠

حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن
عباس بن عبد المطلب : ٨٢٣٣

حسين بن علي بن الوليد (حسين
الجعفي) : ٧٤٩٩

الحسين بن عمرو بن محمد العنقري :
٨٠٣٥

الحسين بن يزيد السيعي : ٧٨٦٣
أبو حفص الجبيري : ٨٣٥٦
أبو حفص الصيرفي (عمرو بن علي
الفلاس)

حفص بن بشر : ٨١٥٨

حفص بن حميد القمي : ٨٥١٨

داود بن صالح التمار المدني : ٨٣٩٤
 داود بن قيس الفراء : ٧٨٤٢
 أبو دغفل (إياس بن دغفل)
 داود بن أبي هند : ٨٢٨١

* * *

الربيع بن خثيم الثوري : ٧٥٤٦ ،
 ٧٥٤٧

الربيع بن روح الحمصي (أبو روح
 الحضرمي) : ٨١٦٤

أبو رجاء (محرز) (محرز بن عبد الله
 الجزري)

رزيق الأعشى : ٧٤٧٢

رزيق بن مسلم الخزومي (انظر :
 رزيق) : ٧٤٧٢

رزيق بن هشام : ٧٤٧٢

رفيع بن مهران الرياحي (أبو العالية) :
 ٨٦٣٥

رواد بن الجراح : ٨٣٧٦

أبو روح (حرمي بن عمارة بن أبي
 حفصة)

أبو روح الحضرمي (الربيع بن روح
 الحمصي)

* * *

أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس
 المكي)

الزبير بن بكار : ٧٨٥٥

الزبير بن المنذر أبي أسيد : ٧٧٧٧

الزبير بن موسى بن ميناء المكي :
 ٨٦٤٩

زرّ بن حيش : ٧٦٦١

حفص بن عمر البصري (أبو عمر
 الضرير) : ٧٥٢٠

الحكم بن عتيبة الكندي : ٨٥٣٥

حكيم بن جبير الأسدي : ٨٢٩٢

أبو حميد (أحمد بن المغيرة الحمصي)
 (شيخ الطبري)

حميد بن زياد بن أبي المخارق (أبو
 صخر الخراط) : ٨٣٩١

حي الكلبي (أبو حية) : ٧٤٧٦

حي بن يؤمن بن عجيل المصري
 (أبو عشانة المعافري) : ٨٣٧٠

أبو حيان (يحيى بن سعيد التيمي)

أبو حية الكلبي (حي) : ٧٤٧٦

* * *

خارجة : ٨٣٦٢

خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي

(أبو عثمان) : ٧٨١٨ ، ٧٥٠٧

خالد بن مخلد القطواني البجلي :

٨١٦٦ ، ٨٣٩٧

خالد بن أبي يزيد الحراني (أبو

عبد الرحيم) : ٨٣٩٦

ابن خثيم (عبد الله بن عثمان بن
 خثيم)

خصيف بن عبد الرحمن الجزري :

٨١٣٦

خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم

المنقري : ٧٥٣٥

خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة

الجعفي : ٨٢٦٧

* * *

أبو داود (نفيح) (نفيح بن الحارث)

سعيد بن مسلمة بن هشام بن
عبد الملك بن مروان : ٨٤٥٨

سعيد بن المسيب : ٨١٦٤

سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي :
٨١٦٣

سفیان الثوري : ٧٤٨٥ ، ٧٥٤٤ ،
٨٣٦٧ ، ٨٢٦٧ ، ٨٢٨٥

سفیان بن وكيع : ٨٤٧٧

سلم بن جنادة (أبو السائب) :
٨٣٩٥

سلمان الأشجعي الكوفي (أبو حازم) :
٧٦١٦

سلمة بن أبي سلمة : ٨٣٦٩ ، ٨٣٦٨
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف :
٨٣٩٤

سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي
سلمة : ٨٣٦٩ ، ٨٣٦٨

سلمة بن علقمة التميمي : ٨٦٠٢
سلمة بن عمر بن أبي سلمة :

٨٣٦٩ ، ٨٣٦٨

سليمان الأعمش (سليمان بن مهران) :
٧٦٦١ ، ٧٤٣٤

سليمان بن زيد الهاربي (أبو إدام) :
٧٧٥٨

سليمان بن مهران (سليمان الأعمش) :
٨٢٠٨ ، ٨٢٠٧

سنيد (الحسين بن داود المصيصي)
سويد بن حجير بن بيان الباهلي

(أبو قزعة) : ٨٢٨١

سيف بن عمر التميمي : ٧٩٣٨

• • •

أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن
عبد الله البجلي : ٨١٥٥

زريق بن مسلم الأعمى مولى مخزوم
(انظر : زريق) : ٧٤٧٢

زياد بن عبد الله بن خزاعي : ٨٢٨٤

زياد بن عبيد الله المري : ٨٢٨٤

زياد بن أبي عياش (عباس) :
٧٤٧٢

زيد بن أسلم : ٧٨٤٢

زيد بن أبي أنيسة الجزري : ٨٣٩٦

زيد بن الحباب العكلي : ٨١٦٥

زيد بن حبان (؟) : ٨١٦٥

زيد بن حبان الرقي : ٨١٦٥

زيد بن سهل (أبو طلحة) : ٨٢٢٤

• • •

أبو السائب (سلم بن جنادة)

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :
٧٨١٩

سعد بن عباد : ٨١٦٤

أبو سعيد المؤدب (محمد بن سلم بن
أبي الوضاح)

أبو سعيد المقبري : ٧٨٥٥ ، ٨٣٩٥

سعيد بن راشد : ٧٨٣١

سعيد بن أبي راشد : ٧٨٣١

سعيد بن الربيع الرازي (شيخ
الطبري) : ٨٢٤١

سعيد بن سعيد بن أبي سنيد المقبري :
٧٨٥٥

سعيد بن أبي مریم (ابن أبي مریم) :
٨٣٣٥

أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن كليب بن شهاب بن
الجنون الجرمي : ٨٠٩٨

أبو العالية (رفيع بن مهران)
عامر الشعبي : ٧٤٩٥

عباس بن محمد بن حاتم الدوري : ٧٧٠١
عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشي
السامي : ٨٢٨٢

عبد الجبار بن يحيى الرملي : ٧٣٢٥ ،
٧٤٤٦

عبد الجليل : ٧٨٤٢

عبد الحميد الحماني (عبد الحميد
ابن عبد الرحمن الحماني)

عبد الحميد بن بيان السكري : ٧٥٨٠
عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني :
٧٨٦٣

عبد الرحمن (؟) : ٨١٥٦ ، ٨١٥٧
عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن
أبي عبيد : ٨١٦٥ ، ٨١٦٦

عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن
حنظلة الأنصاري (عبد الرحمن
ابن الغسيل) : ٧٧٧٧

عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله
النخعي : ٧٧٩٠

عبد الرحمن بن عبيد بن الحارث :
٨١٦٥

عبد الرحمن بن الغسيل (عبد الرحمن
ابن سليمان بن عبد الله بن حنظلة
الأنصاري)

عبد الرحمن بن مهدي : ٨٢٦٧ ،
٨٢٨٥

شاذ بن فياض الشكري (هلال بن
فياض) (أبو عبيدة البصري) :
٧٤٨٩

ابن شبرمة (أبو شبرمة) (عبد الله
ابن شبرمة بن حسان الضبي)

أبو شبرمة (ابن شبرمة)
شرحبيل (؟) : ٨٣٩٥

شرحبيل بن سعد الخطمي : ٨٣٩٦
شرحبيل بن السمط الكندي :
٨٣٩٥

شريك بن عبد الله النخعي : ٧٧٩٠
ابن أبي الشوارب (محمد بن عبد الملك
ابن أبي الشوارب)

أبو شيبة الراوي (يحيى بن يزيد)
أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة
(إبراهيم بن عبد الله بن محمد
ابن إبراهيم بن عثمان العبيسي)

* * *

صبيح (صبيح بن عبد الله العبيسي) :
٧٥٩٥

صبيح بن عبد الله العبيسي (صبيح) :
٧٥٩٥

أبو صفير الحراط (حميد بن زياد بن
أبي المخارق)

* * *

أبو الضحى (مسلم بن صبيح الهمداني)
الضحاك بن مخلد (أبو عاصم
النبيل) : ٧٦٤٨

* * *

أبو طلحة (زيد بن سهل)

* * *

عبد الله بن عون بن أربطان المزني
(ابن عون) : ٧٧٧٦

عبد الله بن كعب الحميري : ٧٨٢٠
عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي
مريم : ٧٥٦٦

عبد الله بن مرة الهمداني الخارقي :
٨٢٠٨

عبد الملك بن أعين الكوفي : ٨٢٨٩
عبد الملك بن حميد بن أبي غنية
(أبو غنية) : ٨٥٣٥

عبد الملك بن أبي سليمان العرزي :
٧٥٧٢

عبد الواحد بن زياد العبدى : ٨١٣٦
عبد بن سليمان الكلاني : ٨٣١٥

عبد خير بن يزيد الهمداني : ٨٠٣٥
عبيد الله الأشجعي (عبيد الله بن
عبيد الرحمن الأشجعي)

عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي .
٧٦٦١

عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي
(عبيد الله الأشجعي) : ٨٦٢٢

عبيد الله بن موسى بن أبي المختار
العيسى : ٧٧٥٨

عبيد الله بن أبي عبيد الغفاري :
٨١٦٥ ، ٨١٦٦

أبو عبيدة البصري (شاذ بن فياض)
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود :
٨٢١٩

عتاب بن بشير الجزري : ٨١٣٦
عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب
الزبيدي : ٨١٩٨ م

أبو عبد الرحيم (خالد بن أبي يزيد)
عبد الرحيم بن سليمان الأشلي :

٨١٥٦ ، ٨١٥٧ ، ٨١٦١

عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز
ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف
(ابن أبي ثابت) : ٨١٢

عبد الكريم بن أبي عمير الدهان
(الدهقان) : ٧٥٧٨

عبد الله بن إدريس بن يزيد بن
عبد الرحمن الأودي (ابن إدريس) : ٨٦٠٦

عبد الله بن أنيس الجهني : ٨١٦٢
عبد الله بن أوفى الأسلمي : ٧٧٥٨

عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد
المقبري : ٧٨٥٥ ، ٨٣٩٥

عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي
(أبو شبرمة) (ابن شبرمة) :
٨٥٨٦

عبد الله بن صالح (كاتب الليث) :
٨٤٧٢

عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب
الأنصاري : ٨١٦٢

عبد الله بن عبد الله الكلاني : ٨٢٨٤
عبد الله بن عبد الله بن أويس بن

مالك بن أبي عامر الأصبحي
(أبو أويس) : ٨٦٤٠

عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي :
٧٩١١

عبد الله بن عثمان بن خثيم (ابن
خثيم) : ٧٨٣١

عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري :
٨٢١٤

عمر بن بشير الحمداني (أبو هاني) :

٧٤٩٥ ، ٧٥١٦

عمر بن حجاج بن عتاب العبدى

(عمر بن أبي خليفة) : ٧٨٥٠

عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن

الخطاب : ٧٨١٩

عمر بن أبي خليفة العبدى (عمر بن

حجاج بن عتاب العبدى)

عمر بن يونس اليمامى (عمر بن

يونس) : ٨٢٢٤

عمران القطان (عمران بن داود العمى)

(أبو العوام)

عمران بن داود العمى (عمران القطان

(أبو العوام) : ٧٥٠٣

عمر بن علي الفلاس (أبو حفص

الصيرفى) : ٨٠٩٧ ، ٨٣٥٦

عمر بن مالك النكرى : ٧٧٠١

عمر بن يونس (عمر بن يونس)

عمير بن إسحق القرشى : ٧٧٧٦

أبو العوام (عمران القطان) (عمران

ابن داود)

العوام بن حوشب : ٧٦٨٥

ابن عون (عبد الله بن عون بن

أرطبان المزنى)

أبو عون الأنصارى الشامى الأعور :

٨١٩٨ م

أبو عون الثقفى (محمد بن عبيد الله

ابن سعيد الأعور)

ابن عياش (إسماعيل بن عياش

الحمصى)

عثام بن علي العامرى : ٨٤٩٥

عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفى

(عثمان بن المغيرة)

أبو عثمان الهجيمى (خالد بن الحارث

ابن عبيد)

عثمان بن أبي زرعة (عثمان بن المغيرة،

مولى ثقيف) : ٧٨٥٣

عثمان بن المغيرة (عثمان مولى ثقيف) :

(عثمان بن أبي زرعة) : ٧٨٥٣

عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن

عبد الله بن عمر : ٧٨٦٣

أبو عشانة المعافرى (حى بن يؤمن

ابن عجبل المصرى)

عصام بن رواد بن الجراح : ٨٣٧٦

عطية بن سعد بن جنادة العوفى :

٧٥٧٢ ، ٨١٤٣

عكرمة : ٨٥١٣

عكرمة بن عمار اليمامى : ٨٢٢٤

العلاء بن بدر (العلاء بن عبد الله

ابن بدر)

العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى

(العلاء بن بدر) : ٧٩٣٩

علي بن ربيعة بن نضلة الوالى :

٧٨٥٣

علي بن أبي طلحة : ٨٤٧٢

علي بن معبد بن شداد العبدى :

٧٦٦٢

عمارة (؟) : ٨٥١٣

عمارة بن أبي حفصة العتكى : ٨٥١٣

أبو عمر الضرير (حفص بن عمر

البصرى)

عيسى بن عمر الأسدي الهمداني :
٧٥٩٥

• • •

أبو غسان (مالك بن إسماعيل بن
درهم)
ابن أبي غنية (عبد الملك بن حميد بن
أبي غنية)

• • •

فرج بن فضالة : ٨٣٧٥

أبو الفضل (بحر السقاء)

الفضل بن إسحق (شيخ الطبري) :

٧٨٥٤

الفضل بن دكين (أبو نعيم) :

٨٥٣٥

ابن فضيل (محمد بن فضيل بن
غزوان)

فطر بن خليفة : ٧٥١١

• • •

القاسم بن الحسن (شيخ الطبري) :

٨٣٩٨ ، ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠

القاسم بن الحسن بن يزيد ، الهمداني

الصائغ : ٨٣٩٨

قبيصة بن عقبة بن محمد السوائي :

٨٣٦١

قبيصة بن مروان بن المهلب : ٨٣٥٨

أبو قرعة (حجر بن بيان) (سويد
ابن جحير)

أبو قرعة (سويد بن جحير بن بيان
الباهلي)

قرعة بن سويد بن جحير الباهلي :

٨١٤١

قيس العبدى : ٧٤٤٠

قيس بن الربيع الأسدي : ٧٥٣٥

• • •

أم كجة (أم كحلة) : ٨٦٥٦

أم كحلة (أم كجة) : ٨٦٥٦

أبو كريب (محمد بن العلاء)

كليب بن شهاب بن الهجنون الجحري :

٨٠٩٨

• • •

لقمان بن عامر الوصافي : ٨٣٧٥

• • •

أبو مالك العبدى : ٨٢٨١

مالك بن إسماعيل بن درهم النهدي

(أبو غسان) : ٨٢٩٢

مؤمل بن إسماعيل : ٨٣٥٦ ، ٨٣٦٧

ابن مجاهد (أبو بكر بن مجاهد)

(أحمد بن موسى بن العباس بن

مجاهد التميمي)

مجاهد بن جبر : ٨٥٦٢

محرز (أبو رجاء) (محرز بن عبد الله

الجزري)

محرز بن عبد الله الجزري (محرز =

أبو رجاء) : ٧٨٤١

محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى :

٧٨٤١

محمد بن جعفر بن أبي كثير : ٨٣٩٧

محمد بن الحسين بن موسى بن أبي

حنين الكوفي : ٨٥٨٩

محمد بن داود بن سليمان (أبو بكر)

راوى التفسير ص : ٢٣ ، تعليق

١ / ص : ١٥٤ ، تعليق : ١ /

محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي
(أبو سعيد المؤدب) : ٨٢٣٩

محمد بن مهاجر بن أبي مسلم :
٨٣٦٩

محمد بن يزيد بن محمد بن كثير
(أبو هشام الرفاعي) : ٨٠٩٨

مختار بن غسان التمار الكوفي العبدى :
٧٧٧٧

مرة بن شراحيل الهمداني البكيلي :
٧٥٣٩

مروان بن معاوية الفزاري : ٧٦٨٥
ابن أبي مريم (سعيد بن أبي مريم)
ابن أبي مريم (عبد الله بن محمد بن
سعيد بن أبي مريم)

مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي :
٧٤٨٧ ، ٧٧٠١

مسلم بن خالد الزنجي : ٧٨٣١
مسلم بن صبيح الهمداني (أبو
الضحى) : ٨٢٠٦

مسلم بن عبيد (أبو نصيرة الواسطي) :
٧٨٦٣

مسلمة بن علقمة المازني : ٨٢٨١
مصعب بن ثابت بن عبد الله بن
الزبير : ٨٣٩٤

مطرف بن عبد الله بن مطرف بن
سليمان الهلالي : ٨٣٩٣

معاوية بن صالح الحضرمي : ٨٤٧٢
أبو ملحان (ابن ملحان) (حرام
ابن ملحان)

منصور بن حكيم : ٨٣٦٢
موسى بن جبير الأنصاري : ٨١٦٢

ص : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، تعليق : ٣ /

ص : ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، تعليق : ٢ :

محمد بن سيرين : ٧٩١١

محمد بن عباد بن جعفر المنزوي :
٧٤٨٤

محمد بن عبد العزيز بن عمر بن
عبد الرحمن بن عوف : ٨٠١٢

محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي :
٨٠١٢

محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير
الليثي : ٧٤٨٤

محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب
الأموي (ابن أبي الشوارب) :
٨١٣٦

محمد بن عبيد الله بن سعيد الأعور
(أبو عون الثقفي) : ٧٥٩٥

محمد بن عبيد الله بن سعيد الواسطي :
٨٠١٢

محمد بن العلاء (أبو كريب) :
٨١٦٥

محمد بن علي بن ربيعة السلمى :
٨٢١٤

محمد بن فضيل بن غزوان (ابن
فضيل) : ٨٣٩٥

محمد بن محمد بن مرزوق (محمد
ابن مرزوق) (شيخ الطبري) :
٨٢٢٤

محمد بن مرزوق (محمد بن محمد
ابن مرزوق) (شيخ الطبري)

محمد بن مسلم بن تدرس المكي
(أبو الزبير) : ٨٢٠٥

موسى بن عبد الرحمن المسروق :

٧٨٤١

موسى بن عبيدة بن نشيط الربلى :

٨٣٦١

موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدي) :

٧٤٨٥

ميسرة بن عمار الأشجعي : ٧٦١٦

• • •

أبو نصر الأسدي : ٧٥٣٥

نصر بن طريف الباهلي (أبو جزى) :

٧٦٦٢

أبو نصيرة الواسطي (مسلم بن عبيد)

أبو النصر (هاشم بن القاسم)

أبو نعيم (الفضل بن دكين)

نقيع (أبو داود) (نقيع بن الحارث)

نقيع بن الحارث الحمداني (أبو داود

نقيع) : ٧٥١١

• • •

أبو هاشم (هلال بن عبد الله)

هاشم بن القاسم (أبو النصر) : ٨٢٣٩

أبو هانيء : (عمر بن بشير الحمداني)

أبو هشام الرفاعي (محمد بن يزيد

ابن محمد بن كثير)

هشام بن عروة : ٨٤٦١

هلال بن عبد الله (أبو هاشم) :

٧٤٨٩ ، ٧٤٨٧

هلال بن فياض (شاذ بن فياض)

• • •

الوليد بن مسلم القرشي : ٧٥٧٧ ،

٨١٩٨ م

• • •

أبو يحيى الخراساني : ٧٦٦٢

يحيى بن أبي بكير الأسدي : ٧٥٤٤

يحيى بن جعدة بن هيرة المخزومي :

٧٤٧٢

يحيى بن جعفر (يحيى بن موسى) :

٨٤٧٧

يحيى بن حبيب بن عربي : ٧٨١٨

يحيى بن أبي حية (أبو جناب

الكلبي) : ٧٤٧٦

يحيى بن سعيد الأموي : ٨١٦٣

يحيى بن سعيد الأنصاري : ٨١٦٣

يحيى بن سعيد التيمي (أبو حيان) :

٨١٥٥

يحيى بن سعيد القطان : ٨١٥٥

يحيى بن سليم : ٧٨٣١

يحيى بن طلحة اليربوعي : ٧٨٠٨

يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب :

٨٣٦٧

يحيى بن عمرو بن مالك النكري :

٧٧٠١

يحيى بن موسى ، (يحيى بن جعفر) :

٨٤٧٧

يحيى بن يزيد الجزري (أبو شيبة

الرهاوي) : ٨٣٩٦

يزيد الرقاشي (يزيد بن أبان)

يزيد بن أبان الرقاشي : ٧٥٧٧

يزيد بن الأصم بن عبيد البكائي :

٧٨٣٦

يعقوب بن إبراهيم النورقي : ٨٢٨٤

ابن عيسى الزهرى)
 يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى
 (يعقوب بن عيسى) : ٨٠١٢
 يعلى بن مرة الثقفى : ٧٨٣١

يعقوب بن حميد بن كاسب : ٨٣٦٨ ،
 ٨٣٦٩

يعقوب بن عبد الله القمى : ٨١٥٨
 يعقوب بن عيسى (يعقوب بن محمد

فهرس المصطلحات

- الائتناف (الاستئناف) : ١١٠
 الإجراء (الصرف) : ٥٤٤
 اسم الفعل : ٥٢٩
 أهل البحث : ٤٨٣
 البحث (أهل البحث) : ٤٨٣
 الترجمة : ١١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٤٨٩
 التفسير : ١١٩ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ،
 ٥٨٨ ، ٤٩٥
 التقريب : ١٤٩ ، ١٥٠
 التوقيت : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٥٩٧
 حروف النسق (حروف العطف) :
 ٢٤٧
 الخروج : ٢٥ ، ٢٦١ ، ٣٩٥
 الدعامة : ٤٢٩
 الرد : ١٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٧٤ ، ٥٢٠
 الصرف : ٢٤٧
 الصفة (حروف الجر) : ٣٣٩ ،
 ٤٧٥
 الصفة (ضمير الفصل) : ٤٢٩
 الصلة (الجارو المجرور) : ١١٤
 الصلة (نعت النكرة) : ١٤٤
 الصلة (الزيادة) : ٣٤٠ ، ٣٤١
 ظرف الفعل : ٣٢١
 العماد : ٤٢٩
 القطع : ٢٦ ، ١٤٤
 الكناية : ١٠٠
 مؤقتة (معرفة مؤقتة) : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
 ٥٩٧
 المفسر : ٤٨٩ ، ٥٨٨
 المكنى : ١٥٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ،
 ٥٢٣
 النسق (العطف) : ٢٤٧ ، ٥١٩

مباحث المرية والنحو وغيرها

- « إذا » و « إذ » يقال : « أكرمتك إذ زرتني » ، ولا يقال : « أكرمتك إذا زرتني » ، لأن « إذا » لا تصحب مع الماضي إلا المستقبل : ٣٣٣
- « الألف واللام » فيها تأويل « مَن » و « أَى » في مثل قوله : « وليعلمن الكاذبين » ، أى : الكاذب من المؤمنين ، أو : أيكم المؤمنين : ٢٤٢
- « إلا » يرفع ما بعدها بإتباعه ما قبله ، إذا كان نكرة ومعها جحدٌ ، نحو : « ما في الدار أحدٌ إلا أنصرك » . فأما إذا قيل : « قام القوم إلا أباك » ، فالوجه النصب . فأما قوله : « ومن ينفر الذنوب إلا الله » ، بالرفع ، فلأن معنى الكلام : ما ينفر الذنوب أحدٌ إلا الله : ٢٢٣
- « أما » لا بدّ بعدها من جواب بالقاء : ٩٣
- « أن » لا تكون إلا معرفة ، ولذلك تعرب اسم « كان » في قوله : « وما كان قولهم إلا أن قالوا » ، فكانت أول بنك دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً : ٢٧٤

[انظر : « كان »]

- « أو » بمعنى « حتى » : ١٩٤
- « الباء » بمعنى « على » ، كقوله : « فأتائبكم غماً بكم » ، أى على غم ، وقولهم : « نزلت بيني فلان - وعلى بيني فلان » : ٣٠٤ ، ٣٠٥
- « تلك » بمعنى « هذه » : ٩٧
- « تلك » بمعنى « هنا » : ٩٧

* « الذين » تذهب بها العرب مذهب الجزاء ، وتعاملها معاملة « مَنْ » و « ما » ، لتقارب معانى ذلك فى كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » : ٣٣٤

* « الذين » فيها تأويل « مَنْ » و « أى » كقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا » بمعنى : ليعلم الذين آمنوا من الذين نافقوا ، أو ليعلم الله أيكم المؤمن : ٢٤٢

* « سواء » مجيئها بمعنى التام : ١١٩ ، ١٢٠

* « سواء » خطأ أن يقال : « سواء أقمت » وأنت تريد : « سواء أقمت أم قعدت » : ١٢٠

* « الفاء » التى فى جواب الجزاء ، تركها لعلم السامع بموضعها : ١٥٧

* « الفاء » إسقاطها من الكلام إذا سقط الجواب ، كقوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، اسقط جواب « أما » ، وهو : « فيقال لهم » : ٩٣

* « فى » بمعنى « على » : ٣٠٤

* « كان » كل اسم ولى « كان » يختار فيه النصب ، إذا كان بعد « أن » الخفيفة كقوله : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا » .

فأما إذا كان الذى يلى « كان » اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب فى الذى ولى « كان » نحو : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى » برفع « عاقبة » ونصبها : ٢٧٤

* « كان » إدخالها فى الكلام وإسقاطها سواء فى المعنى ، إذا كان الكلام معروفاً معناه ، كقوله « كنتم خير أمة » ، أى : أنتم خير أمة = وقوله : « واذكروا إذ أنتم قليل » وقال أيضاً : « واذكروا إذ كنتم قليلا » : ١٠٦

* « لا » بمعنى « ليس » : ١٥٧

« ما » مجيئها زائدة في الكلام في المعرفة والنكرة ، نحو « فبها رحمة من الله » ، وقوله :
« عما قليل » ، أى : عن قليل : ٣٤٠ ، ٣٤١

« ما » و « مَنْ » إذا أردت الفعل قلت : « خذ من رقيقى ما أردت » بمعنى :
خذ إرادتك = وإذا أردت : خذ الذى تريد منهم قلت : « خذ من رقيقى من
أردت » : ٥٤٢

« ما أبالى » و « ما أدرى » اكتفاؤهما بواحد ، تقول « ما أبالى أقمت » ، وأنت
تريد : « ما أبالى أقمت أم قعدت » : ١٢٠

« مَنْ » و « ما » و « كل » مجهولات ، تخرج صلاتها بألفاظ الماضى من
الأفعال وهى بمعنى الاستقبال ، نحو « أكرم من أكرمك » ، و « أكرم كل
رجل أكرمك » ، وقوله :

وَإِنِّ لَا تَيْكُمُ تَشْكُرُ مَا مَضَى مِنَ الْأَمْرِ وَأَسْتَجِيبَ مَا كَانَ فِي غَدٍ
أى : ما يكون في غد : ٣٣٤

« مَنْ » بمعنى الترجمة والتفسير : ٤٨٩

« مِِنْ » التى يجوز إسقاطها من الكلام ، لا تكون إلا مع الجمع نحو : « ما
بالدار من أحد » : ٤٨٩

« مِِنْ » الزائدة نحو : « قد كان من حديث » : ٤٨٩

« ها أنتم أولاء » و « ها أنتم هؤلاء » : ١٤٩

« هذا » تعرف المجهولات غير الموقنة ، مثل « هذا الذى أكرمك » ، عرفه
دخول « هذا » : ٣٣٥

« هذا » حين يراد بها التقريب ، واحتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب نحو :
« كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً » ، وقولهم : « هذا عمرو قائماً » :

- « ها أنذا » و « ها أنا هذا » : ١٥٠
- « الواو » مجيئها ظرفاً للفعل ، في نحو قوله : « والسماء بنيناها بأيد » ينصب السماء : ٣٢١
- « الواو » واو الحال وحذفها لدلالة الكلام على معناها نحو : « قتل الأمير معه جيش عظيم » ، بمعنى : ومعه جيش عظيم : ٢٦٥
- « الواو » دخولها في الكلام ومعناها السقوط ، نحو « فلما أسلما وتله للجبين » وناديناها ، بمعنى : ناديناها : وقول الشاعر :
 حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بِطُونُكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُوبًا
 وَقَلْبُكُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَنَا إِنَّ الْأَثِيمَ الْمَاجِزَ الْخَبْ
 أَى : قلبتم : ٢٩٢ ، ٢٩٣
- تكرير الظاهر من الأسماء ، كقولهم : « أما زيدٌ فذهب زيدٌ » ، وقال الشاعر :
 لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَقَصَ الْمَوْتُ ذَا الْعَفَى وَالْفَقِيرَا
 فأظهر في موضع الإضمار : ٩٩ ، ١٠٠
- « التوكيد » في قولهم : « رأيته بعيني وسمعته بأذني » : ٢٤٨
- « الجزاء » الاستفهام يكون مع حرف الجزاء ، ومعناه يكون في جوابه نحو :
 « أفإن مات أو قتل انقلبتم » ، أى : أفتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل : ٢٥٩
- الاستثناء في العطف على جواب الجزاء ورفعها ، كقوله : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأديبار ثم لا ينصرون » : ١١٠
- « الصرف » يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام ، مثل : « لا يسعني شيء ويضيق عنك » فلا يحسن إعادة « لا » مع « ويضيق » فتتصب على الصرف عن معنى الأول : ٢٤٧
- « التأنيث » تأنيث المصادر ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز فيما خرج منها على لفظ المؤنث ، تأنيثه وتذكيره ، تقول : « وقد بدت البغضاء من أفواههم » و « قد بدا البغضاء من أفواههم » : ١٤٦ ، ١٤٧

• « الاستفهام » إذا جاء الاستفهام في أول الكلام ، ترك اكتفاء بدلالته عليه في
باقية : ٢٥٩ ، ٢٦٠

• كل استفهام دخل على جزاء ، فعناه أن يكون في جوابه ، لأن الجواب خبر
يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ، ثم يحزم جوابه وهو كذلك ومعناه
الرفع ، لمحيطه بعد الجزاء ، وجائز أن تقول : أفإن مت يخلدوا ، ويخلدون : ٢٥٩

• « المفاعلة » تكون في كلام العرب من فريقين ، أو اثنين فصاعداً ، ولا تكون
من واحد إلا قليلاً في أحرف معلودة : ٥٠٨

• الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد ، مؤدية معناه إذا ذكر بلفظ ، وهي بمعنى الجمع
عن الجميع : ٥٥٩

• « المعلوم » نحو « عمر » عن « عامر » و « زفر » عن « زافر » ، و « مثنى »
عن « اثنين » : ٥٤٣

• نصبُ نعت النكرة إذا خرج مخرج المصغر ، كقوله : « لك على حقاً واجباً » :
٥٩٩

• ولا يجوز أن يقال : « لك عندى حق درهماً » ، بالنصب ، لأن « درهم »
اسم صحيح : ٥٩٩

• نصب « حقاً » وأشباهاها وإعرابها : ٢٦١ ، ٢٦٢

• رفع الفعل في مثل قوله : « ولا يؤذن لهم فيعتلرون » وقد نصب في قوله : « لا
يقضى عليهم فيموتوا » : ١١٠

• العطف بظاهر على مكنتي غير فصيح في كلام العرب ، إلا في ضرورة الشعر :
٥١٩ ، ٥٢٠

• ردّ الضمير إلى الكل بعد ذكر البعض ، كقوله :

رَأَتْ مَرَّ السَّيْنِ أَخَذْنَ مِثِّي كَأَخَذِ السَّرَّارِ مِنَ الْهَلَالِ

ذكر « مر السنين » ثم رجع إلى الخبر عن « السنين » : ٨٦ ، ٨٧

« العطف » عطف الأسماء على الحروف وما دخلت عليه مثل : « دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » ، وقوله : « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » : ٤٧٥
 « خطأ أن يقال : « لتكرمنَّ هذا الذي أكرمك إذا زرتَه » ، لأنَّ « الذي » بدخول « هذا » صارت معرفة ، ولو لم يكن « هذا » في الكلام جاز : ٣٣٤ ، ٣٣٥

« الاستثناء المنقطع » الذي هو مخالف معنى ما قبله ، كقولهم : « ما اشتكى شيئاً إلاَّ خيراً » : ١٠٨

« الحال » لا تكون إلاَّ بصور الأسماء والأفعال المستقبلية دون الماضي منها : ١٤٤
 « الحال » مجيء الخبر بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر : ١٤٤
 « المضاف » حذفه لمعرفة السامع به ، كقوله :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَبَبَ غَيْرِكَ بِالْمَنَاقِ
 يريد : صوت عناق : ٢٠٨

« حرف الجر » ، واجتلاب الفعل المضمر له في الكلام ، كقوله :
 رَأَيْتُنِي مَحَبِّلِيهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاهُ الْفَوَادِ فَرُوقُ
 أراد : « أقبلت بحبليها » : ١١٣ ، ١١٤

« النكرة » ، لا يصلح أن يتبع المعرفة في الإعراب : ٢٥ ، ٢٦
 « نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس في نحو قوله : « ضقت بهذا الأمر ذرعاً » والمعنى : ضاق به ذرعى : ٥٥٧
 « الاكتفاء بالواحد عن الجمع في مثل قولك : « ضقت به ذرعاً » ، وأذرعاً : ٥٩٩
 « المقدم الذي معناه التأخير : ٢٩٢

« كتاب الله عز وجل » ، لا توجه معانيه وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعاني ، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم ، وجه صحيح موجود : ١٠٠

• إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه ، دون الخفي ، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه — حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل : ٥٠٩

• إذا اختلفت القراءات في الألفاظ واتفقت في المعاني ، فأعجبها إلى أبي جعفر ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام : ٥٦٩

فهرس التفسير

- ٣ تصدير الجزء السابع
- ٧ تفسير قوله تعالى : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل »
- ٧ اختلاف أهل التأويل في الذي حرم إسرائيل على نفسه ، هل نزل في التوراة أم لا ؟
- من قال إنه لم يحرم في التوراة بل حرمه إسرائيل فاتبعوه ، وتكذيب الله إياهم في إضاقتهم ذلك إليه سبحانه .
- ١١ اختلاف أهل التأويل في الذي حرمه إسرائيل على نفسه = وأنه العروق .
- ١٣ أنه لحوم الإبل والابل .
- ١٧ الحنيفية ، وأنها الاستقامة على الإسلام وشرائعه .
- ١٩ بيت الله بمكة . ذكر من قال إنه ليس أول بيت وضع في الأرض ، وأن قبله بيوتاً كثيرة .
- ٢٠ ذكر من قال إنه أول بيت وضع للناس أو اختلافهم في صفة وضعه أول .
- ٢١ ذكر من قال إن موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .
- ٢٣ الفرق بين « بكة » و « مكة » والآثار في ذلك .
- ٢٦ الآيات البيّنات في البيت الحرام .
- ٢٩ أمن من دخل الحرم من أهل الجرائر في الجاهلية ، وأن الحرم في الإسلام لا يمنع حلود الله .

- ٣٠ أن الحرم كذلك هو في الإسلام ، لأن الإسلام زاده تعظيماً ، وأن صاحب الجريرة يخرج منه ثم يقام عليه الحدّ ، والآثار في ذلك .
- ٣٤ اختيار أبي جعفر أن المحدث إذا عاذ بالبيت ، أمن ، ولكن يخرج فيقام عليه الحدّ ، واحتجاجة لذلك .
- ٣٥ حجة أبي جعفر في إخراج العائد بالبيت .
- ٣٧ تفصيل القول في السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج .
- ٣٨ القول في حديث سبيل الحج ، وأنه الزاد والراحلة .
- ٣٩ بيان أن الكفر بالحج كفر بالله .
- ٥٤ ذكر الخبر عن اليهودي الذي أغرى بين الأوس والخزرج ، ورسول الله بين أظهرهم ، في الآثار من ٧٥٢٤ - ٧٥٣٠ ، ثم ٧٥٣٥ .
- ٧٤ افتراق بني إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، والأمر بالطاعة ولزوم الجماعة .
- ٧٧ أخبار الأوس والخزرج ، وتطاول الحرب بينهم في الجاهلية عشرين ومئة سنة .
- ٧٨ خبر سويد بن الصامت ، ومجالة لقمان ، ولقاؤه رسول الله .
- ٧٩ خبر عرض رسول الله نفسه على القبائل ، ولقاؤه النفر من الأوس فيهم إياس ابن معاذ .
- ٨٢ خبر حرب ابن سمير ، بين الأوس والخزرج .
- ٨٧ خبر في ذكر العرب وما كانوا عليه في الجاهلية من الشقاء والخوف بين فارس والروم .
- ١٠٠ معنى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » والآثار في ذلك .

١٠٧ ذكر الذين آمنوا من أهل الكتاب .

١١٠ بيان معنى « الحبل » الذى يأمن به اليهود على أنفسهم من المؤمنين .

١١٢ أن اليهود مستدلون حيث كانوا من البلدان ، وليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوقهم .

١٢٠ الذين أسلموا من يهود فحسن إسلامهم .

١٢٧ الخبر عن صلاة العشاء ، وأنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب .

١٣٨ النهى عن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين .

١٤٠ ما كان من مخالطة المسلمين حلفاءهم من اليهود ، فنهاهم الله عن مصافاتهم واستنصاحهم واستشارتهم .

١٤٢ حديث النهى عن الاستنصاء بنار أهل الشرك ، وعن النقش فى الخواتيم عربياً ، ومعنى ذلك .

١٥٩ ذكر يوم أحد .

١٦١ هم الطائفتين بالفشل كان يوم أحد دون يوم الأحزاب ، وتاريخ غزوة أحد وأخبارها .

١٦٥ الطائفتان هم بنو سلمة وبنو حارثة ، والأخبار فى ذلك .

١٦٩ ذكر يوم بدر ، والسبب الذى من أجله سمي المكان « بدرأ » .

١٧٣ حضور الملائكة مدداً فى حرب المسلمين ، فى بدر وغيره ، والآثار فى ذلك .

١٧٨ حضور الملائكة مدداً فى غزوة بنى قريظة ، والآثار فى ذلك .

١٨٥ تسويم الملائكة وكيف كان .

- ١٩٥ شج رسول الله في يوم أحد ، وما نزل من الآية في ذلك .
- ١٩٩ دعاء رسول الله على أربعة نفر ، ونزول الآية في ذلك .
- ٢٠٤ أكل الربا في الجاهلية ، وكيف كان .
- ٢٠٨ حديث سؤال رسول الله عن الجنة عرضها السموات والأرض ، فقيل : فأين النار ؟
- ٢١٩ كيف كانت الكفارة في بني إسرائيل ، والخبر عن ذلك .
- ٢٢٠ حديث : « ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر له » .
- ٢٢٥ حديث : « ما أصرّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » .
- ٢٣٥ من أخبار أحد وانهزام المسلمين يومئذ .
- ٢٣٧ ما أصاب المسلمين يوم أحد .
- ٢٤٠ من أخبار أحد .
- ٢٤٨ تمخى من غاب عن يوم بدر ، يوماً كيوم بدر .
- ٢٥٢ خبر من انهزم يوم أحد ، وما فشا في الناس من أن رسول الله قد قتل .
- ٢٨١ أخبار الرماة يوم أحد ، وما كان من مخالفتهم أمر رسول الله .
- ٢٩٠ تنمة القول في أخبار مخالفة الرماة يوم أحد .
- ٢٩٤ تنمة أخبار الرماة في أحد .
- ٢٩٨ ما أصاب المسلمين من القتل والجراحة في أحد .
- ٣٠١ صعود المسلمين الجبل يوم أحد ، ودعاء الرسول : « إلى عباد الله »

٣٠٥ تمة الأخبار عما أصاب المسلمين يوم أحد .

٣٠٨ تمة في أخبار أحد ، وما فشا في الناس أن رسول الله قد قتل .

٣١٦ ذكر الطائفتين ، الطائفة التي غشيا النعاس والأمنة ، في أحد .

٣٢٠ والطائفة التي ظننت ظن الجاهلية ، ومقاتلهم : « هل لنا من الأمر شيء » .

٣٤٠ صفة رسول الله في القرآن ، ثم في التوراة .

٣٤٤ أمر رسول الله بمشاورة المسلمين ، ومقالة أبي جعفر في سبب الأمر بالمشاورة .

٣٥٦ الآثار الواردة في الغلول .

٣٧٢ من أخبار يوم أحد ، ومشاورة رسول الله أصحابه قبل لقاء عدوهم ، ورؤيا رسول الله .

٣٧٤ خبر فداء الأسارى يوم بدر .

٣٧٨ خبر الخروج إلى يوم أحد ، وما كان من خبر من انخزل عن رسول الله .

٣٨٤ أخبار الشهداء يوم أحد ، وأن أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة .

٣٩٩ استجابة المسلمين لرسول الله ، وخروجهم بعد أحد إلى حمراء الأسد .

٤٠٦ تمة الأخبار في خروج المسلمين إلى حمراء الأسد .

٤١٣ تحقيق أبي جعفر في تاريخ غزوة بدر ، وأحد ، وبدر الصغرى ، وحمراء الأسد ، ووقعة الرجيع .

٤١٤ تمة أخبار حمراء الأسد .

٤٣٣ الآثار الواردة في الذي يبخل على ذوى رحمه ، وتطويقه يوم القيامة شجاعاً أقرع .

- ٤٤١ خبر فنحاص اليهودى وغيره ممن قال : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .
- ٤٥٥ تنمة خبر فنحاص اليهودى .
- ٤٥٦ خبر مقتل كعب بن الأشرف اليهودى .
- ٤٦٠ الآثار فى كتمان العلم ، والتحذير من كتمانها
- ٣٦٥ الذين يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا من اليهود وغيرهم .
- ٤٨٦ حديث أم سلمة إذ قالت : « يا رسول الله ، تذكر الرجال فى الهجرة ولا تذكر » .
- ٤٩٦ النجاشى ، وصلاة رسول الله عليه بعد موته .
- ٥٠٣ كتاب أبى عبيدة إلى عمر فى شأن الروم ، ورد عمر عليه .
- ٥٠٤ الآثار الواردة فى معنى « الرباط » .
- * * *
- ﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّسَاءِ ﴾
- ٥١٣ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء .
- ٥١٤ خلق آدم وحواء .
- ٥٣١ الإنتساض فى اليتامى ، كيف هو ، والنهى عن نكاح ما فوق الأربع .
- ٥٣٦ زواج الجاهلية .
- ٥٧٦ بيان معنى « الرشد » ، وحجة أبى جعفر فى ذلك .
- ٥٨٨ حديث ابن عباس فيما يحل من أكل مال اليتيم بالمعروف .
- ٥٩٣ كلام نفيس فى معنى « الأكل من مال اليتيم بالمعروف » .
- * * *

٦٠٣ فهرس الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير .

٦٠٧ فهرس اللغة .

٦١٤ فهرس أعلام المترجمين في التعليق .

٦٢٦ فهرس المصطلحات .

٦٢٧ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٦٤٣ فهرس التفسير .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ٤١٨٦ / ١٩٧١